دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع

من سير أبطال فلسطين (3)

درب الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الأول

سمير طوباسي • بهاء شبراوي • جمعة التايه • زيد بسيسي • باسل مخلوف
شاهر حلاحلة • علي السعدي • محمد عارضة • محمد أبوطبيخ • محمد حسين
سعيد طوباسي • عبدالله برغيش • محمد عمران • إيهاب الشرفا
منيف أبوعطوان • محمود كليبي • أنور عليان • أنس جرادات

إعداد وتوثيق
الأسير المجاهد
محمد صبحي أبوطبيخ

درر الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الأول

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

1440هـ - 2018م

رام الله – فلسطين

تمت الفهرسة في مكتبة وزارة الثقافة الفلسطينية

رقم الإيداع 1069 / 2018

الرقم المعياري الدولي 978-9950-8523-1-0

لا يجوز نسخ أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب أو إعادة إنتاجه بأي شكل أو وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، بدون أخذ ترخيص موثق من الناشر .

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعبّر بالضرورة عن وجهة نظر دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع)

دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع

Email: dar.nomaan@gmail.com

من سير أبطال فلسطين (3)

درب الصادقين

حكايات جهادية من بطولات المقاومة الفلسطينية

الجزء الأول

إعداد وتوثيق

الأسير المجاهد

محمد صبحي أبو طبيخ

دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع

Email: dar.nomaan@gmail.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ
وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[التوبة: 20]

إهـداء

- إلى أراوح شهدائنا الأبرار.
- إلى كل مخيـمات اللجـوء في فلسـطين والشـتات وبالأخـص أيقونة المقاومة والصمود مخيـم جنين.
- إلى رفـاق الـدرب، إخـوة المسـيرة والقيـد والزنزانة الذيـن قاومـوا العـدو الصهيـوني بـكل شـجاعة وشرف، فكانـوا أهـلًا للواجـب والعطـاء والتضحيـة.
- إلى ورثـة الفعـل المقـاوم المتواصـل، الذيـن يضعـون بوصلتهـم دومـاً باتجاه فلسـطين، والتي سـتحررنا مـن الأسر بمشـيئة الله _تعالى_.
- إلى أبي وأمي وأخواتي وأخي، أطال الله في أعمارهم.

شكر وتقدير

■ إلى الإخوة المجاهدين: أيمن اطبيش (أبو علي)، أنور عليان (أبو عمر)، إبراهيم الأشقر، مؤمن النجار الذين كان لهم مساهمة جيدة في المساعدة بإخراج هذه العمل.

■ إلى الإخوة الأعزاء: الأستاذ/ محمد فارس جرادات، البروفيسور/ عبد الستار قاسم، الأستاذ/ طارق قعدان، الدكتور/ عبد المجيد العيلة الذين تفضلوا بكتابة تقديم للكتاب.

■ إلى الإخوة في دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع الذين لم يدخروا جهداً لإخراج هذا الكتاب إلى حيز النور، ووفروا الدعم والمساندة.

■ إلى الإخوة في مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى والجرحى الذين وضعوا الأرشيف المعلوماتي للمؤسسة تحت التصرف خلال مرحلة الكتابة.

فكرة ثورية تحركت في عقل مبدع

بقلم الأستاذ: محمد فارس جرادات
كاتب وباحث فلسطيني

كان من الطبيعي أن يكتب الأحرار عن الأسرى وبطولاتهم، وأن تتفرغ المؤسسات الوطنية بكل أطيافها لتتبع أنفاس الأسرى، وما أبدعوه من بطولات قبل وبعد اعتقالهم، خاصة عندما يتعلق الأمر بأسرى قضوا سنوات من أعمارهم في ميدان المطاردة في فلسطين، أو في جزء صغير منها هو الضفة الغربية المحتلة صهيونياً، بما يجعل المطاردة ضرباً من الخيال الأسطوري، في بقعة جغرافية محدودة، وعدو يتسلح بتكنولوجيا أمنية متعاظمة.

ومن صنع الكفاح بكل أشكاله أمثال ثابت المرداوي وسعيد الطوباسي ومحمد أبو طبيخ وعلي الصفوري وغيرهم من القادة الرساليين الذين تعرضوا لمطاردات أمنية قاسية وطويلة، ووجهوا عمليات استشهادية وقتالية مميزة، وكان لجهادهم الدور الأساس في خلق بيئة ملحمية أبدعت معركة جنين الأسطورية، التي لم يكن لها شبيه في داخل فلسطين وربما خارجها، كل هؤلاء وغيرهم يستحقون أن تعرف الأجيال جهودهم وجهادهم.

وقد قضى الشهداء العظام أمثال نعمان طحاينة ومحمود طوالبة ومحمود الخواجا، وأمينهم فتحي الشقاقي، وتعقب الناس سيرتهم وسجاياهم، وحظوا ببعض ما استحقوا، لكن التاريخ الجهادي للأسرى الفلسطينيين في ميادين المواجهة الميدانية ظل طيّ الصدور، وقد آن الأوان لتسطيره في الصحف، وقد انبرى الأسرى بأنفسهم وقد استنطقوا كوامن الذات، واستمطروا غيوماً كادت تنضب في مآقيها، وأطلقوا للروح المحبوسة العنان، فلا قيد السجان ولا طول الأمد يمكنه أن يخنق فكرة ثورية تحركت في عقل مبدع، كعقل الأخ المجاهد محمد أبو طبيخ (أبو مصعب) وقد خبرته التجارب وعركته حياة الجهاد وقيود أسر قارب على العقدين، وقد جعل أيامها في دروب الوعي والعلم والثقافة، في واحة سجن "هداريم" الذي ساحت جدران زنازينه في فضاء المعرفة، والمنافسة الخلّاقة بين رفوف المكتبة الأغنى في سجون الاحتلال.

إن استنطاق هذه التجارب الجهادية من خلف قضبان الأسر، يتجاوز حالة التكريم الرمزية لهؤلاء الأسرى وذويهم، بقدر ما يمثل ذلك العمل المبدع ميداناً للفائدة والعبرة والدراسة للأجيال الراهنة والقادمة في ساحات المواجهة المتجددة مع محتل يصرّ أن يسحق عظام صدورنا وصخور جبالنا في وحل خرافاته التلمودية، وهو ميدان تربوي تجديدي، يتجاوز بعده التاريخي لما يحاكي دورات تدريبية وورشات عمل رسمية، يتوجب لكل داع للنهوض الفلسطيني والعربي والإسلامي والإنساني أن يعقدها للطلائع الكفاحية المتوثبة لعالمية حضارية عادلة في مواجهة عالمية الغرب الرأسمالي الاستعماري الامبريالي.

ما أعده لنا القائد الرسالي أبو مصعب، وإخوانه الأسرى المبدعون؛ يستحق أن نرعاه بمهجة القلب ورمش العين، وأن نسعى كأسرى محررين وكأنصار للمقاومة في فلسطين، لنشره وتقديمه لكل شرائح أمتنا حتى تضعه في مكانه المناسب في تاريخ وجهاد شعبنا الفلسطيني.

أرشفة تاريخ الفلسطينيين الشهداء والأسرى الصامدين

بقلم البروفيسور: عبد الستار قاسم
جامعة النجاح الوطنية - نابلس

تفتخر الأمم بمناضليها الذين ضحوا من أجل أمتهم وأخرجوها من ظلمات الاستعمار والاحتلال والاستعباد إلى الاستقلال والأنفة والإرادة الحرة. الأمم التي وقعت تحت الاستعمار أو الاحتلال وانشغلت في البحث عن الخلاص، كان عليها أن تتحمل نوعين من الآلام والأحزان. الأول هو الآلام المترتبة على ممارسات الاحتلال والاستعمار القمعية والمتمثلة بالملاحقات وقتل الناس واعتقالهم وحرمانهم حرياتهم ونهب ثرواتهم وتخريب مصالحهم وإفقارهم. والنوع الثاني هو الآلام المترتبة على المقاومة من أجل الحرية والتي تكلف كثيراً من الجهد والمال والنفس والمعانيات المعنوية... الخ. كان على الأمم أن تتحمل مشاق النضال وصعابه وعمليات الانتقام المترتبة عليه من قبل الدولة المحتلة أو المستعمرة. وعلى الرغم من أن الأمة جميعها تشارك في الأعمال ضد الغزاة المستعمرين بصورة مباشرة وغير مباشرة، إلا أن صفوة منها كانوا دائماً يتقدمون الصفوف ويقدمون أنفسهم مشاعل للنضال الوطني، فثبتت أسماؤهم في قوائم القادة العظماء الذين ضحوا من أجل أن يحيا الوطن.

فلسطين لا تختلف عن الأمم التي عاشت مُرّ الاحتلال والاستعمار، شعب فلسطين يعاني على مدى سنوات طويلة من الاحتلال الصهيوني البشع، ويعاني مما ترتب على هذا الاحتلال من سهر وتعب وجهود من أجل التخلص من هذا الاحتلال البغيض. الشعب الفلسطيني يدفع الأثمان الباهظة من خيرة أبنائه ومن مصادر معيشته، ومن دموع أطفاله، وآهات الأمهات والجرحى والأسرى. ومقارنة مع شعوب أخرى وقعت تحت الاستعمار والاحتلال؛ قدم الشعب الفلسطيني تضحيات أكثر من أي أمة أخرى من حيث نسبتها إلى عدد الشعب الفلسطيني، ولكن بما أن الشعب الفلسطيني في مواجهة العديد من الدول الاستعمارية القوية التي تساند الكيان الصهيوني فإنه لم يستطع لغاية الآن تحقيق أي من أهدافه.

أثناء هذه المسيرة النضالية الجهادية الطويلة تصدر رياديون جهاديون التصدي لقوى الظلم والبغي والعدوان أمثال الشيخ المجاهد عز الدين القسام، والشيخ فرحان السعدي، وعبد الرحيم الحاج محمد. وقد كان الشعب الفلسطيني وفياً لشهدائه وأرخ لهم نضالهم وجهادهم ضد البريطانيين والصهاينة، وبعد أن

اشتدت الأمور على الشعب الفلسطيني بالمزيد انبرى نخبة من شباب فلسطين في مختلف مناطق فلسطين للقاء العدو وإيقاع الخسائر بقواته الغاشمة. فمن هذه الثلة الفلسطينية من ارتقى شهيداً، ومنهم من اعتقله العدو وحكم عليهم بأحكام عالية جداً مدى الحياة المتعدد أو عشرات السنين في السجون.

وهنا انبرى بعض الفلسطينيين الأوفياء مثل الأسير المجاهد محمد أبو طبيخ لمواصلة مسيرة الاعتراف بجميل المجاهدين، وقرروا كتابة السير الذاتية لهؤلاء العمالقة الذين أصروا على التضحية من أجل عزة المواطنين والوطن. إنهم يكتبون عما بلغه الشهداء من مجد، وعما قدمه الأسرى الشجعان من خدمات وطنية جليلة، وهذا شيء جميل يجسد الشعارات التي نرفعها دائماً، وهي المجد والخلود لشهدائنا الأبرار والحرية لأسرانا البواسل، المجد والخلود لا يتمان إلا بالكتابة التي تحفظ في المكتبات وتشكل نبراساً للأجيال القادمة.

تأريخ السير الذاتية للمناضلين والمجاهدين في حياة الأمم في غاية الأهمية، التأريخ تخليد وله انعكاسات معنوية مهمة في نفوس أهالي الشهداء والأسرى وأبنائهم وبناتهم وأزواجهم، وهو درس لكل الذين يفكرون في تقديم التضحيات من أجل الكل الفلسطيني. هذه الكتابة تبعث الوعي في نفس كل فلسطيني أن غياب الشهيد جسداً لا يعني غيابه رمزاً، وأن القضبان لا تلغي وجود الأسرى والدروس التي قدموها.

من المهم جداً تسجيل السير الذاتية لكل من آثر وطنه وشعبه على مصالحه الخاصة، والمفروض أن تكون هناك مؤسسة وطنية فلسطينية تعنى برصد حياة الأوفياء ليكون في ذلك عبرة في أن الشعب الفلسطيني لا ينسى ولا يدير ظهره لمن ارتقى أو وقع في الأسر، ولهذا قرر بعض شبابنا الذين يقبعون بالسجون أن عليهم سد الفراغ والقيام بواجبهم الوطني تخليداً لزملائهم من الشهداء والأسرى، ومن المفروض أن يلاقى هؤلاء الدعم الضروري من أجل الاستمرار في عملهم وجمع المعلومات عن كل مناضل قدم نفسه فداء للوطن، وأقل ما يمكن تقديمه لهؤلاء الشباب هو نشر المواد التي يكتبونها، فالنشر مكلف، والتوزيع مكلف أيضاً، والذي يقومون بالواجب أسرى لا يتقاضون أموالاً حتى لو حصلوا على راتب أسير. هكذا تصل الرسالة للجميع بخاصة من الشباب والشابات الذين يحملون همّ الوطن والمواطن، ويتطلعون إلى الحرية واستعادة الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني. الوفاء ثم الوفاء والعرفان.

درب الصادقين،
صفحات مشرقة من بطولات المجاهدين

بقلم الأسير: محمد صبحي أبو طبيخ
سجن "ريمون" الصحراوي

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بذكره يستفتح كل كتاب وباسمه يبدأ كل خطاب، الحمد لله الذي فتح لنا باب الجهاد واصطفى منا رجالاً أخيارًا ليكونوا عند الله إما شهداء وإما أسرى وإما مطاردين، والحمد لله الذي أعزَّ المؤمنين وأذل الكفرة المجرمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له القائل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي حرَّضنا على الجهاد في سبيل الله كما أمره ربه القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: 65]، وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: 84]، فقام نبينا محمد _صلى الله عليه وسلم_ مجاهداً مقاتلاً حتى لقي الله تعالى فقال: "والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ"، فكانت هذه هي أمنية محمد _صلى الله عليه وسلم_ سيد الخلق والمرسلين، فما بالنا والقعود؟ ولماذا يترك شعبنا الفلسطيني الجهاد في سبيل الله وقد أُمر به؟

فيا أمة المليار مسلم في العالم! يا شعب فلسطين المجروح والمظلوم والمحتل! يا ضفة الشهداء والأسرى! إن قلب الأمة وقلبكم ما يزال مأسورًا، وقدسكم قد غاب عنها الفرح والسرور، فلم تعد قدسنا طهورًا، والأقصى في خطر، وقضيتكم المركزية على مرمى حجر، وقلب الأمة مجروح، فكان لزاماً أن تتغير الأحوال وإن تأخر من تأخر في هذا الزمان فلن تترك حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الساحة، وستبقى سرايا القدس تحمل الراية في ميادين القتال مهما كانت الظروف التي تحيط بها، وسيبقون في الليل من الرهبان وعند قتالهم لعدوهم سيكونون من أشجع الفرسان، وهذا ما تحقق وتجسد على أرض فلسطين المحتلة عبر بطولات المجاهدين من أبطال حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري سرايا القدس عندما تفجرت انتفاضة الأقصى المباركة في 28/ 09/ 2000م، والتي جاءت كرد طبيعي ومتوقع بعد انتهاء جولة المفاوضات الأخيرة في قمة "كامب ديفيد" الثانية، والتي حققت فشلاً كبيراً في الوصول إلى حلول في قضايا الحل النهائي، والتي في مركزها قضية اللاجئين والقدس والأماكن المقدسة؛ ليأتي قرار الحكومة الصهيونية بالسماح للمجرم الصهيوني أرئيل شارون بزيارة الحرم القدسي، كخطوة استفزازية سياسية هدفها إبراز القوة وإعلان السيطرة على أحد مراكز الصراع.

لقد قدمت سرايا القدس عبر قادتها وكوادرها وأبطالها أروع وأعظم وأبهى صور الجهاد في سبيل الله عبر عملياتها العسكرية والاستشهادية، فكان لا يخلو يوم أو شهر إلا وقد نفذت سرايا القدس عمليات استشهادية في المدن الفلسطينية المحتلة، سواء في القدس أو العفولة أو الخضيرة أو "نتانيا" أو بيسان أو وادي عارة أو "تل أبيب" أو غيرها، وأوقعت مئات القتلى والجرحى في صفوف العدو، هذا العدو الذي استجمع قوته وشدد قبضته على أبناء الشعب الفلسطيني وعلى فصائل المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة فارتكب المجازر وقتل الأطفال والنساء، وكان لا يكاد يمر يوم إلا ويقوم الجيش الصهيوني ويعتقل المئات ويقتل العشرات ويهدم البيوت ويقتلع الأشجار ويضع الحواجز ويغلق المدن الفلسطينية، وضباط "الشاباك" الصهيوني لم يتوقفوا يوما عن تعذيب المجاهدين منذ زمن طويل، فلم يتركوا طفلاً ولا امرأة ولا شاباً ولا شيخاً ولا حتى رضيعاً إلا ونال قسطاً من العذاب، واتسع هذا العذاب ليصل إلى كل بيت فلسطيني، لذلك نريد ونتمنى أن تكون قضية فلسطين هي قضية كل الدول وكل الشعوب وكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ويجب العمل على أن تكون إسلامية لا شرقية ولا غربية، وعليه نحن بحاجة ماسة إلى الرجال الرجال في هذا الجيل الجديد، جيل انتفاضة الأقصى الذي يكون الرجل فيهم كما قال الشاعر:

ترى الجموع ولكن لا ترى أحداً وقد ترى همة الآلاف في رجل

من أجل ذلك يأتي هذا الكتاب للحديث عن تاريخ أبطال عظماء، باعوا أنفسهم لله، فكانوا ممن قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207]، رجال أبطال حملوا هم الأمة وهم القضية الفلسطينية وحملوا أرواحهم على أكفهم، لا يخافون في الله لومة لائم، يجاهدون أعداء الله، ويرسمون الوطن وشماً على لحومهم، وينثرون لحمهم في الخضيرة نشيداً لحسن أبو زيد، وعرساً للؤي السعدي، ووفاء لفتحي الشقاقي، يرسمون لوحة جهادية رائعة عبر العمليات الاستشهادية، ويرسمون للأمة طريق العزة والكرامة والسؤدد، فكانوا بمثابة الثلة المؤمنة الصابرة والمحتسبة من الذين تشبثوا بخيار الجهاد والاستشهاد؛ ليجمعوا شتات أرواحهم وشتات الأمة على الإسلام وفلسطين والجهاد، ولهذا كان وسيبقى خيار الجهاد الإسلامي وسرايا القدس هو الجهاد والبندقية التي لا يمكن مقايضتها سوى بمقعد في جنة الرحمن، أو تحت مظلة على شاطئ يافا، أو في ظل زيتونة في الجليل، فكان

هؤلاء المجاهدون الأبطال في سرايا القدس المأسورون في سجون العدو مشاعل نور وهداية، اصطفاهم الله _عز وجل_ ليكونوا أسرى ومعتقلين، ولكنهم ما وهنوا وما استكانوا وما بدَّلوا وما حوَّلوا، فغرسوا سنوات أعمارهم في سجون الاحتلال، فنبتت أشجاراً شامخة سامقة، تحمل بين أوراقها وأغصانها وثمارها أمل الطفل الفلسطيني الجريح وعزم الرجال الصادقين.

فيا أيها الجيل الجديد، جيل انتفاضة الأقصى المباركة، أيها الأبطال أيها الشامخون في زمن الردة والانكسار، عندما تقفون على هذا الكتاب وتقرؤون في صفحاته المشرقة الجميلة سيرة هؤلاء الأبطال الرجال الرجال من قادة وكوادر سرايا القدس في سجون الظلام، ستجدون أنفسكم أمام هامات وقامات وقصص وحكايات، بل نماذج فريدة من نوعها في البذل والعطاء والإقدام والتضحية والإيثار، فكان ذلك تاريخهم العظيم، وقد قرأ المفكرون والقادة والساسة والنخب وعامة الناس قصص وحكايا عظيمة من حياة الأنبياء _عليهم السلام_ ومن حياة صحابة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ ورضوان الله عليهم أجمعين، ولكننا اليوم نقف بكل فخر واعتزاز للحديث عن قصص من ساروا على دربهم، عن ثلة مؤمنة من أبطال سرايا القدس في الضفة الغربية هم منَّا ونحن منهم، ويعيشون في عصرنا ونعرفهم ونسمع عنهم، وهم ممن ينطبق عليهم قوله _صلى الله عليه وسلم_: "لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ"، وهم على ذلك فاحتضنتهم دعوة الإسلام العظيم وربتهم على حب الجهاد والاستشهاد، فكانوا رهباناً في الليل فرسانًا في النهار، تسابقوا إلى ميادين الجهاد والاستشهاد، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، فكان حريًا بنا أن نقتحم هذا المجال، ونكتب بكل إخلاص وشجاعة وشرف، وأن نؤرخ لهؤلاء الأبطال المغيبين في سجون الظلام.

تحدثنا في هذا الكتاب عنهم من تاريخ ميلادهم مروراً بطفولتهم وصولاً إلى انتمائهم لحركة الجهاد الإسلامي وتتويجاً بأعمالهم الجهادية والعسكرية في صفوف سرايا القدس في الضفة الغربية، مع التطرق والحديث عن حياتهم في داخل سجون الاحتلال، فحفظاً لهؤلاء الأبطال وتخليداً لبطولاتهم قمنا بتوثيق أعمالهم دون محاباة أو مجاملة، ودون مبالغة، فلم يكن أمامنا لتحريض وحث هذا الجيل الواعد الناشئ الجديد ليكون لهم الدافع والحافز في حمل الراية والسير على خطا هؤلاء الأبطال، ولكل مجاهد ولكل بطل ولكل أسير قصة وحكاية عزيزة

على قلوبنا، ولكننا لا نستطيع أن نتحدث عن جميع أبطال سرايا القدس في الضفة الغربية لضيق الزمان والمكان في سجون الاحتلال، فاكتفينا بالحديث عن بعض قصص هؤلاء الأبطال مراعين الجغرافية الفلسطينية في الضفة الغربية ما أمكن ذلك، فتشكلت لدينا لوحة جهادية من شمال الضفة حتى جنوبها، ونحن على أمل إن شاء الله في مواصلة الكتابة عن قصص باقي المجاهدين الأبطال في سرايا القدس، ومن كافة الفصائل الفلسطينية كلما أمكن ذلك.

وفي الختام نسأل الله _عز وجل_ أن نكون قد وفقنا في بذل الجهد المطلوب في جمع هذه المعلومات المهمة وتبويبها وتوثيقها وصياغتها بالأسلوب الذي يدخل إلى القلوب مباشرة دون استئذان، ونسأله تعالى أن يغفر لنا إن أخطأنا، وأن يأخذ بأيدينا إن سددنا وأصبنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أسماء الأسرى المجاهدين

مرتبة هجائياً حسب تاريخ الأسر لدى العدو الصهيوني

الأسير المجاهد
سمير عبد الفتاح رضا طوباسي

أصر على الجهاد والاستشهاد، فكان الاعتقال المؤبد

تاريخ الميلاد: 1982/09/15م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مخيم جنين – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 13

تاريخ الاعتقال: 2001/08/16م

الحكم: مؤبد

كان بينه وبين الجنة خطوات، كان يتسابق للمجد كأنه يشم رائحة الجنة، لا ينفك عن ذكر الموت ولا ينسى حلاوة الشهادة، وقائده محمد _صلى الله عليه وسلم_ يقول: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ"، ويقول أيضًا: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ". فأراد أن يقدم نفسه وروحه في سبيل الله _عز وجل_، إلا أن يد الغدر والخيانة وعيون الجواسيس كانت له بالمرصاد، فوجد نفسه ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: 23].

الميلاد والنشأة

إنه المجاهد البطل سمير عبد الفتاح طوباسي، وقد وُلد هذا المجاهد البطل في مخيم جنين الصمود، مخيم الشهداء، مخيم الأسرى والمعتقلين، مخيم الاجتياح مخيم طوالبة والسعدي وزبيدي والعامر؛ ففي هذا المخيم ولد المجاهد سمير، وعاش حياة اللجوء بعد أن هُجِّرت عائلته من قرية زرعين في العام 1948م بفعل العصابات الصهيونية الإجرامية، وما أن كبر قليلًا حتى اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى، تلك الانتفاضة التي جاءت بعد عشرين عامًا من الاحتلال الصهيوني

للبقية الباقية من فلسطين، ومارس فيها كل أنواع القمع والإرهاب مستخدمًا كل ما توصلت إليه عقولهم الشيطانية من مكر وخداع وتآمر فثار الشعب الفلسطيني المسلم في فلسطين ثورته المباركة، وانتفض مفجرًا السكون من حوله، فكانت عائلته من أوائل العائلات الفلسطينية التي لبت نداء الواجب الوطني المقدس.

فلا يزال مجاهدنا البطل يتذكر اعتقال ثلاثة من إخوانه في انتفاضة الحجارة، وهم جمال الذي كان حينها ينتمي إلى صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأمضى في المعتقل الصهيوني أكثر من سنة ونصف، وأما أخوه جميل فقد كان ينتمي إلى حركة فتح، وأمضى في السجن بضعة أشهر بسبب نشاطاته في الانتفاضة، وأما أخوه كمال فكان ينتمي للجبهة الشعبية واعتقل في الانتفاضة الأولى لعدة أشهر، وكذلك تم اعتقاله في انتفاضة الأقصى، كما كان لعائلته وأبناء عمومته وأخواله دور بارز في أحداث الانتفاضة الأولى، فما كان من المجاهد سمير إلا أن يتشرب حب الوطن وضرورة العمل على مقارعة العدو الصهيوني، فشارك أبطال مخيم جنين في المظاهرات ووضع الحواجز وحرق الإطارات، وكتابة الشعارات ورفع الأعلام الفلسطينية، ولا يزال يذكر ذلك اليوم الذي رفعت فيه الرايات السود فوق المنازل ومآذن المساجد، حدادًا على استشهاد القائد الفتحاوي خليل الوزير (أبو جهاد). وكان الجيش الصهيوني حينها يُحكم قبضته على مخيم جنين، عبر تكثيف ملاحقاته الأمنية للمجاهدين والمقاومين، ومن كل الفصائل الفلسطينية، فلا يزال أيضًا مجاهدنا يتذكر استشهاد البطل الفتحاوي ابن الفهد الأسود محمد السعيد (أبو السعيد)، وأيضًا استشهاد الرفيق يوسف أبو السباع (أبو عرب)، والذي استشهد في بلدة عرابة إلى جانب رفيقين من قرية عصيرة في نابلس حيث دار اشتباك عنيف بينهم وبين قوات الجيش الصهيوني، وخرجت حينها مدارس مخيم جنين عن بكرة أبيها، وكان في المقدمة المجاهد سمير طوباسي الذي بدأ يرمي الاحتلال الصهيوني بالحجارة والزجاجات الحارقة إلا أن هذه الأحداث والتضحيات التي قدمها الشعب الفلسطيني في هذه الانتفاضة تم استثمارها من قبل منظمة التحرير الفلسطينية عبر خوضها المفاوضات مع الكيان الصهيوني لتوقع في العام 1993م على اتفاقية أوسلو الهزيلة.

رحبت الفصائل الفلسطينية الداعمة للعملية السلمية، بينما عبرت الحركة الإسلامية ممثلة بحركتي حماس والجهاد الإسلامي عن رفضها المطلق للعملية السلمية انطلاقًا من موقف شرعي ووطني، وبدأت حينها بوادر الانقسام بين فئات الشعب الفلسطيني ما بين مؤيد ومعارض، ومع ذلك أصبحت السلطة الفلسطينية أمرًا واقعًا، وسط توقعات بإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف خلال بضع سنين، ومضى العام تلو العام في ظل مفاوضات يتبعها مفاوضات وصولًا إلى مفاوضات يوليو (تموز) من العام 2000م، في قمة كامب ديفيد الثانية والتي انتهت وسط خيبة أمل لرئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات ومنظمة التحرير، فقام حينها مجرم الحرب الصهيوني أرئيل شارون باستفزاز مشاعر المسلمين في العالم، ومشاعر الشعب الفلسطيني عندما حاول اقتحام المسجد الأقصى وسط إجراءات أمنية صهيونية مكثفة، وانتفض الشعب الفلسطيني مدافعًا عن المقدسات الإسلامية، والأرض والعقيدة والتاريخ وفلسطين كل فلسطين.

دوره في انتفاضة الأقصى

اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة بتاريخ 28/ 09/ 2000م، وكان المجاهد سمير من السباقين للمشاركة في أحداثها عبر السير في المسيرات الشعبية والتوجه نحو حاجز الجلمة الصهيوني للتظاهر ورمي الحجارة، وبدأ الشهداء بالارتقاء إلى العلا شهيدًا تلو شهيد، وبدأت الانتفاضة تشتد أكثر فأكثر وسط تأييد شعبي ووطني وفصائلي وعربي ودولي، فكان لعائلة الطوباسي دور وطني وجهادي في أحداثها العظيمة، ونتيجة للاستهدافات التي تعرضت لها هذه العائلة المناضلة من قبل الاحتلال، والمجازر التي ارتكبها في انتفاضة الأقصى ضد الشعب الفلسطيني الأعزل، واستخدام الجيش الصهيوني القوة المفرطة الأثر الكبير في تبلور شخصيته الوطنية، وشكل لديه حافزًا قويًا للقيام بعملية انتقامية ضد الاحتلال، وثأرًا للشهداء الذين ارتقوا إلى العلا جراء العدوان الصهيوني، فلم يكن حينها المجاهد سمير ليجلس في بيت عائلته ويندب حظ الشعب الفلسطيني، أو يقف متفرجًا على شاشات التلفاز وهي تبث همجية وعنجهية العدو الصهيوني، بحق الأطفال كمحمد الدرة وبحق الشباب والشيوخ والنساء.

اتصاله بحركة الجهاد الإسلامي

توجه المجاهد سمير طوباسي إلى القائد محمود طوالبة أحد قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وبحكم صداقته معه والعمل معه في محلاتهم التجارية وخاصة في فرع بيع الأحذية؛ تكونت علاقة قوية بين المجاهد سمير وبين المجاهد محمود طوالبة وتعززت الثقة بينهما، فطلب منه أن يساعده في القيام بعملية استشهادية، فرد عليه المجاهد محمود بأن عليه أن يتريث قليلًا، ثم عاد إليه مرتين بإصرار وعزيمة أكثر من المرة الأولى، فوافق حينها القائد محمود على ذلك داعيًا إياه للانتظار، وأنه في أي لحظة قد يتم استدعاؤه لتنفيذ العملية الاستشهادية، وفي صباح 15/ 08/ 2001م، طلب المجاهد محمود طوالبة من المجاهد أبو مصعب مساعدته في إحضار المجاهد سمير طوباسي الذي بدوره تمكن من العثور على المجاهد سمير، وأحضره للمجاهد محمود طوالبة، وعندها قام المجاهد محمود طوالبة بتسليمه شنطة متفجرات، وتم الاتفاق مع المجاهد ياسر صوالحة بأن يقوم بعملية توصيل الاستشهادي سمير إلى بلدة باقة الشرقية، ومن هناك يقوم المجاهد عزام دياب بتوصيله إلى مدينة حيفا لتنفيذ العملية في مطعم يرتاده ضباط الشرطة الصهيونية، وكان المجاهد عزام يعرف تلك المنطقة بشكل جيد لطبيعة عمله في تلك المنطقة، وبالفعل خرج بصحبة المجاهد ياسر صوالحة، وأثناء الطريق علما أن هناك عددًا كبيرًا من الجيش الصهيوني في المكان ولا يمكن تجاوزهم، فكان لابد من عودتهم

الشهيد القائد/ محمود طوالبة
قائد ملحمة مخيم جنين (نيسان 2002م)

مرة أخرى إلى بلدة كفر راعي في جنين، وأمضى تلك الليلة مع المجاهد عزام دياب.

اعتقاله والحكم عليه

وفي اليوم التالي تمكنا من الوصول إلى بلدة باقة الشرقية وعبرا منها إلى بلدة باقة الغربية في الكيان الصهيوني، وحين سارا في الطريق لمدة خمس دقائق فوجئا بوجود كمين للجيش الصهيوني في بلدة باقة الغربية، ولم يكونا في موقف الاستعداد لتفجير الحقيبة؛ لأنهما ما زالا في بداية الطريق، وهذه المنطقة مكتظة بالعرب، فتم اعتقالهما في نفس اليوم في ساعة متأخرة من الليل، وتم الاعتداء عليهما بالضرب الشديد، وإخضاعهما للتحقيق الميداني، ثم قاموا بنقلهما إلى مركز تحقيق الجلمة، وخضعا للتحقيق المكثف والشاق جدًا لمدة شهرين ونصف ليجدا نفسيهما في سجون الاحتلال المركزية، وخاصة في سجن عسقلان المركزي.

بعد انتهاء التحقيق ودخوله لأقسام الأسرى في السجن علم أنه منذ اليوم الأول لاعتقاله حدثت مشكلة كبيرة جدًا مع عائلته، أي عائلة الطوباسي، والسبب هو تحريض بعض الفصائل الفلسطينية لعائلة الطوباسي ضد حركة الجهاد الإسلامي بذريعة أن عمليات الجهاد الإسلامي هي عمليات فاشلة، وأنهم هم المسئولون عن اعتقاله أي ابنهم المجاهد سمير، وعندها تم إنزال بيان يسيء إلى حركة الجهاد، فانتفض مجاهدو حركة الجهاد الإسلامي وقادتهم وكوادرهم وأنصارهم وفي مقدمتهم سرايا القدس؛ مستنكرة ما فعلته هذه الفصائل. وتم تسوية الخلاف بحضور عائلة الطوباسي وكافة الفصائل الفلسطينية، وإنزال بيان الاعتذار من قبل الفصائل الموقعة على البيان معتذرة لحركة الجهاد الإسلامي، وحين علم المجاهد سمير بهذا الأمر استهجن هذه التصرفات ولا سيما أنه هو الذي ذهب مرارًا للمجاهد محمود طوالبة لمساعدته في تنفيذ عملية استشهادية.

الشيخ القائد/ خضر عدنان
في زيارة لعائلة الأسير المجاهد/ سمير طوباسي

أصبحت فيما بعد عائلة الطوباسي من أكثر العائلات الفلسطينية تضحية وإقدامًا في انتفاضة الأقصى؛ فابن عمه شادي طوباسي نفذ عملية استشهادية في مدينة حيفا بتاريخ 31/ 03/ 2002م، وتبنت العملية كتائب الشهيد عز الدين القسام، وأدت إلى مقتل وإصابة العشرات، واستشهد أيضًا ابن عمه أسامة في اشتباك مسلح مع الجيش الصهيوني، وكان ينتمي حينها إلى حركة فتح، وفي تاريخ 01/ 11/ 2002م تم اعتقال ابن عمه المجاهد الكبير وأحد أهم قادة سرايا القدس في مدينة جنين سعيد طوباسي، وما هي إلا سنوات حتى استشهد شقيق المجاهد سعيد الشهيد أحمد طوباسي بتاريخ

31/ 01/ 2006م، وجاء الخبر الأصعب في العام 2013م وهو نبأ استشهاد المجاهد إسلام طوباسي الشقيق الثاني للمجاهد سعيد، فما كان من ابن عمه المجاهد سمير إلا أن يصبر ويحتسب، ويُصبّر ابن عمه سعيد عبر الرسائل التي أرسلها إليه أثناء وجود المجاهد سعيد في سجن "هداريم" الذي أمضى فيه أكثر من أربعة عشر عامًا.

ومع كل تلك الآلام والأحزان والمآسي التي عاشها المجاهد سمير طوباسي؛ إلا أنه تمكن من إكمال مشواره التعليمي فحصل على شهادة التوجيهي، ثم شهادة البكالوريوس في علم التاريخ من جامعة الأقصى بغزة، واستطاع أن يدرس في الجامعة العبرية باللغة العبرية تخصص العلوم السياسية، وأنهى 36 ساعة دراسية قبل أن يتم منع التعليم الجامعي في سجون الاحتلال وفقًا لقانون "شاليط"،

شهادة
تشهد مؤسسة مهجة القدس للشهداء والأسرى والجرحى
بأن الأسير/ سمير عبدالفتاح رضى الطوباسي
قد إجتاز دورة: العقيدة الإسلامية في [سجن جلبوع]
في الفترة من 2016/3/15م وحتى 2016/4/30م بتقدير عام: ممتاز

ولم يكتف بذلك حيث لا يمكن للإنسان أن يشبع من العلم، فحرص على الازدياد فتمكن من الحصول على عدة دورات ثقافية ودينية في مواضيع مختلفة منها علوم القرآن وعلوم الحديث وأحكام التجويد واللغة العبرية ودراسات في تاريخ فلسطين بطرق منهجية، وآمن أن العلم ضروري جدًا لفهم حقيقة وطبيعة العدو الصهيوني، وكيف يمكن مواجهته حاضرًا ومستقبلًا.

الأسير المجاهد/ سمير طوباسي
في سجن "ريمون" الصهيوني (2018م)

ومع كل هذا لم يتوان عن خوض الإضرابات المفتوحة عن الطعام سواء في العام 2004م أو في العام 2012م، أو المشاركة في الخطوات التصعيدية والتضامنية مع إخوانه في الحركة الأسيرة، ومنذ اليوم الأول الذي تم فيه اعتقاله وحتى اليوم لايزال هذا المجاهد يؤمن بقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]، فلم يبدل ولم يغيِّر إلا إلى ما فيه قرب من جنة الخلد ولسان حاله يقول:

المؤمنون الصابرون إذا ابتلوا
بمصيبة حمدوا الإله وحوقلوا

هذا قضاء الله حل بعبده
والله يقضي ما يشاء ويفعل

الأسير المجاهد
بهاء يوسف عبد القادر شبراوي (مصاروة)

آمن بالجهاد عقيدة ووسيلة لتحرير الأرض

تاريخ الميلاد: 1980/07/23م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مخيم نور شمس – محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 16

تاريخ الاعتقال: 2001/10/04م

الحكم: 35 عاماً

حديثنا اليوم عن رجل بدأ رحلة جهاده ونضاله وكفاحه وعدم الاستسلام للواقع المرير الذي عاشه رغمًا عنه في مخيم اللاجئين؛ لأنه علق نفسه في أعالي المجد، وقام بإدارة تلك الأخطار المحدقة والمشكلات الصعبة بكفاءة عالية لا نظير لها؛ رجل لا يعرف الضعف والهوان يومًا، اقتحم الصعاب وآمن بما قاله وخلده الشهيد سيد قطب: "إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة يأبى أن ينحني فيخط كلمة يسترضي بها طاغية"، وأيقن المجاهد البطل بهاء شبراوي بأن الجهاد في سبيل الله هو القوة التي تحمي الحق وتنصفه من مماطلة وجحود وصلف الخصوم والأعداء، وأن الجهاد هو السنان الذي يتكلم حين يعجز البيان عن الانتصار للحقيقة، ولذلك كان لابد أن يلتزم الشعب الفلسطيني بكل قوته لإبقاء شعلة القوة والمقاومة بكل أشكالها وأدواته لدحر مشروع العدو بكل طاقاته وأشكاله وأدواته أيضًا.

الميلاد والنشأة

وُلد مجاهدنا البطل بهاء في ذلك المخيم، مخيم اللاجئين، مخيم الثائرين، مخيم الصمود الأسطوري، مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم، فقد هُجِّر أهله كما هُجِّر الآخرون، فلم يملكوا ثروة ولم يبنوا لأنفسهم قصورًا، وعاش كما عاش أطفال المخيم

وأكل مما أكل منه أطفال المخيمات مما تقدمه وكالة الغوث من أرز وفول وعدس وحليب وسردين، وأحيانًا مما تيسر من الفتات، وأحيانًا كثيرة لم يكونوا يجدون ما يأكلون على الرغم مما كانوا يملكونه في أراضيهم المسلوبة من قبل العدو الصهيوني، فهناك في موطن الآباء والأجداد في ذاكرة النزوح الأولى عام 1948م حيث إن عائلة الشبراوي أصلها من بلدة قاقون في الأراضي المحتلة عام 1948م، تلك البلدة التي وقعت ضحية للعدوان الذي شنته العصابات الصهيونية، وبالأخص عصابة الأرغون في 6 مارس (آذار) 1948م،

آثار قلعة قرية قاقون المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

حيث حسب صحيفة "فلسطين" فإنها تعرضت صبيحة يوم 7 مارس (آذار) لغارة، وأن الوحدة الكبيرة المغيرة قد عجزت عن دخول هذه القرية، وأنها ألقت بعض القنابل اليدوية التي جرحت امرأتين، وفي أوائل مايو (أيار) 1948م كانت البلدة واحدة من بين أواخر القرى الساحلية الباقية في الشريط الممتد شمالي يافا، وأُحتلت البلدة في الشهر التالي أثناء هجوم شن للاستيلاء عليها تحديدًا، ويُذكر أن بلدة قاقون قد هدمت في ليلة الرابع والخامس من يونيو (حزيران) 1948م، وأن القوة المهاجمة كانت في معظمها من الكتيبة السادسة التابعة للواء اسكندروني، وقد جُوبه العدوان بمقاومة شديدة من وحدات الجيش العراقي المدافعة عن المشارف الشمالية للقرية، وحدث هجوم عنيف في وضح النهار وكان لصالح العدوان، وذلك حسب الرواية الصهيونية، بينما أشارت صحيفة "نيويورك تايمز" بأن هذه المعركة كانت من أدمى المعارك في ذلك التاريخ، وأُقيم على أرض هذه البلدة عدة مستوطنات صهيونية، ولذلك فإن عائلة الشبراوي كما هو حال بقية العائلات الفلسطينية التي هُجِّرت عام 1948م، ولقرب قرية قاقون من مدينة طولكرم حيث تبعد عنها مسافة 6 كيلومترات اضطرت إلى اللجوء إلى مخيم نور شمس للاجئين، واستقر بها الحال هناك، كما هو حال جميع اللاجئين الفلسطينيين الذين لا يزالون يحلمون ليل نهار بتلك العودة المنشودة، العودة الجماعية.

ولذلك قد نشأ مجاهدنا بهاء في تلك الأحداث وفي تلك البيئة الوطنية بامتياز، وفي ظل عائلة متوسطة الحال، وله ثمانية إخوة وخمس أخوات، ووالده رغم مرضه كان لا يترك وقتًا إلا ويعمل به لرعاية عائلته، فعمل في مجال البناء، وعَلَّم أبناءه مهنة الميكانيك ليبدعوا بها كثيرًا، ولكنهم

أبدعوا أكثر وأكثر في مقاومة المحتل الصهيوني، حيث في الانتفاضة الأولى عام 1987م نشطت عائلة الشبراوي في مواجهة المحتل الصهيوني، وما أن فتح المجاهد بهاء عينيه على الدنيا حتى وجد أباه يحرس شوارع وأزقة وحواري المخيم خوفًا من تسلل الجيش الصهيوني إليه، وسار الأبناء على نهج أبيهم، فانتمى أخوه عبد القادر إلى صفوف حركة فتح، وأصبح من أشهر قادة الفهد الأسود في ذلك الوقت، ولذلك كان الجيش يقتحم مخيم نور شمس بحثًا عنه دومًا، ولذلك لا يزال مجاهدنا يتذكر تلك الأيام العظيمة أيام المواجهات البطولية مع العدو، وكان دومًا يساعد أخاه عبد القادر في نقل الرسائل إلى المطاردين، وإحضار الطعام والشراب له ولإخوانه المطلوبين والمختبئين في الجبال بين الأشجار الكثيفة، ولا يزال يتذكر ذلك اليوم الذي تم فيه الإعلان عن استشهاد القائد الكبير خليل الوزير (أبو جهاد) حيث ظن المجاهد بهاء حينها أن الشهيد أبو جهاد هو جارهم في مخيم نور شمس، فما أن خرج من منزله حتى وجده أمامه في الشارع، فبدأ يسأل من هو أبو جهاد فأجابوه: بأنه القائد الفتحاوي الكبير، وأن العدو الصهيوني قد اغتاله في تونس، فبدأ يعي شيئًا فشيئًا طبيعة الصراع مع هذا العدو المجرم، والذي كان يوميًا يقوم باقتحام منازل عائلة الشبراوي وجيرانهم، للبحث عن المطارد البطل عبد القادر، إلى أن تم اغتيال هذا البطل الفتحاوي عبد القادر شبراوي بتاريخ 04/ 09/ 1992م، حيث استشهد عندما كان في منزل خالته، وتم تطويق المنزل وإطلاق النار على رأسه، ولشدة وقوة الرصاص خرجت عينه من مكانها، واحتجز الصهاينة جثمانه لمدة سبعة أيام، ثم أعادوه إلى عائلته بشرط عدم إحضار أحد للمشاركة في عملية الدفن، وتم تسليم جثة الشهيد عبد القادر لعائلته في وقت الفجر، فكانت أعضاؤه مسروقة من قبل سجان الأرواح والأطباء الصهاينة، ولما وصل جثمانه إلى مقبرة المخيم إذا بأهالي ورجال وشباب ونساء مخيم نور شمس قد خرجت من منازلها لتشييع جثمان الشهيد، ودارت مواجهات عنيفة بين أبناء المخيم وبين الجنود الصهاينة الذين تم إمطارهم بالحجارة والزجاجات الحارقة، فالحجر في المخيم ليس كأي حجر في العالم، والزجاجة الفارغة في المخيم ليس كأي زجاجة في العالم، بل لها قيمة كبيرة لدى الشعب الفلسطيني، فكانت سلاحه وقوته في مواجهة المحتل.

الشهيد البطل/ عبد القادر شبراوي
استشهد بتاريخ 04/ 09/ 1992م

عاشت عائلة المجاهد بهاء حياة حزينة جدًا لفقدان شهيدهم عبد القادر واعتقال ابنهم مصطفى (أبو صالح) صديق المجاهد بهاء والذي تم اعتقاله

دون أن يعلم باستشهاد أخيه، حيث كان في أحد الأيام يحمل بدلة عسكرية ومعه عدد من الملفات والأوراق، واعتقد الصهاينة حينها عبر عملائهم أنه يحمل ملفات خطيرة لصالح الفهد الأسود، فقامت إحدى الطائرات الصهيونية باعتقاله بطريقة هي الأغرب في تاريخ الانتفاضة الأولى، حيث أثناء سيره في أحد الشوارع قامت طائرة صهيونية برمي شبك كبير جدًا على البطل أبو صالح وتم رفعه من قبل الطائرة ووضعه في أحد المدارس بمخيم نور شمس، وكان ينتظره هناك جيب عسكري صهيوني، وتم اقتياده إلى التحقيق، وتبين أن الأوراق التي بين يديه لا قيمة لها ولا معنى لها، وأنه لا يوجد له علاقة بشيء يتعلق بانتفاضة العام 1987م، فأمضى بضعة أيام ثم أُفرج عنه، وما أن وصل إلى منزل العائلة حتى أخبروه بنبأ استشهاد أخيه عبد القادر، فلم يتمالك نفسه وحاول أن يهجم على العدو لينتقم لدماء أخيه إلا أن والده وإخوته منعوه من ذلك حتى لا يكون الشهيد الثاني في العائلة، ومع كل ما جرى فإن العدو لم يترك هذه العائلة تعيش بسلام، بل قام باعتقال شقيق المجاهد بهاء واسمه فتحي مدة عام.

استمرار مسلسل المداهمات والاقتحامات اليومية لعائلة الشبراوي أدى لنضوج وعي وفكر المجاهد بهاء وأدرك أنه يواجه عدوًا لا يرحم أحدًا، فما كان منه إلا السعي والعمل الدؤوب في المشاركة برمي الحجارة على المحتلين الصهاينة، وإلقاء الزجاجات الحارقة وإشعال الإطارات، ومساعدة الأهالي خلال فرض منع التجوال، ووضع المسامير للدوريات الصهيونية لمنعها من التقدم والتصدي لها، مما أدى إلى اعتقاله في العام 1994م ليحكم عليه لمدة 6 شهور، وكان معه صديقه المجاهد عمار قزموز وعددًا آخر من فتيان مخيم نور شمس. ومنذ اللحظة الأولى لاعتقال المجاهد بهاء شبراوي في الساعة الثالثة فجرًا، تم إرساله للتحقيق في سجن طولكرم، ومن ثم تم نقله إلى سجن الفارعة، ومنه إلى سجن مجدو، ثم إلى سجن "كفاريونا"، هذا السجن الذي كان يتواجد فيه الشيخ المشلول والمقعد المجاهد أحمد ياسين، فكان هؤلاء الأبطال بهاء وعمار وغيرهم من الأسرى يتحدثون مع الشيخ المجاهد أحمد ياسين عبر شبابيك الغرف وكان يسمعهم ويجيبهم، وفي أحد الأيام وبينما كان الشيخ عائدًا من العيادة الطبية ومعه مرافقه فإذا بالأبطال بهاء وإخوانه يلتقون به وجهًا لوجه، وبدأوا يسلمون عليه ويقبلونه، فما كان من الشيخ حينها إلا أن يوصيهم بكلمات خالدة فقال لهم: "أيها الأبطال لا تخافوا من هذا العدو الصهيوني، فهو لا يرعب طفلًا، وأريد منكم شيئًا". فقالوا له: "نحن جاهزون"، فقال لهم: "أريد أن تكونوا رجالًا وأبطالًا، أريد منكم المواظبة على الصلاة، وأريد منكم أن تملئوا وقت فراغكم بالعلم". فلزم حينها الأبطال هذه الوصية.

ما أن أمضى المجاهد بهاء من حكمه 4 شهور ونصف حتى أخبره مدير السجن بأن يجهز نفسه للإفراج عنه ففرح كثيرًا بذلك، ولكن بقي السؤال الأهم: كيف سيعود إلى طولكرم؟ حيث وضعه ضباط الشرطة الصهيونية أمام السجن وقالوا له: عليك مغادرة الكيان إلى الضفة الغربية خلال 5 ساعات فقط، فلم يعرف ماذا يفعل، فأرشده أحد أفراد الشرطة وهو من الطائفة الدرزية ويتحدث

اللغة العربية وقال له بأن طولكرم قريبة جدًا من هذا السجن، وأن عليه السير بشكل مستقيم على طول الشارع، وفي آخر هذا الشارع يوجد حاجز صهيوني وهنالك يمكنه السير مع أحد السائقين ليوصله إلى طولكرم، وبدأ ينفذ ما تم إخباره به ووصل إلى طولكرم لتعيش أسرته فرحة طال انتظارها، وقرر أن يعود إلى صفوف الدراسة إلا أنه قرر بعدها ترك الدراسة مجددًا للعمل في أي مجال يمكنه مساعدة أسرته، فاشتغل مع إخوانه في مجال الميكانيك، والبلاط، وقرر في العام 1998م التوجه إلى العمل في داخل الكيان الصهيوني، وأتقن اللغة العبرية بشكل جيد.

وما أن فتحت فلسطين أبوابها وبدأ المال يتجمع بين يديه حتى عاد بذاكرته إلى تلك الأيام السابقة أيام الفقر التي عاشها في مخيم نور شمس ليتأكد بأن كل المآسي التي عاشها في المخيم كان سببها الاحتلال، وتذكر أنه كان يعمل عندهم في مجال البناء وحفر الآبار وأيضًا حفر القبور والتي اشتهر بها، وكان يتمنى أنه لو يحفر قبرًا كل يوم بل كل ساعة بل كل دقيقة، بل كان يتمنى أن يحفر عشرات ومئات القبور للصهاينة لشدة حقده وكراهيته لهم لاسيما أنهم هَجَّروا شعبه وقتلوا الشباب وحرقوا المساجد، بل سرقوا أعضاء جسد أخيه الشهيد عبد القادر، فكان يتمنى أن يقف وسط تجمعات الصهاينة ويصرخ بهم قائلًا: "هذه الأرض لنا، لنا المسجد، لنا البرتقال، لنا الزيتون، لنا العنب، ولن تخرسوا ألسنتنا مهما كانت قوتكم، وغدًا سيأتي اليوم الذي نسترد فيه حقنا المغتصب".

انتفاضة الأقصى

كأن تمنيات وتطلعات المجاهد بهاء قد أصبحت أمرًا واقعًا حيث في شهر (سبتمبر) أيلول من العام 2000م اندلعت انتفاضة شعبية في وجه المحتل الصهيوني، وبدأت المطالبة بإنهاء الاحتلال الصهيوني وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وكل فصيل وتيار كان له نظرته وتصوره لهذه الدولة، فالفصائل المنضوية تحت إطار منظمة التحرير الفلسطينية وفي مقدمتها حركة فتح وافقت على إقامة الدولة على حدود السابع من يونيو (حزيران) عام 1967م، بينما الحركات الإسلامية حماس والجهاد الإسلامي اعتبرت أن الدولة يجب أن تكون على كامل تراب الوطن الفلسطيني، ففلسطين لا يمكن أن تسمى فلسطين إلا إذا تحررت كاملة، وبدأ المجاهد بهاء كما بقية شباب فلسطين المشاركة في فعاليات الانتفاضة المباركة، وكما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "نُصرت بالشباب". ذلك أن لعنصر الشباب أهمية كبيرة في انتفاضة الأقصى، كيف لا وقد سمعوا من آبائهم وأجدادهم، كيف أن مدن البحر كانت تسقط واحدة تلو الأخرى وكأن عضوًا من أعضاء الجسد يسقط، وكان ولا يزال أجدادنا يؤمنون بالعودة، فلا يمكن لهم أن يتصوروا فلسطين من غير عودة إلى الوطن المحتل، وهذا كان حال الأجداد، وانتقل إلى حال الشباب، فكيف للشباب أن يتصوروا فلسطين من غير يافا وحيفا وعكا، والقضية الفلسطينية مستمرة والمعركة والحرب مستعرة الأوار، ولابد لها من وقود يُقدم، ولهذا فإنه في انتفاضة الأقصى لم يتخل مجاهدنا بهاء عن فلسطين، ولا الشباب الآخرون وحتى الأبناء والأشبال

والفتية الذين آمنوا بالله ربًا وزادهم الله هدى.

فقدموا الشهداء والضحايا، فالشاب اليافع والفتاة المحجبة والأم الشجاعة والصبور والشيخ الذي لا يزال قلبه شابًا، هؤلاء هم الذين كانوا وراء انتفاضة الأقصى، وصفتها حركة الجهاد الإسلامي بانتفاضة إسلامية ووطنية، يشارك بها الكل الفلسطيني، والكل يتوحد في بوتقة واحدة حتى تحرير تراب فلسطين المقدس، وتحرير مسرى الحبيب محمد _صلى الله عليه وسلم_ من دنس الصهاينة المجرمين، وانطلقت حركة الجهاد الإسلامي تجوب ساحات وحواري وشوارع وأزقة فلسطين، تستنهض الهمم والطاقات في مواجهة العدو، والذي لم ينفع معه الحراك الجماهيري، بل ينفع معه عسكرة الانتفاضة، وعادت حركة الجهاد الإسلامي وعاد نشاط جناحها العسكري الذي حمل اسم (سرايا القدس) بدلًا من اسم (قسم)، وبدأت مرحلة عسكرية جديدة مع العدو الصهيوني، وقرر حينها المجاهد بهاء شبراوي الانتماء لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وافتتح مشواره الجهادي رفقة المجاهد أشرف البردويل أحد قادة سرايا القدس في انتفاضة الأقصى المباركة، وما أن استشهد المجاهد عائد خالد أبو حرب حتى قرر المجاهد أشرف الثأر لدماء صديقه، وسمع عن المجاهد بهاء رجل المهمات الصعبة والذي لم يعرف عنه الجبن أو الخوف أو التراجع أو الانهزام، وطلب منه أن يساعده في التخطيط لعملية عسكرية سريعة للرد على جريمة اغتيال الشهيد المجاهد عائد خالد أبو حرب، وقال حينها المجاهد بهاء إن لديه القدرة على استدراج أحد الجنود الصهاينة إلى مدينة طولكرم، حيث كان في الماضي يعمل عنده في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، وكان قد طلب من المجاهد بهاء أن يحضر له مسجلًا لسيارته وكذلك إطارات من نوع مغنيسيوم، وكانت هذه القطع موجودة في طولكرم ورخيصة الثمن كونها بضاعة مسروقة، وبعد أن يتم استدراج هذا الجندي يتم الإمساك به ووضعه أمام منزل الشهيد عائد خالد أبو حرب ويتم إعدامه هناك ردًا على اغتياله.

الشهيد القائد/ أشرف بردويل (يمين)
برفقة الشهيد المجاهد/ سامح أبو حنيش

وافق حينها القائد أشرف البردويل، ووضعت الخطة المحكمة للتنفيذ، وتوجه المجاهد بهاء شبراوي إلى بلدة بير السكة في الداخل المحتل للقاء ذلك الجندي، وجاء الجندي بسيارته ومعه جندي

آخر وقال له المجاهد بهاء أن يقوم بالسير وراءه إلى منطقة طولكرم إلى منطقة اتفق بها المجاهد بهاء مع القائد أشرف وإخوانه المجاهدين أن يكونوا متأهبين وجاهزين لخطف هذا الجندي، وكانت هذه المنطقة عبارة عن شارع فرعي ترابي وحوله أكوام كبيرة من الرمل وأشجار كثيفة، وما أن وصل المجاهد بهاء إلى ذلك الموقع ووراءه سيارة الجندي حتى قال المجاهد بهاء لذلك الجندي إن هناك من سيأتي لك بالمسجل والإطارات، فقط سبع دقائق ستكون الأمور جاهزة، وبدأ الجندي الصهيوني ينتظر بضاعته والمجاهد بهاء ينتظر المجاهدين حتى يتحركوا وانتظروا حينها ما يقارب الساعة إلا ربعًا، دون أن يتحرك أحد، فما أن هم المجاهدون بالتحرك نحو سيارة الجندي حتى قام أحد المجاهدين بإطلاق النار بطريق الخطأ، وعلم حينها الجندي الصهيوني أنه وقع في كمين، وخرج من مكانه بسيارته مسرعًا بسرعة البرق باتجاه الكيان الصهيوني، واتصل بعدها بالمجاهد بهاء وقال له: "أحضرتني حتى تقتلني، أليس كذلك يا بهاء؟" وتم إبلاغ الجيش الصهيوني بالحادث، وأصبح المجاهد بهاء منذ ذلك اليوم من المطاردين والمطلوبين للعدو الصهيوني، فكانت هذه العملية الجهادية الأولى للمجاهد بهاء مطلع انتفاضة الأقصى المباركة.

العملية الجهادية الثانية

طلب المجاهد أشرف البردويل وقادة سرايا القدس زيد بسيسي ومحمد بشارات وأسعد دقة من المجاهد بهاء شبراوي زراعة عبوة ناسفة في قلب مدينة "نتانيا" المحتلة، تلك المدينة التي قام الصهاينة بعد احتلالها بتحريف اسمها فكانت تسمى مدينة أم خالد وأصبحت تسمى بـ"نتانيا"، ووافق المجاهد بهاء على أن يقوم بزراعة العبوة، وأشار إليه المجاهد أشرف البردويل أنه سيساعده في ذلك المجاهد عبد الرحمن فودة، رغم أن الاتفاق في بدايته أنه سينفذ العملية لوحده، ومع ذلك وافق على ضم المجاهد عبد الرحمن إليه في توصيل العبوة وتجهيزها في "نتانيا" المحتلة، وبعد قيام المجاهد أشرف بإحضار العبوة قام المجاهد بهاء بوضعها داخل شنطة كبيرة وكانت تزن 25 كيلو جرامًا من المتفجرات، وانطلق المجاهدان بهاء وعبد الرحمن وبحوزتهما العبوة بتاريخ 28/ 03/ 2001م، ووصلا إلى مدينة "نتانيا" المحتلة، وتوجها لوضعها في سوق الروس في "نتانيا" فلم يجدا عددًا كبيرًا من الصهاينة، فانسحبا من الموقع ودخلا إلى سوق الخضار وهناك قام المجاهد بهاء بتجهيز العبوة عبر شبك الأسلاك الكهربائية وإيصالها بالهاتف الخليوي من أجل تفجيرها عن بعد، وابتعد المجاهدان عن الموقع، وبدأ المجاهد عبد الرحمن يحاول تفجير العبوة عبر الاتصال على الهاتف الخليوي إلا أن العبوة الناسفة لم تنفجر، واتصل المجاهد بهاء بالمجاهدين زيد وأشرف ومحمد بشارات وقال لهم إن العبوة يوجد بها خلل، وحاول الاتصال بالبلفون المشبوك بها، ولكن دون جدوى، وحاول المجاهدون بدورهم ولم تنفجر، واكتشفت الشرطة الصهيونية وجود هذه العبوة في سوق الخضار، وأحضروا وحدات هندسة المتفجرات وبنفس الوقت قاموا بعمل طوق أمني في المنطقة، ما أدى إلى اعتقال عشرات العمال الفلسطينيين، وكان من ضمن المعتقلين المجاهد عبد الرحمن فودة،

وتم سحب العبوة عبر جهاز آلي صغير، وما أن تم ذلك حتى انفجرت العبوة وكان انفجارًا كبيرًا أدى إلى أضرار مادية جسيمة في المكان، ولم يصب أحد من الصهاينة وذلك لإخلائهم من تلك المنطقة، وقامت الشرطة الصهيونية بفحص بلفون المجاهد عبد الرحمن فودة، فعلموا أن له علاقة بالعملية، وتم اقتياده إلى تحقيق سجن الجلمة، وتمكن المجاهد بهاء من العودة إلى مدينة طولكرم، ليخبر المجاهدين بما حدث معه، وكيف تم اعتقال المجاهد عبد الرحمن فودة إلا أن عدم نجاح هذه العملية لم يقف حائلًا أمام طموح المجاهد بهاء في ضرب العدو في كل مكان وفي أي زمان، ومهما كانت الإمكانيات.

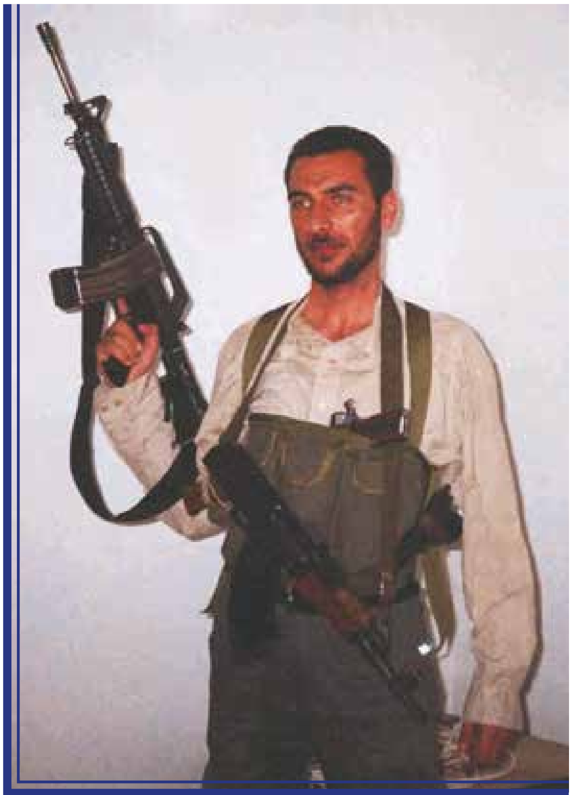

الشهيد القائد/ أسعد دقة
استشهد بتاريخ 12/ 09/ 2001م

أدرك مجاهدنا بهاء أن الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله بحاجة إلى صبر وثبات، كيف لا وذكر لنا القرآن الكريم، نموذجًا مؤمنًا في سورة البروج قدموا أرواحهم في سبيل الله، وكان عليهم البذل والعطاء والتضحية والثبات، وعلى الله إنجاح الدعوة فكانت دماؤهم ابتغاءً لمرضاة الله، فأيقن المجاهد بهاء أن العمل المخلص يكون لله _عز وجل_ وابتغاء مرضاته، وهو ثابت ومستمر فيه، وأن الثمرة والنتيجة والنجاح هي بيد الله _عز وجل_، والله _عز وجل_ لا يسأل الناس في الآخرة لماذا لم ينجحوا؟ لكن يسألهم لماذا لم تجاهدوا؟ ولا يسألهم لماذا لم تنجحوا؟ بل لماذا لم تعملوا؟ ولذلك رغم حزنه وتعبه الذي أصابه في العملية السابقة أصر على مواصلة الدرب ليكون على موعد جديد للعملية القادمة.

العملية الجهادية الثالثة

طلب المجاهد زيد بسيسي من المجاهدين عمار قزموز وبهاء شبراوي تقديم المساعدة في إدخال سيارة مفخخة في قلب الكيان الصهيوني، للرد على جرائم الاحتلال الصهيوني بحق أبناء شعبنا الفلسطيني، ووافق المجاهدان بهاء وعمار على ذلك، واتفقوا على أن يكون الهدف هذه المرة هو سوق في مدينة "نتانيا" المحتلة، بحيث يتم وضع سيارة مفخخة أمام مدرسة ثانوية زراعية في المنطقة الصناعية في "نتانيا"، وقام حينها المجاهدان القائدان في سرايا القدس الشهيد أسعد دقة، والمجاهد زيد بسيسي بتجهيز السيارة المفخخة

وكانت السيارة من نوع مازدا، واجتمع المجاهد زيد مع المجاهدين عمار قزموز وبهاء شبراوي، وقام بإرشادهما وتعليمهما آلية شبك الأسلاك الكهربائية والبطارية، وكذلك شبك العبوة بالبيلفون حتى يتم تفجيرها عن بعد.

الأسير القائد/ زيد بسيسي
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 09/ 12/ 2001م

وما أن أصبح المجاهدان بهاء وعمار جاهزين حتى ودّعهما المجاهد زيد، ودعا لهما بالتوفيق في هذه العملية، وعاد للاجتماع مع المجاهد أسعد دقة لانتظار الإشارة القادمة للمجاهدين عمار وبهاء، وانطلق المجاهدان بالسيارة المفخخة بتاريخ 30/ 05/ 2001م متجاوزين المتاريس والمحاسيم والحواجز العسكرية الصهيونية، متوجهين إلى مدينة "نتانيا"، وكان المجاهد بهاء هو من يقوم بقيادة السيارة المفخخة، وبجانبه المجاهد عمار قزموز، وفي أثناء السير تعاهد المجاهدان عمار وبهاء على تنفيذ العملية حتى لو أدى ذلك لاستشهادهما، وقاما بفتح المسجل على القرآن الكريم ليكون لهما أنسًا وحفظًا من كل سوء قد يصيبهما في الطريق، وما هي إلا ساعة من الزمن فإذا بهما في قلب مدينة "نتانيا" المحتلة، وما أن وصلا بالقرب من تلك المدرسة المرصودة للهدف حتى قام المجاهد بهاء بإنزال المجاهد عمار من السيارة، وقام بشبك الأسلاك والبطارية والبلفون وأصبحت السيارة جاهزة للتفجير، وتم وضعها أمام المدرسة الصناعية الصهيونية، وغادر المجاهدان بهاء وعمار الموقع، وبذلا جهدًا كبيرًا في الخروج من مدينة "نتانيا"، وما أن وصلا إلى حاجز الطيبة المؤدي إلى طولكرم حتى أعطيا الإشارة للقائدين أسعد دقة وزيد بسيسي، وتم تفجير السيارة المفخخة عن بعد موقعة عددًا من الإصابات في صفوف العدو الصهيوني، وأعلنت سرايا القدس عن هذه العملية التي حيرت الشاباك الصهيوني، فكيف يتم إدخال سيارة مفخخة إلى داخل الكيان الصهيوني وهذه السيارة من نوع مازدا بينما لوحاتها التسجيلية هي لسيارة ميتسوبيشي؟! وكيف سارت هذه السيارة بهذه اللوحات؟! وهذا الخطأ الفادح في شوارع مدينة "نتانيا" في ظل وجود العديد من دوريات الشرطة الصهيونية، بالإضافة إلى وجود الطوق الأمني المشدد على الضفة الغربية.

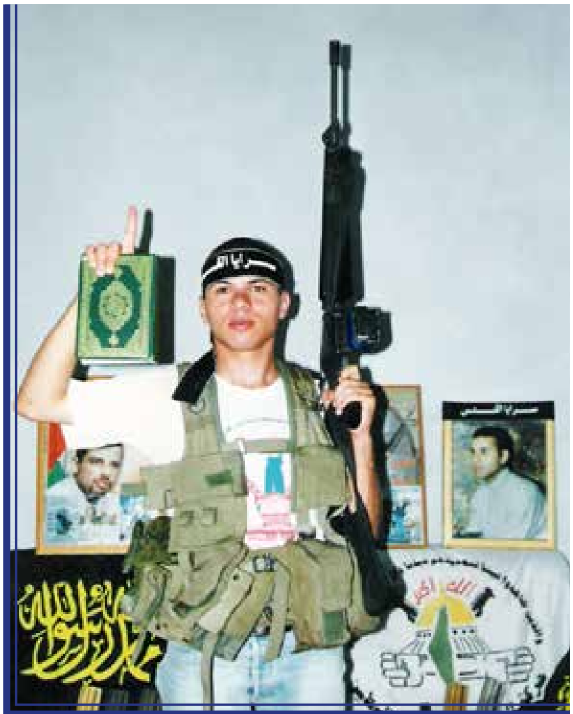

الأسير المجاهد/ عمار قزموز
محكوم 23 عاماً، واعتقل بتاريخ 07/ 03/ 2003م

كانت هذه العملية ناجحة بامتياز، ودلت على مدى قدرة وتطور سرايا القدس في شمال فلسطين، ثم تطورت الأعمال العسكرية لسرايا القدس في الضفة الغربية لتكون أكثر قوة وتحديًا للجيش الصهيوني، وذلك عبر خوض الاشتباكات المسلحة حيث استطاع المجاهد بهاء ومعه المجاهدون أنور عليان ومحمود كليبي وأحمد بسيسي خوض العديد من الاشتباكات المسلحة مع العدو الصهيوني في منطقة خضوري وعنابة ورامين، فقد جعلوا العدو الصهيوني يتكبد خسائر فادحة، ولذلك قرر مجاهدو سرايا القدس تنفيذ عملية عسكرية عبر زراعة عبوة ناسفة بالقرب من مخيم نور شمس في المكان الذي يتواجد به الجيش الصهيوني، وبعد أن يتم زراعة العبوة يقوم أبطال سرايا القدس بإطلاق النار باتجاه الجنود الصهاينة للإجهاز على من تبقى حيًا، وتقدم المجاهدون بهاء وأنور عليان ومجاهد آخر باتجاه الموقع، وكان من المفترض أن يقوم المجاهد أنور بزراعة هذه العبوة، بينما يقوم المجاهدون بالتغطية عليه بإطلاق النار على الجيش الصهيوني، ولكن في ذلك اليوم وفي الصباح الباكر كان الجيش الصهيوني في تلك المنطقة قد اتخذ إجراءات أمنية مشددة، وحصن موقعه بشكل جيد ونشر القناصة في كل مكان، واقترب المجاهد أنور من المكان ومعه أحد المجاهدين الذي يحمل كاميرا على كتفه حتى يقوم بتصوير العملية، واعتقد الجنود أن هذا الشاب يحمل على كتفه صاروخًا فبدأوا بإطلاق النار باتجاه المجاهدين.

أدى ذلك إلى إصابة المجاهد أنور عليان وأحد المجاهدين، فقام على الفور المجاهد بهاء شبراوي بإطلاق النار على الجنود الصهاينة وتم إحضار سيارة الإسعاف لإنقاذ المجاهدين أنور والمجاهد الآخر بينما لم يتمكنوا من إنقاذ المجاهد بهاء شبراوي، والذي حاول بكل قوته أن ينسحب من الموقع زحفًا نحو مخيم نور شمس، فتقدم أحد المجاهدين وبدأ بإطلاق النار تجاه الجيش الصهيوني حتى يتمكن المجاهد بهاء من الوصول إلى طرف المخيم، وبالفعل ما أن نجح بذلك حتى رأته والدته وأهله فلم تتمالك الوالدة أعصابها، وحاولت بكل قوتها الوصول إلى ولدها بهاء الذي كان تعرض لإطلاق النار من قبل الجيش الصهيوني، فكيف لها أن تبقى واقفة وولدها يستغيث بها وبمن يساعده ويسانده؟! ولذلك قامت نساء المخيم بالإمساك بها ومنعها من التوجه إلى منطقة إطلاق النار، فما رأته وصل إلى مدخل المخيم حتى سارعت إلى تقبيله واحتضانه، وسط فرح عارم بين أهالي مخيم نور شمس لاسيما أنه كان قد وقع في مرمى الجنود الصهاينة، ونجا من موت محقق، وما أن رأى شباب مخيم نور شمس هذا المشهد حتى بدأ المجاهدون بخوض اشتباك مسلح مع الجنود الصهاينة، استمر من الساعة الثامنة صباحًا حتى الساعة الرابعة عصرًا من ذلك اليوم.

وكان ذلك في شهر 8 من العام 2001م، ذلك الشهر الذي لا يمكن لذاكرة المجاهد بهاء أن تنساه، فكيف ينساه؟ وكان قريبًا من الموت المحقق أو الأسر، إلا أن رعاية الله وحفظه كانت سباقة للمجاهد بهاء، كيف لا؟ وقد صدق الله في جهاده فكان نعم المجاهد الذي صاغه الإيمان والجهاد وحب التضحية والإيثار، فأصبح بأعماله الجهادية والإيمانية وبإخلاصه

اللامحدود يمثل جيل العقيدة الذي لا يجري وراء المطامع ولا يخطف بصره طريق الشهرة، ولا يجذب قلبه سطوة المال والنفوذ، فالدنيا لم تكن للمجاهد بهاء وإخوانه المجاهدين أكبر همهم ولا مبلغ علمهم، فهو وإخوانه المجاهدون كان أكبر همهم أن يتقبلهم الله في الصالحين وجنده الصادقين وحزبه المفلحين، والهدف هو رضوان الله _عز وجل_ وابتغاء ما عنده، ومن أجل ذلك يستمرئون المر، ويسترخصون كل تضحية ما دامت في سبيل الله، ولذلك حرص المجاهد بهاء أن يكون إلى جانب قادة وكوادر سرايا القدس في كل الاشتباكات المسلحة، فكان إلى جانب المجاهدين سامح أبو حنيش وأسامة بشارات في استهداف حافلة صهيونية تقل عددًا من الجنود الصهاينة في قرية رامين بطولكرم، ثم تطورت الأمور إلى أن تمكن المجاهد بهاء من التعرف على المجاهد معتصم حماد عن طريق المجاهدين أسعد دقة وزيد بسيسي ليقوم باستئجار منزل في مخيم نور شمس بطولكرم، وتم استخدامه لتصنيع المتفجرات، وأشرف على تصنيعها أحمد بسيسي ومحمود كليبي وأنور عليان وبهاء شبراوي، لتبدأ السلطة وأجهزتها الأمنية بالعمل على مراقبة المجاهدين تمهيدًا لاقتحام ذلك المنزل، وليقوم المجاهدون محمود عبد القادر وبهاء شبراوي بإخراج المواد المصنعة وإخفائها عن الأنظار.

وحاول المجاهد بهاء أن يبذل كل جهد ممكن ليقوم بممارسة كافة أشكال المقاومة من زرع العبوات ووضع السيارات المفخخة داخل الكيان الصهيوني، إلى خوض الاشتباكات المسلحة إلى تصنيع المتفجرات، ليدخل في مجال جديد وهو العمليات الاستشهادية

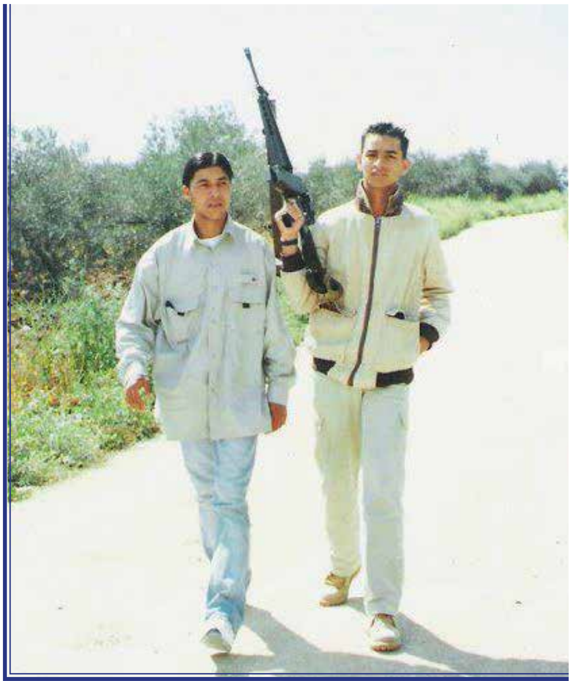

الأسير المجاهد/ بهاء شبراوي (يسار)
برفقة الأسير المحرر/ أحمد جابر

حيث طلب منه المجاهد زيد بسيسي والمجاهد أيمن دراغمة أن يقوم بإيصال الاستشهادي مجاهد أبو جلبوش إلى داخل الكيان الصهيوني لتنفيذ عملية استشهادية إلا أن هذه العملية لم يكتب لها النجاح، فتم اعتقال المجاهد مجاهد أبو جلبوش، وتم الإفراج عنه بعد أن أمضى أربعة عشر عامًا في سجون الاحتلال، وما أن جاء شهر سبتمبر (أيلول) من العام 2001م وبعد مضي عام على انتفاضة الأقصى، حتى قرر المجاهدان زيد بسيسي وبهاء شبراوي زيارة قادة وكوادر سرايا القدس في مخيم جنين، ليلتقوا هنالك بالقادة المجاهدين الحاج علي الصفوري والمجاهد محمود طوالبة، واستقبلتهم عائلة الزبيدي في مخيم جنين ليمضوا عندهم أربعة أيام متواصلة، وكان لهذه الزيارة أهمية كبيرة ونتائج إيجابية لتعزيز التعاون بين

طولكرم وجنين، ليعود المجاهدان زيد وبهاء إلى طولكرم عازمين الأمر على تطوير العمل العسكري والجهادي في مدينة طولكرم.

ونتيجة لنشاط المجاهد بهاء ونجاحاته المتعددة خلال عام كامل من الانتفاضة الفلسطينية، قرر جهاز الشاباك الصهيوني -والذي فشل في محاولة اغتياله أو اعتقاله- أن يرسل له أحد العملاء، وكان اسمه نداء الزبادي من مدينة طولكرم من أجل استدراج المجاهد بهاء إلى مكان معين، ومن ثم يتم تطويقه واعتقاله، وجاء هذا العميل إلى المجاهد بهاء وتعرف عليه وقال له إنه يستطيع أن يحضر له سلاحًا من نوع (M16) ومسدسات وذخيرة وقنابل، وما إلى ذلك من أكاذيب وبأسعار معقولة، وهنا توجه المجاهد بهاء إلى قادة سرايا القدس وخاصة المجاهد زيد بسيسي وعرض عليه الأمر، فقال له المجاهد زيد بأن هذا الشاب قد ورد اسمه لمسامع المجاهد زيد، وبدأ يتذكر إلى أن علم أن هذا الاسم قد أخبره عنه المجاهد إياد صوالحة، حيث في الانتفاضة الأولى قام المجاهد إياد صوالحة بالتحقيق مع العميل، فطلب حينها المجاهد زيد من المجاهد بهاء نسيان هذا الأمر، وعدم التعامل مع هذا العميل، فقال له المجاهد بهاء إن الأمر ليس خطيرًا، وعرض المجاهد زيد أن يذهب معه فرفض المجاهد بهاء، وعرض عليه المجاهد زيد أن يرسل معه أخاه أحمد، فرفض المجاهد بهاء، فقرروا أن يرسلوا أحد المجاهدين مع المجاهد بهاء ليكون معه المال الذي طلبه العميل نداء مقابل شراء السلاح، وأيضًا يكون معه سلاح لحماية المجاهد بهاء في حال كان هنالك أي غدر من قبل هذا العميل.

اعتقاله والحكم عليه

واتصل العميل على المجاهد بهاء في صباح يوم 04/ 10/ 2001م وأخبره بأن يأتي إلى أحد الأماكن في ضاحية شويكة بمدينة طولكرم، وما أن توجه إلى هناك حتى قام هذا العميل بتغيير المكان الذي سيتقابلان به، فتوجه بعدها المجاهد بهاء للمكان الجديد في ضاحية شويكة، وكان هذا العميل ينتظر المجاهد بهاء في سيارته، وسلم عليه المجاهد بهاء وقال له هل أحضرت السلاح؟ فقال: نعم وهو موجود في صندوق السيارة بالخلف، فما أن قام المجاهد بهاء بفتح صندوق السيارة حتى قامت الوحدات الخاصة بمحاصرة المكان وإطلاق النار بين قدمي المجاهد بهاء من كل جانب، وتم اعتقاله ليعلم حينها أن ذلك المشتبه الذي تعرف عليه (نداء) هو

العميل الذي سلمه للاحتلال الصهيوني، وندم ندمًا شديدًا لعدم الاستماع إلى قائده المجاهد زيد بسيسي، وتم اقتياده إلى تحقيق سجن الجلمة، وقدماه تنزفان الدم، بسبب تعرضه لشظايا الرصاص الذي أطلق من حوله من قبل القوات الخاصة، حتى لا يتمكن من الهروب أو استخدام سلاحه، وأمضى في التحقيق فترة تزيد عن 4 أشهر، وحكم عليه 35 عامًا، ليبدأ المرحلة الجديدة في سجون الاحتلال، وتتواصل معاناة عائلة الشبراوي بفقدهم والد المجاهد بهاء بعد ستة أشهر من اعتقاله، وأصبحت عائلته تعاني الأمرين لتتمكن من الحصول على تصريح لزيارة المجاهد بهاء.

وفي العام 2007م كان قد اجتمع بأخيه الأصغر علاء الذي حكم عليه 9 سنوات ونصفًا، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها أخاه علاء منذ العام 2001م، وكان ذلك في سجن "جلبوع"، ثم اجتمع مع أخيه علاء مرة أخرى في سجن "هشارون" في عام 2008م، وبقيت والدته صامدة صابرة محتسبة، صبرت على فقدان ولدها الشهيد عبد القادر، وصبرت واحتسبت على اعتقال ولديها بهاء وعلاء، لذلك قام المجاهد بهاء بإهدائها شهادة حصوله على درجة البكالوريوس في التاريخ التي حصل عليها في سجون الاحتلال لاسيما أنها كانت تتمنى أن يكمل المجاهد بهاء تعليمه في الخارج، فحقق لها ما كانت تتمنى.

فنعم المجاهد بهاء شبراوي، ونعم القائد أنت، ونعم أبو الطاقية هذا اللقب الذي أطلقه عليه القائد أسعد دقة من كثرة ما كان يرى المجاهد بهاء واضعًا للطاقية على رأسه، وأصبحت جزءًا من حياته اليومية، ولا يزال أبو الطاقية يمثل نموذجًا من نماذج المجاهدين في صفوف سرايا القدس، ولا يزال عطاؤه مستمرًا حتى يومنا هذا منتظرين ذلك اليوم الموعود يوم يحرر فيه الأسرى والمسرى على أيدي المجاهدين في فلسطين.

STATE OF PALESTINE
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA
دولة فلسطين
وزارة التربية و التعليم العالي
جامعة الأقصى غزة
CERTIFICATE
شهادة
Bachelor of
History
from
Faculty of Arts & Human Sciences
بكالوريوس
التاريخ
من

الأسير المجاهد

جمعة عبد الله خليل التايه

المجاهد الذي يؤمن بأن النصر آت لا محالة

تاريخ الميلاد: 1970/12/13م

الحالة الاجتماعية: متزوج وله ولدان

مكان السكن: قرية كفر نعمة – محافظة رام الله

عدد أفراد العائلة: 7

تاريخ الاعتقال: 2001/10/24م

الحكم: 18.5 عاماً

بعد أن أمضى من عمره أكثر من 23 عامًا داخل سجون الاحتلال الصهيوني، وهو يقارع الأمواج العاتية، ويقاوم الطوفان ويجابه الأعاصير الشديدة، بعد هذا الجهاد العظيم والكبير والعطاء اللامحدود والبلاء الكبير، آن الأوان لنكتب بشرف كبير تاريخ مجاهد شاهد على تأسيس ونشأة وتطور الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، فهو ليس مجاهدًا فحسب، بل هو الزوج الإنسان والكاتب والخطيب والمعلم والقائد وصاحب القلم الثوري.

تجمعت كل تلك الصفات في أسيرنا القائد المجاهد جمعة عبد الله التايه (أبو أسامة)، والمولود في قرية كفر نعمة بمدينة رام الله، ودرس فيها الصف الأول الابتدائي حتى المرحلة الثانوية، وأكمل مشواره التعليمي وحصل على شهادة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من جامعة القدس – أبوديس، ولم يكن ليتيسر له ذلك لولا احتضان عائلته له، تلك العائلة الفلاحة البسيطة والمتواضعة، كما هو حال معظم عائلات الأرياف الفلسطينية التي تعتمد في الأساس على الزراعة وتربية المواشي وأحيانًا التجارة الخفيفة.

ورغم الأحوال المعيشية القاسية التي عاشتها هذه العائلة إلا أنها كانت مليئة بحب الوطن،

ومتجـذرة في الأرض ومتمسـكة بحقوقهـا، فنشـأ في كنـف تلـك العائلـة بطـل كان لـه التأثـير الكبـير عـلى المجاهـد جمعـة التايـه، هـو أخـوه الأكـبر (يـاسر) والـذي يكـبره بعشر سـنوات، وكان مرتبطًـا بمجموعات فدائية تعمـل ليـل نهـار للدفـاع عـن فلسـطين ومقدسـاتها، فـما كان مـن جيـش الاحتـلال إلا أن يداهـم منـازل العائلـة بحثًـا عـن يـاسر، وكان يرعـب الصغـار، ويعتـدي عـلى الكبـار ويعيـث بالمنـزل الخـراب والدمـار، مـن أجـل الخضـوع لهـم وتسـليم ابـن العائلـة المطـارد يـاسر.

في العـام 1978م تـم اعتقالـه وحكـم عليـه حكـمًا ظالمًـا اسـتمر حتـى العـام 1982م بتهمـة مقاومـة المحتـل الصهيـوني، وأثنـاء وجـوده في السـجن انتمـى لتيـار الجماعـة الإسـلامية ليخـرج بعدهـا مـن السـجن وقـد تنظـم في صفـوف حركـة إسـلامية شـقت طريقهـا في مطلـع الثمانينـات، وهـي حركـة الجهـاد الإسـلامي في فلسـطين، وصـادف وجـود يـاسر في السـجن وجـود مجاهـد آخـر مـن رام الله اسـمه محمـد غوانمـة الملقـب بالتيتـشر ليقـوم بـدوره في ضـم المجاهـد يـاسر إلى صفـوف الجهـاد الإسـلامي، وعندمـا خـرج مـن السـجن وعانـق الحريـة وعانـق أبنـاء الجهـاد الإسـلامي؛ كان مـن أوائـل الرجـال الذيـن سـجل لهـم التاريـخ بأنهـم حملـوا السـلاح في وجـه المحتـل في فـترة الثمانينـات، في الوقـت الـذي تراجـع فيـه الكثـير مـن أبنـاء الشـعب الفلسـطيني، وكان هـذا البطـل قـد سـجل في عقليـة المجاهـد جمعـة التايـه بأنـه لابـد مـن التضحيـة والعطـاء مـن أجـل تحريـر فلسـطين، وسـار عـلى نهـج أخيـه يـاسر الـذي ربـاه عـلى حـب الوطـن وحـب المقاومـة.

الأسير المحرر/ محمود غوانمة "التيتشر"
توفاه الله بتاريخ 19/ 06/ 2018م

أخـذ المجاهـد جمعـة عهـدًا عـلى نفسـه بـأن يجعـل مـن نفسـه شـعلة تـضيء الطريـق للآخريـن، فبـدأ بتجميـع المجاهديـن مـن حولـه في المسـجد لكـي يجتمعـوا عـلى محبـة الله _تبـارك وتعـالى_، وبـدأ العمـل في إعـداد مجلـة الحائـط في المسـجد، ثـم أصبـح ناشـطًا في الانتفاضـة الفلسـطينية الأولى وتحديـدًا في العـام 1988م، ليطلـب منـه قـادة الجهـاد الإسـلامي بـأن يكـون قائـدًا ميدانيًـا للمشـاركة بـكل فعاليـات الانتفاضـة اليوميـة، إمـا عـبر المظاهـرات أو كتابـة الشـعارات أو رمـي الحجـارة وتوزيـع المجـلات والبيانـات الجهاديـة والثوريـة.

اعتقاله الأول

ومـا أن صعـد نجـم المجاهـد جمعـة حتـى تعـرض للاعتقـال ليمكـث عامًـا كامـلًا في سـجون الاحتـلال، وخـرج بعدهـا مواصـلًا مسـيرة الجهـاد التـي بدأهـا وشـكّل مجموعـة سريـة تعمـل بأسـلوب

جماعي من أجل إلقاء الزجاجات الحارقة على دوريات الاحتلال الصهيوني لإيقاع قتلى وجرحى في صفوفهم، وبدأت الأحداث تتصاعد في قرية كفر نعمة حتى أصبح الأمر يشكل حالة خطر شديدة على قطعان المستوطنين ودوريات الجيش الصهيوني؛ لذا قرر الشاباك الصهيوني اعتقال جمعة التايه وبقية أفراد المجموعة وهم شعبان رمضان ووالده ورياض فخري وجميل دياب وسليمان نصار وعبد المجيد نصار وفايق أبو عادي وحكمت حنني.

اعتقاله الثاني

حُكم على المجاهد جمعة التايه لمدة ست سنوات، وخرج مرة أخرى بعدها معانقًا الحرية، وبدأ في العام 1998م حياة جديدة، في ظل وجود السلطة الفلسطينية التي جاءت بفعل اتفاقية أوسلو، ليتزوج هذا المجاهد ويكمل مشواره التعليمي إلا أن قدر المقاومة والجهاد كان أكبر من أن يستقيل جمعة أو يُقال حيث بدأت انتفاضة الأقصى بتاريخ 28/ 09/ 2000م، ردًا على فشل مسار التسوية في قمة كامب ديفيد ورفضًا لزيارة المجرم الصهيوني أرئيل شارون الاستفزازية للمسجد الأقصى.

كان المجاهد جمعة التايه من السباقين لحمل الأمانة وتقديم الواجب على الإمكان، وما أن تصاعدت وتيرة الأحداث واتسعت رقعة الانتفاضة الفلسطينية المباركة، وبدأت الفصائل الفلسطينية في التنافس الإيجابي على من يُثخن الجراح في العدو أكثر؛ فبدأ المجاهد جمعة بتجنيد المجاهدين واختارهم بعناية فائقة وبشكل مدروس وبعيدًا عن العشوائية، ليكونوا نواة خلية عسكرية تابعة لسرايا القدس في مدينة رام الله، فأسرع في تجنيد أمجد الديك ومحمد جابر ورياض خليفة وسائد عياش، وبدأ معهم مرحلة جهادية جديدة وعمل على تثقيفهم ثقافة دينية وأمنية، ليكونوا على قدر المسئولية الجهادية وليأمنوا شر ومكر العملاء، حتى يكتب لهذه الخلية النجاح في أعمالها.

نشاطه الجهادي

أحضر المجاهد جمعة التايه بطريقته الخاصة قطعة سلاح من نوع عوزي وأخرى من نوع (MB5) ليشرف على تدريب المجموعة عبر إطلاق النار والقنص؛ من أجل تنفيذ عمليات نوعية وسريعة، ولم يكتف بذلك، بل عمل على توسيع دائرة التواصل والتنسيق مع مناطق مختلفة في الضفة الغربية، وأرسل رياض خليفة إلى مدينة جنين للالتقاء بأحد أبرز قادة سرايا القدس هناك، وهو ثابت المرداوي، وقام الأخير بتقديم المساعدة المطلوبة لهذه المجموعة وإعطائهم قطعة سلاح من نوع (M16)، إضافة للحصول على شيفرة للتواصل مع قيادة الحركة في الخارج وخاصة الأمين العام الدكتور رمضان شلح، وبالفعل استعدت قيادة الحركة لدعم هذه المجموعة الجديدة لسرايا القدس بكل الإمكانيات المتاحة، وأصبح المال والسلاح متوفرين.

بدأت عمليات إطلاق النار على الطرق الالتفافية في مدينة رام الله، وأراد قائد المجموعة المجاهد جمعة التايه التأكيد على أن يبقى العمل

سريًا ما أمكن ذلك. وهذا ما حصل ففي إحدى العمليات التي قامت بها هذه المجموعة تم الإعلان عنها من قبل أحد التنظيمات الفلسطينية، وكل ذلك لم يمنع المجاهد جمعة من تأدية واجبه الديني والأخلاقي والثوري من أجل الوطن، هذا الوطن الذي يعيش في عقل المجاهد جمعة التايه، وهو فكرته وثقافته وهويته وذاته، وتشكلت شخصيته من خلاله، فلم يتوانَ في يوم من الأيام عن تقديم الدعم المادي والمعنوي لحركة الجهاد الإسلامي، حيث لم يقتصر عمله فقط كقائد لسرايا القدس في رام الله، بل تعداه ليشارك قادة الحركة السياسيين في رام الله بفعالياتهم ونشاطاتهم، وذلك بسبب خبرته الطويلة في العمل السياسي والاجتماعي حيث تم إحياء ذكرى استشهاد الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الدكتور فتحي الشقاقي على أرض مدينة رام الله، وكان هذا المهرجان هو الأول من نوعه في مدينة رام الله، وتم دعوة كافة فصائل العمل الوطني والإسلامي، وحضرت الجماهير من كافة المناطق ليصبح هذا المهرجان بمثابة الاستفتاء على ضرورة المقاومة والعمل السياسي والعسكري ضد المحتل الصهيوني.

مهرجان حاشد لحركة الجهاد الإسلامي بمحافظة رام الله
في ذكرى استشهاد الدكتور فتحي الشقاقي (أرشيف 2001م)

اعتقاله والحكم عليه

قرر الشاباك الصهيوني بمساعدة الجيش الصهيوني اغتيال أو اعتقال المجاهد جمعة التايه، وفي فجر 24/ 10/ 2001م اقتحم الجيش الصهيوني معززًا بدباباته وآلياته العسكرية منزله في قرية كفر نعمة بطريقة همجية، وعاثوا فيه الدمار والخراب كعادتهم منذ فجر التاريخ، والهدف الانتقام من المجاهد البطل جمعة التايه، وبدأ المجاهد الكبير بعد اعتقاله بمحطة جديدة وبنضال ومقاومة جديدة ومن نوع آخر، تمثلت بصبره على ألم السجن والفراق والبعد عن الأحبة والأهل والوطن، ولكن كل ما جرى لم يكن ينهي ما بدأ به المجاهد جمعة حيث كان قد عين قبل اعتقاله المجاهد رياض خليفة خلفًا له في حال حدوث أي مكروه له؛ من أجل ضمان بقاء المجموعة واستمرار عملياتها البطولية، فلبى المجاهد رياض نداء الواجب واستطاع حمل الأمانة التي بدأ بها المجاهد جمعة، ولكن أجهزة الأمن الفلسطينية وخاصة الأمن الوقائي قام باعتقال المجاهد رياض لبضعة أشهر، وما أن خرج من سجن السلطة حتى أكمل مشوار الجهاد إلى جانب المجاهد أمجد الديك بالإضافة إلى مجاهدين آخرين حيث تم اعتقالهم هذه المرة ليجدوا أنفسهم داخل سجن "عوفر" الصهيوني، ولكن بفضل الله استطاع المجاهدون أمجد الديك ورياض خليفة وخالد شنايطة حفر نفق في سجن "عوفر" مكنهم من الهروب إلى خارج السجن باتجاه مدينة رام الله. مذكرين الشعب الفلسطيني بعملية الهروب الكبير من سجن غزة المركزي، بقيادة الشهيد مصباح الصوري.

استطاع المجاهدان أمجد ورياض الاختباء لفترة من الزمن، ورغم محاولات الشاباك الصهيوني الوصول إليهما، إلا أنه دومًا كان يفشل في مهماته فبدأ الأبطال ينفذون العمليات العسكرية المسلحة ضد قوات الجيش الصهيوني ويهاجمون سيارات المستوطنين بإرادة وعزيمة وإصرار على مواصلة درب الجهاد والمقاومة، حاملين الأمانة التي وضعها على كاهلهم القائد جمعة، ونتيجة لنجاح أعمال هذه المجموعة الجهادية الربانية قام جهاز الشاباك الصهيوني بنشر عملائه في قرية كفر نعمة لملاحقة ومتابعة المجاهدين أمجد ورياض وما هي إلا فترة من الزمن، حتى تم اعتقال المجاهد أمجد الديك ليحكم عليه حكمًا جائرًا لمدة 15 عامًا، وكان مصير المجاهد البطل رياض خليفة الاستشهاد بعد خوضه لاشتباك مسلح مع العدو الصهيوني بتاريخ 14/ 12/ 2003م، في أحد جبال كفر نعمة فقد تم إصابته بعيار ناري قاتل؛ ارتقى على إثره شهيدًا إلى علياء المجد والخلود، مؤكدًا بشهادته بأن الدور الجهادي الذي بدأه جمعة لم ينته، وأن دور المجاهد الذي حمل الراية من بعده واستشهد لم ينته، وأن هناك عشرات المجاهدين الذي سيسيرون على درب المجاهدين جمعة التايه وأمجد الديك والشهيد رياض خليفة.

الشهيد القائد/ رياض خليفة
استشهد بتاريخ 14/ 12/ 2003م

لقد أحسن المجاهد جمعة اختيار المجاهدين وأحسن تدريبهم حتى إنه تمكن من تجنيد أحد أفراد حركة حماس لكي يعمل في صفوف سرايا القدس، وقدم له كل الإمكانيات المادية والمعنوية ليؤكد لكل حر وشريف بأن المقاومة لا يمكن اختزالها بسرايا القدس فهي بحاجة إلى تضافر كامل من كافة الفصائل الفلسطينية، وبهذا العمل أعطى جمعة التايه انطباعًا هامًا للجماهير الفلسطينية بأنه لابد من الوحدة الوطنية، وهي وحدها الكفيلة بتحقيق النصر والحرية للأرض والإنسان، وأصبحت سرايا القدس محط أنظار الجميع وتأييد غالبية أبناء الشعب الفلسطيني، كيف لا؟ وقد قدمت سرايا القدس قادتها شهداء إلى مذبح الحرية أمثال القادة الشهداء إياد حردان وأنور حمران وأسعد دقة وسفيان عارضة ومحمد سدر وأحمد أسعد خليل، وخالد زكارنة الأسطورة في المقاومة الذي كان قد تعرف به المجاهد جمعة التايه في سجون الاحتلال، والذي يصفه المجاهد جمعة بأنه القائد الاستثنائي في الزمن الاستثنائي، فكان المجاهد جمعة دائم الذكر للأبطال الشهداء.

بعد استشهاد القائد إياد حردان أصر المجاهد جمعة على إخوانه المجاهدين أن يقوم بنفسه بالإشراف على توزيع الصور؛ صور الشهيد إياد وإلصاقها في كل مكان لتدخل كل شارع وبيت وحارة ومخيم وقرية ومدينة؛ لأن الشهداء وحدهم القادرون على توحيد الشعب الفلسطيني والوصول إلى التحرر الكامل إلا أن القائد جمعة التايه يؤكد أن الإعلام لم يكن منصفًا بحق الجهاد الإسلامي

وسرايا القدس وشهداء الحركة حيث انحاز بشكل واضح إلى فصائل أخرى، ومع هذا فإنه لا يزال يدرك بأن الواجب وظروف الانتفاضة تأخذ الإنسان نحو الجهاد، وإن جاز التعبير يخرج الإنسان من خصوصياته ومن همه الخاص إلى الهم الوطني.

أبناء الأسير القائد/ جمعة التايه
على موعد مع الحرية لوالدهم

لم يمنع الزواج المجاهد جمعة من تقديم الواجب المقدس؛ لأن فلسطين بنظره هي أم البدايات وأم النهايات فهي الجرح المفتوح والدم النازف، ورغم جرحه وألمه لمفارقة أحبته وقهر السجن ومحاكمته داخل محاكم عسكرية ظالمة، وإصدار حكم عليه لمدة 18.5 عامًا، إلا أنه بقي شامخًا واقفًا كالأشجار العالية لا تنكسر مهما كانت الرياح عاتية، وما أن سمع القاضي الصهيوني، وهو ينطق بالحكم الجائر حتى نطق المجاهد بكلمات من ذهب قائلًا: "نحن شعب تحت الاحتلال، وسيبقى فتيل الجهاد مشتعلًا رغم ظلام المرحلة، ورغم ما يحاك من مؤامرات أو يروج له من سلام ومسيرة سلمية وحقوق، وهذه كلها تُطمس أمام التضحيات الجسام التي قدمها شعبنا والتي لن تنتهي، ولن تهدأ إلى أن نحرر أرضنا ونأخذ حقوقنا، وإن بدا للبعض عبر مراحل معينة أنه لا مجال للنصر وللتحرير، فسنن التاريخ والتجارب العالمية تقول لنا إنه لا يظل الظلم طاغيًا ومستمرًا على مدار السنين، ولكن نحن بحاجة إلى وعي وثقافة وتعبئة في كل الاتجاهات والمجالات لخلق جيل مثقف يحمل البندقية بيده ويحمل القلم باليد الأخرى، من أجل تحرير فلسطين كل فلسطين المحتلة من العدو الصهيوني".

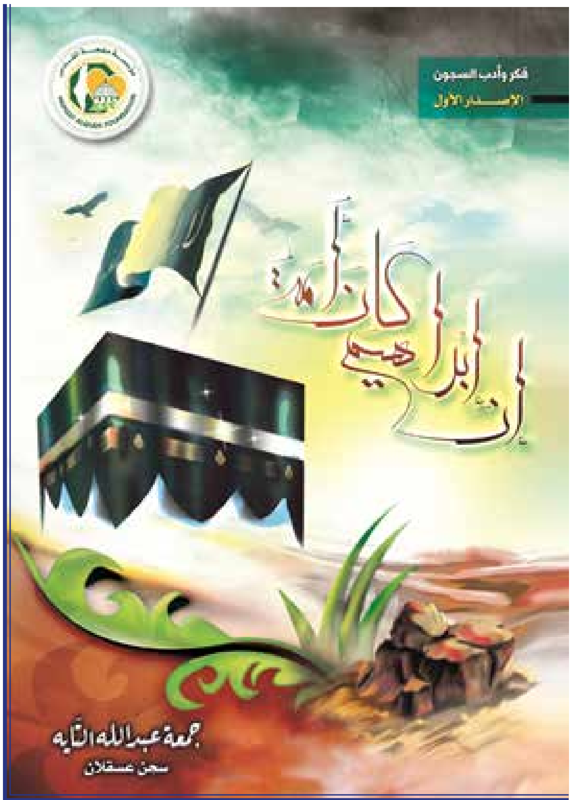

الكتاب الأول للأسير المجاهد/ جمعة التايه
الصادر عن مؤسسة مهجة القدس (2011م)

الأسير المجاهد
زيد إبراهيم أحمد بسيسي

المجاهد الذي له من الأخلاق أرفعها، ومن البطولة أشجعها

تاريخ الميلاد: 1977/01/14م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: قرية رامين – محافظة طولكريم

عدد أفراد العائلة: 11

تاريخ الاعتقال: 2001/12/09م

الحكم: مؤبد و 55 عاماً

تقتضي منا الأمانة والوفاء أن نستذكر المجاهدين الأبطال، زملاء الميدان، نستذكرهم في كتاباتنا وأشعارنا، ولن يشغلنا عنهم صخب الأحداث، فهم غرسوا في أرض فلسطين جذورهم عميقًا، وهي جذور قوية وصلبة، فمنهم نستمد القوة والعظمة، فكان لنا الشرف أن نكتب عن المجاهد زيد إبراهيم بسيسي (أبو خديجة)، صاحب التاريخ المليء بالبطولة، ورغم أنه بلغ من عمره أربعة عقود إلا أنه بما عانى كأنما تضاعفت إلى أربعين عقدًا، فكانت حياته مليئة وحافلة بالعمل الجهادي الدؤوب فهو معروف بخلقه الرفيع ومناقبه التي تحظى بالإجماع في أوساط الشعب الفلسطيني، فهو دليل على الاتزان وصاحب رأي سديد، كرّس حياته منذ الصغر من أجل النضال والحرية، فقد تعرض لظروف صعبة وقاسية واعتقالات عديدة ومريرة، وقد تجاوزها بشجاعة وقوة ومعنويات عالية، فرغم كل ما واجهه بقي أبدًا قريبًا إلى القلوب.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد زيد بسيسي فوق ثرى فلسطين الحبيبة في قرية رامين بمحافظة طولكرم، كبر وترعرع بين جبالها وسهولها ورابط فوق أرضها منغرسًا كأشجار الزيتون واللوز والتين المروية بدماء الأجداد، فعاش حياته في ظل عائلة وطنية

مناضلة بسيطة ومتواضعة تعتمد على زراعة الأرض وتربية المواشي، ومنذ بداية حياته أصر والده أن يعلمه ويعلم إخوانه حب الأرض والتجذر بها والدفاع عنها، فكان المجاهد زيد على علاقة صداقة أبدية بالأرض التي تملكها العائلة، كيف لا يكون ذلك؟ كان المجاهد زيد دومًا يرى والده ما أن ينحني للأرض حتى يمتزج كيانه كله بجسد الأرض المستسلمة، فكيف له ألا يعشقها؟ وقد رأى حبات العرق الفضية تتدحرج عن جبين والده، لتمد خيطًا طاهرًا يربطه بالتراب مما جعل المجاهد زيد يشعر حينها بالمجد، أي بمجد الفلاح، وعاش طفولته المعذبة ما بين البيت والمدرسة والأرض، لتكون هذه الأركان الثلاثة خارطة المستقبل للمجاهد زيد، وما هي إلا سنوات حتى عاش أسوأ كابوس حين رأى قطعان الذئاب تقتحم البيت بحثًا عن والده وأخيه الأكبر عدنان، وحينها علم أن هناك شيئًا اسمه احتلال وجيش صهيوني وفدائيون وثورة وفلسطين ومقاومة، ليجد نفسه إلى جانب والدته وحيدًا بلا أخ أكبر يرشده في حياته، وبلا أب يسنده في عثراته.

وعلى الرغم من صغر سنه إلا أن القدر أراد لهذا الصغير أن يكبر قبل أوانه، وأن يقفز عن مرحلة طفولته المعذبة، ويتحمل عبء غياب أخيه وأبيه عن البيت، ليهتم بأمه وإخوته ويقود قطيع الماشية إلى الوديان والجبال الشامخة والقمم المهيبة، لتنتظره السنابل والزهور والطفولة المسروقة هناك على صخرة الزمن المخضب بدماء الأجداد والآباء، ليجد نفسه وحيدًا وسط الجبال، التي بدأ يحتلها الاستيطان وقطعان الغربان، فكان بين حالة خوف شديد على الماشية والمزروعات من جهة، وبين خوف من عدم قدرته على تحمل المسؤولية التي حملها رغمًا عنه، وما من يوم يمر عليه وهو في الجبال وإلا وتذكر البيت العامر بالعائلة في ظل وجود الأب والأخ الكبير عدنان وبقية الأسرة؛ فيشعر باشتياقه لتلك الأجواء الدافئة من الحنان والحب والعلاقات الأسرية الطيبة البعيدة عن الأجواء المشحونة؛ في ظل والدين محبين ومكافحين، يحاولان ليلًا ونهارًا السهر على راحة أبنائهما، ولاسيما أن الوالدة (أم مشهور) لطالما تمنت أن يكون ولدها زيد طالبًا في إحدى الجامعات؛ إلا أن هذا الاحتلال الصهيوني الذي لا يعرف إلا لغة الدمار والإلحاد والقتل والتشريد والاعتقال وبث الفوضى والفساد، لا يمكن له أن يسمح للشعب الفلسطيني وعائلاته وأطفاله أن يحيوا حياة كريمة عادية كبقية شعوب الأرض.

منظر عام لقرية رامين بمحافظة طولكرم

إن الشعب الفلسطيني العظيم الذي لا يزال منذ العام 1917م وحتى يومنا هذا يتجرع المعاناة

والألم بكل صبر وصمود، لن تفتر عزيمته وهمته، وما هي إلا أسابيع فإذا بالاحتلال يفرج عن والد المجاهد زيد الذي لم تكن الدنيا لتسع فرحته برؤية والده عله يعيد إليه المسؤولية والأمانة التي حملها رغمًا عنه، وحاول حينها العودة إلى حياة الطفولة بعد أن قفز عنها مسافات شاسعة؛ ولكن هيهات هيهات أن يحظى بها، في ظل اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في العام 1987م، ليجد نفسه إلى جانب أشبال قرية رامين الأبطال يشاركون الكبار في نشاطات الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وليجد الرعاية والاهتمام من قادة وكوادر الانتفاضة في القرية ليُطلق عليه وعلى أفراد مجموعته اسم (أشبال الشهيد غسان كنفاني)؛ حيث تمكن المجاهد زيد من قراءة كتيب يتحدث عن الرفيقة ليلى خالد في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وانطلق انطلاقة السهم وبفكر ووعي وإدراك رغم صغر سنه ليوجه أبناء المجموعة من أشبال غسان كنفاني ليمارسوا نشاطاتهم اليومية في الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

وما أن كبر قليلًا حتى أدرك أن الحياة اليومية والواقع الذي نحياه، يختلف تمامًا عما يقرأه في الكتب اليسارية أو العلمانية، وبدأت الأحداث تتغير رويدًا رويدًا إلى أن خضعت منظمة التحرير الفلسطينية لشروط المجتمع الدولي في المشاركة في مؤتمر مدريد للسلام لحل القضية الفلسطينية؛ عبر مفاوضات بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني فبدأ يشعر المجاهد زيد بأن منظمة التحرير الفلسطينية التي كان الشعب الفلسطيني كل الشعب ينظر إليها، وكأنها المخلص للشعب الفلسطيني من الاحتلال الصهيوني، وجد أن عزيمتها قد انهارت وبدأ استسلامها يظهر للصغير والكبير وانحرفت بوصلتها إلى مكان آخر بعيدًا عن الوطن.

فما كان منه إلا أن يحدث نفسه قائلًا: "إن الجبن موت، والرّدى في الأوج صوت، فانثري في الملأ القاحل بذر التضحيات، واطلبي أنصارك الشجعان ليأتوا" فردت روحه قائلة: يا زيد نعم سيأتي الشجعان، أتدري لماذا؟! سأجيبك فلا تقلق؛ لأنه كاد الشعب الفلسطيني أن يفقد ثقته بفئة من المفروض بها أن تكون قيادته، وتقع عليها مسؤولية إخراج النبتة من الأرض ليأخذها هذا الشعب ويدفعها في طريقه، ثم تقوده إلى هناك نحو الشمس، وهذه النبتة هي هذا الجيل الصاعد، جيل الانتفاضة الأولى أو بالأحرى التلاميذ الذين سيحملون الراية، راية تظليل هذه الأرض التي أنبتتهم وأنبتت آباءهم الذين دفعوها لهم كي تستمر المعركة، معركة انتصار الراية حيث كادت تتحول نظرة أبناء الشعب الفلسطيني الطيب إلى أبنائهم نظرة تحمل من معاني إيحاءات الرثاء أكثر من أي شيء آخر، وكادوا يتصورون المصير المجهول الذي سيبتلع أبناءهم لذلك كان الأمر صعبًا على المجاهد زيد بسيسي، بل ومن المخجل أن يرى أن العدو الصهيوني المجرم يصل الليل بالنهار من أجل التخطيط الماكر وبكل نشاط وهمة وجلد ونفس طويل أما أهل الثورة الفلسطينية والمقاومة ومنظمة التحرير وأصحاب الحق التاريخي في الأرض فتراهم يتراجعون وتخمد براكينهم وتنطفئ شعلتهم، ونتيجة لذلك بدأ المجاهد زيد بسيسي يفكر مليًا ويوميًا في

البحث عن شيء خارق يغير الأوضاع والأحداث ويعيد للوطن هويته.

وبقي على هذا الحال من السؤال بلا جواب إلى أن جاءه خبر استشهاد المجاهد الكبير وأحد قادة الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية الشهيد عصام براهمة، حيث استشهد في اشتباك مسلح مع العدو الصهيوني في قرية عنزة بمحافظة جنين، حيث قاتل قتال الأبطال الشجعان فما كان من ضابط الحملة الصهيونية إلا أن يقف ويقدم التحية العسكرية لهذا المجاهد الكبير لاستبساله في القتال، حيث لم يستطع العدو الصهيوني أن يتمكن منه إلا بعد ساعات، وبعد استخدامه للصواريخ، فكانت أول محاولة يستخدم فيها الجيش الصهيوني الصواريخ في الضفة الغربية. وانتشر هذا الخبر ليدخل كل مدينة وقرية وشارع وحارة.

الشهيد القائد/ عصام براهمة
استشهد بتاريخ 11/ 12/ 1992م

تلقى المجاهد زيد هذا الخبر نهاية العام 1992م، ليجد ضالته لذلك فهو أحق بها، وبدأ يبحث عن هذه الحركة التي صنعت هذا الأسطورة، وقرر أنه منذ يوم استشهاد المجاهد عصام براهمة سيكون أحد أفراد حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وبدأ يحدث أشبال الشهيد غسان كنفاني حول الجهاد الإسلامي وعن حياة المجاهد عصام براهمة علّه يستطيع تجنيدهم إلى رؤيته وصفه، فما كان من المجاهد مصطفى عوض صديق طفولته والعائد من الكويت إلا موافقة الرأي للمجاهد زيد، وبدأ المجاهدان زيد ومصطفى في رحلة جديدة مع حركة الجهاد الإسلامي، فكانا بصدق نعم الصديقان والمتحابان في الله وانطبق عليهما قول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقول يوم القيامة: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ الْيَوْمُ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلِّي".

انتماؤه لحركة الجهاد الإسلامي

تعززت قناعات المجاهد زيد بسيسي بحركة الجهاد الإسلامي، بعد مراسلاته العديدة مع أحد قادة الجهاد الإسلامي في قرية رامين؛ ممن كان معتقلًا لدى العدو الصهيوني ليطلعه على أفكار الجهاد الإسلامي ويجيبه على العديد من الأسئلة حولها، ونتيجة لذلك بدأت محاولات كوادر الجبهة الشعبية بالحديث مع المجاهد زيد بالعودة إلى صفوف أشبال الشهيد غسان كنفاني وإلى صفوف الجبهة الشعبية، ولكن بدون جدوى، وما هي إلا فترة من الزمن حتى تم اعتقال بعض الأشبال

والكوادر من الجبهة الشعبية في قرية رامين ليعترف أحدهم على زيد بسيسي ليجد نفسه في العام 1995م، في سجن الفارعة إلى جانب قادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية أمثال المجاهدين محمد فارس وأسعد دقة وأيمن دراغمة وأنور عبد الغني وأشرف عجاج وأحمد فتحي وغيرهم من القادة والكوادر، فتحقق قول الله عز وجل في ذلك ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: 216].

أقرّ المجاهد زيد بسيسي الذي ظن أنه خسر تعليمه المدرسي والتوجيهي، فإذا به يكسب الوطن وقادته وكوادره وعلمه ووعيه وإدراكه حيث أراد هذا العدو الصهيوني من المجاهد زيد عبر اعتقاله، بأن تكسر إرادته وأن ينفض يديه من تراب الوطن الذي لم يستطع أن يجد له اسمًا بعدما قامت منظمة التحرير الفلسطينية بالسير في عملية السلام، وأراد هذا العدو الصهيوني أن يسحب الأرض من تحت أقدام المجاهد زيد، فاختبأت الأرض تحت مساحات جلده، فعذبوه ولم يعترف إلا بمزيد من حب الوطن، الذي هو في ذاكرته وفي خلايا جسمه.

أصبح العدو الصهيوني بالنسبة لوعي المجاهد زيد هو الهدف المركزي للمقاومة والجهاد المسلح، فكان هذا الاعتقال بالنسبة له به الخير كل الخير؛ فقد ألهمته تجربة السجن روح الجهاد والثبات والإخلاص رغم أنها لم تتجاوز خمسة شهور، ووهبته مبادئ جديدة ليخرج من السجن ويعانق الحرية حاملًا عبء رسالة الأمة وصعوبة الجهاد ضد العدو الصهيوني، وكانت حياته حافلة بالألم والأخطار والفقر والعمل والسعي من أجل غاية بعيدة؛ هي مرضاة الله -عز وجل-.

بدأ المجاهد زيد إلى جانب رفيق دربه المجاهد مصطفى عوض بالعمل الدؤوب لنشر أفكار حركة الجهاد الإسلامي في قرية رامين، وفي كل مكان لاسيما بعد رؤيتهم لعملية بيت ليد البطولية التي أوقعت 22 جنديًا صهيونيًا قتيلًا وأصابت العشرات بجراح، ونفذها الاستشهاديان أنور سكر وصلاح شاكر بتاريخ 22/ 01/ 1995م، وأعجب المجاهد زيد بهذا العمل الذي طالما تمنى أن يكون أحد العاملين والناشطين فيه، وما هي إلا فترة من الزمن حتى جاء الخبر الأصعب في حياته، خبر استشهاد الأمين العام الدكتور فتحي الشقاقي،

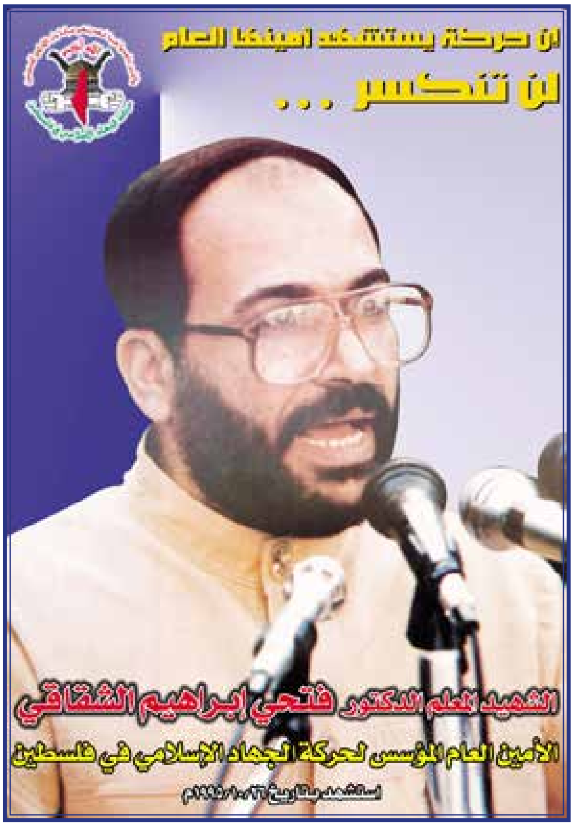

فلم يعلم يومها ماذا يفعل؟ وماذا يصنع؟ سوى أن يعمل جاهدًا إلى جانب إخوانه في حركة الجهاد الإسلامي لترتيب أوضاعهم الداخلية والانخراط في العمل العسكري ضد العدو الصهيوني، ولكن قبضة الأجهزة الأمنية الفلسطينية كانت قوية جدًا على مجاهدي الحركة، ولم تكن لتسمح لهم بالعمل العسكري وحتى السياسي منه.

تعالت الأصوات الصهيونية في المؤسسة العسكرية للجيش الصهيوني خلال العام 1996م، حول حقيقة ونية الرئيس الفلسطيني التوصل لاتفاق سلام حقيقي، فقد ذكر اللواء عاموس جلعاد أنه حسب قناعاته لا أمل في التوصل لاتفاق مع عرفات، وأضاف أنه لا يجب تقديم التنازلات لعرفات؛ لأنه سيطلب المزيد والمزيد، واستمع بنيامين نتنياهو رئيس الحكومة الصهيونية إلى ذلك، وازداد موقف المتشددين قوة بعد عدة أحداث في العام 1996م وكان أهمها ما جرى في شهر سبتمبر (أيلول) من العام 1996م، عندما أقدم العدو الصهيوني على فتح نفق قديم وسط الحي الإسلامي في مدينة القدس الشريف، فهبت الجماهير الفلسطينية في كل أنحاء الضفة الغربية وقطاع غزة، دفاعًا عن المقدسات الإسلامية الفلسطينية، وأسفرت الأحداث عن مقتل 11 صهيونيًا، وتميزت بمشاركة الفصائل الفلسطينية جميعها بما فيها حماس والجهاد والعديد من أبناء الأجهزة العسكرية التابعة للسلطة الفلسطينية، ووقف الشعب الفلسطيني بمختلف فصائله إلى جانب السلطة في الأحداث وبدعم من الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

وكان المجاهد زيد بسيسي من أوائل المجاهدين الذين لبوا نداء الأقصى، وتقدم الصفوف دفاعًا عن القدس والمقدسات، وشارك في جميع الفعاليات والنشاطات الجماهيرية الداعمة لتوسيع المواجهة لتمتد إلى كل مكان كما كانت في الانتفاضة الفلسطينية الأولى، ولكن سرعان ما تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية من أجل احتواء الموقف، وتم وقف التصعيد والمواجهة بحجة العودة إلى طاولة المفاوضات، وخاصة بعد الحرب التي شنها العدو الصهيوني على لبنان، وارتكابه مجزرة قانا المروعة، مما جعل العدو الصهيوني بنظر العالم قاتلًا ومجرمًا، وأراد أن يُلمّع صورته عبر تقديم بعض التنازلات للسلطة الفلسطينية، وانسحابه من بعض المناطق وخاصة في الخليل شرط إبقاء القبضة الحديدية على حماس والجهاد الإسلامي مشددة، وما أن عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه في السابق من حالة الهدوء والنشاط والتسارع الاقتصادي والعمراني حتى قرر المجاهد مصطفى عوض الذهاب لإكمال تعليمه في جامعة بوليتكنك فلسطين في خليل الرحمن، تاركًا المجاهد زيد وحيدًا في قرية رامين حاملًا عبء نشر أفكار الحركة، وتجنيد أكبر عدد ممكن من الشباب إلى صفوف الحركة، وعلى الرغم من شعوره بأنه بقي وحيدًا بلا سند أو مساعدة في مواجهة الباطل إلا أنه كان دومًا عزيز النفس لا يرى العزة إلا لله ـ عز وجل ـ ولرسوله وللمؤمنين. ولم يكن يبالي باعتزاز جبابرة الدنيا بمادة الدنيا؛ لأنهم في الحق أذلة، فأيقن المجاهد زيد بأن من كان الله معه فهو ليس وحيدًا، وليس ذليلًا من كان لله عزّته، وليس ضائعًا من كانت لله حياته، وهنا أدرك معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

﴿وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

ونتيجة لنشاط المجاهد زيد في صفوف حركة الجهاد الإسلامي اللامحدود، لفت هذا الأمر نظر الأجهزة الأمنية الفلسطينية في العام 1997م، فبدأت عملية استدعائه بين الحين والآخر، ليعيش جلسات التحقيق في مقر المخابرات الفلسطينية، وذلك من أجل الضغط الشديد عليه لثنيه عن مواصلة نشاطاته في حركة الجهاد الإسلامي، ونتيجة لرفضه المطلق التجاوب مع مطالبهم والانصياع لتهديداتهم وترغيباتهم وإعلانه الإصرار على التمسك بإيمانه ووعيه والتزامه في المنهج الجهادي والثوري لتحرير فلسطين؛ قامت الأجهزة الأمنية الفلسطينية باعتقاله لعدة أيام، وما أن خرج من السجن حتى أدرك أن يد الله مع الجماعة ولابد من العمل الجماعي في حركة الجهاد الإسلامي ليشكل قوة حقيقية منظمة، فسارع إلى جانب المجاهد أسعد دقة لتجميع مجاهدي حركة الجهاد الإسلامي في مدينة طولكرم،

الشهيد القائد/ أسعد دقة
استشهد بتاريخ 12/ 09/ 2001م

وكان منهم زاهر ياسين والمجاهد الكبير عبد الناصر صويص (أبو ثائر) أحد أهم قادة حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية، وتم استئجار أحد البيوت في مدينة طولكرم ليكون نقطة التقاء لمجاهدي حركة الجهاد الإسلامي، وبالفعل بدأ نشاط الجهاد الإسلامي في مدينة طولكرم يتسع شيئًا فشيئًا سواء على الصعيد الجماهيري أو السياسي أو الإعلامي إلا أنهم حتى تلك الفترة لم يتمكنوا من البدء بنشاط عسكري لأسباب كثيرة ومتعددة وأهمها قوة الأجهزة الأمنية الفلسطينية. ونتيجة لتزايد نشاط المجاهد زيد قام جهاز الشاباك الصهيوني باعتقاله، وخضع لتحقيق مكثف وعنيف في تحقيق الجلمة على أيدي ضباط الشاباك الصهيوني لمدة ثمانية وثلاثين يومًا في ظل ظروف حياتية قاسية؛ لا يتحملها بشر إلا أنه في ظل تلك الظروف استطاع أن يتعرف على المجاهد سفيان عارضة الذي كان يتواجد معه في نفس الزنزانة، وتعاهدا على استكمال المشوار الجهادي والعسكري في الضفة الغربية، وحصل منه على عنوان المجاهدين أنور حمران وإياد حردان من قادة حركة الجهاد الإسلامي في مدينة جنين، وما أن خرج من التحقيق حتى سارع بالذهاب إلى مدينة جنين، للالتقاء بقادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي، واتسع نشاطه إلى معظم المناطق نتيجة لعلاقاته الاجتماعية المتينة مع المجاهدين وبقية الفصائل الفلسطينية.

وقرر في تلك الفترة إكمال مشواره التعليمي تلبية وتحقيقًا لرغبة والدته برؤية ابنها زيد في الجامعة، وبالفعل بدأ الدراسة في جامعة النجاح

الوطنية بمدينة نابلس تخصص علم النفس، وكتب الله ـعز وجل ـ له بأن يتعرف بثلة مؤمنة مجاهدة من أبطال وقادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي يدرسون في نفس الجامعة، ومنهم المجاهدون نعمان طحاينة وخالد الزواوي ومحمود الصرصور وربيع أبو الرب وأنس اشريتح وعمار زيود ووائل طحاينة والعديد العديد من الأبطال، وأصبح المجاهد زيد من أهم نشطاء الجماعة الإسلامية، والتي هي عبارة عن الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في الجامعة، وكان على علاقة مميزة مع معظم الطلبة، ومن كافة الفصائل الفلسطينية حتى أن المدرسين كانوا معجبين جدًا بشخصيته المحببة إلى النفس، مما أضفى الكثير على الجماعة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية.

وأصبح العام 1998م عام الجماعة الإسلامية بامتياز، وحققت نشاطات واسعة وناجحة جدًا في كافة جامعات الضفة الغربية، وتكللت بالنجاح الكبير عبر حصول الجماعة الإسلامية في جامعة بوليتكنك فلسطين بالخليل بقيادة المجاهد مصطفى عوض صديق المجاهد زيد على ثلاثة مقاعد، ولكن هذا العمل وهذا النشاط وهذا النجاح لم يدم طويلًا حيث بدأت الأجهزة الأمنية الفلسطينية تكثف ملاحقاتها ومطارداتها لقادة وكوادر ونشطاء حركتي الجهاد الإسلامي وحماس نتيجة لمطالبات الأجهزة الأمنية الصهيونية بالإضافة إلى ضغوط الإدارة الأمريكية التي تمارس على السلطة لدفعها من أجل تقييد حرية عمل ونشاط التنظيمات الفلسطينية المعارضة للوجود الصهيوني في الأراضي الفلسطينية، والمنتقدة للسياسة الأمريكية المنحازة للعدو الصهيوني.

مهرجان حاشد للجماعة الإسلامية
بجامعة النجاح الوطنية في نابلس (أرشيف 2001م)

فكانت ملاحقات الأجهزة الأمنية الفلسطينية، والاعتقالات التي تقوم بها نتيجة لهذه الضغوطات المتواصلة، والتي تم الكشف عنها عبر اتفاقية "واي ريفير" في العام 1998م، حيث أشارت المادة (2/أ) تحت عنوان الأعمال الأمنية باعتبار التنظيميات "الإرهابية" خارجة عن القانون ومكافحتها، وعلى الطرف الفلسطيني أن يُعلن عن سياسة عدم التسامح إزاء قيامها بأعمال عنف وإرهاب ضد الطرفين، واعتقال الطرف الفلسطيني للأطراف المشتبه بقيامهم بأعمال عنف وإرهاب بهدف إجراء تحقيق ومحاكمة ومعاقبة كل الأشخاص المتورطين في أعمال عنف وإرهاب، بالإضافة إلى الاتفاق على عقد اجتماع بين الأجهزة الأمنية الفلسطينية والطرف الأمريكي، مرة كل أسبوعين لمناقشة الملفات الأمنية في الأراضي الفلسطينية التابعة لسيطرة السلطة الفلسطينية.

اعتقال السلطة له

نتيجة للاتفاقيات الظالمة بدأت السلطة الفلسطينية بأجهزتها الأمنية؛ وبالتنسيق المباشر والكامل مع جهاز الشاباك الصهيوني حملة اعتقالات واسعة في معظم مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية وقطاع غزة طالت العشرات من نشطاء حركتي حماس والجهاد الإسلامي، ليجد المجاهد زيد بسيسي نفسه في قبضة الأجهزة الأمنية الفلسطينية تحت ذريعة وجود معلومات لدى الأمن الفلسطيني تفيد بأن حركة الجهاد الإسلامي تخطط لإعادة نشاط الجناح العسكري في الضفة الغربية، وأنها بصدد تنفيذ عملية استشهادية في ذكرى استشهاد الأمين العام الدكتور فتحي الشقاقي في شهر 10/ 1998م، كما طالبت الأجهزة الأمنية الفلسطينية نشطاء الجهاد الإسلامي بالحضور يوميًا لمقر جهاز المخابرات الفلسطيني للتوقيع على إثبات وجود، والتزم بذلك المجاهدون زيد بسيسي وأحمد المهداوي وأسعد دقة وزاهر ياسين وغيرهم من المجاهدين، بينما في جنين رفض المجاهد سليمان طحاينة من جنين الالتزام بالتوقيع لصعوبة تحركه بسهولة نتيجة بتر رجله في الانتفاضة الأولى، ولم تمانع الأجهزة الأمنية الفلسطينية في ذلك نظرًا لحالته الإنسانية.

وما أن جاء تاريخ 06/ 11/ 1998م، حتى قام المجاهدان سليمان طحاينة ويوسف زغير بتنفيذ عملية استشهادية بطولية بسيارة مفخخة بوسط سوق "محانيه يهودا" في القدس الشريف ردًا على الانتهاكات الصهيونية بحق المقدسات ورفضًا للعملية السلمية الجارية بين السلطة الفلسطينية والعدو الصهيوني، وأوقعت العملية عشرات الإصابات في صفوف الصهاينة، وأعلنت حركة الجهاد الإسلامي أن من نفذها هو الجناح العسكري للحركة القوى الإسلامية المجاهدة (قسم)، وجن جنون الأجهزة الأمنية الفلسطينية ولاسيما أنه كان لديهم بعض المعلومات حول هذا الحدث، مما جعلهم يقومون بحملة اعتقالات واسعة جدًا طالت معظم قادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية.

الاستشهاديان/ سليمان طحاينة (يمين) ويوسف زغير
استشهدا معاً بتاريخ 06/ 11/ 1998م

ووجد المجاهد زيد بسيسي نفسه مجددًا في غرفة التحقيق بمقر المخابرات الفلسطينية، بحضور مدير مخابرات الشمال أبو فادي الطموني، ومدير طواقم التحقيق في طولكرم، بالإضافة لضابط التحقيق المكلف بالتحقيق مع المجاهد زيد واستمر التحقيق معه لمدة تجاوزت ست ساعات، أرادوا من خلالها معرفة إن كان المجاهد زيد على علم بهوية من نفذ العملية، ومن طريقة أسئلة ضباط التحقيق استطاع المجاهد زيد معرفة أن من نفذ العملية هو

المجاهد سليمان طحاينة، وذكر ذلك للمجاهدين أسعد دقة وزاهر ياسين المتواجدين معه في التحقيق، وامتد التحقيق مع المجاهد زيد لمدة 65 يومًا في ظل ظروف قاسية ومذلة وصعبة جدًا، فأرادوا له الانكسار وأراد الله للمجاهد زيد الانتصار عبر لقائه في سجن أريحا بكوكبة من قادرة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي أبرزهم أسعد دقة وأخوه محمد دقة وزاهر ياسين وخالد زكارنة وإياد حردان وغيرهم؛ لتتعمق المعرفة أكثر فأكثر بين المجاهدين، وليجتمعوا على هدف مشترك وهو العمل بكل قوة على إعادة تفعيل الجهاز العسكري للجهاد الإسلامي في الضفة الغربية، متخذين من عملية "محانيه يهودا" نموذجًا لمن يريد العمل العسكري ولو بالإمكانيات المحدودة والمتواضعة، وهنا وفي هذه الفترة قررت الأجهزة الأمنية نقل المعتقلين لسجن جنيد في نابلس، باستثناء المجاهد زيد بسيسي، فشرع في إضراب مفتوح عن الطعام لمدة خمسة أيام ليحقق أهدافه بنقله مع بقية المجاهدين إلى سجن جنيد، وهناك التقى بالمجاهدين نعمان طحاينة وأنور حمران.

لقد كان كل اعتقال للمجاهد زيد يكسبه معرفة المزيد عن حركة الجهاد الإسلامي، ويعزز علاقاته بمعظم قادة وكوادر الحركة، وتكررت مناقشاته الدائمة حول ضرورة العمل العسكري بشقيه العمليات الاستشهادية وعمليات اطلاق النار، ولاسيما أنه تمكن من التعرف على المهندس العسكري آنذاك لحركة الجهاد الإسلامي، وهو المجاهد خالد زكارنة الذي تدرب على تصنيع المتفجرات واستخدام السلاح وتصنيع الأحزمة والعبوات الناسفة في معسكرات المقاومة في لبنان، واكتسب المجاهد زيد المزيد من الوعي السياسي والعسكري في هذا الاعتقال، وما هي إلا فترة من الزمن حتى أصدر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات قرارًا بالإفراج عن عشرات المعتقلين السياسيين بمناسبة عيد الفطر خلال العام 1999م.

وكان المجاهد زيد ضمن الأسماء المفرج عنهم، إلى جانب الإخوة أسعد دقة ومحمد دقة، وعدد من مجاهدي حركة حماس، ومنهم ناجي سنقرط وجهاد سويطي، وما أن خرج المجاهد زيد من السجن وعانق الحرية حتى سارع في العودة إلى الدراسة في جامعة النجاح الوطنية، وبدأ إلى جانب دراسته مواصلة نشاطه السياسي والجهادي داخل الجامعة عبر إقناع الطلبة ومن كافة الفصائل بضرورة رفض مشروع الحل السلمي الذي يؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية. وبدأ يشرف على توزيع البيانات الموضحة لخطر العملية السلمية، وما أدت إليه من تزايد ملحوظ للاستيطان في الأراضي الفلسطينية بنسبة تزيد عن 100٪ عما كانت عليه قبل العملية السلمية، ولم يكن للمجاهد زيد أن يعرف طعم الراحة، وقد علم أن الراحة للرجال غفلة، فكيف للمجاهد زيد أن يضيع وقتًا والموت يطلبه، لذلك حرص كل الحرص على أن يكون صاحب نفس طويل وهمة تتوقد كما قال الشاعر:

وَمَنْ تَكُنِ العَلْيَاء هِمَّةَ نَفْسِهِ
فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبُ

ووفاءً منه لإخوانه وأحبته ورفاق دربه ممن لم يُفرج عنهم من سجون السلطة؛ قرر زيارتهم في سجن جنيد في مدينة نابلس، والتقى هناك بالمجاهد نعمان طحاينة وأنور حمران وإياد حردان وأسعد دقة الذي تم اعتقاله من جديد، ولكن هذه المرة لم تكن الزيارة من أجل الاطمئنان على حياتهم وأحوالهم التي يعرفها داخل السجن، وإنما من أجل تقديم المساعدة له في نقل الخبرة العسكرية من مدينة جنين إلى طولكرم، حيث في أواخر العام 1999م كانت قد نشطت خلية عسكرية للجهاد الإسلامي في مدينة جنين عبر قيامها بعمليات اطلاق نار على الشوارع الالتفافية، فكان من اللازم أن يتم المساعدة في نقل السلاح لمدينة طولكرم لاستخدامه في العمليات هناك.

مجموعة من قادة وكوادر حركتي الجهاد الإسلامي وحماس في سجن جنيد بنابلس التابع للسلطة (1998م)

وقرر المجاهدون إعداد الخطة من أجل تهريب المجاهدين أسعد دقة وأحمد مهداوي وإياد حردان من سجن الجنيد، فشرع المجاهد زيد بالتحضير والاستعداد لعملية الهروب، واستطاع المجاهد محمد نظمي أبو ذيب تجهيز مغارة من أجل إيواء المجاهدين في حال هروبهم، كما تمكن المجاهد لؤي السعدي من شراء كل ما يلزم من احتياجات الطعام والشراب والملابس، ووضعها في داخل المغارة، وتم الاتفاق مع المجاهد زيد على موعد محدد لعملية الهروب حيث تم الاتفاق على أن يتم الاجتماع بين المجاهدين الثلاثة مع المجاهد زيد في قرية رامين بمحافظة طولكرم ليقوم بنقلهم إلى المكان المتفق عليه، ولكن حدث خلل في الخطة، فلم يتمكن المجاهد زيد من استقبال المجاهدين الثلاثة في قرية رامين؛ فقد تأخر في جامعة النجاح بنابلس إلا أنهم استطاعوا تنفيذ الخطة البديلة والوصول إلى المكان المطلوب.

وما هي إلا ساعات حتى باشرت الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة ملاحقة قادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي، وتم اعتقال المجاهد زيد بالإضافة إلى والدة المجاهد أسعد دقة وولدها راني ومحمد دقة ومحمد نظمي. وما أن تم الإفراج عن والدة المجاهد أسعد دقة وولدها راني حتى تم اعتقال والد المجاهد أسعد دقة، وهنا تعرض المجاهد زيد بسيسي لتحقيق عنيف وقاسٍ جدًا من أجل نزع اعتراف منه حول مكان المجاهدين أحمد وأسعد وإياد، فمورس بحقه كل أنواع التعذيب؛ فما كان منه إلا الصمود والصبر متحديًا المحقق في التحقيق قائلًا له:

تالله ما الدَّعواتُ تُهزَمُ بالأذى أبدًا
وفي التاريخِ برٌّ يميني

ضع في يديَّ القيدَ أَلهِب أضلُعي
بالسَّوطِ ضع عُنُقي على السكّينِ

لن تستطيعَ حصارَ فكريَ ساعةً
أو نزعَ إيماني ونورَ يقيني

فالنورُ في قلبي وقلبي في يدَي
ربّي وربّي حافظي ومُعيني

سأظلُّ مُعتصمًا بحبلِ عقيدتي
وأموتُ مُبتسِمًا ليحيا ديني

فكانت أيام التحقيق التي مر بها المجاهد زيد والتي بلغت ما يزيد عن 67 يومًا، من أكثر الأيام ألمًا ومعاناةً وضنكًا، ولكن كل ذلك كان خيرًا في نظره حيث بعد أن قامت الأجهزة الأمنية الفلسطينية بإعادة اعتقال المجاهدين أحمد مهدواي وإياد حردان؛ تم عقد صفقة بين المجاهد أسعد دقة وبين الأجهزة الأمنية؛ أنه في حال تسليم نفسه فإنه سيتم الإفراج عن المجاهدين زيد بسيسي وسفيان عارضة ووالد المجاهد أسعد دقة، وهذا ما تم بالفعل، وبدأت الأجهزة الأمنية بممارسة الضغوط الهائلة على المجاهد زيد الذي أصبح الأمير العام للجماعة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية وعضو مجلس اتحاد الطلبة عن الجماعة الإسلامية في الجامعة، وكل تلك الضغوط من أجل قطع تواصل المجاهد زيد مع قادة وكوادر الحركة في السجن أو خارج السجن، فتارة يستخدمون التهديد والوعيد، وتارة يستخدمون الترغيب عبر مساعدته في إكمال تعليمه الجامعي، وتوظيفه في السلطة الفلسطينية، وما إلى ذلك من إغراءات، فما كان من المجاهد زيد إلا الإصرار على موقفه الصلب في السعي قدمًا نحو العمل الجهادي المقدس من أجل الحرية، ومن أجل الانعتاق من قبضة العدو الصهيوني، فآمن أن هناك إشارات في الطريق، طريق ذات الشوكة، وهي واضحة المعالم ورآها جميع البشر لشدة إضاءاتها وقوة توهجها، ولأنها في القمة الشامخة فإن الكثير من الناس يتهيبون الصعود إليها، وهنا يصدق قول الشاعر:

ومن يتهيَّب صعود الجبال
يعش أبد الدهر بين الحفر

وأما جوهر هذه الإشارات فلا يراها إلا أمثال المجاهد زيد، الذي دومًا يرفع نظره إلى العلا وهامته في الثريا، وأخذ يشد على ساعد العزم والجد، ولم يرضَ بالنظرات الدونية أو السفلية، فكيف للمجاهد زيد عاشق الجهاد والثورة أن يرضخ للواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني؟ فبدأ يمارس نشاطه الجهادي إلى جانب إخوانه من أبناء حركة الجهاد الإسلامي في ظل صعوبات جمَّة، نتيجة لمتابعة الأجهزة الأمنية الفلسطينية للمجاهدين وعلى مدار الوقت والساعة، ولم يمنعه ذلك من زيارة المجاهد نعمان طحاينة في سجن جنيد بذريعة مساعدته في إحضار الكتب الجامعية وأوراق الامتحانات وما إلى ذلك من ذرائع؛ من أجل التواصل مع المجاهد أسعد دقة وإياد حردان، للتحضير من أجل عملية هروب جديدة حيث كان المجاهدون إياد وأسعد ونعمان يثقون ثقة مطلقة بالمجاهد زيد، وطلبوا منه الاستعداد والتجهيز لمساعدة المجاهد جميل جاد الله بالهروب من داخل

سجن جنيد في نابلس والهدف البدء في العمل العسكري في الضفة الغربية.

وبالفعل بدأ المجاهد زيد يجري اتصالاته مستخدمًا علاقاته الممتدة من أجل التحضير والاستعداد لهذه العملية، وتوجه أكثر من مرة لقرية صيدا في طولكرم، والتقى بالمجاهدين جاسر رداد وأحمد فني وأحمد الصوفي وغيرهم، ولم يكونوا يمتلكون في ذلك الوقت سوى مبلغ 2000$ ومسدس، وقد نجحت عملية الهروب رغم وقوع بعض الأخطاء غير المدروسة إلا أن المجاهد زيد استطاع اقتياد المجاهد جميل جاد الله من أمام سجن جنيد إلى مدينة طولكرم، والوصول عبر مسارات مختلفة إلى قرية صيدا؛ ليقوم المجاهد جاسر رداد بدوره في إخفاء المجاهد جميل جاد الله، وبعد عدة أيام عاد المجاهد زيد واجتمع بالمجاهد جاسر رداد في قرية صيدا، وتم رصد ذلك اللقاء، وظن عملاء الأجهزة الأمنية أن المجاهد زيد هو المطلوب للأجهزة الأمنية وأنه هو جميل جاد الله.

اعتقاله ثانية على يد السلطة

وبسرعة البرق تم اعتقال كل من المجاهدين زيد بسيسي وجاسر رداد وأحمد فني وأحمد الصوفي وجميل جاد الله وغيرهم من المجاهدين، وتم اقتيادهم إلى التحقيق ليخضع المجاهد زيد هذه المرة إلى تحقيق جديد وبنوع مختلف ولمدة تزيد عن 56 يومًا، دون أن تتمكن الأجهزة الأمنية الفلسطينية من الحصول على أي معلومة أو اعتراف يفيد المخابرات الفلسطينية أو الصهيونية، وكسرت يده في التحقيق الميداني، وتم وضعه في زنزانة ضيقة أشبه بخزانة بلا قواطع داخلية، لا ماء فيها ولا كهرباء مليئة بزرد السلاسل والأكياس النتنة، وتعرض للحرمان من النوم والطعام، ورغم كل ذلك لم يستطيعوا ثني عزيمته؛ لأنه رجل موقف وكلمة فهذه هي عظمة الأفكار التي حملها المجاهد زيد.

واستمرت معاناته في أقبية التحقيق في سجن بيتونيا في مدينة رام الله، وبدأت تتغير الأحوال شيئًا فشيئًا وسط خلافات حادة في أوساط الشعب الفلسطيني لاسيما أن المفاوضات الفلسطينية الصهيونية في قمة كامب ديفيد الثانية وبرعاية الولايات المتحدة الأمريكية قد وصلت إلى طريق مسدود، وأصبحت الساحة الفلسطينية تموج بالخلافات الفكرية والسياسية والتنظيمية سواء على صعيد الفصائل الفلسطينية أو على صعيد النخب والقيادات المثقفة في الشارع الفلسطيني، ففريق مؤيد لاتفاق مدريد وأوسلو وباريس وواشنطن ويجول في كل عواصم العالم، ولا يقترب من أزقة وشوارع مخيمات فلسطين، وفريق ثانٍ مع مآذن القدس وأجراس الكنائس في بيت لحم ومع عنب الخليل وزيتون نابلس، وأحراش يعبد في جنين ومع نسائم الربيع في بيارات حيفا وتلاطم الأمواج على شواطئ غزة، ويعرف كل دبة نملة في وطنه، ولا يعير اهتمامًا لكل جبروت أمريكا وغطرستها، وفريق ثالث يمسك بزمام المصالح العليا للشعب الفلسطيني عبر عملية السلام الواهمة، وفريق رابع يعتبر فلسطين وقفًا إسلاميًا لا يحق لأحد الاقتراب منه أو التصرف فيه، وأناس مع السلطة بكل

عيوبها حتى لو أبقت على احتجازها للمجاهدين في سجونها، وآخرون ضدها في ايجابياتها وسلبياتها، وشعارهم ما بني على باطل فهو باطل.

وفي ظل هذه التجاذبات وبينما كان المجاهد زيد بسيسي يدافع عن كرامة الشعب الفلسطيني وعزته وعزة مقاومته في أقبية التحقيق في سجن بيتونيا؛ كانت قد اندلعت الانتفاضة الفلسطينية في كل بقاع فلسطين الحبيبة، انتفاضة أشبه بالانتفاضة الفلسطينية الأولى، ومن شدة جبروت الأجهزة الأمنية الفلسطينية لم يخبروا المجاهد زيد بأن هناك انتفاضة فلسطينية خارج زنزانته، ولم يعلم بذلك إلا بعد عدة أسابيع عندما خرج من أقبية التحقيق ليعيش إلى جانب المجاهدين من حركتي حماس والجهاد الإسلامي في داخل غرف سجن بيتونيا حيث التقى هناك بقيادات حركة حماس، ومنهم الشيخ محمد جمال النتشة (أبو همام)، ونشأت جبارة صديق المجاهد زيد في فترة الدراسة الثانوية في طولكرم، وأيمن حشايكة وهاني رواجبة وإياد حمادنة وإبراهيم حامد والعديد العديد منهم، كما التقى بصديقه جميل جاد الله، ومنذ اللحظة الأولى التي رأى فيها المجاهد زيد بسيسي المجاهدين جميل جادالله ونشأت جبارة قرروا معًا أن يبذلوا جهدهم الكبير من أجل الهرب من سجن بيتونيا، والالتحاق بصفوف المقاومة الفلسطينية في انتفاضة الأقصى، وبتاريخ 22/ 10/ 2000م كان قد تم اغتيال المجاهد القسامي إبراهيم بني عودة من بلدة طمون، مما أثار حفيظة الشعب الفلسطيني، فبدأت الضغوط تمارس على السلطة الفلسطينية من أجل إطلاق سراح المعتقلين السياسيين المنتمين لحركتي حماس والجهاد الإسلامي، فبادرت السلطة الفلسطينية بإعطاء المجاهدين المعتقلين لديها إجازات لمدة 48 ساعة وبشروط معينة، بينما قررت الإفراج عن المجاهد زيد وأيمن حشايكة وإياد حمادنة.

وما أن علم المجاهد زيد بهذا الأمر حتى أسرع إلى المجاهدين جميل جاد الله ونشأت جبارة لإعطائهما عنوانه ورقم هاتفه حتى يتواصلا معه بعد خروجهما من السجن ليقدم لهما كل الاحتياجات والمساعدة المطلوبة، وما هي إلا أيام حتى تمكن المجاهد جميل جاد الله من الخروج، وبادر بالاتصال بالمجاهد زيد طالبًا منه إيصاله بالمجاهد محمد بشارات ليبدأ معه العمل العسكري في الضفة الغربية، ونتيجة لشروط الإفراج عن المجاهد زيد الصعبة، والتي تقتضي بعدم مغادرته لمدينة رام الله أو التواصل مع أحد أو الحديث في الإعلام إلا أن شقيق المجاهد زيد تمكن من عقد اتفاق مع السلطة يسمح بانتقال المجاهد زيد من مدينة رام الله إلى مدينة أريحا ليعيش إلى جانب أخيه هناك، وقرر المجاهد زيد أن يذهب بصحبة أخيه إلى مدينة أريحا، لإبعاد عيون العملاء عنه لفترة من الزمن ليتمكن من المباشرة في مشروعه الجهادي والعسكري الذي كرس حياته ومنذ الصغر للبحث عنه والإعداد والتخطيط له، وتحمل الكثير الكثير من الأعباء والآلام والمعاناة للوصول لهذه اللحظة.

وما أن سمع المجاهد زيد نبأ استشهاد المجاهد أنور حمران في مدينة نابلس حتى سارع في الخروج من أريحا والتوجه إلى مدينة نابلس، وبعد إجرائه عدة اتصالات مع قادة وكوادر الحركة طلب المجاهد

نعمان طحاينة من المجاهد زيد عدم مغادرة مدينة نابلس، وأنه في طريقه إليه من بلدة سيلة الحارثية في جنين ليجتمعا معًا في إحدى الشقق السكنية في مدينة نابلس، ويقوم المجاهد نعمان بفرز المجاهد زيد بسيسي على منطقة نابلس بعد استشهاد المجاهد أنور حمران ليكون إلى جانب المجاهد خالد زكارنة.

الشهيد القائد/ أنور حمران لحظة اغتياله
استشهد بتاريخ 11/ 12/ 2000م

وفي بداية العام 2001م تمكن المجاهد زيد بفعل علاقاته الواسعة والممتدة في مدينة نابلس مع كافة الفصائل الفلسطينية من التعرف على المجاهد إياد صوالحة، ليبدأ المشوار العسكري للمجاهد زيد، ولاسيما أنه تم تعيينه ليكون المسؤول العسكري المباشر عن منطقة الأغوار وطوباس وبالتنسيق مع صديقه المجاهد محمد بشارات أحد أهم الفاعلين العسكريين في تلك المنطقة، وبدأ المجاهد زيد إجراء اتصالاته مع كافة المجاهدين ممن تعرف عليهم داخل سجون السلطة سواء في طولكرم أو نابلس أو جنين، من أجل التنسيق لمقاومة العدو الصهيوني، وتمكن من خلال معرفته بقادة كتائب شهداء الأقصى في مدينة نابلس، وخاصة الشهيد أسامة جوابرة وشكري يعيش من التعلم على أيديهم هو والمجاهد إياد صوالحة كيفية تصنيع المتفجرات وكيفية تفكيك القذائف والعبوات الناسفة والألغام وقذائف الأنيرجا من أجل الحصول منها على المواد المتفجرة لإعادة تصنيعها على شكل أحزمة ناسفة أو عبوات جانبية أو تفخيخ بعض السيارات لزراعتها في أماكن تواجد العدو الصهيوني، وقد نشط المجاهدان زيد وإياد صوالحة في منطقة نابلس بشكل ملحوظ، وأرادا نقل المواد الأولية التي تدخل في عملية تصنيع المتفجرات، وخاصة مادة الأوكسجين، وتم إرسالها إلى مدينة جنين لاستخدامها في عملية التصنيع هناك.

نشاطه الجهادي

وفي ذات يوم وأثناء حوار هام بين المجاهدين زيد بسيسي وإياد صوالحة حول تطوير عملية تصنيع المتفجرات إذا بالمجاهد زيد يخبر المجاهد إياد صوالحة أنه كان قد تعرف في سجون السلطة على المجاهد خالد زكارنة الذي يمتلك الخبرة الكبيرة في مجال تصنيع المتفجرات، وهنا جن جنون المجاهد إياد لعدم إخباره حول الموضوع في السابق، فكان دومًا يبحث عن هؤلاء الرجال الأبطال الأقدر على صنع التاريخ، ويصدق هنا قول الشيخ المرحوم مصطفى السباعي: "خذ من أمتنا مائة مصور، وأعطها طيارًا واحدًا، وخذ منها ألف مغن وأعطها مخترعًا واحدًا، وخذ منها كل العابثين واللاهين، وأعطها مُجِدًّا واحدًا"، ونحن نجيز خذ منها شعبًا

بأكمله وأعطها أمثال المجاهدين خالد زكارنة وإياد صوالحة وزيد بسيسي.

واتفق الجميع على العمل على تطوير عملية تصنيع المتفجرات نظرًا لتصاعد العمل العسكري في انتفاضة الأقصى حيث بدأت تتحول من طور الانتفاضة الشعبية إلى طور العسكرة والعمليات الاستشهادية، وأدرك هؤلاء المجاهدون بأنه رغم الواقع السيء إلا أنه لا تزال أنوار مضيئة تبعث في النفس الأمل، ولابد من التفاؤل بالغد المشرق الجديد، فتعهدت الثلة المؤمنة بربها على البذل بلا انقطاع، والتزمت بالعمل والعطاء؛ لأن في هذه الانتفاضة الفلسطينية لا يصبر سوى رجال صادقين وطَّنوا أنفسهم واتخذوا السبيل لبلوغ الهدف، وأدركوا أن تعبهم إلى زوال وأن آثارهم ستبقى باقية ما بقي الليل والنهار.

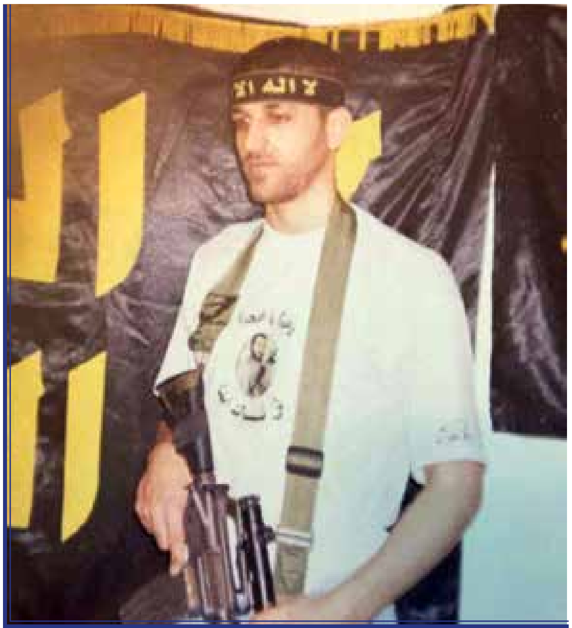

الشهيد القائد/ إياد صوالحة
استشهد بتاريخ 09/ 11/ 2002م

وبدأت سرايا القدس تنشط في معظم أنحاء الضفة الغربية لاسيما في منطقة طوباس والأغوار، فقرر جهاز الشاباك الصهيوني اغتيال القادة محمد بشارات وسامح أبو حنيش ووليد بشارات عبر قصف سيارتهم بالقرب من بلدة الزبابدة بمحافظة جنين، وكان ذلك بتاريخ 02/ 07/ 2001م، وكان الشهيد محمد بشارات قد أوصى بأن يستلم المجاهد زيد قطعة السلاح الخاصة به بعد استشهاده، وتم تسليمها بالفعل للمجاهد زيد بسيسي؛ إلا أنه آثر على نفسه أخاه المجاهد أيمن دراغمة حيث سلمه قطعة السلاح مشترطًا عليه أن يعمل بحقها، فتعهد المجاهد أيمن بذلك، وكتب الله له أن يستخدمها في عملية نفذتها سرايا القدس في شارع 90 ضد دورية صهيونية في الأغوار أدت لمقتل ما لا يقل عن أربعة صهاينة، وكان إلى جانب المجاهد أيمن في هذه العملية المجاهدون فراس خليلية وثابت مرداوي ويوسف سويطات، وكان للمجاهد زيد ما أراد.

واستمر نشاط المجاهد زيد في سرايا القدس ليمتد إلى منطقة طولكرم إلى جانب المجاهد أسعد دقة وإياد صوالحة والعديد من المجاهدين الأبطال، وقد اتخذ المجاهدان زيد وإياد من أحد البركسات في قرية عنبتا مقرًا لهما من أجل تجهيز السيارات المفخخة التي تم استخدام إحداها في العملية المزدوجة التي نفذها الاستشهاديان علاء الصباح وأسامة أبو الهيجا في الخضيرة بتاريخ 25/ 05/ 2001م، ردًا على جريمة اغتيال المجاهد إياد حردان لتتعمق عمليات التنسيق بين قادة وكوادر سرايا القدس في معظم أنحاء الضفة الغربية

لاسيما بين مدن جنين وطولكرم ونابلس، وتعاهد المجاهدون زيد بسيسي وأسعد دقة وجاسر رداد ومحمود كليبي وأحمد فني والشيخ رياض بدير، وكافة المجاهدين على عدم تمكين الأجهزة الأمنية الفلسطينية من اعتقالهم مهما كان الثمن، فشرع المجاهد زيد إلى جانب أخيه المجاهد إسماعيل أبو عيشة باستئجار مكان في قرية بيت وزن في مدينة نابلس لاستخدامه في تصنيع المتفجرات وإرسالها إلى مجموعات وخلايا سرايا القدس في جنين ونابلس، وبعضها تم إيصاله إلى المجاهد ثابت المرداوي في جنين، ليستخدمها في الأنشطة العسكرية.

وبذلك بدأت جهود أبطال سرايا القدس وفي مقدمتهم المجاهد زيد بسيسي تؤتي أكلها حيث تم زرع عبوة ناسفة كبيرة الحجم وسط سوق الخضار في مدينة "نتانيا"، ونجح المجاهدان عبد الرحمن فودة وبهاء الشبراوي بنقل العبوة من مدينة طولكرم إلى وسط مدينة "نتانيا"، وتم كشف أمرها وتم تفجير العبوة من قبل العدو الصهيوني، وكان ذلك بتاريخ 28/ 03/ 2001م، وأدى الانفجار لإيقاع أضرار مادية عدة في السوق معطيًا للمجاهدين دفعة جديدة من المعنويات للاستمرار في هذا الدرب.

وما أن سمع أبطال السرايا في مدينة طولكرم نبأ اغتيال أحد أهم قادة ومؤسسي سرايا القدس في مدينة بيت لحم بتاريخ 05/ 05/ 2001م المجاهد الشهيد أحمد أسعد خليل، حتى تعاهد أبطال سرايا القدس زيد بسيسي وإياد صوالحة ومعتصم حماد على الثأر لدماء الشهيد تجسيدًا لقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"؛ أو كما قال الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم.

فأراد المجاهدون إرسال رسالة للعدو الصهيوني مفادها بأن سرايا القدس في الضفة الغربية جسد واحد وقلب واحد، ولذلك تم التخطيط بكل هدوء وحذر شديد لعملية عسكرية توجع العدو الصهيوني، فقرر المجاهدون زيد بسيسي وإياد صوالحة ومعتصم حماد إرسال سيارة مفخخة تحمل عشرات الكيلوجرامات من المتفجرات ليتم وضعها وسط الكيان الصهيوني، وتم توزيع الأدوار بين المجاهدين حيث استطاع المجاهدون زيد وإياد ومعتصم تجهيز المواد المتفجرة، وتمكن المجاهد أشرف البردويل من إحضار السيارة المناسبة للعملية بينما تمكن المجاهدان عمار قزموز وبهاء الشبراوي من رصد موقع العملية في قلب مدينة "نتانيا"، وعندما حان موعد تنفيذها قام المجاهد زيد باطلاع المجاهدين بهاء الشبراوي وعمار قزموز على كيفية إيصال جهاز البلفون بالعبوة الناسفة للقيام بعملية التفجير عن بعد بشرط ألا يتم تفجير السيارة إلا في حال تمكن المجاهدين عمار قزموز وبهاء الشبراوي من عبور منطقة الحدود إلى داخل منطقة طولكرم من أجل الحفاظ على أمنهما وسلامتهما.

وبالفعل استطاع المجاهدان عمار وبهاء إيصال السيارة للهدف المحدد، وتم تفجير السيارة المفخخة عن بعد أمام المدرسة الصناعية في "نتانيا" لتوقع هذه العملية عدة إصابات مختلفة في صفوف قطعان المستوطنين، وأعلنت سرايا القدس الجناح

العسكري للحركة أن هذه العملية البطولية تأتي في سياق الرد الطبيعي والأولي على جريمة اغتيال المجاهد أحمد أسعد خليل، وبدأ العدو الصهيوني بتصعيد الهجمة الصهيونية على المجاهدين في الضفة الغربية إما بالاغتيال أو الاعتقال، ولكن كان حال هذا العدو الصهيوني كحال من طاش سعيه وسهمه، فخاب أملهم وذهب تدبيرهم أدراج الرياح وأضحى مكرهم إلى زوال.

سارع المجاهد زيد إلى التنسيق التام مع المجاهدين محمد بشارات ووليد بشارات وسامح أبو حنيش وأيمن دراغمة (أسد الغور) وفؤاد بشارات بالإضافة إلى العديد من المجاهدين في منطقة طوباس وطمون والأغوار من أجل تكثيف العمليات العسكرية وإطلاق النار على الطرق الالتفافية وخاصة في منطقة شارع 90 من أجل محاولة إجبار المستوطنين على مغادرة تلك المنطقة عبر قوة وضربات المجاهدين الأبطال زيد وأيمن دراغمة ووليد ومحمد بشارات وسامح أبو حنيش وإياد صوالحة ليصدق فيهم قول الشاعر:

شبابٌ ذلّلوا سبلَ المعالي
وما عرفوا سوى الإسلام دينا

تعهَّدهم فأنبتهم نباتًا
كريمًا طابَ في الدنيا غصونا

إذا شهدوا الوغى كانوا كماةً
يدكّونَ المعاقلَ والحصونا

فقرر المجاهدون في سرايا القدس توجيه ضربة مؤلمة لقطعان المستوطنين في منطقة الأغوار، حيث تمكن المجاهد أيمن دراغمة (أسد الغور)

من رصد هدف في مكان يتجمع فيه الصهاينة، وتمكن المجاهديان إياد بشارات وأيمن بشارات من كوادر سرايا القدس من تجنيد الاستشهادي محمد بشارات من بلدة طمون، بينما تمكن المجاهدان إياد صوالحة وزيد بسيسي من تكثيف جهودهما من أجل تصنيع شنطة متفجرات قوية جدًا، فطلب من المجاهدين أيمن دراغمة وفؤاد بشارات توصيل الاستشهادي محمد بشارات إلى مكان تنفيذ العملية، ولما وصل الاستشهادي محمد بشارات إلى المطعم المستهدف وجده مغلقًا على غير العادة، فقرر المجاهد محمد بشارات الصعود إلى حافلة صهيونية مليئة بالمستوطنين ليفجر نفسه في داخلها، وما أن هم بالصعود إلى قلب الحافلة حتى أوقفه سائق الحافلة؛ ذلك أن الحقيبة التي كان يحملها أثارت الريبة والشك عند سائق الحافلة فدفعه بكل قوة إلى خارج الحافلة، ووقع على الأرض وتعطلت

الدائرة الكهربائية في شنطة المتفجرات، وحاول المجاهد محمد بشارات الضغط بكل قوة على زر التفجير مصحوبًا بصيحات "الله أكبر... الله أكبر" دون جدوى، ثم حاول مرة أخرة وثالثة إلى أن تمكن العدو الصهيوني من السيطرة عليه واعتقاله، فأي إصرار هذا للمجاهد محمد بشارات وأي إيمان راسخ يتحلى به هذا الاستشهادي؟! فكان مثالًا للأبطال الذين يصدق فيهم قول الشاعر:

ترى الجموع ولكن لا ترى أحدًا
وقد ترى همة الآلاف في رجل

ورغم شجاعة المجاهد محمد بشارات إلا أن المجاهد زيد أصدر قراره إلى جميع المجاهدين معه بعدم إرسال أي استشهادي إلى ذلك المكان إلا بعلمه حرصًا على حركة وأمن المجاهدين في تلك المنطقة ولاسيما أن المجاهد محمد بشارات نتيجة للتعذيب الشديد الذي تعرض له في التحقيق؛ أخبر جهاز الشاباك بأسماء الأبطال الذي يقفون خلف هذه العملية.

اتجه المجاهد زيد في هذه الفترة ليكون إلى جانب المجاهدين إياد وخالد زكارنة في تصنيع المتفجرات، ليكرمهم الله _عز وجل_ بتمكينهم من تصنيع أكثر من 350 كيلو جرامًا من المتفجرات، بالإضافة إلى تعبئة أسطوانة أكسجين ذات الحجم الكبير بالمتفجرات، من أجل الجهوزية التامة لاستخدام هذه المواد في أي عملية في المستقبل لتصبح سرايا القدس في الضفة الغربية من أهم وأقوى الأجنحة العسكرية مما جعل الكثير من النفوس التي بها استعداد للخير والحق ترجع إلى الاستقامة، وإن انحرفت بها الأهواء حينًا عن طريق الهدى.

استطاع المجاهد رمزي بشارات أحد أفراد خلية المجاهد زيد إحضار استشهاديين له من أجل تنفيذ عملية استشهادية إلا أن المجاهد زيد لا يمكن له أن يقبل أي أحد لهذه المهمة قبل أن يمر في مراحل متعددة للوصول إلى حالة من الجهوزية النفسية والجسدية والروحانية، وقرر عدم قبولهم في العمل الجهادي، فأصبح مجاهدو سرايا القدس يتنافسون في ميادين المواجهة للتصدي للعدو الصهيوني بكل الإمكانيات المتاحة، ولكن أسدًا واحدًا فقط كان في منطقة الغور، وهو المجاهد أيمن دراغمة الذي تمكن من تجنيد المجاهد أحمد دراغمة لتنفيذ عملية استشهادية في مدينة بيسان المحتلة، وهنا استطاع المجاهد خالد زكارنة تصنيع عبوة ناسفة شديدة الانفجار، وتم وضعها في حقيبة ليتم استخدامها في العملية.

وفي هذه الأثناء قام والد الاستشهادي أحمد دراغمة بإبلاغ جهاز الأمن الوقائي بأن ولده أحمد ينوي تنفيذ عملية استشهادية، وأنه خرج من البيت منذ فترة، وبدأت أجهزة السلطة تبحث عنه في كل مكان، بالإضافة إلى إبلاغها جهاز الشاباك الصهيوني بهذا الأمر، وعلى الرغم من الاحتياطات الأمنية والحواجز العسكرية التي وضعت في كل مكان، أصر المجاهد أيمن دراغمة على إخراج العملية إلى حيز التنفيذ وسار بصحبة الاستشهادي أحمد دراغمة إلى موقع العملية مشيًا على الأقدام حتى وصل مدينة بيسان بتاريخ 07/ 10/ 2001م بعد أن توكل على الله _عز وجل_، ليقوم الاستشهادي أحمد دراغمة بتفجير

نفسه بالقرب من مدخل مستوطنة "شلوخوت"، ويقتل المسؤول العام لأمن المستوطنات في منطقة الغور، ويريح الفلسطينيين من مضايقاته اليومية عبر اعتداءاته على الممتلكات والمزروعات وسيارات العمال والمزارعين، وكتب الله -عز وجل- النجاح لهذه العملية وكتب للمجاهد أيمن دراغمة أن يكون من أهل المعالي التي لا تنال إلا بالصعاب من الأمور.

واستمر عمل السرايا بكل نشاط وإقدام، وأمد المجاهد أيمن دراغمة المجاهدين إياد صوالحة وزيد بسيسي وخالد زكارنة بعشرات الألغام التي تمكن من الحصول عليها ليتم استخراج مادة (T.N.T) منها واستخدامها في العمليات العسكرية، وبالإضافة إلى ذلك تمكن المجاهد خالد زكارنة

من تصنيع كمية كبيرة من المتفجرات ذات نوعية جديدة لم تعهدها سرايا القدس من قبل، فكانت آثارها واضحة في معظم عمليات سرايا القدس، وبعد هذه التجهيزات، قرر قادة سرايا القدس تنفيذ عملية استشهادية عبر السيارات المفخخة، وإرسالها إلى أحد الأهداف الصهيونية المكتظة بالمستوطنين، وتمكن المجاهد نبيل مغير من بلدة عرابة، من تجنيد المجاهد مجاهد أبو جلبوش لتنفيذ العملية، وجهزت المجموعة العسكرية المشرفة على هذه العملية كمية كبيرة من المتفجرات، بالإضافة إلى المواد التي قام بتصنيعها المجاهد نبيل مغير ليتم وضعها في السيارة المخصصة لذلك، وليقوم أسد الغور أيمن دراغمة بدوره في إيصال السيارة والاستشهادي إلى مكان تنفيذ العملية، ولكن الله -عز وجل- أراد أمرًا آخر فأثناء قيادة المجاهد مجاهد أبو جلبوش السيارة بسرعة كبيرة أدى ذلك إلى انقلاب السيارة، وقرر قادة سرايا القدس إلغاء هذه العملية، فعوضهم الله -عز وجل- أن تمكن المجاهدان ثابت مرداوي ومحمود طوالبة من إرسال المجاهدين يوسف سويطات ونضال الجبالي إلى مدينة الخضيرة بتاريخ 28/ 10/ 2001م لينفذا عملية مزدوجة بواسطة إطلاق النار، وأوقعت هذه العملية أربعة قتلى وأصابت العشرات، واستشهد المجاهدان يوسف ونضال، وبدأت الأصوات المعارضة للعمليات الاستشهادية تتصاعد شيئًا فشيئًا بحجة أن هذه العمليات تضر بمصلحة الشعب الفلسطيني وأن الدول العربية وخاصة دول الخليج ومصر تحاول تهدئة الأوضاع وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه.

ولكن أبطال سرايا القدس وفي مقدمتهم المجاهد زيد لا يهابون قوة العدو الصهيوني ولا يستجدون أحدًا من أشقاء العروبة والإسلام الذين يغطون ملء جفونهم في سبات عميق، ويرقصون ويغنون على جراحات المجاهدين، ويستهزئون بنحيب الأمهات والأخوات، ولا يحترمون حتى نجيع شهدائنا الطاهر الذي روى أرض الإسراء والمعراج، وهم يقولون للبشر:

حجرٌ من ساحة الأقصى
وعود من حصيرة

وصرخة من أرض طولكرم
وحبة رمل من يافانا الأسيرة

هي أقوى من صواريخكم
ومن نفط الجزيرة

فكان لزامًا على المجاهد زيد في هذه الظروف أن يعمل جاهدًا إلى جانب قادة وكوادر سرايا القدس لتعميم ثقافة المقاومة والتضحية والفداء، وكشف المجاهد زيد علاقاته الوطنية مع كافة الفصائل الفلسطينية مستغلًا علاقاته وصداقاته التي امتدت لصفوف حركة فتح ممن آمن بخط المقاومة وأن فلسطين لا تتحرر إلا عبر عمليات المقاومة.

كما استطاع المجاهد زيد تجنيد العديد من الأبطال الذين يعملون في داخل الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة، واستطاع من خلالهم كشف معلومات الأجهزة الأمنية الفلسطينية، وإحباط مخططاتهم في اعتقال وملاحقة المجاهدين، وقدم المجاهد زيد وقادة سرايا القدس قطع سلاح للأبطال منصور شريم وجميل عطوان ليتمكنا من تنفيذ عملية إطلاق نار في مستوطنة "حيفتس" في منطقة طولكرم بتاريخ 05/ 10/ 2001م، وأدت لمقتل أحد المستوطنين وأعلنت سرايا القدس مسؤوليتها عن هذه العملية البطولية، وتصاعدت عمليات إطلاق النار إلى جانب العمليات الاستشهادية، وتمكن المجاهد أحمد بسيسي ومجموعة من المجاهدين من إصابة مستوطنين عبر إطلاق النار عليهما في مفرق قرية رامين بمحافظة طولكرم.

بدأت السلطة منع أبناء حركة فتح وأبناء الأجهزة الأمنية الفلسطينية من الانتماء لسرايا القدس لتجنيب السلطة ردات الفعل الأمريكية والصهيونية، وأدى ذلك لجعل المجاهدين منصور شريم وجميل عطوان في وضع حرج حيث نفذا عملية إطلاق النار على المستوطنين أدت لإصابة سبعة بجراح، وحاول المجاهد زيد تبني العملية باسم سرايا القدس لاسيما أن هذه المجموعة دعمها المادي والعسكري من السرايا، ولها عملية سابقة باسم سرايا القدس في مستوطنة "حيفتس" إلا أن قادة كتائب شهداء الأقصى رفضت أن تتبنى سرايا القدس هذه العملية، وطلبت عقد جلسة مع قادة سرايا القدس، ومنهم المجاهد زيد بسيسي، وقادة كتائب شهداء الأقصى، ومنهم المجاهد رائد الكرمي، وعندما تم سؤال المجاهدين منصور وجميل باسم من تم تنفيذ هذه العملية؟، وكانا قد تعرضا لضغط كبير من قبل حركة فتح والأجهزة الأمنية الفلسطينية أجابا بوضوح باسم حركة فتح، وتم تسوية الخلاف وطلب المجاهد زيد تسليم المجاهدين منصور وجميل قطع السلاح التي بحوزتهما وإعادتها إلى

سرايا القدس، ولكن المجاهد زيد الذي كرس حياته في تجنيد أكبر عدد ممكن من أبناء فلسطين للعمل في صفوف المقاومة، وبغض النظر مع أي فصيل المهم أنه في الاتحاد قوة؛ قرر أن يبقي على قطع السلاح مع المجاهد منصور شريم لحماية نفسه من العدو الصهيوني، ومن أجل استخدامها في قتل أكبر عدد ممكن من الصهاينة، فعلم أبناء حركة فتح أن هذا الموقف الذي حدث أمامهم لا يمكن أن يقوم به إلا رجل هو من مدرسة الإيمان والوعي والثورة، وأدى سلوك المجاهد زيد بأن انضم نفر من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، في فريق المجاهد زيد فريق جند المعالي والهمم العالية، وهم لا يزالون في ازدياد حتى هذه اللحظة.

وهيأ الله -عز وجل- للمجاهد زيد التعرف على المجاهد رومل عطوان من مدينة الخليل، وهو طالب في جامعة خضوري في طولكرم، والمجاهد شادي ياسين من مدينة طولكرم، وهو أحد طلبة جامعة خضوري، بالإضافة إلى المجاهد وائل عرفة من سكان الأردن من أصل فلسطيني مقيم في مدينة طولكرم وهو ذو خبرة كبيرة ومعرفة مهمة بمعظم الأماكن والمواقع الصهيونية داخل الكيان نظرًا لعمله هناك، وقرر هؤلاء المجاهدون التوجه للمجاهد زيد من أجل مساعدتهم في تنفيذ عمليات في قلب الكيان الصهيوني حيث كانوا قد تعرفوا على المجاهد أنور عليان أحد كوادر حركة الجهاد الإسلامي في طولكرم، والذي بدوره هيأ الظروف لهم للاجتماع بالمجاهد زيد، وشرع المجاهدون زيد بسيسي وإياد صوالحة وفادى البهتي بتجهيز ثلاثة أحزمة ناسفة لاستخدامها في العملية، وتم توفير سيارة من نوع فولفو من أجل أن تقل الاستشهاديين إلى داخل الكيان الصهيوني، وكان من المفروض أن يقوم المجاهد الاستشهادي وائل عرفة بتفجير نفسه في حافلة صهيونية، تكون مكتظة بالجنود، بينما يقوم المجاهدان رومل عطوان وشادي ياسين بتفجير نفسيهما بعملية مزدوجة في أحد المطاعم الصهيونية.

وكانت في هذه الفترة الأوضاع السياسية صعبة جدًا نتيجة لضغوط هائلة تتعرض لها السلطة الفلسطينية من أجل إحباط العمليات الاستشهادية، واعتقال قادة وكوادر المقاومة وخاصة قادة وكوادر سرايا القدس في الضفة الغربية حيث تمكنت الأجهزة الأمنية من اعتقال الحاج علي السعدي الملقب "الصفوري"، والمجاهد محمود طوالبة وكان لابد من إرسال رسالة للعدو الصهيوني وللأجهزة الأمنية الفلسطينية أن هذا الاعتقال للمجاهدين لا يجعل همتهم تفتر مهما كانت المصاعب جمة، ولا تلين لهم عزيمة مهما كانت الطريق وعرة.

قرر المجاهدان زيد بسيسي وإياد صوالحة تحديد موعد العملية، وتم إرسال الاستشهاديين الثلاثة ليخرجوا بسيارة الفولفو مرتدين الأحزمة الناسفة وسط معنويات عالية، تناطح عنان السماء في جو ملائكي مليء بالروحانية والاندفاع نحو التضحية في سبيل الله -عز وجل-، وانطلقوا من مدينة طولكرم عبر طريق "بثان" إلى مكان العملية، ولكن قدر الله -عز وجل- كان هو الغالب، وشاء الله -تعالى- أن تتعطل السيارة التي يستقلونها بسبب غزارة الأمطار مما أدى إلى انغرازها في الوحل، وما أن

تم إخراجها بشق الأنفس حتى غاصت مرة أخرى في الوحل، فعلم المجاهدون أن هذا الأمر لم يكتب له الله النجاح، فعادوا إلى مدينة طولكرم، وأصر حينها المجاهد وائل عرفة أنه سيذهب لوحده بالحزام الناسف لتنفيذ العملية في قلب الكيان الصهيوني، وتحرك بالفعل باتجاه الموقع، ولما وصل إلى منطقة العبور إلى الداخل المحتل إذا بالعدو الصهيوني ينتشر بكثافة على طول الحدود الفلسطينية الصهيونية، فلم يتمكن من اختراق الحواجز العسكرية، وقرر العودة إلى منطقة طولكرم مرة أخرى ليتم تأجيل هذه العملية إلى موعد وظروف مناسبة في المستقبل.

ملاحقة الشاباك له

ونتيجة لذلك ازداد طلب الشاباك الصهيوني من الأجهزة الأمنية الفلسطينية بضرورة متابعة وملاحقة المجاهد زيد بسيسي وإياد صوالحة ومحمود كليبي وأحمد بسيسي ومعتصم حماد لما يشكلونه من الخطر الشديد على الأمن الصهيوني حيث بأعمالهم جعلوا الشاباك الصهيوني لا يعرف طعم النوم لا في الليل ولا في النهار مخافة من أن تفاجئهم سرايا القدس بما لا يتوقعونه، وبدأت السلطة بملاحقة المجاهدين مستعينة بعملائها وبالمعلومات الصهيونية، فعلمت أن المجاهدين زيد وإياد متواجدان في احدى الشقق السكنية في مدينة طولكرم حيث كان المجاهدون يقومان بتصنيع مادة متفجرات من نوع جديد اسمها "اليوريا"، وتم محاصرة المنزل من كل الاتجاهات، فاتصل المجاهد زيد بأخيه أحمد وبقية المجاهدين من أجل منع الأجهزة الأمنية من اعتقالهما، وبالفعل تقدم المجاهد أحمد بسيسي وبقية مجاهدي سرايا القدس باتجاه المنزل، وبدأ الصدام والمشادات الكلامية وسط التلميح من قبل المجاهدين باستخدام السلاح ضدهم، مما مكن المجاهدين زيد وإياد من الهرب عبر أسطح المنازل إلى مكان سري وآمن، ليعودوا مرة أخرى في إحدى الليالي إلى تلك الشقة لإخراج المتفجرات إلى مكان آخر بعيدًا عن عيون العملاء والأجهزة الأمنية الفلسطينية.

الأسير القائد/ زيد بسيسي (يسار)
برفقة شقيقه الأسير/ أحمد بسيسي (المحكوم 25 عاماً)

وكان معظم شرفاء حركة فتح، وخاصة أبناء كتائب شهداء الأقصى ولاسيما ممن يعملون في الأجهزة الأمنية الفلسطينية يرفضون سياسة السلطة الفلسطينية باعتقال المجاهدين، فما كان منهم إلا الانحياز الكامل لمجاهدي سرايا القدس، حيث في إحدى عمليات الأجهزة الأمنية الفلسطينية لمحاصرة المجاهدين زيد بسيسي وإياد صوالحة في طولكرم

تمكن أحد كوادر حركة فتح وهو عبد الحسن من طولكرم، وهو يعمل في جهاز المخابرات الفلسطيني من الاتصال على المجاهدين إياد صوالحة وزيد بسيسي ليخبرهما بأن الأجهزة الأمنية الفلسطينية قادمة لاعتقالهما فبادر المجاهد زيد بالاتصال بقائد كتائب شهداء الأقصى في طولكرم، وهو المجاهد رائد الكرمي وأخبره بما يجري فأرسل له عددًا من مقاتلي حركة فتح، ومنهم زياد الدعاس وحاتم الجيوسي حيث تمكنوا من إخراجهما من المنزل الذي يتواجدان فيه رغم انتشار الأجهزة الأمنية الفلسطينية في المكان، ثم نجحوا بإخراج الأحزمة الناسفة التي كانت معدة للاستشهاديين رومل وشادي ووائل، وتم إيصال المجاهدين إياد وزيد إلى مكان آمن في طولكرم، وتم إحضار المجاهد محمود كليبي إلى المكان أيضًا عن طريق أحد قادة كتائب شهداء الأقصى في طولكرم، وهو محمد أبو ربيعة من أجل تأمين حمايته وحماية مجاهدي سرايا القدس من ملاحقة أجهزة السلطة لهم.

وفي اليوم التالي قامت السلطة الفلسطينية خوفًا من تسريب المعلومات الأمنية بوضع حد لأخطاء الأجهزة الأمنية الفلسطينية، فأصدر الرئيس ياسر عرفات قراره بتوحيد الأجهزة الأمنية كلها لتكون بلجنة واحدة ليسهل عملها في ملاحقة المجاهدين، ولكن هذه المرة شمل القرار ملاحقة أبناء حركة فتح أنفسهم وممن يساعدون حركتي حماس والجهاد الإسلامي حيث كانت السلطة الفلسطينية قد احتجزت العديد من قادة كتائب شهداء الأقصى، في داخل مقرات المخابرات والأمن الوقائي في جنين ورام الله، وهنا شعر المجاهد زيد بأن الأرض رغم اتساعها قد ضاقت عليه وأغلقت أمامه الطرق، ووجد نفسه يحن إلى قريته التي ضمته صغيرًا لتستقبله في آخر أيامه قبل الاعتقال، وكأنه عاد إلى قرية رامين ليشم رائحة الزيتون والبرتقال والليمون وليتذوق طعم التين ويعيد ذكريات طفولته التي حُرم منها بظلم العدو الصهيوني، وقرر أن يختبأ فترة من الزمن في إحدى المغارات في جبال قرية رامين الشامخة، وجهز كل ما يلزم لذلك إلا أن أحد أقربائه وهو المجاهد زايد سلمان، وكان مطلوبًا لقوات الاحتلال قرر أن يصحب المجاهد زيد إلى مكان آمن في أحد المنازل، حيث كانا لا يمكثان في مكان واحد أكثر من ساعات.

اعتقاله والحكم عليه

وفي إحدى الليالي الرمضانية، وكانت ليلة الأحد 24 رمضان 1422هـ الموافق 09/12/2001م، وفي حدود الساعة الواحدة ليلًا قرر المجاهدان زيد وزايد الدخول إلى منزل المجاهد زايد سلمان من أجل الراحة قليلًا والوضوء والصلاة، وكان يتواجد في هذا البيت العديد من النساء والأطفال، بالإضافة إلى العديد من أصدقاء المجاهد زايد سلمان، وكان من المفروض الخروج إلى مكان آخر للمبيت فيه عند المجاهد جهاد يوسف، ولكن قدر الله ـ عز وجل ـ إذا جاء لا يُرد، وتم محاصرة المنزل من وحوش الليل الضارية، معززين بطائرات الاستطلاع والمجنزرات والدبابات وعشرات الدوريات العسكرية.

قرر المجاهدان زيد بسيسي الذي يحمل مسدسًا، والمجاهد زايد سلمان والذي يحمل بندقية (M16) المواجهة والبدء في الاشتباك المسلح، وتحت رجاء وتوسل الأطفال والنساء الخائفين من هدم المنزل عليهم، لاسيما في ظل وجود كمية كبيرة من المتفجرات في المنزل كانت بحوزة المجاهدين زيد وزايد، حاول المجاهد زيد الخروج من أحد الأبواب الخلفية للمنزل فإذا به يقع في وسط كمين لقوات العدو الصهيوني، ولم يستطع أن يفعل شيئًا، وما أن همّ بالعودة إلى المنزل، حتى تم إطلاق النار عليه من مسافة مترين لتخترق سبعة رصاصات ركبة المجاهد زيد بسيسي، ليقع على الأرض وسط نزيف دموي لا يتوقف، ليبدأ الضباط الصهاينة بالضغط على مكان الإصابة للحصول على معلومات أولية، وما هي إلا ساعات حتى وجد المجاهد زيد نفسه في أحد المستشفيات الصهيونية ليخضع لعدة عمليات جراحية صعبة وسط إجراءات أمنية مشددة.

فما كان من المجاهد البطل زيد إلا مناجاة ربه قائلًا: "إلهي لا يطيب الليل إلا بمناجاتك، ولا يطيب النهار إلا بطاعاتك، ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك"، فما كان منه إلا أن يصبر على هذا الألم وهذا العذاب فجلس على فراشه في المستشفى كجبل من الحزن صامتًا مقيدًا بالأصفاد وبركانًا مهيبًا، حيث باعتقاله قد انطفأت شمعة من نار وألم، لكن رغم حكمه بالمؤبد و55 عامًا استطاع النهوض على قدمه العاجزة ونهض من بين الركام ليبدأ حياته الجديدة، في ظل الاعتقال ليعود إلى ما كان عليه في ميادين القتال، فبدأ العمل بمساعدة الأسرى والمعتقلين في جلسات العلم ومواعظ الإيمان والعمل في الهيئة التنظيمية في حركة الجهاد الإسلامي داخل السجون ليكتب الله -عز وجل- له بأن يتم حفظ كتاب الله، وأكمل مشواره التعليمي ليبشر والدته الحنونة، التي طالما حلمت بأن زيد سيتخرج من الجامعة، وقد حصل على بكالوريوس في علم التاريخ من جامعة الأقصى.

الأسير القائد/ زيد بسيسي
برفقة والديه الكرام خلال زيارتهم له في السجن

وفي العام 2012م تم انتخابه من قبل أسرى حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال في ظل انتخابات ديمقراطية وشفافة ليكون أحد أعضاء الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال، وفي ذلك العام تم تعيينه من قبل الهيئة العامة ليكون عضوا في لجنة المفاوضات عن أسرى حركة الجهاد الإسلامي لإضراب الكرامة في العام 2012م ليكون له الفضل بعد الله -عز وجل- بتحقيق انتصار الأسرى حيث عُرف بصلابة مواقفه وإصراره على تحقيق مطالب الحركة الأسيرة، وخضعت مصلحة السجون الصهيونية لمطالب

الأسرى، وتم إخراج الأسرى المعزولين إلى الأقسام، ليعيشوا إلى جانب إخوانهم في الأسر والقيد، وكما تم تحقيق مطلب زيارة أهالينا وأحبتنا في قطاع غزة الحبيب، بعد انقطاع دام أكثر من ست سنوات.

ونتيجة للعطاء اللامحدود الذي قدمه المجاهد زيد لإخوانه في حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال تم إعادة انتخابه مرة أخرى ليكون أحد أعضاء الهيئة القيادية العليا لأسرى حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال، وتم انتخابه من قبل أعضاء الهيئة ليكون الأمير العام للهيئة القيادية العليا، وفي العام 2017م تم إعادة انتخابه مرة ثالثة ليستمر في قيادة الهيئة العامة لأسرى الحركة في سجون الاحتلال، وعاهد مجاهدي حركة الجهاد في سجون الاحتلال بالعمل على النهوض بهم ثقافيًا وفكريًا وإنسانيًا ودينيًا لإيصالهم وإعدادهم ليكونوا طلائع المستقبل للجيل القرآني الفريد، وبضغط من الهيئة العامة استطاع المجاهد زيد زيارة معظم السجون التي يتواجد بها أعضاء حركة الجهاد الإسلامي ولفترات قصيرة، ليصل إلى نتيجة مفادها بأن أعضاء حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال هم أمانة في عنق الهيئة العامة وأعضاء مجلس الشورى العام، وأنه لابد من العمل ليلًا ونهارًا وبكل الإمكانيات لتوفير احتياجاتهم النفسية والمادية والجسدية والفكرية.

لذلك فإن الهيئة القيادية العامة لأسرى حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال الصهيوني ممثلة بأميرها العام المجاهد زيد بسيسي، وإلى جانبه جميع مجاهدي حركة الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال يرفعون أكفهم إلى العلا وبصوت يشابه هدير الأمواج ويصرخون بأعلى صوتهم: "يا سرايانا المظفرة أين أنت ونحن منك وإليك؟! نحن أبناء الجهاد الإسلامي في سجون الاحتلال ننادي الحرية فاسمعينا يا سرايا القدس! فمن جوانب العتمة والظلمة في السجون نرفع أكفنا نحوك فانظرينا! أصغي أيتها السرايا واسمعينا! تكلمي بلسان مجاهد واحد منا! فمن شرارة واحدة يشتعل القش اليابس، فأيقظي بحفيف أجنحتك روح رجل من رجالك ورجالنا! فمن سحابة واحدة ينبثق البرق وينير بلحظة خلايا الأودية وقمم الجبال، فبددي يا سرايا القدس بعزمك هذه الغيوم السوداء وظلام السجون الأسود! واهدمي أسوار السجون والأبراج المرفوعة على عظامنا وجماجمنا المغمورة بالدماء والدموع!".

STATE OF PALESTINE
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA
دولة فلسطين
CERTIFICATE
شهادة
History
التاريخ
Faculty of Arts & Human Sciences

الأسير المجاهد

باسل عاطف محمد مخلوف (عجاج)

مجاهد لم تنل من صلابته الشدائد

تاريخ الميلاد: 1977/08/18م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ولد وبنت

مكان السكن: قرية صيدا – محافظة طولكريم

عدد أفراد العائلة: 9

تاريخ الاعتقال: 2002/02/15م

الحكم: مؤبد و 20 عاماً

نتحدث اليوم عن مجاهد كبير من مجاهدي سرايا القدس، من الذين ينتمون إلى ذلك الجيل الذي تجاوز عقدة الخوف، وشب عن طوق الجزع من الاحتلال الصهيوني، فهو يمثل الشباب المؤمن بالله في الانتفاضة الفلسطينية الأولى، والذين حولوا ليلهم إلى نهار حيث يقومون بمقارعة العدو الصهيوني وقلوبهم متعلقة بحب الله، ويجلسون في ظلمات الليل حراسًا على أمن وسلامة بلدهم وأهلها، حتى لا يتسلل إليها شذاذ الآفاق من العملاء والجيش الصهيوني، فانطبق عليهم قوله ـصلى الله عليه وسلمـ: "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّار: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله".

فكانت عينا هذا المجاهد تنزفان دمًا بدل الدمع في تلك الليالي الحالكة والناس حينها نيام، فكيف ينام مع ثلة من إخوانه من أبناء قرية صيدا ممن ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: 13]، فكانوا يحيون ليلهم بذكر الله، وتركوا إحياء الليالي الساهرة والماجنة لأولئك الذين غرتهم القشور، وأما هذا المجاهد فهو مجاهدنا الكبير باسل عاطف محمد مخلوف، وصدق قول الشاعر عندما قال:

مدّ ليل الظلام جنحه في البلاد
واستطاب المقام فاستراح العباد

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد البطل باسل في قرية صيدا بمحافظة طولكرم، القرية الشامخة العزيزة الواقعة على سلسلة من الجبال والتلال، مما يعطيها موقعًا استراتيجيًا ومنظرًا طبيعيًا خلابًا جدًا، وامتازت هذه البلدة بآثارها القديمة قدم التاريخ وأشجار الزيتون، والشاهد على تاريخ الشعب الفلسطيني وعلى تاريخ نضاله وعدالة قضيته، فما أن تجلس على جبالها وتلالها، حتى تطالعك مشاهد عظيمة لمدينة أم خالد المحتلة عام 1948م، والتي أصبحت تسمى بعد الاحتلال الصهيوني بمدينة "نتانيا"، وبنفس الوقت تشعر بالحزن والألم والغصّة في النفس على فقدان الوطن حيث أصبح الأوغاد الصهاينة مستوطنين على أرض الآباء والأجداد، وأصبحت بيارات الحاج مخلوف في أم خالد لـ"شلومو"، وشجرة الجميز التي زرعتها الحاجة أم محمود لـ"كوهين مردخاي"، وأما ابن الوطن الأصلي فلا يمكن له حتى الاقتراب من تلك البيارات ومن تلك الأشجار.

في تلك البلدة وُلد المجاهد باسل في ظل عائلته الرائعة والملتزمة بالإسلام وتعاليمه، نشأ وترعرع على حب الوطن وكراهية الأعداء، فكبر وعاش طفولته البريئة في أجواء الانتفاضة الفلسطينية الأولى، لكن العدو الصهيوني سرق أحلام طفولته، وأحل مكانها القتل والدمار والحرمان والتشريد، وما أن بلغ من عمره عشر سنوات حتى عاش ظلم الاحتلال الصهيوني واقعًا في العام 1987م عندما اقتحم الجيش الصهيوني منزلهم، وحاول اعتقال والده بذريعة البحث عن سيارة من نوع أوبل تحمل متفجرات بناء على معلومات وردت لهم، وكان حينها والد المجاهد باسل يمتلك سيارة من نفس النوع، ولذلك تم الاشتباه به، وداهموا المنزل في منتصف الليل، وتم العبث بمحتوياته وممتلكاته، واستيقظ المجاهد باسل حينها على ضجيج الجنود وهم يعتقلون والده أمام عينيه.

وبعد اعتقال والده، عاد الجنود الصهاينة مرة أخرى لأخذ الأوراق الثبوتية المتعلقة بترخيص وتأمين السيارة، وكان المجاهد باسل مفعمًا بإحساس الثأر لأبيه، فبدأ برشق الجنود الصهاينة بالحجارة وهو لا يزال طفلًا لم يتجاوز من سنه العاشرة، وبالرغم من براءة الطفولة إلا أنه لم يتردد لحظة في الانخراط بقوة في صفوف المقاومين والمتظاهرين، وعاهد الله عز وجل أن يحمل الأمانة بكل إخلاص، وسار في شوارع قرية صيدا يحمل عدته وعتاده التي لا تكلف شيئًا، حجره ومقلاعه ويقصد المحتل ليريه كيف يكون الحجر في يد المؤمن، وكان حجره وتكبيره يفزعهم ويرعبهم، فكان بإذن الله في حلوقهم شوكة، كيف لا وهو ابن قرية صيدا عرين الجهاد وابن عائلة مخلوف وابن المسجد وقد ضرب مثالًا للصبر والشجاعة والإقدام، يتسابق إلى ساحات المواجهة مستجيبًا لنداء التصعيد العام التي تدعو إليه القوى الوطنية والإسلامية للانتفاضة.

وكانت تحدث صدامات ومواجهات ومجابهات عنيفة حين يقتحم الجيش الصهيوني قرية صيدا مستخدمًا كل قوته وعنجهيته وأسلحته، وفي أحد أزقة قرية صيدا كان يقف الأسد المغوار المجاهد باسل وقد تحولت المواجهات إلى شبه حرب شوارع، ومن شارع إلى شارع، ومن حارة إلى حارة، ومن زقاق إلى زقاق، وكان الرصاص وقنابل الغاز المسيل للدموع يُوجه إلى رؤوس وصدور أبطال الانتفاضة، ولكن صيحات "الله أكبر" كانت تهز كل القرية وتغطي على صوت الرصاص، وكيف له أن يتردد في خوض المواجهات وقد تأثر بأبيه وأعمامه وأخواله الذين كان لهم دور بارز في العمل الجهادي والوطني،

حيث كانوا من نشطاء حركة فتح، ولذلك كان من الطبيعي للمجاهد باسل أن يكون من ضمن براعم حركة فتح في مجموعة الشهيدة دلال المغربي؛ ليكون إلى جانب أبطال قرية صيدا متصدرًا المشهد الكفاحي والنضالي في ذلك الحي إلى جانب البطلين شفيق عبد الغني وأنور عبد الغني، وكانا حينها ينتميان إلى حركة الجهاد الإسلامي، وكذلك المجاهدون رائد عجاج وأحمد فتحي عجاج وزاهر الأشقر وساهر عجاج، وهؤلاء جميعهم كان لهم دور بارز فيما بعد في انتفاضة الأقصى باستثناء المجاهد ساهر الذي انتمى إلى كتائب شهداء الأقصى، وحتى عندما تم اعتقال المجاهدين شفيق وأنور وأحمد فتحي لعدة مرات، ورغم تعرضهم للإصابات ولرصاص الجيش الصهيوني إلا أن المجاهد باسل لم يكن ليتخلى عن مقارعة الجيش الصهيوني، وذاع صيت هذا البطل وصيت عائلته رمز النضال وأصبح منزله مأوى للمطاردين من أبناء عائلته.

الأسير القائد/ باسل مخلوف
برفقة والدته الصابرة خلال زيارتها له في السجن

وعندما كان المجاهد باسل يشاهد المطاردين يحملون السلاح كان يشعر بنشوة تتأجج في نفسه، وعندما أُصيب أحد أبطال الفهد الأسود وهو المجاهد عقاب من بلدة فحمة بمحافظة جنين بدأ حينها المجاهد باسل يُضمد جراحه ويقوم بالاعتناء به إلى أن شُفي من إصابته، وكان المجاهد باسل عادة يخرج معهم في عروضاتهم العسكرية وباسم حركة فتح في قرية صيدا، ولحبه الشديد للسلاح بدأ يبحث عن طريقة يحصل بها على السلاح، فوجد ضالته في صديقه وصديق عمره المجاهد جاسر رداد (أبو الليث) حيث تمكنا من تصنيع مسدس عبارة عن "دفاش" مكون من ماسورة حديد، يتم تصنيعه على شكل مسدس، وأخذ عهدًا على نفسه بأن يستخدمه ضد العدو الصهيوني.

الأسير القائد/ جاسر رداد
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 15/02/2002م

بداية نشاطه الجهادي

وفي ذكرى يوم الأرض ذهب المجاهد باسل إلى بلدة عتيل وأطلق النار على الإدارة المدنية المتواجدة هناك، وكان حينها المجاهد جاسر يعتبر من أهم أبطال الجهاد الإسلامي في قرية صيدا، والمجاهد باسل ينتمي لحركة فتح إلا أن المقاومة ونصرة الانتفاضة ومقارعة العدو الصهيوني توحد الفصائل الفلسطينية كما جمعت بين المجاهدين

جاسر وباسل، واستمر أبطال قرية صيدا ومن كل الفصائل في التصدي لممارسات العدو الصهيوني، وفي بداية التسعينات تم إنشاء مجموعة في قرية صيدا، وتسميتها بمجموعة "الكوماندوز" حيث أشرف عليها المجاهدان الجهاديان شفيق عبد الغني وأشرف عجاج، يساندهما ويعاونهما المجاهد باسل، وكان مهمتها التصدي لتوغل قوات الاحتلال ورمي قوات الاحتلال بالحجارة من شارع إلى شارع ومن حارة إلى حارة، وقاموا برفع الأعلام الفلسطينية فوق كل مكان مرتفع جدًا من جبل إلى جبل. وكان العلم الفلسطيني إلى جانب العلم العراقي حيث في ذلك الوقت كان الرئيس العراقي صدام حسين قد أصدر قراره بإطلاق الصواريخ على الكيان الصهيوني، وكان منظر الأعلام منظرًا جميلًا يعبر عن مدى العلاقة الفلسطينية العراقية، فكانت هذه الأعلام يمكن مشاهدتها من الأراضي المحتلة عام 1948م، وخاصة من مدينة الخضيرة المحتلة، وما هي إلا بضع سنين حتى بدأت منظمة التحرير الفلسطينية مفاوضتها مع الكيان الصهيوني؛ ليتوجوا مباحثاتهم ومفاوضاتهم بإقامة السلطة الفلسطينية على الأراضي التي يقوم الكيان الصهيوني بالانسحاب منها، وهذا الأمر لم يكن ليعجب المجاهد باسل الذي قدم استقالته من حركة فتح، وكان ذلك في العام 1994م ليتفرغ لإكمال دراسته ومساعدة والده في أعمال الزراعة، وما أن جاء العام 1995م حتى سمع خبر استشهاد الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الدكتور فتحي الشقاقي فحزن عليه كثيرًا لاسيما أنه كان يعلم عنه الكثير من حديث أصدقائه شفيق وأنور عبد الغني وجاسر رداد وأحمد عجاج، وما أن شعر بتحسن وضعه المالي حتى قرر أن يتزوج، وكان ذلك في العام 1997م، ورزقه الله مولودته البكر (آية) في العام 1998م فأدخلت إلى بيته حينها الفرحة والسرور.

الأسير القائد/ باسل مخلوف
برفقة أطفاله قبل اعتقاله (أرشيف الأسرة)

بدأ مجاهدنا الكبير باسل العمل في مجال "الشايش" من أجل تحسين وضع عائلته المادي خصوصًا بعد ميلاد طفلته آية، وما هي إلا سنتان حتى تفاجأ العالم والشعب الفلسطيني بأن الآمال والطموحات والأحلام التي كان يبنيها الشعب الفلسطيني واللاجئون بإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف على حدود الخامس من يونيو (حزيران) 1967م قد ذهبت أدراج الرياح، مما أدى إلى اندلاع انتفاضة الأقصى في سبتمبر (أيلول) من العام 2000م، وشارك بها الأشبال والشيوخ والشباب والنساء والغني والفقير وكل فئات الشعب الفلسطيني؛ رفضًا لاستمرار الاحتلال الصهيوني الجاثم على أرضنا الفلسطينية منذ عشرات السنين، وبدأت الفصائل الفلسطينية في تحويل الانتفاضة الفلسطينية من الحالة الشعبية

الجماهيرية إلى مرحلة عسكرة الانتفاضة. فما كان من المجاهد البطل باسل مخلوف إلا الانحياز الكامل إلى صفوف الانتفاضة الفلسطينية، وانتمى لصفوف سرايا القدس (الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي) بمساعدة المجاهد أحمد عجاج الذي بذل جهدًا كبيرًا في تدريبه على استخدام السلاح، وكيفية إطلاق النار من سلاح من نوع (M16)، وكان هذا الأمر يتم بشكل سري وبعيدًا عن عيون عامة الناس في منطقة جبلية بين قرية صيدا وبلدة كفر راعي، ليبدأ مشواره الجهادي والعسكري في سرايا القدس إلى جانب المجاهدين في قرية صيدا الصمود.

أعماله العسكرية

شارك المجاهد باسل مخلوف مع المجاهدين أحمد فتحي عجاج وزاهر الأشقر ورائد عجاج، بإطلاق النار ضد دورية صهيونية للاحتلال على مثلث بلدة عتيل بمحافظة طولكرم، علمًا بأن المجاهدين زاهر ورائد كانا ينتسبان إلى قوات البحرية في السلطة الفلسطينية، واستقالا منها، ولديهما الخبرة الكبيرة في عملية التدريب على السلاح واستخدامه، بالإضافة للمهارات القتالية الأخرى، وكانا ضمن مجموعات ضرب الحجارة في الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وكان المجاهد باسل يعمل في صفوف سرايا القدس ضمن المجموعة الجهادية والعسكرية في قرية صيدا، والتي تتكون من المجاهد أنور عبد الغني الذي أرسى قواعد حركة الجهاد الإسلامي في قرية صيدا في الانتفاضة الأولى وشقيقه شفيق عبد الغني، وأحمد ورائد عجاج، وكانت هذه المجموعة على اتصال مباشر مع مؤسس سرايا القدس في محافظة طولكرم المجاهد القائد أسعد دقة، وكان ذلك يتم عبر منسق المجموعة المجاهد أحمد فتحي عجاج حيث استطاع في ذلك الوقت أن يُعرّف المجاهد باسل بالقائد أسعد دقة بعد هروبه من سجن السلطة وأثناء تواجده عند المجاهد أحمد فتحي عجاج.

والعمل الثاني للمجاهد باسل هو عبارة عن عملية مزدوجة عبر تفجير عبوة ناسفة، ثم اشتباك مسلح، ففي شهر رمضان المبارك من العام 2001م استطاع المجاهدون شفيق وأنور عبد الغني وأحمد عجاج، بالإضافة إلى المجاهد البطل باسل مخلوف زرع عبوة ناسفة لإحدى الدوريات الصهيونية في منطقة تقع بين باقة الشرقية وقفين، وما أن تم تفجير العبوة الناسفة بالدورية الصهيونية حتى بادر المجاهدون بإطلاق النار على هذه الدورية الصهيونية من أسلحتهم الرشاشة من نوع كلاشنكوف وأيضًا سلاح من نوع (M16)، وتمكنوا بفضل الله _عز وجل_ من الانسحاب من المكان،

الأسير القائد/ باسل مخلوف
محاطاً بكوكبة من الشهداء القادة في سرايا القدس

وكانت معنوياتهم مرتفعة تناطح عنان السماء ولاسيما عند مشاهدتهم الجنود الصهاينة وهم فزعون مرعوبون خائفون لما رأوه من عزم وجرأة وإقدام لهؤلاء الأبطال واستبسالهم في الاشتباك المسلح.

وبدأت أعمالهم تتسع شيئًا فشيئًا، وقد حصلوا على عبوتين ناسفتين من المجاهد أنور عليان؛ ليقوموا بزراعتهما في كمين للقوات الصهيونية، وبدأت هذه المجموعة في تعزيز نشاطها العسكري عبر تعزيز التنسيق والتواصل مع قيادة وكوادر سرايا القدس في معظم المناطق حيث تمكن المجاهد باسل من التعرف على المجاهدين وائل عساف ونبيل مغير ومحمود عارضة، أثناء لقاء قائد المجموعة المنسق المجاهد أحمد فتحي عجاج مع القائد العام لسرايا القدس بمنطقة طولكرم القائد أسعد دقة، وكان المجاهد باسل مخلوف سائق السيارة التي أقلت المجاهد أحمد عجاج وأسعد دقة إلى بلدة عرابة بمحافظة جنين، ومن ثم أصبحت العلاقة أكثر قوة مع القائد أسعد، وهذا ما مكنه حينها من التعرف على المجاهدين أنور عليان ومحمود كليبي والمجاهد فادي البهتي من ضاحية شويكة بمحافظة طولكرم، وأصبح التنسيق أكثر حيوية وأكثر قوة بين المجاهدين وسط تعليمات واضحة من قبل القائد العام لسرايا القدس أسعد دقة الذي لم يكن ليتساهل مع أحد من المجاهدين في حال ارتكابه أخطاء، حيث في أحد الأيام وأثناء مهمة عسكرية قام بها المجاهد باسل مخلوف إلى جانب المجاهدين زاهر الأشقر ورائد عجاج وأحمد عجاج بإطلاق النار على مثلث باقة الشرقية، وأثناء تنفيذ هذه العملية تم فقدان مخزن رصاص من قبل المجاهد زاهر أثناء مرورهم عبر الجبال، وعادوا من العملية وأخبروا القائد أسعد دقة بذلك، فتم معاقبتهم على ذلك بسحب السلاح منهم لمدة ثلاثة أيام وأمرهم بالعودة للبحث عن مخزن الرصاص؛ ليعطيهم درسًا في الحفاظ على السلاح لما له من أهمية في أي معركة تواجههم، وكان للقائد أسعد القدرة الغريبة والعجيبة في الاستحواذ على حب المجاهدين رغم قسوته عليهم أحيانًا لما يتحلى به من صفات جهادية وإنسانية عظيمة.

وبسطوع نجم القائد أسعد دقة عبر عملياته وبطولاته قام العدو الصهيوني باغتياله بتاريخ 12/ 09/ 2001م في بلدة عرابة بمحافظة جنين ومعه المجاهدان سفيان عارضة ووائل عساف والطفلة بلقيس عارضة حيث كانت مجزرة بكل معنى الكلمة،

الشهيد القائد/ أسعد دقة (يمين)
برفقة الشهيدين المجاهدين وائل عساف وسفيان عارضة

وخرجت جماهير بلدة عرابة بكافة شبابها ونسائها ورجالها لتشييع جثامين الأبطال، وكانت طولكرم تنتظر حينها وصول جثمان القائد أسعد دقة لدفنه

في مسقط رأسه في بلدة عتيل بمحافظة طولكرم، إلا أنه لم يجرؤ أحد على حمل جثمان القائد وإخراجه من بلدة عرابة إلى طولكرم؛ لشدة الإجراءات الصهيونية الأمنية ولكثرة انتشار القناصة، فتقدم حينها المجاهد الكبير جاسر رداد رفيق درب الشهيد أسعد دقة وأخذ على عاتقه بأن يأتي بجثمان الشهيد أسعد دقة من بلدة عرابة، وبالفعل صدق الله بعمله فصدقه الله بتمكينه من دخول بلدة عرابة وحمل جثمان القائد أسعد والتوجه به إلى بلدة عتيل التي كانت تنتظره في الشوارع والطرقات للتشييع، وانطلقت التكبيرات وصوت الهتافات التي تدعو سرايا القدس للانتقام من العدو الصهيوني عبر عمليات مزلزلة كالعملية التي نفذها الاستشهادي عبد الفتاح راشد بتاريخ 09/ 09/ 2001م، في مفترق بيت ليد في قلب الكيان الصهيوني، وهو من سكان قرية ارتاح بمحافظة طولكرم، وأشرف على هذه العملية التي نفذها الاستشهادي عبد الفتاح بواسطة سيارة مفخخة كل من المجاهدين الشهيد القائد أسعد دقة ومهندس المتفجرات إياد صوالحة والقائد زيد بسيسي، وكان لابد من قائد جديد يحمل الراية بعد استشهاد القائد أسعد دقة فتقدم المجاهد القائد زيد بسيسي ليصبح قائد سرايا القدس في محافظة طولكرم.

وقد تمكن في ذلك الوقت المجاهد باسل مخلوف من التعرف على المجاهد زيد بسيسي عندما كان بصحبة المجاهدين جاسر رداد وعمار قزموز وفادي البهتي في بيت الشهيد أشرف البردويل في مخيم نور شمس، وبعدها تمكن المجاهدون باسل مخلوف وجاسر رداد وعمار قزموز وفادي البهتي ومعهم عدد من أبطال كتائب القسام وكتائب شهداء الأقصى بالاشتباك مع دبابة صهيونية عند جامعة خضوري في طولكرم، وتفاجأ المجاهدان في اليوم التالي بنزول صورة المجاهدين وهم يشتبكون مع الجيش الصهيوني على الجريدة، حيث كانت صورة المجاهد باسل على صحيفة الأيام، وصورة المجاهد جاسر رداد على صحيفة الحياة، وكان لابد حينها من الرد على جريمة اغتيال قائدهم الشهيد أسعد دقة.

عمليات الرد على اغتيال القائد أسعد دقة

الرد الأول: قام المجاهد باسل ومعه المجاهدون شفيق عبد الغني وأحمد عجاج ورائد عجاج بالتخطيط لعملية إطلاق نار حيث حاولوا تنفيذ عملية إطلاق نار على مستوطنة قريبة من قرية زيتا بمحافظة طولكرم، وكانت وظيفة المجاهد أحمد عجاج التغطية عليهم ورصد تحركات الجيش الصهيوني، ولكنهم قبل بدء العملية تفاجئوا بوجود الجيش الصهيوني في القرية وتم محاصرة منازل المجاهدين خالد أبو العز وسائد مصيعي، وكانا من المجاهدين المطلوبين للعدو الصهيوني ويتبعان لسرايا القدس؛ ولذلك تم إلغاء هذه العملية، وأثناء عودتهم وفي ساعات الفجر الأولى تفاجئوا بوجود دورية صهيونية عند مسجد بلدة عتيل، ودار الاشتباك المسلح بينهم وبين الجنود الصهاينة، وبذلك عوضهم الله عز وجل عن إلغاء تلك العملية.

الأسير القائد/ باسل مخلوف
في موقع اشتباك مع قوات الاحتلال (2001م)

الـرد الثـاني: في أواخـر العـام 2001م قـام المجاهـد باسـل مخلـوف باسـتلام عبوتـين ناسـفتين من القائـد زيـد بسيسي وزراعـة إحداهما على جانب الشـارع في مدخـل قريـة قفـين، وكان دور المجاهدين شـفيق عبـد الغنـي وباسـل عجـاج وأحمـد عجـاج تفجير العبـوة الناسفة مع إطلاق النار بحيث يقـوم المجاهـد أحمد عجـاج بتفجير العبـوة، ومن ثـم يقـوم المجاهـد باسـل بالتغطيـة عـبر إطـلاق النـار، وأمـا المجاهـد شـفيق فمهمتـه إطـلاق النـار مبـاشرة بعـد عمليـة التفجـير، وكان سـائق السـيارة المجاهـد أنـور عبـد الغني، وأما موكـب الصهاينة فكان يتألـف من سـبع سـيارات، أول هـذا الموكـب جيـب عسـكري صهيـوني وآخره جيـب عسـكري صهيـوني، وبتوفيـق من الله ـعز وجل ـ تم تنفيـذ العمليـة كما خطط لها بدقـة متناهيـة وأصيـب الموكـب إصابـة مباشرة. وقـام المجاهـد باسـل بالتغطيـة بإطـلاق النـار مـن سـلاح (M16)، وسرعـان مـا انتـشرت القـوات الصهيونيـة في المكان، وحلقت الطائـرات المروحيـة فـوق منطقـة النزلـة الشرقيـة للبحـث عـن المجاهديـن الذيـن تمكنـوا بعـد العمليـة مـن الانسـحاب بسـلام، وتـم الإعـلان عنهـا باسـم سرايا القـدس لتكـون ردًا أوليًا عـلى اغتيال القائـد أسـعد دقـة.

الـرد الثالـث: تمكـن المجاهـدون شـفيق وأنـور وأحمد مـن زراعـة عبـوة ناسـفة لمجنـزرة صهيونيـة عند حـاووز المـاء في بلـدة عتيـل، وأدت عمليـة التفجير إلى إعطـاب هـذه المجنـزرة وتـم الإعـلان عنهـا باسـم سرايا القـدس ردًا عـلى اغتيـال القائـد أسـعد دقـة.

الـرد الرابـع: اسـتطاع المجاهـدون أحمـد عجـاج وشـفيق وأنـور إصابـة جنـدي صهيـوني عنـد مثلـث بلـدة عتيـل أثنـاء مـرور دوريـة صهيونيـة راجلـة للجيـش الصهيـوني الذيـن كانـوا يقومون بعمليـة شراء حاجاتهـم الخاصـة، وانسـحبوا مـن المكـان بسـلام.

الـرد الخامـس: مقتـل جنـدي صهيـوني وإصابـة آخـر بجـراح خطـيرة في قريـة باقـة الشرقيـة بمحافظـة طولكـرم حيـث في يـوم 29/ 11/ 2001م اسـتطاعت المجموعـة المكونـة مـن المجاهديـن باسـل مخلـوف وأحمـد عجاج وجاسر رداد بالتخطيط لعملية إطـلاق النـار عـلى هـدف صهيـوني، في منطقـة باقـة الشرقيـة حيـث تـم رصـد ومتابعـة تحـركات جنديـين صهيونيـين بالقـرب مـن سـاحة مسـجد باقة قبـل موعد آذان الإفطـار بقليـل، وكان المجاهدون في داخل سيارة يقودهـا المجاهـد أحمـد عجـاج ويحمـل سـلاحًا مـن نوع مسـدس ويجلـس في الأمـام إلى جانبـه المجاهـد جاسر رداد، ويحمـل سـلاحًا مـن نـوع (M16)، بينـما يجلـس في الخلـف المجاهـد باسـل ويحمـل أيضًـا سـلاحًا مـن نـوع (M16)، وقـرروا أن ينفـذوا العمليـة وبـأسرع

وقت على الرغم من قرب موعد أذان المغرب، وكان يومهم الرمضاني شاقًا إلا أنهم أصروا على تنفيذ العملية وهم صائمون علهم يلقون الله شهداء وهم صائمون ليدخلوا الجنة من باب الريان. وتقدم الأسود الثلاثة نحو الهدف، وما أن اقتربوا من الجنود الصهاينة حتى بادر المجاهد باسل وصوب سلاحه تجاه الجنود، وأطلق عليهم الرصاص بشكل أوتوماتكي ومن مسافة ثلاثة أمتار، ولحق به المجاهد جاسر رداد (أبو الليث)، وكان المجاهدون في داخل السيارة التي يقودها الشهيد أحمد عجاج، وكانت الخطة إضافة إلى قتل الجنود أيضًا خطف أسلحتهم إلا أنهم لم يكونوا على علم بوجود القناصة في المكان وعلى سطح المنزل المجاور، ولذلك لم يتمكنوا حينها من خطف السلاح، وهنا بدأ الجيش الصهيوني بإطلاق النار عليهم بشكل مكثف مما اضطرهم إلى أن يقوموا بالانسحاب من مكان العملية وبسرعة كبيرة جدًا، وتعرضت سيارتهم لثلاث رصاصات، ولكن حفظ الله لهم، ثم معرفة الشهيد أحمد عجاج بالطرق الفرعية أوصلهم إلى مكان آمن، واحتضن المجاهد باسل المجاهدين أحمد وجاسر قائلًا لهم وباكيًا من الفرح: ها نحن يا إخوتي قد أوفينا بوعدنا وانتقمنا لدماء الشهيد القائد أسعد دقة، لقد رسم المجاهد باسل هذه العملية في بيتين من الشعر العامي:

نحن الذي عرفتنا الناس
وخضعت لنا رقاب الأنجاس
في باقة كانت العملية
سرايا القدس كانت الخلية
أحمد عجاج على البنزين داس
وجاسر أمر بإطلاق الرصاص
باسل من الفرح بكى
لثأرك يا أسعد دقة

لقد أقسم المجاهد باسل على الثأر لدماء القائد أسعد دقة عندما كان يحمل نعشه في بلدة عتيل، وعادوا بعد هذه العملية إلى قرية صيدا بأمن وسلام مفتخرين بقتل الجندي الصهيوني وشلل الجندي الآخر، واتصل حينها المجاهد جاسر على قيادة الحركة في الخارج معلنًا مسئولية سرايا القدس عن هذه العملية الرمضانية الجريئة، ولم يكتف المجاهد باسل بذلك، بل استطاع توسيع نطاق عمله في سرايا القدس حيث بعد فترة من الزمن تمكن ومعه المجاهدان زيد بسيسي وجاسر رداد من إيصال قذائف إلى المجاهدين القادة معتصم حماد وإياد صوالحة المتواجدين في قرية عنبتا، وذلك لإخراج مادة (T.N.T) منها وإعادة تصنيعها من جديد، وبنفس الوقت تمكن المجاهد القائد زيد بسيسي من الحصول على عبوتين ناسفتين منهم، ونقلها إلى قرية رامين لاستخدامها ضد الجيش الصهيوني.

الرقيب أول الصهيوني "يارون بيخولتز" قتل في الاشتباك المسلح بتاريخ 29/11/2001م

إصابة جندي صهيوني قبل اعتقال المجاهد باسل بأسبوع

في ذلك الأسبوع، في يوم الجمعة، كانت حفلة خطبة شقيقة المجاهد باسل الوحيدة، وبينما الحفلة قائمة إذا بدبابة صهيونية ودوريات عسكرية تقترب من القرية فهب حينها المجاهد باسل مسرعًا للدفاع عن بلدته، وترك مراسم خطبة أخته الوحيدة، وعندما اشتبك المجاهدون أبناء سرايا القدس مع الجيش الصهيوني، أدى ذلك لإصابة جندي صهيوني وإعطاب جيب عسكري، وبدأت حينها تأتي التعزيزات الصهيونية لكي تستطيع سحب جنودهم وآلياتهم العسكرية التي كانت في مرمى رصاص المجاهدين. وما أن خرجت القوات الصهيونية من قرية صيدا، حتى عاد المجاهد باسل ليكمل مراسم خطبة أخته فوجدها قد انتهت، فحزن حينها لعدم الوقوف في ذلك الوقت إلى جانب أخته، وما هي إلا لحظات حتى أيقن أن ما فعله هو الصواب حيث آثر الجهاد في سبيل الله، ورد كيد المعتدي على مشاركته أخته الفرحة في خطبتها.

يوم الجمعة الأسود

قامت سرايا القدس بتنظيم عملية مناوبة للحراسة لقرية صيدا خشية من اجتياح القوات الصهيونية أو تسلل قوات المستعربين إلى داخل القرية، وكان في ذلك اليوم دور المناوبة قد وقع على المجاهد باسل والمجاهد أحمد عجاج الذي كان يومها مرهقًا ومتعبًا جدًا، فاختار مجاهد آخر من سرايا القدس ليحل مكان المجاهد أحمد عجاج،

مجموعة من مجاهدي سرايا القدس
في حراسة ليلية ببلدة صيدا بطولكرم (2001م)

وكان الطقس شديد البرودة والمجاهدون يحملون سلاحهم من نوع (M16)، وأراد المجاهد باسل أن يشرب كأسًا من الشاي الدافئ في أحد البيوت المجاورة، وشعر أن هناك أمرًا غريبًا يحدث، وما هي إلا لحظات حتى بدأت القوات الصهيونية بمحاصرة ذلك المنزل الذي يتواجد به المجاهد باسل، وبدأوا بإطلاق النار عليه وتسليط أضواء الكشافات الكبيرة باتجاهه، وعندها تمكن المجاهد أحمد عجاج من الانسحاب من المكان الذي كان يتواجد به، وقبل هذا الحصار الصهيوني بوقت قصير كان المجاهد باسل على تواصل مع المجاهد جاسر رداد حيث يتواجد خارج القرية، وكان يريد منه تأمين مبلغ من المال من أجل شراء السلاح، وقال للمجاهد جاسر: "متى تواجدت في البلد اتصل بي". وبعد ذلك تفاجأ بحصار المجاهد باسل فقام بالاتصال بالمجاهد رائد عجاج وأبلغه بما يجري معه، وأصبح المجاهد باسل بين خيارين إما الاستشهاد وإما التسليم بسبب خشية أصحاب المنزل على أنفسهم وعلى أولادهم وعلى منزلهم، وبات في حيرة من أمره: هل يقاوم حتى الرمق

الأخير؟ وإن هدم المنزل على من فيه سيموتون شهداء؟ أم يستسلم وينقذ حياة كل الذين في المنزل؟ وفي هذه الأثناء كان يقف ثلاثة جنود خلف المنزل، وكانوا في مرمى رصاص المجاهد باسل، فهيأ نفسه لإطلاق النار عليهم، وما أن همَّ بذلك حتى سارع إليه أصحاب المنزل محاورين إياه حول خطورة ذلك عليهم، وعلى الأطفال والنساء في المنزل فتوقف عن ذلك، واقترح حينها على أصحاب المنزل الخروج منه ليشتبك مع العدو الصهيوني إلا أن الأمور سارت باتجاه آخر، حيث أرسل الجيش الصهيوني ابن عم المجاهد باسل طالبًا منه أن يسلم نفسه أولًا، وعدم إخراج أهل البيت، وإلا فإنهم سيتعرضون لإطلاق النار، وهنا كان لابد من حسم المسألة فقام بإخفاء السلاح، واتصل بعائلته أثناء محاصرته وتحدث مع زوجته فأبلغته بوجود محمد أخيه الذي كان مطلوبًا للعدو الصهيوني وابن خاله المطارد، ثم فكر بتغيير اسمه، لكنه لم ينجح بذلك عندما تم إلقاء القبض عليه حيث سأله الجنود الصهاينة حينها هل هذا بيتك؟ وهل هو مكتب للتنظيم؟ ثم قيدوه وهو يسمع صوت الاشتباكات وصوت مكبرات الصوت وهم ينادون على أخيه المجاهد جاسر رداد لتسليم نفسه، فتفاجأ من الأمر بوجود المجاهد جاسر في قرية صيدا؟! ثم وضعوا المجاهد باسل في بناء مهجور مقيد اليدين وعلى عينيه عصبة، ومن ثم أدخلوه بالدبابة الصهيونية، فإذا به يلتقي بعدد من المعتقلين معه من الجهاد الإسلامي ومنهم المجاهد مصطفى عبد الغني الذي أبلغ المجاهد باسل حينها النبأ الأصعب في حياته وهو نبأ استشهاد القائد أنور عبد الغني. فتذكر حينها الحوار الذي دار بينهما قبل أيام من استشهاده حول أول شهيد سيرتقي في قرية صيدا، فقال له القائد أنور: "لدي إحساس قوي أنني أول شهيد سيكون في قرية صيدا إن شاء الله"، فوعده المجاهد باسل: إن حدث ذلك فسأثأر لك بإذن الله.

الشهيد القائد/ أنور عبد الغني
استشهد بتاريخ 15/ 02/ 2002م

اعتقاله والحكم عليه

فيا سبحان الله! صدق الله فصدقه الله باتخاذه شهيدًا في 15/ 02/ 2002م فكان له ما تمنى بأن يكون أول شهيد في قرية صيدا، فكيف إذن سيثأر المجاهد باسل لروح الشهيد أنور كما وعده، وكان يسمع خبر استشهاده وهو في داخل الدبابة

الصهيونيـة، وهنـا تدخـل المجاهـد مصطفـى بعدمـا أبلغـه باستشـهاد القائـد أنـور، وأبلغـه بمقتـل مسـؤول وحـدة الدوفدفـان "المقـدم إيـال فايـس" تحـت سـور البيـت، فـكان الـرد الإلهـي كرامـة للشـهيد ومصداقًـا للمجاهـد الـذي كانـت نيتـه الصادقـة الانتقـام للشـهيد، مصداقًـا لقولـه تعـالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: 23]، وبعـد اعتقـال المجاهديـن باسـل وجـاسر تـم اقتيادهـما إلى مركـز الجيـش الصهيـوني في باقـة الشرقيـة، واتفـق المجاهـد باسـل مـع المجاهـد جـاسر في حـال التحقيـق معهـما بأنهـما لا يعرفـان بعضهـما بعضًـا، وكان حينهـا المجاهـد جـاسر مصابًـا في كل أنحـاء جسـده نتيجـة انهيـار البيـت عليـه عندمـا حاولـت الجرافـات الصهيونيـة هـدم المنـزل فـوق رأسـه، وتـم تجريـده مـن ملابسـه خوفًـا مـن أن يكـون عـلى وسـطه حـزام ناسـف، وكانـا مقيـدي الأيـدي ومعصـوبي الأعـين، وهنـاك حدثـت مناوشـات بـين المجاهـد باسـل وبـين الجيـش الصهيـوني لرفضهـم إعطاءهـما المـاء، وقـول أحـد الجنـود الصهاينـة لأحـد المعتقلـين: "اشرب مثـل الكلـب"، فـرد عليـه المجاهـد باسـل إن كنـت رجـلًا فـك قيـودي كـي أريـك مـاذا سـأفعل بـك؟، رد عليـه باللغـة التـي يفهمهـا ممـا جعلـه يغـير مـن أسـلوبه مـع المجاهديـن ويقـول للجنـدي الـذي معـه إنـه يفهـم اللغـة العبريـة، فقـال للمجاهـد باسـل: اشرب يـا صاحبـي! فـرد عليـه المجاهـد باسـل: أنـا لسـت صاحبـك، وتركهـما الجنـود جالسـين عـلى الأرض حتـى تـم تسـليمهما إلى قـوات "النحشـون" الصهيونيـة. ومـن ثـم تـم نقـل المجاهـد جـاسر إلى مستشـفى الخضـيرة، وأخـذوا كل معتقـل إلى جهـة مجهولـة، وجـزء منهـم عـلى مركـز تحقيـق "عوفـر"، واسـتمروا بالسـير بهـم مـن يـوم السـبت حتـى صبـاح اليـوم التـالي، وفي "عوفـر" تـم خلـع ملابسـهما كلهـا باسـتثناء الملابـس الداخليـة، ووضعوهـما في سـاحة كبـيرة وهـم يرتجفـان مـن شـدة الـبرد ويشـعران بـأن الـدم قـد تجمـد في عروقهـما، إضافـة إلى إسـماعهما الـكلام البـذيء والسـخرية منهـم، ثـم أدخلوهـما إلى زنازيـن تدلـف بالمـاء، ولا تتسـع لأكـثر مـن اثنـين ومـع ذلـك يضعـون بهـا العـدد الـذي يريـدون ووضعـوا حينهـا المجاهـد باسـل مـع المجاهـد جـاد رداد، وغطـوا نفسـيهما معًـا في بطانيـة واحـدة كانـت رائحتهـا كريهـة ونتنـة مليئـة بالقيـح والرطوبـة العفنـة.

والتقـى المجاهـد باسـل في هـذه الظـروف مـع ابـن عمـه أشرف، فبـدأ يواسـيه في محنتـه ناسـيًا مـا هـو فيـه، وفي يـوم الأربعـاء أخرجـوه مـن الزنازيـن في وقـت العـصر ووضعـوه في سـيارة عسـكرية صهيونيـة، ومـا هـي إلا سـاعات فـإذا هـو بـين أيـدي محققـي جهـاز الشـاباك الصهيـوني في مركـز تحقيـق الجلمـة.

بـدأ جهـاز الشـاباك التحقيـق مـع المجاهـد باسـل حـول انتمائـه لحركـة الجهـاد الإسـلامي، واسـتخدموا معـه أسـاليب شـتى مـن العنـف الجسـدي ومحـاولات الترهيـب والترغيـب دون أن يتمكنـوا مـن سـحب اعـتراف منـه، وسـأله أحـد المحققـين: مـن تعـرف مـن الجهـاد الإسـلامي في بلدكـم؟ فـرد عليـه: الشـهيد أنـور عبـد الغنـي فقـط، ثـم تابـع وسـأله: كيـف عرفتـه؟ فأجابـه: أثنـاء كتابتـه للشـعارات الوطنيـة في الانتفاضـة الأولى عندمـا كان ملثـمًا ولـه إعاقـة في رجلـه يعرفهـا النـاس، وبـدأوا يلمحـون

لـه حـول عمليـة قفـين دون جـدوى، فقـرر جهـاز الشـاباك إرسـاله إلى غـرف العصافـير.

بعـد فشـل الشـاباك في الحصـول مـن المجاهـد باسـل عـلى أي معلومـة تفيدهـم أرسـلوه إلى قسـم العصافـير، حيـث التقـى هنـاك مـع الأسـير المحـرر سـاهر ياسـين مـن بلـدة عتيـل، وصليـا حينهـا معًـا قيـام الليـل متضرعـين إلى الله أن يخفـف عنهـما مصابهـما، وفي صبـاح اليـوم التـالي تـم نقـل المجاهـد سـاهر، وبـدأت هنـاك أسـاليب المكـر والخـداع حيـث جـاء مسـؤول العصافـير الـذي يزعـم بأنـه مسـؤول الجهـاد الإسـلامي، فقـال للمجاهـد باسـل: أنـت يـا بطـل في مجموعـة رائعـة، فهـل تريـد إبـلاغ أي شيء لأحـد في الخـارج؟ بعـد الترحيـب بالمجاهـد وأفعالـه ومـا تريـد أن توصلـه إلى الشـباب في الخـارج بـما اعترفـت بـه مـن العمليـات عنـد الشـاباك لكـي يسـتطيعوا تفـادي مـا لم يعرفـه الشـاباك، فقـال لـه المجاهـد باسـل: أريـد الاتصـال بالمجاهـد أحمـد عجـاج لإبلاغـه عـن عبـوات ناسـفة مـن أجـل أن يأخذهـا ويحتفـظ بهـا، فأجابـه هـذا المسـؤول غـدًا سـوف نوفـر لـك الاتصـال، ولكـن حاليًـا التنظيـم يريـد منـك أن تحدثهـم عـن جهادكـم وبطولاتكـم، وهنـا تمكنـوا مـن خداعـه واعـترف عـن عمليـة باقـة الشرقيـة، ومـا هـي إلا سـاعات فـإذا بـه يعـود إلى غـرف التحقيـق في الجلمـة، وأدرك حينهـا أن هـذا المسـؤول الـذي عـرف عـن نفسـه بأنـه مسـؤول الجهـاد الإسـلامي هـو كبـير العمـلاء وأن كل الذيـن كانـوا في غـرف العصافـير هـم عمـلاء، وقـرر في هـذه الحالـة أن يتراجـع عـن أقوالـه، فأقدمـوا عـلى شـبحه يومـين وسـط أجـواء قاسـية جـدًا للضغـط عليـه بالاعـتراف، فاضطـر حينهـا للاعـتراف ونقلـوه لغرفـة أخـرى مبـاشرة، وحـاول أن يخـدع المحققـين بـأن الذي نفـذ عمليـة باقـة الشرقيـة هـو المجاهـد باسـل والشـهيد أنـور عبـد الغنـي والشـهيد أحمـد عجـاج وتجنـب حينهـا الاعـتراف عـلى المجاهـد جـاسر رداد، فلـم يقتنـع المحقـق بذلـك، وأصروا عـلى مشـاركة المجاهـد جـاسر بالعمليـة، فتمـت هنـا عمليـة المواجهـة بـين المجاهديـن باسـل وجـاسر وهـذا أسـلوب مـن أسـاليب الشـاباك، وأحـضروا صـورة للمجاهـد باسـل موجـودة في صحيفـة الأيـام مكتوبًـا عليهـا المقـاوم الفلسـطيني يتحـدى جنـود الاحتـلال.

وقـد اعـترف المجاهـد جـاسر عـلى عمليـة قفـين وليتجنـب الاعـتراف عـلى عمليـة باقـة الشرقيـة مـن أجـل أن يلتقـط أنفاسـه؛ لشـدة الضغـط الـذي مارسـه "الشـاباك" عليـه رغـم أن جسـده مـليء بالإصابـات، ثـم أحـضروا لـه صـورة للمجاهـد جـاسر والدمـاء تغطـي عينيـه قائلـين لـه بأنهـم قامـوا بالتحقيـق مـع جـاسر عسـكريًا بمعنـى أنهـم سـلخوا جلـده عـن عظمـه، وتمـت المواجهـة مـرة أخـرى مـع المجاهـد جـاسر، وعلـم حينهـا أن الموضـوع قـد انتهـى وأن المجاهـد جـاسر قـد اعـترف، ولذلـك لم يكـن بيـده سـوى الاعـتراف، ولم يكتـف المحققـون بذلـك، وأراد المحققـون المزيـد والمزيـد، وتـم التحقيـق معهـما عـن عمليـة "بثـان" والتـي قتـل فيهـا جنـود صهاينـة في بدايـة سـبتمبر (أيلـول) مـن العـام 2001م، والتـي لم يكـن لـه أي علاقـة بهـا.

وأثنـاء التحقيـق تمكـن المجاهـد باسـل مـن لقـاء العديـد مـن المجاهديـن، ومنهـم المجاهـد البطـل رومـل عطـوان الـذي كان أحـد الاستشـهاديين لتنفيـذ عمليـة في

"تل أبيب" ولم يتم تنفيذها لظروف ما، وكان طالبًا في جامعة خضوري في طولكرم، وهو من بلدة خاراس بمحافظة الخليل، وكذلك التقى بالمجاهد صالح كركور من بلدة عتيل لمدة يومين أو ثلاثة والذي كان يعرفه خارج السجون، ولكن كان لقاء في داخل الزنازين مفعمًا بالذكريات، وكان المجاهد باسل يحب أن يستمع لصوت المجاهد صالح الندي وهو يتلو القرآن الكريم وينشد للشهيد فتحي الشقاقي، فهو يمتلك صوتًا جميلًا شجيًا جدًا، وقبل الفراق بينهما أنشد المجاهد صالح أنشودة الشهيد القائد أسعد دقة "بذلنا الروح.. بذلنا الدم.. أسعد دقة.. لا تهتم"، فانهمرت حينها دموع المجاهد في داخل الزنزانة، وكان ذلك آخر لقاء بين المجاهدين باسل وبين الشهيد صالح الذي أبقى ذكرى جميلة للمجاهد باسل الذي استمرت فترة التحقيق معه 26 يومًا.

وفي يوم استدعاه المحقق للتحقيق لكي يحتفل ويفاجئ المجاهد باسل باستشهاد المجاهد أحمد عجاج بتاريخ 30/ 03/ 2002م، وعندما سمع من قبل رجل الشاباك هذا النبأ ما كان منه إلا أن حمد الله على ذلك وأتبع الحمد بالضحك، فقال له المحقق: لماذا تضحك؟ فقال: لأننا سلكنا طريق الشهادة وقد نالها البطل الشهيد أحمد عجاج الذي كان يتضرع إلى الله أن يطعمه الشهادة، فقد نالوها جميعًا.

وفي أحد الأيام وهو موجود في الزنازين سمع شرطيًا يشتم رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ فقام بضربه فما كان من الشرطة الصهيونية إلا أن هجموا على الأسير باسل وقيدوه من اليدين والقدمين من صباح ذلك اليوم حتى المساء، فحدث معه شد عضل في بطنه ويديه، ولم يستطع أن يحركهما من شدة الألم، وعندما جاء المحقق قال له: الشرطي الذي شتم الرسول _صلى الله عليه وسلم_ سيكون المؤبد القادم في قتل هذا الخسيس، وعندها قاموا بالاعتداء عليه، وكل ذلك يهون في سبيل الدفاع عن النبي محمد _صلى الله عليه وسلم_.

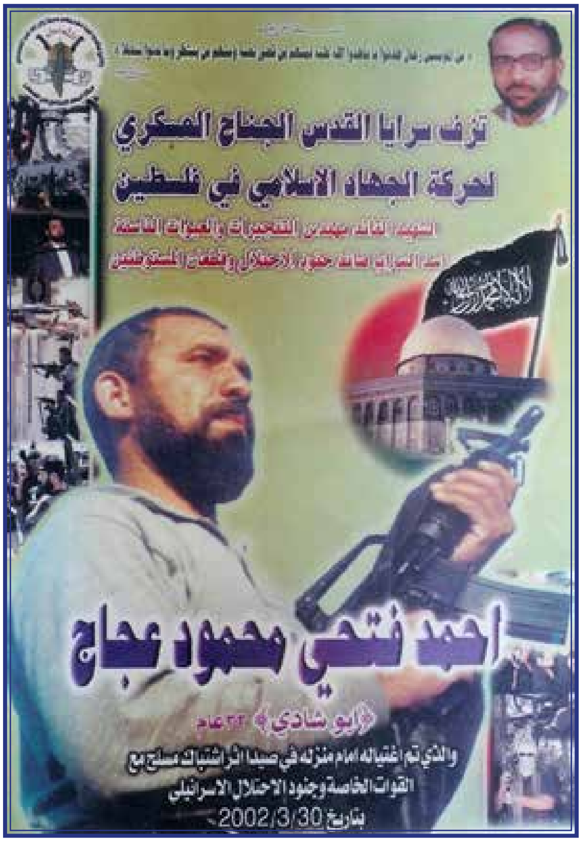

وما أن خرج من أقبية التحقيق إلى سجن عسقلان، ومنذ الأيام الأولى له في سجن عسقلان تمكن من التواصل مع نائب الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الأستاذ زياد النخالة (أبو طارق)، من أجل المساعدة في تنظيم مجموعة عسكرية بقيادة المجاهد الشهيد رائد عجاج الذي كان يحمل الاسم الحركي "مصباح" حتى يتم تنفيذ العمليات ضد العدو الصهيوني إلا أن أمره انكشف فتم عزل المجاهد

باسل لمدة سنتين في عزل سجن "إيشل" قسم (4) مما جعله يتعرف على قادة الفصائل الفلسطينية، ومنهم يحيى السنوار وتوفيق أبو نعيم وخالد الجعيدي وأبو مؤيد بريوش من قادة الجهاد الإسلامي والشيخ نضال زلوم، وكثير من القادة للفصائل الفلسطينية، ومن ثم كان خوضه إضراب 2004م الذي استمر 19 يومًا، وبعد انتهاء الإضراب الذي كان أول تجربة له في التحدي للاحتلال في أمعائه الخاوية بعد ما كان يقارعهم بالتفجير وإطلاق النار، علم المجاهد باسل أن المقاومة ضد الاحتلال مستمرة حتى في داخل السجون، ومن ثم تم نقله إلى سجن "هداريم" الذي كان بمثابة شامور (عزل) "يعني أن يكون الأسير تحت المراقبة" ليمكث فيه أيضًا ست سنوات، وهذا الأمر أدى إلى منعه من زيارات الأهل، فزوجته الصابرة أم أحمد لم تتمكن من زيارته في بداية سجنه حتى عام 2005م، بشكل عادي ودوري بحجة الرفض الأمني الصهيوني فيسمح لها بالزيارة في فترات متباعدة جدًا، وعدد المرات التي زارته فيها محدود جدًا، والأصعب والأقسى في حياة المجاهد باسل داخل السجون أنه تم منع إدخال أبنائه إليه أثناء فترة زيارة الأهل حيث إن القانون يسمح للأولاد الصغار دون سن العاشرة بدخول غرفة الزيارة، ولا يكون عازل بينهم لكي يضم أولاده لفترة زمنية محدودة إلا أن هذا القانون الظالم لم يشمل المجاهد باسل حيث ترك ابنته آية ذات الثلاثة الأعوام وابنه أحمد ذا العام الواحد، وحاول مرارًا وتكرارًا تقديم طلبات لمصلحة السجون حتى يتمكن من تحقيق حلم الأب باحتضان أولاده، ولكن دون جدوى، فكان لهذا الأمر وقع صعب ومؤلم في نفسية الأبناء الذين حتى هذه اللحظة لم يتمكنوا من احتضان والدهم، والذي كان يتلقى الأسئلة منهم عندما كانوا يرون أولاد الأسرى يدخلون إلى آبائهم فكانوا يسألون: لماذا لم ندخل عندك؟ أنت لا تريد أن ندخل؟ فكان من الصعب أن تشرح إلى طفل ما الذي يحدث حيث إن الاحتلال يريد النيل منا. ولماذا يسمح إلى الأسرى الآخرين؟ فكان يبرر ذلك: بأنني قتلت منهم، وفي أحد الأيام وأثناء زيارة الأهل كان الشباك مفتوحًا لكي يمرر الشرطي أغراضًا إلى الأهل، فحصل أن المجاهد استطاع أن يمدّ يده إلى أبنائه فما كان منهم إلا أن يقبلوا يده، وما يتذكرونه في حياتهم هو أنه في إحدى الزيارات في سجن نفحة كان أحد شبابيك الزيارة مفتوحًا بالخطأ، وعندها استطاعوا أن يمسكوا بأصابع والدهم، ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن يعيشون ذلك الإحساس.

الأسير القائد/ باسل مخلوف
برفقة قادة من الحركة الأسيرة بسجون الاحتلال

ومرت الأيام، وما كانت إلا أيامًا صعبة تمر على المجاهد بسماع استشهاد المجاهد زاهر الأشقر، وما كان إلا أن يستطيع أن يتوصل إلى الشهيد رائد عجاج ويقدم له عزاءه بصديق العمر إلا أن رسالة كانت تأتي إلى الأسير باسل من الشهيد رائد باسم مستعار يذكره في سنين العمر التي أمضياها سويًا، ويقول له إن الحياة ليس لها طعم بعد أصدقاء العمر الذين فُقدوا وذهبوا ولم يبق منهم أحد، فكيف بشخص يرى صديقه رحل عن الدنيا؟! فما تساوي الحياة بلا صديق: "إلى اللقاء في جنات الخلد يا

صديقي فسأذهب على درب الشهيد زاهر وأتمنى منك أن تسامحنا؛ لأننا لم نستطع إخراجك من السجن، الله يتولاك ويفك أسرك". وجاء خبر استشهاد المجاهد رائد عجاج، وبعد أشهر سمع بنبأ استشهاد المجاهد شفيق عبد الغني، وصدقوا الله فصدقهم.

وتمر السنوات وهو يحلم بيوم الحرية حيث كانت تعقد صفقات تبادل، وكان يحلم بأن يكون من الذين تشملهم صفقة التبادل مع حزب الله في عامي 2004م و2008م، وصفقة وفاء الأحرار في العام 2011م مع المقاومة الفلسطينية، ومازال يأمل في صفقة وفاء الأحرار (2).

وفي إحدى الزيارات كانت ابنته آية هي الزائرة له وبدأ ينظر إليها أثناء جلوسها على المقعد أمامه في الزيارة، ولمح في يدها خاتم الخطوبة فعاد بالذاكرة إلى الوراء عندما تركها صغيرة لم تتجاوز ثلاثة أعوام، وها هي اليوم تجلس أمامه وقد خُطبت لابن الشهيد أحمد عجاج. فشعر حينها بطعم المأساة ومرارة الألم، وشعر بسنوات عمره التي قضاها في سجون الاحتلال، ومع ذلك لم يكن لهذا المجاهد أن يستسلم للسجن والسجان، وإنما قبل التحدي وعكف على العلم وحصل على شهادة دبلوم الخدمة الاجتماعية، واتبعها بشهادة البكالوريوس في علم التاريخ، وقدم كل ما يمكن أن يقدمه لمساعدة إخوانه في الحركة الأسيرة، وكلفه أبناء الجهاد الإسلامي بالعديد من المهام التنظيمية في داخل السجون من أمير لأحد الأقسام، إلى الإدارية العامة، إلى عضو مجلس الشورى في الهيئة العليا، وإلى جانب العمل التنظيمي حصل على العديد من الدورات في أحكام التجويد وقواعد اللغة العربية بإشراف المجاهد المرحوم يوسف العارف ـ رحمه الله ـ، ولا يزال حتى هذه اللحظة مصمماً على الحصول على بكالوريوس في الخدمة الاجتماعية من جامعة القدس المفتوحة.

دولة فلسطين
وزارة التربية و التعليم العالي
جامعة الأقصى غزة

STATE OF PALESTINE
MINISTRY OF EDUCATION AND HIGHER EDUCATION
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA

شهادة

CERTIFICATE

Bachelor of

History

Faculty of Arts & Human Sciences

ومهما حصل على مهام تنظيمية ودرجات علمية، كان ولا يزال يقف إلى جانب الحركة الأسيرة في نضالاتها وإضراباتها المفتوحة عن الطعام حيث شارك في إضراب العام 2004م لمدة 19 يومًا، ومن ثم شارك في إضراب العام 2011م تضامنًا مع أسرى الجبهة الشعبية لإخراج أحمد سعدات من العزل الانفرادي، ومن ثم شارك في إضراب الكرامة 2012م للمطالبة بإخراج المعزولين، واستمر الإضراب لمدة 28 يومًا، وفي العام 2015م تم عزله في سجن أيلا (بئر السبع) لمدة 14 يومًا أثناء تصعيد أسرى حركة الجهاد الإسلامي في السجون ضد مصلحة السجون، وما زال على العهد الذي قطعه على نفسه للشهداء أن يبقى على طريق ذات الشوكة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وما يزال ينتظر لحظة الحرية ليجتمع شمله مع عائلته وابنته آية وابنه أحمد على أرض عرين الجهاد الإسلامي في قرية صيدا الصمود.

الأسير المجاهد
شاهر عزيز محمود حلاحلة

مجاهد صدق في حب الوطن، فضحى لتحريره

تاريخ الميلاد: 1977/02/10م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ولد وبنت

مكان السكن: بلدة خاراس – محافظة الخليل

عدد أفراد العائلة: 12

تاريخ الاعتقال: 2002/03/19م

الحكم: 17 عاماً

لقد حصلت على فرصة لطالما انتظرتها كي أعبر عما تستطيع به أمانتي للحديث عن رفاق الدرب والمقاومة والأسر، فلست أدري ماذا أكتب عن رمز من رموز البطولة والفداء، فكله صلابة وتضحية، ويبتسم للألم ولا يهاب الموت ويعشق التحدي رغم سطوة الجلادين من بني صهيون الأنذال، فكان ولا يزال قلبه يمتلك شجاعة أسد وامتازت روحه برقة طائر لطيف، وله ابتسامة رقيقة يقابلك بها رغم وهن الجسد وجبروت السجان المجرم الذي لم ينل من عزيمته وإصراره وصفاء ذهنه وحلاوة روحه؛ فهو بوصلة هادئة للمسار فهو المهدئ الفعال لكل خلاف أو مواجهة، ولديه قدرة كبيرة على الانضباط والالتزام، لقد كرس حياته لخدمة دينه وشعبه ووطنه، فكلما تذكرته توالت علي الخواطر التي لم تتوانَ عن الهطول، ولكن من هو شاهر هذا؟ ومن أين نبدأ بالحديث عنه؟ ومن نسأل عنه؟ ولكن أقول قف مكانك لا تسأل أكثر، فمن لا يعرف شاهر؟ وهل شهدت بلدة خاراس أسدًا هصورًا كشاهر.

الميلاد والنشأة

وُلد وترعرع المجاهد شاهر حلاحلة في بلدة خاراس بمحافظة الخليل الشامخة، وخاراس

بلدة جبلية خلابة بجمال الطبيعة فيها، ترى من خلالها الشموخ والعزة والكبرياء على الأعداء حيث تطالعك من مشاهدتها رؤية خاصة للتاريخ؛ تاريخٌ معمدٌ بالدم كتبته ريشة فنان مبدع عشق الوطن فبذل الغالي والنفيس في سبيله، هنيئا لك أيها الوطن فعشاقك كثيرون وفي سبيلك يبذلون؛ وفي جو هذه البلدة الدافئ ولد المجاهد شاهر وعاش في ظل عائلة مناضلة مجبولة على حب الوطن، وأرضعت رجالها وشبابها وأطفالها ونساءها وبناتها حب الوطن، والسعي إلى الدفاع عنه بكل قوة وإصرار مهما بلغت التضحيات الجسام، فالوطن بالنسبة لهذه العائلة مقدم على الجد والأب والولد، ويصدق فيهم قول الشاعر:

برغم القهر والإرهاب والتشريد والمحن

برغم محاكم التفتيش قد نبشت من العفن

برغم نذالة الجبناء والدخلاء في وطني

وأرتال من العملاء تحملها بني الوثني

سأحيا رافعًا رأسي ولو سربلت في كفني

ففي هذه الأجواء النضالية عاش المجاهد شاهر حلاحلة، وكان والده يساريًا وطنيًا بامتياز، تربى على يد والده وأخذ عنه ومنه النضال والمقاومة لهذا العدو الصهيوني، وبرغم يسارية والد شاهر إلا أنه كان حريصًا دومًا على تعليم أبنائه الأخلاق العالية والتعاليم المحمودة، فلم يركن شاهر إلى حب الدنيا، فكان الابن البار والشاب المطيع الذي رباه المسجد، وغرس في قلبه ووجدانه الشهامة والرجولة وأشرب روحه العزة والكرامة والإباء.

عاش المجاهد شاهر في ظل مأساة شعب بكامله فقد وضعت طفولته في النار، وكان جده يقبع في سجون الاحتلال لمدة خمسة أعوام، وما أن كبر قليلًا حتى رأى أباه الذي أحبه أكثر من نفسه عرضة للمطاردة والملاحقة والاعتقال، وما أن يخرج من السجن حتى يعود إليه، فأي طفولة هذه التي تحرم الطفل من حنان وعطف وحضن والده وجده؟ فكانت طفولته المعذبة ضحية عدوان صهيوني همجي، وعلى الرغم من ذلك فلم تكن تعني هذه الطفولة مرحلة من مراحل حياته، وإنما كانت وطنه وفي وطن الطفولة كان يشعر بالحرمان والخوف والجوع، فكان دائم الأسئلة حول مفاهيم ومصطلحات جديدة لم يكن يسمع بها كالاعتقال والاحتلال والسجن والصهاينة والدم والشهادة والثورة وغيرها من المفردات الخاصة بقاموس الوطن السليب. فتراه كبر قبل أوانه ليحمل إلى جانب إخوانه همّ العائلة التي دومًا افتقدت الوالد لتغييبه في سجون الاحتلال. ولم يكن ليكمل أخو المجاهد شاهر، وهو ماهر، تعليمه في ظل غياب الوالد حيث كان لزامًا عليه أن يبحث عن مصدر رزق يعيل والدته ويساعد إخوته من أجل إكمال مشوارهم التعليمي لاسيما أن والد شاهر لم يعد يستطيع العمل كما الماضي نتيجة لما حدث معه في سجن النقب حيث بتاريخ 16/ 08/ 1988م حدثت حالة من الاضطرابات والاحتجاجات داخل السجن ضد إدارة مصلحة السجون حين طالب الأسرى بحقوقهم في تحسين أوضاعهم الإنسانية والحياتية، فما كان من مدير السجن المجرم إلا أن

يطلق النار من مسدسه الشخصي على الأبطال، فاستشهد البطل أسعد الشوا، ثم استشهد البطل بسام سمودي، ثم أصيب البطل عزيز حلاحلة والد المجاهد شاهر بثلاث رصاصات استقرت إحداها في العمود الفقري في الظهر.

دوره في الانتفاضة الأولى

كانت تلك العائلة الوطنية بامتياز والمناضلة محط أنظار وأحاديث أهل بلدة خاراس، وكان منزل العائلة مقصد كل المناضلين والفدائيين والسياسيين والوطنيين من كل الفصائل الفلسطينية، وغالبًا ما كان تدار حلقات نقاش ثورية ووطنية، وكان المجاهد شاهر وإخوانه يستمعون إلى حديثهم لينشأ لديهم الوعي والإدراك بحقيقة الصراع الفلسطيني الصهيوني، وليكون لهم دور مهم في الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

كان المجاهد شاهر ناشطًا في كل فعاليات الانتفاضة الأولى اليومية سواء عبر مشاركته في المسيرات الجماهيرية، أو كتابته للشعارات الوطنية، أو عبر توزيعه لبيانات القيادة الموحدة للانتفاضة الفلسطينية، أو عبر رمي الحجارة على دوريات الاحتلال الصهيوني وسط تشجيع وترحيب واسع من قبل العائلة له لاسيما والده المناضل عزيز ووالدته المناضلة أم ماهر التي كرَّست شبابها وحياتها لتربية أبنائها وتوفير احتياجاتهم اليومية من مأكل ومشرب وبيت لتأخذ دور الأب في غيابه الذي سبب حالة من الألم والفقر وضيق الحال، ولكن هذا الألم وهذا الجوع وهذا الفقر لم يقف

والدة الأسير المجاهد/ شاهر حلاحلة
في مهرجان حرية ابنها الأسير المحرر/ ثائر حلاحلة

عائقًا أمام هذه الأم الصابرة المحتسبة والمناضلة والمربية مما جعلها تصرخ في وجه المحتل مستحضرة قول الشاعر محمود درويش:

سجل.. أنا عربي
سلبتَ كرومَ أجدادي
وأرضًا كنتُ أفلحُها
أنا وجميعُ أولادي
ولم تتركْ لنا.. ولكلِّ أحفادي
سوى هذي الصخورِ..
فهل ستأخذُها
حكومتكمْ.. كما قيلا؟
إذن
سجِّل.. برأسِ الصفحةِ الأولى
أنا لا أكرهُ الناسَ
ولا أسطو على أحدٍ
ولكنّي.. إذا ما جعتُ
آكلُ لحمَ مغتصبي
حذارِ.. حذارِ.. من جوعي
ومن غضبي

لذلك فإن مجاهدنا البطل شاهر استطاع أن يحمل عبء الرسالة، رسالة الأمة وصعوبة المقاومة ضد العدو الصهيوني وضد المفاهيم، فكانت حياتُه حافلة بالأحداث المختلفة من الآلام والأخطار والفقر والعمل والسعي من أجل غاية بعيدة وهي تحرير الوطن، هذا الوطن الذي كان يحلم بأن تُحرره المقاومة الفلسطينية فإذا به يقع أسيرًا لمرحلة جديدة من الكفاح تم اختزالها بالعملية السلمية، والتي بدورها أدت إلى دخول السلطة الفلسطينية لمدن الضفة الغربية وقطاع غزة، بأمل جديد هذه المرة يتمثل في تحقيق أحلام الشعب الفلسطيني بالحرية والانعتاق من الظلم التاريخي الصهيوني، ولكن هذه المرة بدون إراقة الدماء فما كان من المجاهد شاهر الذي لم يستطع أن يكمل مشواره الجامعي للضائقة المادية التي أصابت العائلة إلا أن يحصل على دورة عسكرية في أريحا، وتخرج منها شرطيًا يعمل في جهاز الشرطة المدنية ليتم فرزه في مستشفى الخليل الحكومي، وبدأ مشواره الجديد في خدمة الناس والمحتاجين واضعًا نصب عينيه نصيحة والده له: "يا بني! يا شاهر! اعلم أن السلطة إلى زوال، وأن الشعب وحده الباقي"، فبهذه الكلمات البسيطة استطاع المجاهد شاهر أن يفهم مقصد والده، فبدأ يعين الناس ويخدمهم بكل ما يستطيع ليكون له حصاد ذلك عبر فوزه الساحق في انتخابات مؤتمر إقليم فتح على مستوى مدينة الخليل.

باشر المجاهد شاهر عمله الجديد في التعبئة والحشد للقضية الفلسطينية، وتشارك مع بقية الفصائل الهم الوطني الفلسطيني وطرق الخلاص من الاحتلال، هذا الاحتلال الذي لا يعنيه السلام بقدر ما يعنيه الأمن والاستيطان ليكون المجاهد شاهر في وسط الجماهير متصديًا للعدو الصهيوني في أحداث النفق في أيلول 1996م، وتعرض لإصابتين بالرصاص الحي، مما خلق لدى المجاهد شاهر أسئلة كثيرة حول السلطة الفلسطينية، وعملية السلام الواهمة فإذا به يُحدِّث نفسه: لقد كان في الماضي الفدائي والثائر والمقاوم يحصد سيفه في مزارع الدم والموت في صفوف الأعداء، كما يحصد المنجل الحاد السنابل اليافعة، فما باله (السيف) خامدًا هكذا بلا حراك ولا حياة، نائمًا في غمده.

انضمامه لحركة الجهاد الإسلامي

هذا الشعور يُورث الإحساس بالغربة في هذا العالم، ويولد الاضطراب والغم، وهذا يحرك ويوقظ في النفس الهمة والنشاط، فشاء القدر أن يتعرف المجاهد شاهر بأحد مجاهدي حركة الجهاد الإسلامي في مشفى الخليل الحكومي لتتعمق صداقتهما يومًا بعد يوم، وأدرك المجاهد شاهر بوعيه وبُعد نظره أن تأثير الصديق على صديقه ليس له حدود، ونظرًا لما للصداقة من دور فعال في توجيه السلوك والتأثير على شخصية الفرد إما سلبًا أو إيجابًا فقد نالت حظها في كتاب الله عز وجل فقال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 67].

ابن الأسير المجاهد شاهر حلاحلة (يمين)
في فعالية تضامنية مع الأسرى بالخليل

فما كان من المجاهد شاهر إلا الإعلان عن انضمامه إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي نتيجة لاقتناعه بأفكارها ومسارها الجهادي وإيمانها العميق بوجوب التضحية والفداء على مر السنين للوصول إلى حرية الشعب الفلسطيني. وبدأ المجاهد شاهر في العام 1999م مشواره الجديد في ظل هذه الحركة الربانية المجاهدة، واتفق مع قادتها وكوادرها في الخليل ليكون عمله في حركة الجهاد الإسلامي سريًا للحفاظ على وظيفته في السلطة الفلسطينية، في جهاز الشرطة المدنية، واستطاع من خلال هذا المنصب خدمة أكبر عدد ممكن من المجتمع الفلسطيني، وما هي إلا فترة من الزمن حتى ثبت لدى المجاهد شاهر أن العملية السلمية لم تكن سوى مسرحية لإلهاء الشعب الفلسطيني عن مقاومته للعدو الصهيوني، وإذا بانتفاضة فلسطينية جديدة تندلع في الأراضي الفلسطينية رفضًا لسياسة التركيع الصهيونية التي حاول فرضها على رئيس السلطة ياسر عرفات عبر قبوله بدولة فلسطينية بدون القدس واللاجئين والأسرى، فما كان من المجاهد البطل شاهر إلا أن يتقدم الصفوف دفاعًا عن الوطن وكرامة الشعب الفلسطيني.

دوره الجهادي في الانتفاضة الثانية

بدأ المجاهد شاهر مساعدة المجاهدين من كتائب شهداء الأقصى وممن يخدمون معه في جهاز الشرطة بإطلاق النار على دوريات الاحتلال الصهيوني على الطرق الالتفافية وعلى المستوطنين الذين يحيطون بمدينة الخليل وقراها من كل مكان، بالإضافة إلى تقديمه المساعدة الكبيرة لحركة الجهاد الإسلامي في مدينة الخليل لتكون عائلة المجاهد شاهر من العائلات الخاصة والمؤيدة والداعمة والعاملة في صفوف حركة الجهاد الإسلامي ليعيد التاريخ نفسه من جديد لتكون عائلة حلاحلة مقصد المجاهدين من حركة الجهاد الإسلامي وبقية الفصائل.

حرص المجاهد شاهر وأخوه ثائر حرصًا شديدًا على تربية الأولاد والفتيان والشباب تربية جهادية ثورية إسلامية في مساجد بلدة خاراس لتصبح بلدة خاراس من أهم معاقل حركة الجهاد الإسلامي في خليل الرحمن وليس هذا فحسب، بل سعى إلى توسيع دائرة نشاطه ليمتد إلى صفوف سرايا القدس، الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، وبدأ معهم هذه المرة بالخروج إلى تنفيذ عمليات إطلاق النار على الحواجز الصهيونية والمستوطنين ودوريات الاحتلال ليصبح المجاهد شاهر عرضة لملاحقات الأجهزة الأمنية الفلسطينية عبر المضايقات اليومية وممارسة الضغوط عليه لحرفه عن جهاده ومقاومته وثنيه عن مواصلة درب المقاومة في صفوف سرايا القدس بمدينة خليل الرحمن، وكتب الله -عز وجل- للمجاهد شاهر أن يجتمع بالقائد العام لسرايا القدس في مدينة الخليل محمد سدر ليكون مساعدًا له في نشاطات سرايا القدس والتخطيط لعملية مهمة للرد على غطرسة وعنجهية الاحتلال الصهيوني الذي كان في كل يوم يرتكب المجازر.

قرر المجاهد محمد سدر التحضير لعملية استشهادية مزدوجة يتم تنفيذها في إحدى المستوطنات، فما كان من المجاهد شاهر إلا أن يرصد موقعًا مهمًا للعدو الصهيوني في مستوطنة "بيت شيمش"، كما استطاع تجنيد المجاهد علي حلاحلة،

وهو أحد الطلاب المميزين والمتفوقين في المدرسة بالإضافة إلى كونه أحد الشباب المثقفين ومن رواد المساجد، وكان يشرف على مجلة الطليعة التابعة لحركة الجهاد الإسلامي، ورغم محاولة المجاهد شاهر إقناع البطل الاستشهادي علي بمواصلة تعليمه وللاستفادة منه في المستقبل إلا أن كل محاولات المجاهد شاهر فشلت فكان الشهيد البطل علي حلاحلة بمثابة البطل الذي لا يُقهر ولا يُهزم والمصر على تنفيذ العملية الاستشهادية رغم أن عمره لم يتجاوز ثمانية عشر عامًا، مما زرع في نفس المجاهد شاهر حلاحلة الثقة كل الثقة بهذا المجاهد الرباني. نعم إنها الثقة بما يحملون من مبادئ فهي التي ملأت أركان النفس وأعطتها دفعة إلى الأمام، فلا تراجع معها أبدًا، هذه الثقة التي روت الجذور فغدت الأركان قوية نشطة، أثمرت فاعتلى صاحبها إلى القمة.

بدأ المجاهد شاهر بتدريب الاستشهادي علي حلاحلة على حمل السلاح وإطلاق النار ورمي القنابل إلى أن أتقن ذلك بزمن وسرعة قياسية ليجمعه بالمجاهد محمد سدر، فما أن رأى المجاهد محمد سدر الاستشهادي البطل علي حلاحلة حتى قال للمجاهد شاهر: ألا ترى أنه صغير ونحيل؟ فأجابه المجاهد علي حلاحلة إجابة الواثق بالنفس بقول الشاعر:

ترى الرجل النحيل فتزدريه
وفي أثوابه أسد هصور

وبدأ المجاهد علي يكبّر ويعلو بهتافه على صوت نشيد المجاهدين "فجر دمر لا ترحم من فيها"، فما كان من المجاهد محمد سدر إلا أن يقول: سيثلج الله _عز وجل_ صدورنا بهذا الاستشهادي الذي عرف الطريق طريق الشهادة، فأصبح يحرص على الموت في سبيل الله، كما يحرص الصهاينة على الحياة فأي فخار هذا يا سيدي المجاهد علي حلاحلة؟ فوالله إنه لفخار ما بعده فخار، ولهذا لابد أن يسجل التاريخ هذه الحوادث، وهذه السير بحروف من نور لتكون نبراسًا للأجيال ومشاعل هداية للأمة من بعده لتنبث فيها شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ليعود للوطن هويته وللأمة عقيدتها. وبدأت الاستعدادات الأخيرة للعملية،

وكان تم الاتفاق بين المجاهد محمد سدر والمجاهد شاهر حلاحلة أنه في حال تم اعتقاله _لا قدر الله_ يقوم بإلغاء كل شيء تم التخطيط له في العملية، فلا يعلم ماذا يحدث بعد الاعتقال، وهنا حدث الوداع الأخير بين المجاهد شاهر حلاحلة وبين المجاهد الاستشهادي علي حلاحلة الذي سيبيت مع المجاهد محمد سدر.

كان الوداع صعبًا جدًا، عانق خلاله الاستشهادي علي حلاحلة المجاهد شاهر وقال له: بارك الله فيك لمساعدتي للوصول إلى هذه اللحظة التي طالما اشتقت لها، واعلم يا أخي الكبير شاهر بأنني أعاهدك أمام الله أني سأشفع لك عند الله قبل أمي وأبي. فما كان من المجاهد شاهر إلا أن ذرف الدموع وأحس في داخله بشعور لم يعهده يومًا، كيف لا؟ وهو في لحظة وداع مجاهد أقبل بنفس راضية على الجهاد والتضحية في سبيل الله، لتزفه ملائكة الرحمن إلى الحور العين.

اعتقاله والحكم عليه

غادر المجاهد شاهر المكان وعاد إلى بيته ليعود في الصباح الباكر لإكمال المشوار، فإذا بالعملاء يدلون بمعلوماتهم للشاباك الصهيوني حول تواجد المجاهد شاهر في منزله وسط حديث بدأ ينتشر عن خروج المجاهد علي حلاحلة لتنفيذ عملية باسم سرايا القدس، فتم محاصرة المجاهد شاهر عبر جموع الذئاب المتوحشة الإجرامية من كل مكان ليتم اعتقاله، واقتياده إلى التحقيق ليمارس بحقه أشد وأقسى أنواع التعذيب للحصول على معلومة حول مكان الاستشهادي علي حلاحلة وأين سينفذ العملية؟.

صمد المجاهد شاهر صمود الأبطال الشجعان، ولم يعترف بكلمة واحدة للشاباك الصهيوني حيث تحداهم بصمته وبصموده قائلًا لهم: "أيها الصهاينة! قد تستطيعون أن تنتزعوا اللحم عن عظمي، ولكنكم لن تستطيعوا أن تنتزعوا مني اعترافًا عن العملية فإن الاعتراف خيانة".

كتب الله عز وجل أن يتم تنفيذ العملية التي تم التحضير لها بشكل محكم من قبل المجاهدين محمد سدر وشاهر حلاحلة، فأتم المجاهد الكبير محمد سدر هذه العملية حيث أرسل الاستشهاديين نبيل النتشة وعلي حلاحلة إلى أم الروس بالغرب من

مستوطنة "بيت شيمش" ليحدث الاشتباك المسلح البطولي والأسطوري بين المجاهدين الأبطال علي ونبيل وبين القوات الصهيونية، وارتقى إلى العلا الشهيدان المجاهدان علي ونبيل، وأوقعت هذه العملية العديد من الإصابات، ليكون يوم 20/ 03/ 2002م يومًا من أيام المقاومة والفخر للشعب الفلسطيني، ولتعم الفرحة وأصداء نشيد المؤمنين وهم يرددون بالهتاف المحمدي: الله أكبر! الله أكبر! فتتزلزل لها قلوب الصهاينة المجرمين ليعلموا بأن سرايا القدس قادرة على خوض العمليات الاستشهادية والاشتباكات المسلحة وخوض المواجهة مع هذا العدو الصهيوني بكل عزم وإصرار وقوة مصحوبين برعاية الله _عز وجل_ وبدعوات الملائكة بنصر المجاهدين.

وما هي إلا أشهر حتى خرج المجاهد شاهر من أقبية التحقيق إلى قاعة المحكمة، ولم يكن يومها يعلم إن كان الاستشهادي علي قد نفذ العملية أم لا ليجد في وسط الحضور في قاعة المحكمة إلى جانب عائلته والدة الشهيد علي حلاحلة لترفع معنويات المجاهد شاهر حلاحلة قائلة له: "يا شاهر إن ابني علي الآن في الجنة، ونسأل الله أن يشفع لنا ويجمعنا به عما قريب، أما أنت يا شاهر فأريد منك أن ترفع رأسك عاليًا، ولا تنحني لهذا العدو الصهيوني أبدًا طالما الدم يجري في عروقك".

أي أم هذه التي تزغرد لولدها الشهيد وترفع من معنويات من أرسله للشهادة؟ نعم إنها الأم المجاهدة الصابرة الصامدة، فلم يكن جهادها غائبًا فقد قدمت نماذج تفوقت وأثبتت وجودها

الشيخ القائد/ خضر عدنان
في زيارة اجتماعية لعائلة الأسير المجاهد/ شاهر حلاحلة

وحضورها وخاصة أمهات الاستشهاديين، ومنهم والدة الاستشهادي علي حلاحلة التي احتفلت باستشهاد ابنها علي، فذهل المجاهد الأسير شاهر حلاحلة مما حدث، فجعله ذلك يبدأ مشواره في داخل الأسر ورحلة عدم الاستسلام للواقع المرير، فلم يعرف الضعف والهوان يومًا، فاقتحم الصعاب مجتازًا لها ليكمل مشواره التعليمي ليحصل على شهادة في دبلوم تأهيل الدعاة وليحصل على بكالوريوس في علم التاريخ من جامعة الأقصى، وليكمل مشواره في جامعة القدس المفتوحة في تخصص الاجتماعيات،

بسم الله الرحمن الرحيم
جمعية اقرأ الخيرية
مراكز تحفيظ القرآن الكريم
فلسطين - قطاع غزة
Iqraa-Read Charity Association
Holy Koran Recitation
Palestine-Gaza Strip
قال تعالى: "ورتل القرآن ترتيلا" صدق الله العظيم
شهادة إتمام دورة أحكام متقدمة
تشهد إدارة مراكز تحفيظ القرآن الكريم _ بجمعية اقرأ الخيرية
في الفترة من 2015/06/15م إلى 2015/07/29م

وليس هذا فحسب بل بدأ في تكوين علاقات وطيدة داخل الحركة الأسيرة، وشرع في تدريس الأبطال في داخل السجن دون أن يتأفف أو يشتكي، وإذا به في ذات يوم يتفاجأ باعتقال والده وإخوانه بتهمة الانتماء لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، لكن الابن شاهر تفوق على أبيه ونجح في توجيهه نحو الإسلام والجهاد في ظل حركة الجهاد الإسلامي لتُكتب عائلة حلاحلة في سجل الأبطال بتاريخ الشعب الفلسطيني. وامتد الشرف ليصل إلى كل منزل وعائلة في بلدة خاراس إلى أن كتب على مدخل القرية عبارة تقول: أهلا وسهلًا بكم في قلعة الجهاد الإسلامي خاراس.

فقم يا معلمنا وحبيبنا الشهيد فتحي الشقاقي لترى ماذا صنع الرجال من حولك، فأصبح الجهاد الإسلامي بفضلهم قوة لا يضاهيها شيء، فلك المجد ولك الخلود يا شهيدنا أبا إبراهيم، ونم قرير العين، فلك تلاميذ عظام أمثال شاهر صنعوا مجدًا وسطروا عملًا يروى في كتب التاريخ.

الأسير المجاهد
علي سليمان سعيد السعدي (الصفوري)

بطل تفخر به أمة

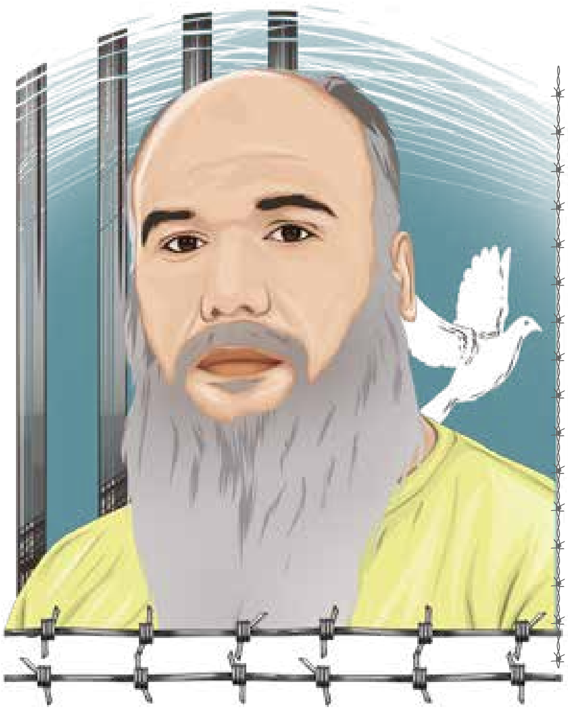

تاريخ الميلاد: 1963/01/12م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه 4 بنات وولد

مكان السكن: مخيم جنين – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 12

تاريخ الاعتقال: 2002/04/11م

الحكم: 5مؤبدات و50 عاماً

كان الفكر الصهيوني ولا يزال مؤسسًا ومرتكزًا على قواعد ومعايير استيلائية وتوسعية، وسعت جاهدة العصابات الصهيونية في مطلع العام 1948م إلى تنفيذ خطط هجومية على المدن والقرى الفلسطينية لتصفية القيادة الفلسطينية الميدانية وتهجير المواطنين الفلسطينيين الآمنين، فتم قصف الأحياء العربية، ووضعت المتفجرات في الأسواق وأماكن الازدحام، وتم بث الرعب والخوف والتوتر في قلوب ونفوس مواطني المدن العربية، لدفعهم لمغادرتها، واستخدمت خططًا عسكرية لذلك وعرفت بالخطة (دالت)، حيث نفذت العصابات الصهيونية حملة عُرفت بالحملة ديكل (العلم)، وهي حملة عسكرية نفذتها ألوية "شيفع" و"كرملي" و"غولاني" في منطقة الجليل الأعلى والأسفل، واستمرت من التاسع من تموز وحتى الثامن عشر منه، فكانت وجهة التحرك هي شفا عمرو، ثم تم احتلال القرى المحيطة بها وصولًا، إلى الناصرة وتم تهجير عشرات القرى العربية الفلسطينية المحيطة بها، وفي مقدمتها قرية صفورية أكبر قرية في قضاء الناصرة.

الميلاد والنشأة

تم تهجير جميع العائلات الفلسطينية من

القرية إلى أماكن شتى لتلقى عائلة آل السعدي مصيرها على سفح أحد جبال مدينة جنين في بقعة تم تسميتها مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين لتعيش هذه العائلة، عائلة سليمان السعدي (أبو نادر) ظروف النكبة الفلسطينية. وكان لزامًا عليها أن تعيش ظروف الحزن والألم، وبكل مرارة النكبة من انهيار الأحلام، إلى الرحيل، إلى الضياع، إلى الجوع لتشعر بالقيمة الحقيقية للوطن السليب لا من حيث الطنين الفارغ للكلمات، بل من حيث مضمونها الحقيقي العميق وبهذه الظروف القاسية على عائلة السعدي وُلد المجاهد علي سليمان سعيد السعدي (الحاج علي) بتاريخ 12/ 01/ 1963م لعائلة فلسطينية لا تزال تنتظر موعد العودة إلى قرية (صفورية) علها تكحل عينيها برؤية بيارات البرتقال والليمون وشم نسائم الصبا من أعالي جبال الناصرة الشامخة، واحتضان زهرات البنفسج في الجليل، فلنا الشرف كل الشرف أن نكتب هذه السطور عن النسر المقاتل والإعصار الهادر، عن مجاهد من مجاهدي الشمس في مخيمنا، مخيم جنين المقاتل وواحد من الرجال الذين أرادوا الحرية لشعبهم الصامد المرابط.

بئر الماء وبيادر قرية صفورية المُهَجَّرة عام 1930م

في أجواء اللجوء ولد المجاهد الحاج علي السعدي، وفي هذا المخيم نشأ وترعرع ليعيش في كنف والديه اللذين أحباه كما لو كان ولدهم الوحيد، فلم تكن العائلة تدرك أو تتنبأ بمصير ابنها المجاهد علي الذي بدأ حياته كبقية الأولاد في مخيم جنين حياة حزينة ومؤلمة وقاسية. كان والده (أبو نادر) يعمل سائقًا لتاكسي نقل ركاب، ويعمل بكد وتعب شديد وعلى مدار الساعة لتوفير مستلزمات ومتطلبات هذه العائلة لعله يستطيع أن يمسح عن عيونهم دموع الحزن والمعاناة والحرمان والمرض والغربة والتشرد، وما هي إلا بضع سنين حتى اندلعت حرب العام 1967م، ليصبح ما تبقى من فلسطين مثيلًا لأخيه السابق في الاحتلال والاغتصاب، وعاش الشعب الفلسطيني واللاجئ الفلسطيني نكسة، بل نكبة أخرى، رغمًا عنه وكأن الشعب الفلسطيني وجد وحده وعليه أن يقاتل ويهزم وحده، ولما فتح عينيه على الدنيا إذا بخبر موت الزعيم عبد الناصر يدخل كل دولة وعاصمة ومدينة وبيت وشارع وزقاق في كل أنحاء العالم العربي ليجد الحاج علي نفسه في مسيرة حاشدة تخرج من مخيم جنين تحمل صور الزعيم العربي عبد الناصر، وتحمل نعشًا رمزيًا.

أراد الحاج علي أن يعلم من هو الذي بداخل النعش المرفوع على الأكتاف، ومن هذا الذي تهتف باسمه الجماهير الحاشدة ليبدأ في مرحلة اكتشاف الذات واكتشاف المعاني والمفاهيم ليجد نفسه في ظل جده، ليخبره عن تاريخ عائلة السعدي في فلسطين، حيث بدأ بالشهيد البطل القسامي فرحان السعدي

الذي ارتقى شهيدًا دفاعًا عن فلسطين في ثلاثينيات القرن الماضي، على أيدي الجيش البريطاني وبمساعدة العصابات الصهيونية، وليكمل حديثه للحاج علي عن نكبة الشعب الفلسطيني وعن قرية صفورية مهد العائلة وجوهر قضية آل السعدي ليخبره عن ليمونها وبرتقالها وأرضها ومائها وهوائها، وليخبره عن الجيوش العربية المنتفشة المهزومة قبل أن تقاتل، أو تفكر بأن تقاتل وليخبره عن عبد الناصر الذي أعاد للأمة حيويتها ونشاطها، ورفع لها معنوياتها باسم الحلم العربي بتحرير فلسطين، وليحدثه عن هزيمة حزيران 1967م.

وجد المجاهد الحاج علي نفسه في صراع مع الذات ومع الأفكار ومع الوعي والإدراك ليعيش الوصف واقعًا عندما أقدمت القوات الصهيونية على مداهمة منازل عائلة السعدي والعبث بها، واعتقال عمّه (أبو عبد الله) لا لشيء سوى أنه يحلم بالحرية، وأن عينيه مفتوحة صوب قرية صفورية ليحكم عليه تسعة شهور، ولتبدأ معاناة عائلة السعدي مع عدو لا يفهم سوى لغة واحدة، هي لغة الإرهاب والاعتقال والقتل والدمار وحرمان الأطفال من أبسط حقوقهم، فكانت الأوضاع في مخيم جنين صعبة مأساوية لشدة تلاصق البيوت وانعدام مقومات الصمود والعيش الكريم، بالإضافة إلى انتشار الأوبئة والجوع والظلم والحرمان، وفي ذات يوم وجد المجاهد الحاج علي نفسه في مطعم لوكالة الغوث مخصص لإطعام الأطفال الذي لم يشبعوا يومًا سوى من الألم، فلم يكن يتجاوز حينها ثلاثة عشر عامًا ليرى كيف يتم معاملة الأطفال في المطعم.

رأى المجاهد علي منظرًا لا يمكن للذاكرة نسيانه حين وجد طوابير من الأطفال يحملون الصحون الفارغة بانتظار طعام لا طعم له ولا لون ولا رائحة زكية، ولكنه ممكن أن يسكت صوت القهر والجوع لدى الأطفال مما جعل الحاج علي يقف شامخًا مدافعًا عن الأطفال، متوجهًا إلى المسؤول عن ذلك ليسأل العدل لا اللقمة، فأنكره مدير وكالة الغوث الخرافية، وعلم أن اللاجئ الفلسطيني سيبقى معذبًا مشردًا حزينًا فقيرًا ضعيفًا مسلوب الحقوق، لا لشيء سوى أنه لاجئ.

استشاط الحاج علي غضبًا وشعر في روحه بطاقة هائلة جدًا أرادها أن توقظ الأمة كل الأمة بكل طاقاتها، لترى ماذا حدث، وكيف يعامل اللاجئ الفلسطيني؟ وليوقظ في داخلها طاقة لم تكن في حسبان أحد، وما هي إلا فترة من الزمن، وتحديدًا بتاريخ 11/ 11/ 1974م حين نظمت الجماهير الفلسطينية مسيرة حاشدة من مخيم جنين باتجاه قلب المدينة، جابت شوارع وأزقة المدينة رافضة لسياسة العدو الصهيوني وإجراءاته الفاشية والنازية بحق الشعب الفلسطيني ورافضة الخضوع لسياسة القبضة الحديدية وسياسة العقاب الجماعي التي لن تؤدي سوى إلى مزيد من الدم الذي سوف يروي شجرة الثورة والحرية والجهاد، ولما وصلت المسيرة الحاشدة والتي كان الحاج علي في مقدمتها إلى جانب أبناء مخيم جنين إذا بالعدو الصهيوني يهاجم المتظاهرين ويعتدي عليهم مما أدى إلى استشهاد البطلة منتهى عوض الحوراني التي أصبحت رمزًا للشهادة والتضحية في ذلك الوقت لترقد إلى جانب

الشهيدة بنت نابلس جبل النار الشهيدة شادية أبو غزالة، وأدت هذه الأحداث إلى تحريك عواطف ومشاعر الثورة لدى المجاهد الحاج علي، وبدأت تتعمق وتترسخ في عقله ووجدانه أكثر فأكثر.

اعتقاله الأول

استمر مسلسل الإجرام الصهيوني لكي يطال هذه المرة عائلة السعدي ليتم اعتداء قوات الاحتلال الصهيوني على عائلة الحاج أبو نادر السعدي والد الحاج علي، وبثت الخراب والدمار في المنزل، ولم تكتف إلا باعتقال نادر شقيق الحاج علي الأكبر، وتم اقتياده إلى المعتقل الصهيوني ليحكم عامًا ونصفًا، وزادت هذه الحوادث من إدراك الحاج علي أن هذا العدو الصهيوني إن لم يجد من يقاومه ويقف بوجهه بالطريقة الوحيدة التي يفهمها ألا وهي لغة القوة العسكرية، فماذا تعني المفاهيم السياسية المتداولة بين الناس وفي الصحف ومنها وعد "بلفور" وقرار التقسيم ومنظمة التحرير وحق تقرير المصير؟ وما هي إلا أشهر قليلة في العام 1976م حتى تم تنظيم مظاهرة حاشدة ضد العدو الصهيوني رفضًا لسياسة الاحتلال الصهيوني، وتنديدًا بممارسات الاحتلال بحق أبناء الشعب الفلسطيني، ليجد الحاج علي نفسه في مقدمة المتظاهرين يقود الجماهير بالهتاف والتكبير ضد العدو الصهيوني، وما أن انتهت المظاهرة حتى داهم جيش الاحتلال الصهيوني مخيم جنين، واعتقل الحاج علي إلى جانب أصحابه سالم النورسي وإبراهيم جبر وأحمد يونس، وتم محاكمتهم جميعًا محاكمة فورية عسكرية، وحكم على كل منهم عامًا واحدًا، بالإضافة إلى دفع غرامة تقدر بعشرة آلاف ليرة، وفي حال عدم الدفع سيتم اعتقال ولي أمر المعتقل لمدة 45 يومًا!

أي حكم هذا وأي ظلم وتعسف وأي سياسة هذه التي يقوم بها العدو الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني؟! فأصر أولياء الأبطال على رفض دفع الغرامة ليس لعدم مقدرتهم على دفع هذا المبلغ، ولكن لأن هؤلاء الآباء على قناعة بأن هذه الأموال سيتم استخدامها من أجل شراء السلاح لقتل الشعب الفلسطيني، ونتيجة لهذا الصمود وهذا الموقف أقدم العدو الصهيوني على اعتقال والد الحاج علي والآباء الآخرين ليجدوا أنفسهم، في داخل السجن إلى جانب أبنائهم الذين لن تلين لهم عزيمة أو تفتر لهم همة ولن يستسلموا للسجن والسجان.

فَاهْتِفْ بالسَّجَّانِ العَاتِي:

جُرْ! أَلْهِبْ بِسِيَاطِكَ ظَهْرِي

خَضِّبْ بِدِمَائِي أَضْلاَعِي
وَجَبِينِي المرفوعِ، وَنَحْرِي

وانْهَشْ مَا شِئْتَ وَلاَ تَتْـــرُكْ
شَلْوًا من زَنْدِيَّ وَصَدْرِي

يَا كَلْبُ! وَنَتِّفْ أَجْلاَدِي
وَاجْعَلْ مِنْ أَوْدَاجِكَ قَبْرِي

يَا كَلْبُ! فَرُوحِي صَاعِدَةٌ
فِي الموكبِ، مَوْكِبِنَا الحُرِّ

وَدِمَاءُ الحُرِّيَةِ فَارَتْ
كَيْ تُحْرِقَ نِيرَانَ الغَدْرِ

وَسُيُولُ الثَّوْرَةِ زاحِفَةٌ
لِتُهَدِّمَ أَسْوارَ الجُورِ

وَالسِّجْنُ سَيَضْحَى بُرْكَانًا
يَجْتَاحَ سَرَادِيبَ الكُفْرِ

وَسَأَمْضِي كَيْ أُطْلِعَ فَجْرِي
جُدْرَانُكَ لَنْ تُثْني سَيْرِي

فالسجن لم يجعل من الحاج علي إلا رجلًا عزيزًا شامخًا، وقدر الله له أن يجتمع بقادة كبار في حركة فتح وهم أبو منصور ومحمد شديد وأبو العلا وأبو حسين الشملوني وغيرهم من أسرى الدوريات ليأخذ عنهم تاريخ القضية الفلسطينية، وأفكار حركة فتح ليتمكن من توعية نفسه المتعطشة لحب الوطن وأنشودة الثورة السرمدية، وقدر الله للحاج علي أن يلتقي بوالده داخل السجن، ليجتمع في نفس السجن والمكان، فعلى الرغم من أن الحاج علي كان متهيبًا من رؤية والده الذي سجن بسببه وجعله يدخل إلى السجن بألم ومرارة فرغم هذه التوقعات إلا أنه ما أن تقابل معه حتى أسرع لحضن ابنه الحاج علي قائلًا له: ارفع رأسك! فأنت بطل وأنت فخر للعائلة وأنت حفيد جدنا القسامي فرحان السعدي، وإياك يا علي أن تحسب حسابًا لأحد! وما هي إلا أشهر معدودة حتى انقضت فترة الاعتقال ليعانق الحاج علي الحرية التي افتقدها في السجن.

اعتقاله مرة ثانية

بدأ الحاج علي حياته الجديدة بوعي وإدراك وثقافة لم يكن ليحصل عليها لولا الاعتقال، ونتيجة لغيابه وانقطاعه عن التعليم اضطر لترك الدراسة والاتجاه للعمل مع عمه في ورشة الحدادة، ورغم حبه لمجال عمله ولاسيما أنه كان يحصل على مبلغ من المال يستطيع من خلاله أن يوفر احتياجاته ومتطلباته الخاصة، ويساهم في مصاريف عائلته مع والده، على الرغم من ذلك إلا أن الوطن وحب الوطن كان همه الأول والأخير فأقدم على تشكيل خلية تنظيمية لحركة فتح، مكونة من الحاج علي وسليمان الحافظ ورباح فريد ونظمي سمارة ومحمد سمارة، وتم توزيع المهام من أجل تنفيذ عملية ضد العدو الصهيوني ولما تمكنوا من رصد الهدف في سكة الحديد في محطة القطارات وتجهيز ما يلزم اكتشفوا أن تجهيز العبوة الناسفة كان معقدًا جدًا، وأكثر تعقيدًا مما كانوا يتوقعون، فانصب جل اهتمامهم على العمل التنظيمي والجماهيري والشعبي، فحاولوا طباعة المناشير الثورية باسم حركة فتح لتحريض الجماهر الفلسطينية للعمل ضد العدو الصهيوني، وتوجهوا إلى قيادة الجبهة الديمقراطية لمساعدتهم في ذلك، فوجدوا أن أفراد الجبهة لا يملكون آلة طباعة.

فما كان منهم إلا دخلوا مدرسة الوكالة في مخيم جنين واستولوا على آلة الطباعة، بالإضافة إلى مواد كيميائية تدخل في صناعة المتفجرات لتفاجئ هذه المجموعة، والتي في بداية عهدها في العمل أن مجموعة الجبهة الديمقراطية ملاحقون من قبل أجهزة الأمن الصهيوني، مما أدى إلى اعتقال جميع أفراد مجموعة الجبهة الديمقراطية ومنسق المجموعة رباح فريد الذي نتيجة التعذيب اضطر للاعتراف على بقية أفراد المجموعة ليجد الحاج علي نفسه مجددًا إلى جانب أبناء المجموعة في داخل أقبية

التحقيق ليحكم عليهم القاضي الصهيوني بالحكم الجائر الظالم خمس سنوات ليكون العام 1978م يومًا فارقًا في حياة المجاهد الحاج علي ليبدأ حياته في داخل السجون وكأنه أراده لتعزيز ثقافته الأمنية والسياسية، فتعرف إلى جانب الإخوة السابقين بإخوة جدد من بينهم فايق سويطات وعلي الدمج وأبو منصور، ووفقًا لهذه الحقبة الزمنية فإن السجناء الكبار والقدامى مسؤولون عن السجناء الجدد الأصغر سنًا ويعلمونهم نظام الحياة في السجن، فكان لدى قادة حركة فتح برامج شاملة ودائمة.

وكان الإسهام الرئيسي للحركة الأسيرة في مجال التعليم، فتم إدخال برامج تعليمية وبرامج دراسة النظرية السياسية والأيدولوجية من خلال ترويج برامج يومية وفرضها حيث توزع عليها الأوقات بكل حقل من حقول الدراسة والقراءة الموجهة وحلقات النقاش، ورغم أن هؤلاء الأسرى الأبطال كانوا يسمون أنفسهم بأنهم مقاتلون من أجل الحرية، كان يصر العدو الصهيوني على تسميتهم بالإرهابيين. وفي ظل هذه الحياة عاش الحاج علي، وتم استقباله إلى جانب أبناء مجموعته استقبال الأبطال، ولكن السجانين علموه أن يواصل الكره والمقاومة، كيف لا والدم الذي يجري في عروق الحاج علي ينبض بحب الوطن وينشد قائلًا:

وطن يباع ويشترى
ونصيح فليحيا الوطن
لو كنت تبغي خيره
لبذلت من دمك الثمن
ولقمت تضمد جرحه
لو كنت من أهل الفطن

وما أن جاء العام 1983م حتى كتب الله _عز وجل_ للحاج علي أن يعانق الحرية مرة أخرى، التي اشتاق إليها دومًا واشتاقت إليه كتوأمين سياميين وفي هذه الفترة ولا سيما بعد حرب بيروت 1982 كانت الفصائل الفلسطينية تعيش حالة من التنافس الشديد بينها من أجل طرح برامجها ورؤاها على أكبر شريحة ممكنة من الشعب الفلسطيني ليكتب لها القيادة والريادة، وكان معظمها يركز على العمل الشعبي والخدماتي والفكري.

فما كان من الحاج علي الذي استطاع بسنوات عمره التي قضاها في سجون الاحتلال صقل عقليته وفكره وهويته إلا أن كان إلى جانب حركة فتح في مخيم جنين مساندًا لنشاطاتها وتوجيهاتها، ولكن العدو الصهيوني لم يكن ليسمح للحاج علي أن يعيش حرًا بفكره وعقيدته وانتمائه ونشاطاته، فبدأ بسياسة التضييق عليه لإرغامه على الابتعاد عن الوطن، فقرر المجاهد الحاج علي عدم الخنوع والاستسلام لهذه المؤامرة الصهيونية، وأن يعيش حياته كأي إنسان عادي، وقررت العائلة مساعدته في الزواج في العام 1985م، ورغم أن هذا الأمر قد تم إلا أن قوات الاحتلال شددت ملاحقاتها ومضايقاتها له عبر استدعائه لمدة لا تقل عن ثلاثة أيام في الأسبوع لمراجعة الأمن الصهيوني الذي لم يكن يريد منه شيئًا سوى إذلاله وجعله يحرف بوصلته عن المقاومة والحرية، ونتيجة لضغط العائلة وزوجته وضغط الواقع والمكان وقلة الإمكانيات المادية؛ قرر أن يسافر إلى الخارج من أجل العمل وما أن همَّ بذلك

حتى تفاجأ بأن العدو الصهيوني هذه المرة رفض أن يخرج من فلسطين إلى أن تمكنت عائلة الحاج علي من الاتفاق مع أحد العاملين في بلدية جنين وكان ضابطًا سابقًا في قوات جيش لحد الجنوبي، وعبر إغرائه بالمال الوفير استطاع هذا الضابط أن يحصل على تصريح خروج للحاج علي وزوجته إلى الخارج، وبشرط ألا يعود إلى فلسطين إلا بعد خمس سنوات، فما كان من الحاج إلا الموافقة على ذلك وخرج من فلسطين إلى السعودية في العام 1986م.

عاش الحاج علي مرة أخرى حياة الإبعاد والبعد عن الوطن، وقد منَّ الله عليه بأن استطاع توظيف زوجته في إحدى المدارس السعودية بالإضافة إلى العمل في مهنة الحدادة، ورغم حالة الرخاء والرفاهية والأمن والأمان التي عرفها في السعودية، ورغم تعاطف الشعب السعودي مع الفلسطينيين إلا أن عيونه وقلبه ووجدانه وروحه دومًا كانت تتجه نحو فلسطين ولاسيما أن فلسطين كانت تعيش حالة الانتفاضة الفلسطينية الشعبية، بمشاركة كافة القطاعات في الشعب الفلسطيني وبمساندة شعوب وجماهير الأمة العربية، وكان ذلك في العام 1991م وهو العام الذي يستطيع فيه الحاج علي العودة إلى فلسطين، فقرر مع زوجته وأبنائه العودة إلى ثرى الوطن لزيارة العائلة، وتم السماح له بالمكوث في فلسطين لمدة شهر لتجتمع عائلة السعدي من جديد بعد غياب طويل في حياة الغربة التي قطعت صلة الرحم بين الفلسطينيين بسبب الأسلاك الشائكة والجدران والحدود والحواجز الصهيونية.

انتماؤه لحركة الجهاد الإسلامي

وما أن وصل الحاج علي إلى مخيم جنين حتى شعر بأنه وُلد من جديد، فجاء المهنئون بعودته من كل مكان، وحضر إليه قادة حركة فتح بالإضافة إلى قادة الحركة الإسلامية، وكل تيار يحاول أن يستقطب الحاج علي إلى صفه، بصفته أحد الأبطال القدامى لحركة فتح إلا أن الحاج علي كان قد حسم أمره أن يكون في صف الحركة الإسلامية، بفعل التغيير الجذري الذي حصل على حياته بفضل من الله، ثم زوجته التي استطاعت التأثير على زوجها عبر هديه إلى الالتزام بالدين والتعاليم الإسلامية.

الأسير القائد/ علي السعدي
برفقة طفله قبل اعتقاله (أرشيف الأسرة)

أدرك الحاج علي أثناء وجوده في السعودية أن عجلة الزمن لا تتوقف عن الدوران، فليل يدبر، ونهار يقبل، وصيف يجيء، وشتاء يمضي، والأيام والسنوات تمُر، وكل ذلك من العمر، ولن ترجع عجلة الزمان إلى الوراء، فأدى مناسك الحج والتزم بالصلاة، وأيقن أنه ما كان في الماضي من أفكار وطنية أو قومية لا يمكن لها أن تسود أو تصنع حرية للشعب الفلسطيني، ولا يمكن لها أن تصنع رجالًا يعشقون الموت كما يعشق العدو الحياة، ففي مدرسة الإسلام وعلى مائدة القرآن ينشأ الرجال حتى يلقوا الله ووجوههم بيضاء وقلوبهم نقية. وأصر المجاهد الحاج علي على تقديم المساعدة لقادة الحركة الإسلامية، ومنهم الشيخ جمال أبو الهيجا والشيخ بسام السعدي وفتحي أبو عيطة وإبراهيم جبر الذي كان أحد أبرز كوادر الحركة الإسلامية في مخيم جنين، فقدم لهم المساعدة، واتفق معهم على إحضار أموال الزكاة من السعودية التي يتسلمها من المليونير السعودي الشيخ محمد الشربتلي.

افتتحت جمعية أموال الزكاة في جنين للإشراف على مساعدة الفقراء والمحتاجين، وما أن انتهى تصريح الإقامة حتى عاد مع زوجته إلى السعودية ليكمل مشواره في العمل الشخصي إلى جوانب العمل الخدماتي لمساعدة الفلسطينيين، وبهذه السنوات حدثت تغييرات جذرية في القضية الفلسطينية، حيث دخلت السلطة الفلسطينية إلى الضفة الغربية عبر اتفاق أوسلو، كما أن والد الحاج علي توفي، وزوجته قدمت استقالتها من العمل، والأهم من ذلك أن الحاج علي قد سئم الغربة وحنَّ إلى الوطن.

قرر الحاج علي العودة إلى فلسطين، ولكن هذه المرة ليس زيارة للعائلة، بل ليبقى على أرض الوطن، فعاد في العام 1996م ليجد حياة جديدة لم يعهدها من قبل، فوجد الأمور والأحوال قد تغيرت حتى أن اهتمام الناس قد تغير، فلم يعد أحد يبحث عن وطنه، ولم يعد أحد يفكر في العمل العسكري ضد العدو الصهيوني باستثناء قلة قليلة من أبناء حركتي حماس والجهاد الإسلامي الذين امتلأت سجون السلطة بهم، وعلى الرغم من أن الحاج علي لم يعد يرى الجيش الصهيوني في مدينة ومخيم جنين إلا أنه كان يراه في كل شيء في الطعام والشراب والسياسة والأمن والتعليم، ولا يوجد شيء آخر إلا وطيف الاحتلال لا يزال به، فلا يمكن للمحتل أن يخرج من الأراضي الفلسطينية إلا إذا تأكد أنه سيبقي آثاره المباشرة وغير المباشرة، فما كان من الحاج علي إلا الاهتمام بعائلته وزوجته وأولاده الذين كانوا في حاجة إلى المصاريف الكبيرة لغلاء المعيشة ولاسيما بعد مجيء السلطة الفلسطينية.

وجد الحج علي نفسه يعمل في الداخل المحتل في الأراضي المحتلة عام 1948م، بمهنة الحدادة رغم قناعاته المطلقة بأن الأوضاع الفلسطينية لن تبقى على حالها، وأنها ستتغير وأن المفاوضات الفلسطينية الصهيونية لن يكتب لها النجاح، فتجربته الاعتقالية كانت قد عرّفته مدى تمسك الصهاينة بفلسطين، كما قال حاييم وايزمن في مجلس السلام بباريس عام 1919م: "إن أرض "إسرائيل" يجب أن تكون يهودية، كما أن إنجلترا إنجليزية".

هكذا فهم الحاج علي أن الصهيونية لا يمكن لها التنازل عن أي شبر من أرض فلسطين إلى من كان يملك فلسطين، وما هي إلا فترة من الزمن

حتى فشلت المفاوضات الفلسطينية الصهيونية، مما أدى إلى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية بتاريخ 28/ 09/ 2000م، وفي هذا اليوم كان الحاج علي يعمل في إحدى المدن العربية في أراضي 1948م، فسمع نبأ يتحدث عن عملية اطلاق نار على أحد الجنود الصهاينة، مما أدى إلى مقتله في مدينة قلقيلية وما أن انتهى من سماع الخبر حتى شعر بأن الدم الذي يسري في شراييته يرقص فرحًا وطربًا لهذا الخبر، وما هي إلا ساعات حتى خرجت جماهير الشعب الفلسطيني، في كل مدن وقرى ومخيمات فلسطين بالمظاهرات الحاشدة من أجل الحرية والانعتاق من الاحتلال الصهيوني، ليعود الحاج علي إلى مخيم جنين، ويشارك إخوانه نشوة الثورة والانتفاضة، التي طالما كان يتمناها منذ صغره.

الأسير القائد/ علي السعدي
برفقة مجموعة من قادة معركة مخيم جنين

قرر الحاج علي بعد أن راقب الأحداث عن كثب أن يقوم إلى جانب صديقه عكرمة ستيتي بأعمال عسكرية تساهم في دفع عجلة الانتفاضة الفلسطينية إلى الأمام، وتمكن مع عكرمة من الحصول على سلاح من نوع مسدس وكارلو لاستخدامه في تنفيذ العمليات العسكرية ضد الأهداف الصهيونية، ونجحا في تجنيد شابين لتنفيذ عملية عسكرية عبر إطلاق النار على هدف في أحد المواقع في أم الفحم في الداخل المحتل رصده الحاج علي حيث زود المجاهدين علي صبح ومجدي الطيب بالسلاح والذخيرة والسيارة المناسبة لتنفيذ العملية. وتوجه المجاهدان إلى الموقع المخطط له في أم الفحم، آخذين بعين الاعتبار توجيهات الحاج علي بأنه قبل الإقدام على إطلاق النار يجب التأكد من أن الهدف هو صهيوني مئة بالمائة لوجود العديد من العرب الذين يعملون في تلك المنطقة، وبفضل الإعداد المحكم والتوجيهات الصحيحة تمكن المجاهدان علي صبح ومجدي الطيب من قتل مستوطن وإصابة آخر ونجحا في العودة من موقع العملية إلى مدينة جنين بسلام.

بدأ الإعلام الصهيوني يتحدث عن هذه العملية وعن جرأتها وحسن التخطيط لها، فأراد الحاج علي أن تتبنى حركة الجهاد الإسلامي هذه العملية لقرب أفكاره الإسلامية من طروحات الجهاد الإسلامي، ولكن رفض قادة الجهاد الإسلامي ذلك لأسباب متعددة، وما أن أعلنت حركة فتح في مخيم جنين مسؤوليتها عن العملية وتنظيم مسيرة حاشدة لمباركة هذه العملية حتى

سارع قادة الجهاد الإسلامي لدراسة إمكانية التعاون مع الحاج علي، وبالفعل تم عقد اجتماع في منزل الحاج علي بحضور قادة حركة الجهاد الإسلامي ليكون المجاهد علي بنهاية هذا الاجتماع أحد كوادر وقادة الجهاد الإسلامي وخاصة الجناح العسكري سرايا القدس ولتعزيز هذا الانتماء والعمل تقرر عقد اجتماع بين أحد قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وهو المجاهد إياد حردان مع المجاهد الحاج علي إلا أن يد الغدر الصهيوني، أقدمت على اغتيال المجاهد إياد حردان عبر وضع عبوة ناسفة في غرفة الاتصال العمومي الذي كان يستخدمه للاطمئنان على عائلته بتاريخ 05/ 04/ 2001م.

هبت الجماهير الفلسطينية في مسيرات حاشدة جابت شوارع مدينة جنين منددة بجريمة الاغتيال، ومحملة السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية المسؤولية الكاملة عن استشهاد المجاهد إياد حردان الذي كان معتقلًا لدى الأجهزة الأمنية الفلسطينية في مقر المقاطعة بمدينة جنين، وقد أجبرت الجماهير الغاضبة السلطة الفلسطينية على إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وهنا توجه أحد قادة الجهاد الإسلامي للحاج علي من أجل أن يعطيه خطًا للتواصل مع قادة الحركة في الخارج، بالإضافة إلى إشعاره ببدء العمل من أجل تجنيد المجاهدين وتسليحهم لمواجهة العدو الصهيوني عسكريًا.

فبدأ جنبًا إلى جنب، ويدًا بيد مع المجاهد محمود طوالبة وثابت المرداوي بالإعداد والتخطيط لتوسيع حجم ونشاط سرايا القدس في جنين وقراها ومخيمها، وما هي إلا أسابيع حتى تمكن المجاهد محمود طوالبة من تجنيد الاستشهاديين علاء الصباح وأسامة أبو الهيجا،

وبمساعدة القائد البارز في سرايا القدس ثابت المرداوي تمكنا من تجهيز السيارة المفخخة وتدريب الاستشهاديين على كيفية استخدام المواد المتفجرة، وتم تصوير البطلين ليكونا نبراسًا لغيرهما في المستقبل، ونجح المجاهدان طوالبة ومرداوي في إرسال منفذي العملية إلى الموقع المطلوب في مدينة الخضيرة المحتلة، ليكتب لها النجاح ولتوقع عشرات الإصابات الخطيرة والحرجة في صفوف الصهاينة، وليؤكد قادة سرايا القدس أن تلاميذ إياد حردان هم الذين يقفون وراء هذه العملية التي جاءت للرد على عملية اغتيال القائد إياد حردان، وإن استشهد القادة فإن التلاميذ على دربهم لسائرون، وليكن تاريخ العملية 25/ 05/ 2001م، يوم عزة وكرامة شفى الله به صدور المجاهدين عبر رؤيتهم للصهاينة مجندلين في شوارع الخضيرة.

بدأ التكبير والتهليل والهتاف بسماعات المساجد مباركين هذه العملية، ومهنئين لعائلات الأبطال الاستشهاديين علاء وأسامة ليكونا أول فارسين ينفذان عملية استشهادية مزدوجة في

انتفاضة الأقصى في الضفة الغربية، وذهب الحاج علي إلى عائلات الشهيدين ليخبرهم بأن سرايا القدس هي المسؤولة عن هذه العملية، وليهنئهم باستشهاد ابنيهم، وكان علاء الصباح شابًا مطيعًا لأهله بارًا بوالده إلى درجة أن والده لم يكن ليصدق بأن ولده قد استشهد وأنه لن يستطيع رؤيته.

وذات يوم توجه والد الاستشهادي علاء إلى الحاج علي طالبًا منه إعادة ابنه إلى الحياة، فقدّر الحاج علي شعور هذا الأب وشدة حزنه على فراق ولده، وبعد إلحاح وإصرار من الأب على إعادة علاء إلى الحياة كان رد الحاج على والد علاء أنه الآن حي يرزق عند الله -عز وجل- فهو شهيد، ولا يمكن إعادته إليك، ولكن هناك إمكانية لسرايا القدس أن تساعدك الآن في رؤية ولدك علاء، فقال له كيف؟ فقال الحاج علي له عبر تجهيزك لعملية استشهادية في قلب الكيان الصهيوني، فما كان من والد علاء إلا التسليم بقضاء الله وقدره، وعدم العودة إلى مثل هذا الطلب.

بدأت سرايا القدس في الاتساع شيئًا فشيئًا، وبدأ الحاج علي يفكر إلى جانب الشهيد محمود طوالبة في صناعة الهاون، واستعانوا بمن لديه الخبرة في ذلك خاصة رجلًا من أفراد الأمن الوطني ممن يخدمون في مجال المتفجرات في السلطة الفلسطينية، ولطبيعة عمل الحاج علي وهو الحدادة تمكن من صناعة القاذف والقذائف بصعوبة بالغة، وأول محاولة لتجريب الهاون لم تنجح وكذلك الثانية، حيث خرج من ماسورة القاذف نار ودخان كثيف وصوت كبير، ولكنه في اليوم التالي اكتشف أن القذيفة لم تخرج وإنما التصقت بالإبرة وانفجرت في قلب الأنبوب.

انضم إلى صناعة الهاون عدد من أبطال كتائب شهداء الأقصى كالبطل عبد الكريم عويس ومعتصم الصباغ وأبو علي الراشد من أجل تطوير عمل الهاون ليتمكن الحاج علي بالفعل من صناعة الهاون وتم تجريبه، وحقق نجاحًا مميزًا، ومن الممكن البناء على هذه التجربة والاستمرار في عملية التطوير إلا أن قوات الشاباك الصهيونية بدأت تروج في الإعلام أنه في مخيم جنين يقومون بصناعة الهاون، وأن هذا خط أحمر للشاباك، ولم يكن لجيش الاحتلال معلومات بصحة هذه الأخبار رغم أن إحدى الدوريات قد تعرضت لقذيفة هاون من صناعة الحاج علي الصفوري، ونتيجة لاهتمام الشاباك بهذا الأمر قامت الطائرات الصهيونية بقصف سيارة عبد الكريم عويس ومعتصم الصباغ وأبو علي الراشد بعدة صواريخ ما أدى إلى استشهاد أحد قادة كتائب شهداء الأقصى الشهيد معتصم الصباغ، وإصابة كل من عبد الكريم وأبو علي الراشد.

قرر الحاج علي أن يثأر لدم الشهيد، فأرسل إحدى مجموعاته مزودة بالهاون لقصف إحدى المستوطنات، ونجحت المجموعة بإطلاق القذيفة الأولى وسقطت في قلب المستوطنة، وتم ضرب القذيفة الثانية وسقطت على الأسلاك الشائكة المحيطة بالمستوطنة، مما أحدث انفجارًا قويًا، وكان ردًا صاعقًا للعدو الصهيوني الذي استقبل هذه الرسالة التي مفادها بأن سرايا القدس تمتلك الخبرة في تصنيع الهاون، وتمتلك القدرة على ضرب الهاون متى شاءت وأن اغتيالكم للقادة العسكريين للانتفاضة لا تزيد المقاومة إلا قوة وتماسكًا وإصرارًا

على المواجهة، وانتشر في الإعلام الصهيوني أن الحاج علي هو الذي يقوم بصناعة الهاون في مدينة جنين، وأطلق عليه المقاومون لقب (الحاج هاون).

الأسير القائد/ علي السعدي
خلال مشواره الجهادي بمخيم جنين

انتقل الحاج علي إلى المرحلة الثانية من نشاطه العسكري عبر إحضار كمية كبيرة من المتفجرات ذات النوعية القوية والمجربة من مدينة نابلس مستخدمًا نفوذه وعلاقاته الوطنية الممتدة في الضفة الغربية، وخاصة مع قادة وكوادر كتائب شهداء الأقصى في مخيم بلاطة، وأصر الحاج على التزود بأكبر كمية ممكنة من المتفجرات لاسيما بعد فشل عملية المجاهد جهاد جرار التي أشرف عليها ثابت مرداوي ومحمود طوالبة حيث إن المهندس محمد جرار الذي أشرف على تصنيع هذه المواد أخطأ في عملية التصنيع عندما لم يجرب هذه المادة مما جعل المجاهد جهاد جرار يفعل زر التشغيل للشنطة التي يحملها، ولكن بلا جدوى مما أدى إلى اعتقاله، واشتدت الحملة الأمنية الصهيونية على المقاومين في الضفة الغربية، وازدادت البعثات الدبلوماسية الأمريكية لزيارة الرئيس ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية من أجل اتخاذ خطوات لإجهاض الانتفاضة الفلسطينية، وكان قد تم التصريح في الإعلام حول نية المبعوث الأمريكي لعملية السلام الحضور لمقر المقاطعة في رام الله.

في خضم هذه الأحداث جَنَّد أحد كوادر سرايا القدس في مدينة جنين، وهو المجاهد محمد أبو طبيخ الاستشهادي نضال أبو شادوف من أجل تنفيذ عملية في قلب الكيان الصهيوني، وتعاون قادة وكوادر سرايا القدس في هذه العملية فمنهم من جهز المواد المتفجرة، ومنهم من قام بالتصوير، ومنهم من قام بإيصال المجاهد إلى موقع العملية في وسط مدينة "بنيامينا" بالداخل المحتل ليكتب لها النجاح في تاريخ 16/ 07/ 2001م، حيث أدت إلى مقتل جنديين وإصابة العشرات، وكانت هذه العملية الاستشهادية الأولى التي تؤدي إلى قتل جنود صهاينة.

كان لعملية "بنيامينا" مدلولًا سياسيًا حيث قرر المبعوث الأمريكي لعملية السلام قطع زيارته إلى فلسطين بسبب هذه العملية، وأعلنت سرايا القدس أن منفذ العملية هو المجاهد نضال أبو شادوف، وهو الاستشهادي الأول من بلدة برقين، واشتدت الملاحقات الأمنية الصهيونية لقيادة حركة الجهاد الإسلامي في كل مناطق الضفة الغربية، وبدأ التنافس الشديد بين الأجنحة العسكرية من أجل قيادة المقاومة الفلسطينية وقيادة الجماهير الفلسطينية عبر الإنجازات العسكرية.

قرر المجاهد محمود طوالبة إرسال أحد الاستشهاديين من مخيم جنين، وهو المجاهد حسين أبو ناعسة لتنفيذ عملية استشهادية في قلب القدس

المحتلة، وعندما أطلع المجاهد محمود طوالبة الحاج علي على نيته إرسال الاستشهادي إلى القدس؛ تردد الحاج في هذا الأمر فلديه قناعة راسخة بأن الاستشهادي عليه أن يمر بمراحل إيمانية وروحانية عالية، هكذا أراد الحاج علي بخبرته وحنكته الجهادية أن يكون الاستشهادي، وكأنه كان يعلم مصير المجاهد حسين أبو ناعسة حين قام المجاهد محمود طوالبة بتجهيز الاستشهادي بالحزام الناسف والمال من أجل الذهاب إلى مدينة القدس، وما هي إلا ساعة ونصف حتى سمع المجاهدان محمود طوالبة والحاج علي بنبأ انفجار ضخم في مطعم "سبارو" في القدس، فأسرع المجاهد محمود طوالبة للإعلان عن هذه العملية ونشر اسم الاستشهادي حسين أبو ناعسة، وأنكر عليه الحاج علي هذا الأمر محاولًا منعه من الإعلان عن العملية قبل تحري الدقة التامة حيث إن المجاهد حسين لا يمكن أن يخرج من جنين ويصل إلى القدس خلال ساعة ونصف، وأنه ربما يكون استشهادي آخر من نفذ العملية، ولكن المجاهد محمود طوالبة أصر على الإعلان عن العملية، وإذا بالمجاهد حسين أبو ناعسة لم يخرج لتنفيذ العملية، بل تردد في الخروج إلى القدس ولشدة خجله من نفسه، لم يخبر المجاهد محمود طوالبة بهذا الأمر، وأعلنت حركة حماس مسؤوليتها عن عملية القدس التي نفذها الاستشهادي المجاهد عز الدين المصري وأدت لمقتل وإصابة العشرات من الصهاينة.

لقد كان ما جرى في هذه العملية بمثابة الدرس المهم لقادة سرايا القدس بعدم التسرع في الإعلان عن أي عملية، إضافة إلى اختيار الشخص المناسب لتنفيذ العملية الاستشهادية، بعد أن يمر في مراحل متعددة. وبدأت الفصائل الفلسطينية مستغلة هذا الحدث في تشويه قادة سرايا القدس والتقليل من أهمية العمليات الاستشهادية إلى أن قام المجاهد محمود طوالبة بتجنيد أخيه المجاهد مراد طوالبة لتنفيذ عملية في العمق الصهيوني،

الشهيد القائد/ محمود طوالبة
قائد ملحمة مخيم جنين (نيسان 2002م)

فعمل على تزويده بالحزام الناسف، وقام بإيصاله عبر المجاهد محمد العانيني إلى قلب الكيان الصهيوني، وعندما ترجل من السيارة وأراد المجاهد مراد طوالبة تفجير نفسه في جموع الصهاينة

رأى عـددا كبـيرًا مـن الأطفـال الصغـار في المـكان، فأمسـك عـن تنفيـذ العمليـة حرصًـا منـه عـلى عـدم قتـل الأطفـال، فهـذه هـي أخـلاق المجاهديـن، وهـذه هـي تعاليـم الرسـول ـصلى الله عليـه وسـلمـ، فـأراد المجاهـد مـراد طوالبـة بهـذه الرسـالة أن يفهـم العـدو الصهيـوني قاتـل الأطفـال الفلسـطينيين بـأن المجاهدين في فلسـطين ليسـوا قتلـة أطفـال، وإنـما طـلاب حـق وحريـة، وعندمـا يقاتلـون فإنهـم يقاتلـون بأخـلاق عاليـة، ولم يتمكـن المجاهـد الحـاج عـلي مـن إعـادة المجاهـد مـراد طوالبـة مـن مـكان العمليـة إلى مدينـة جنـين رغـم أنـه طلـب مـن المجاهـد محمـد العانينـي العـودة إلى مـكان العمليـة لإعـادة مـراد طوالبـة إلا أن يـد الشـاباك الصهيـوني كانـت سـباقة لاعتقـال المجاهـد مـراد طوالبـة، ومـا هـي إلا سـاعات حتى انتـشر الخبر في وسـائل الإعـلام، وأصبـح حديـث الشـعب الفلسـطيني بـأن أحـد قـادة سرايـا القـدس في مدينـة جنـين المجاهـد محمـود طوالبـة أراد إرسـال أخيـه مـراد ليؤكـد أن أبنـاء الشـعب الفلسـطيني والاستشـهاديين ليسـوا أقـل أهميـة مـن أخيـه مـراد، فـأي تضحيـة هـذه وأي مجاهـد هـذا الـذي أعـاد الأمـل إلى حـب الفـداء والتضحيـة للشـعب الفلسـطيني؟! فسـارع الحـاج عـلي وبمسـاعدة المجاهـد محمـود طوالبـة بإعـادة ترتيـب صفـوف سرايـا القـدس، وبـدأ يعـد ويخطـط لإرسـال استشـهادي إلى قلـب العـدو الصهيـوني، فوقـع الاختيـار عـلى المجاهـد محمـد محمـود بكـر نـصر (أبـو زريـق) الحـارس الشـخصي للشـهيد إيـاد حـردان.

أراد المجاهـد محمـد تنفيـذ هـذه العمليـة ثـأرًا لدمـاء صديقـه إيـاد حـردان، وبـدأ الحـاج عـلي ومحمـود طوالبـة بالتخطيـط المحكـم والإعـداد والاسـتعداد، لإنجـاح هـذه العمليـة وجهـز المجاهـد محمـود طوالبـة الحـزام الناسـف وزوده بالإضافـة إلى كبسـة التشـغيل بقنابـل خارجيـة حيـث في حـال عـدم النجـاح في التفجـير عـبر الكبسـة يمكـن إشـعال الفتيـل ويتـم الانفجـار، وتـم توصيـل المجاهـد إلى "كريـات موتسـكين" ليدخـل هـذا المجاهـد أحـد المطاعـم المكتظـة،

الاستشهادي/ محمد نصر
استشهد بتاريخ 12/ 08/ 2001م

ويقـف أمـام الجميـع كالجبـال الشـاهقة الراسـخة، ويقـول لهـم: هـل تعلمـون لمـاذا يقـوم الاستشـهادي بتفجـير نفسـه؟ وأجـاب بنفسـه: لا يمكـن لأحـد أن يطلـب المـوت إلا إذا كان متأكـدًا أن الشـهادة تعـد أفضـل مـن الحيـاة، فنحـن نحـرص عـلى المـوت لتوهـب لنـا الحيـاة،

وأنتم تحرصون على الحياة، فبدأ وكأن كل شخص منهم يستشعر دهشة في أعماقه وهو صامت كأن على رؤوسهم الطير، وبدأ المجاهد يشعل القنابل أمامهم، ويقول لهم: هكذا يقدم المجاهد على تفجير نفسه: الله أكبر! الله أكبر! وحدث انفجار ضخم أسقط عشرات الإصابات الخطيرة.

بدأ العديد من المجاهدين يقبلون على العمل في صفوف سرايا القدس واتسع نشاط السرايا ليشمل كافة مناطق الضفة الغربية، وازداد الطلب والإقبال من المجاهدين لتنفيذ العمليات الاستشهادية، ووقع اختيار المجاهد محمود طوالبة وثابت المرداوي على المجاهد سمير طوباسي لينفذ عملية استشهادية في قلب الكيان الصهيوني، وفي هذه الفترة كانت الأجهزة الأمنية الصهيوني منتشرة في مكان، ولا يستطيع أحد الدخول إلى قلب الكيان الصهيوني حيث ذكر الشاباك بأن لديه معلومات حول وجود استشهادي ينوي دخول الأراضي المحتلة عام 1948م، إلا أن المجاهد محمود طوالبة أصر على إرسال المجاهد سمير طوباسي ليجد نفسه إلى جانب سائق السيارة بيد الاحتلال لتبدأ من جديد الأجهزة الأمنية الفلسطينية وباقي الفصائل الفلسطينية وفي مقدمتها حركتا فتح وحماس بتكثيف تصريحاتها واستهزائها بسرايا القدس وبأعمالها وبفشل عملياتها، وتم تحريض عائلة الطوباسي، وإنزال بيان مسموم موقع من حماس وفتح يهاجم مجاهدي وقادة سرايا القدس مما جعل المجاهد الحاج علي الواثق بالله ـ عز وجل ـ وبقدرة وقوة سرايا القدس ومن حوله جميع كوادر وقادة وعناصر ومؤيدي سرايا القدس يحملون أسلحتهم وعتادهم مطالبين الفصائل الموقعة على البيان بالاعتذار من الجهاد الإسلامي وإلا فإن العلاقة معهم ستسوء وستأخذ منحى آخر، وما أن رأت الفصائل قوة وعظمة وشموخ سرايا القدس ومسلحيها حتى سارعت بالاعتذار عن البيان المذكور لتؤكد سرايا القدس بأنها رقم صعب لا يمكن تجاوزه في فلسطين، وبدأت سرايا القدس تنهض من بين الركام مستعيدة دورها المسؤول في نشر ثقافة المقاومة في مسيرة الجهاد والمقاومة.

وتوالت الأحداث واشتدت الانتفاضة واحتدم التنافس بين الأجنحة العسكرية في مواجهة العدو الصهيوني، واستمر مسلسل الاغتيالات بحق المقاومة الفلسطينية، فقرر المجاهدان ثابت المرداوي ومحمود طوالبة تجنيد الاستشهاديين يوسف السويطي ونضال الجبالي وتزويدهما بالسلاح والذخيرة بالإضافة إلى الجيب الأحمر الذي كان في عهدة الحاج علي الذي اضطر في أحد الأيام لإخراجه من المخزن لملاحقة القوات الخاصة الصهيونية في مدينة جنين، وما أن رأى الناس هذا الجيب حتى اعتقد الجميع أن هناك عملية يحضر لها قادة سرايا القدس، ووصل الأمر إلى الحديث عن هذا الموضوع في وسائل الإعلام الصهيونية إلا أن المجاهدين طوالبة والمرداوي أصرا رغم الاحتياطات الأمنية الصهيونية والانتشار المكثف للجيش الصهيوني في كل مكان على إرسال الاستشهاديين بنفس الجيب الأحمر لإيصال رسالة مفادها رغم أن هذا الجيب

الأحمر اكتشف أمره إلا أننا في سرايا القدس سننفذ به العملية المزدوجة وبواسطة إطلاق النار، وخرج المجاهدان يوسف السويطي ونضال الجبالي بتاريخ 28/ 10/ 2001م مسلحين بإيمانهما العميق بالله ـ عز وجل ـ وحسن التوكل عليه مرددين قول الله عز وجل: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]،

فوجدا نفسيهما في قلب الخضيرة المحتلة ليبدأ الاشتباك المسلح في وسط الشارع وجهًا لوجه لتوقع العملية العديد من القتلى والجرحى، وقد جاءت في ذكرى استشهاد الأمين العام الدكتور فتحي الشقاقي لتؤكد للعالم بأنه لا يزال هناك رجال للشقاقي ما هانوا ولا ضعفوا وما استكانوا وما بدلوا تبديلًا.

وهنا جن جنون السلطة الفلسطينية وخاصة الأجهزة الأمنية منها حيث إن الاستشهاديين من أبناء الأجهزة الأمنية مما جعل قادة جهاز الأمن الوقائي في جنين يجتمعون بالحاج علي طالبين منه عقد صفقة بين جهاز الأمن الوقائي وسرايا القدس بحيث يتجنب قادة سرايا القدس تجنيد الاستشهاديين من بين صفوف أجهزة الأمن الفلسطينية بينما تلتزم الأجهزة الأمنية بعدم اعتقال أحد من أفراد الجهاد الإسلامي أو ملاحقتهم، وتم الاتفاق على ذلك رغم أن السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية لم تلتزم بهذا الاتفاق إلا فترة محدودة من الزمن لطبيعة الضغوط والإملاءات الأمريكية والصهيونية عليها، والتي في هذه الأثناء كانت تمر في منعطف خطير جدًا بحيث فقدت شرعيتها وقدرتها على حماية الشعب الفلسطيني، كما فقدت مقدرتها على إعادة الأمور إلى نصابها، فكانت في انحدار مستمر بينما الأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية، وفي مقدمتها سرايا القدس في صعود مستمر عبر جهادها وكفاحها وعملياتها وبطولاتها، وتقدم خيرة مجاهديها وقادتها فداءً للإسلام، ثم في سبيل حرية الشعب الفلسطيني، مما جعل قائدي سرايا القدس ثابت المرداوي ومحمود طوالبة في مقدمة الصفوف في المواجهات فلم يتكلا على أحد في مواجهة العدو، بل كان لهما صولات وجولات في ميادين القتال، فتشهد لهما المستوطنات المحيطة بمدينة جنين، وتشهد لهما الطرق الالتفافية والمعسكرات الصهيونية، فكانا يحملان روحيهما على كفيهما ليكونا جنبًا إلى جنب مع أبطال وجنود سرايا القدس في الميدان لرفع هممهم ومعنوياتهم، مرددين شعر سيد قطب:

أخي إنني ما سئمت الكفاح
ولا أنا ألقيت عنّي السلاح

وإن طوقتني جيوشُ الظلام
فإني على ثقة بالصباح

أخي فامض لا تلتفت للوراء
طريقك قد خضبته الدماء

ولا تلتفت ههنا أو هناك
ولا تتطلع لغير السماء

فلسنا بطير مهيض الجناح
ولن نستذل.. و لن نستباح

وإني لأسمع صوت الدماء
قويا ينادي الكفاحَ الكفاح

سأثأرُ لكن لربٍ و دين
و أمضي على سنتي في يقين

فإما إلى النصر فوق الأنام
وإما إلى الله في الخالدين

هكذا كان قادة سرايا القدس في ميدان القتال والمواجهة، وكان قد حرص المجاهد الحاج علي على تزويد المجاهدين من كل الفصائل بما يلزم من أجل مقاومة الاحتلال الصهيوني سواء بالمال أو السلاح أو الذخيرة أو حتى المتفجرات، وهذا الأمر جعل قادة الأجهزة الأمنية يقومون بحملة تشويه جديدة ضد سرايا القدس وقادتها، وفي مقدمتهم الحاج علي حيث اتهم جهاز المخابرات في السلطة الفلسطينية بتحريضهم لعائلة آل ستيتي في مخيم جنين أن ابنهم غسان استيتي موجود عند الحاج علي في مخيم جنين من أجل إرساله إلى تنفيذ عملية استشهادية مما جعل عائلة استيتي تهاجم الجهاد الإسلامي في مخيم جنين وتتلفظ بألفاظ سيئة متهمة عناصره بخطف ابنها غسان، وأنها تريد أن ترسله للموت، فما كان من الحاج علي إلا أن يقف وقفة الرجال، وقفة الجبال التي لا يهزها شيء ليبدأ اتصالاته مع خلاياه في سرايا القدس إلى أن جاءه الخبر الصحيح، ومفاده أن غسان استيتي موجود لدى جهاز المخابرات العامة في رام الله، وهناك من يحاول من كتائب شهداء الأقصى إنزاله لتنفيذ عملية استشهادية في القدس الشريف، وتأكدت عائلة آل استيتي من صحة هذه الأخبار، واعتذرت إلى حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وبذلك تم إفشال المخطط الخبيث لأجهزة الأمن الفلسطينية لتشويه سرايا القدس.

الأسير القائد/ علي السعدي
وعلى يساره الشهيد المجاهد/ فؤاد بشارات

حاول الصهاينة تمزيق وحدة الشعب الفلسطيني وتشتيت أفكاره ومشاريعه وتصفية القضية الفلسطينية، وجرحنا لا يزال يتمدد في كل أرض وتستباح دماء السرايا على يد الصهاينة، ولا ناصر لهم إلا الله، وكل يوم ألف قصة وقصة من مآسي الشعب، ولا تزال السلطة الفلسطينية مصرة على وقف الانتفاضة ومحاصرة سرايا القدس إلى أن تمكن جهاز المخابرات الفلسطينية من إحراج الجهاد الإسلامي عبر خطة محكمة أمام الإعلام العالمي حيث كان أحد الشباب المجاهدين وهو محمد حشايكة من مدينة نابلس يريد القيام بعملية استشهادية، وتم تصويره من قبل قادة سرايا القدس عبر شريط فيديو، وللأسف تم اعتقال المجاهد حشايكة على يد جهاز المخابرات الفلسطينية ليوضع في سجن رام الله في بيتونيا، فحاولت كتائب شهداء الأقصى إخراج هذا المجاهد من السجن وإرساله باسم حركة فتح لتنفيذ عملية في قلب القدس، وقد نجح الأمر، وتم الإعلان من قبل فتح عن العملية حتى جن جنون الأمريكان والصهاينة، وتم التهديد والوعيد لحركة فتح بوضعها ووضع قادتها على القائمة السوداء، ونتيجة للضغط الشديد قام جهاز المخابرات العام ببث شريط الفيديو القديم، والذي يظهر به الاستشهادي برايات حركة الجهاد الإسلامي إلى وسائل الإعلام مما أحرج حركة الجهاد الإسلامي وقادتها لعدم علمها بهذه العملية، ولكن دائمًا مكر هؤلاء يبور حيث استطاع المجاهد الحاج علي وبطلب من الأمين العام الدكتور رمضان شلّح التحقيق في هذا الأمر وتوصل إلى النتيجة المذكورة سابقًا.

واشتد الحصار على الشعب الفلسطيني وعلى مقاومته بالإضافة إلى الضغوط الأمريكية والصهيونية على السلطة الفلسطينية بأنها إذا لم تعتقل الحاج علي الصفوري ومحمود طوالبة وبعض المجاهدين فإن القوات الصهيونية ستدخل لهدم المخيم على ساكنيه وسوف تجتاح مدينة جنين، فقرر الحاج علي أن يجلس في إحدى الشقق في مدينة جنين بصحبة مسلحين من سرايا القدس، ولفترة بسيطة إلى حين مجيء المبعوث الدولي الأوروبي لعملية السلام، والذي دار حديث طويل بينه وبين الحاج علي عن مستقبل القضية الفلسطينية ومصير المقاومة وإيجابياتها وسلبياتها وغيرها من المواضيع.

نجحت الخطة المتفق عليها من الحاج علي والسلطة للإيحاء للمبعوث الدولي أن الحاج علي مسجون لدى السلطة الفلسطينية، وقد حاول المجاهد علي نقل العمل العسكري بكافة إمكانياته إلى مدينة رام الله لتوسيع نشاط سرايا القدس وبالتنسيق مع قادة من حركة فتح ممن يعملون في الأجهزة الأمنية للسلطة، وأثناء مغادرتهم إلى مدينة رام الله قرروا المبيت في نابلس لليوم التالي، وإذا بالسلطة الفلسطينية وبقرار من أعلى المستويات، من الحاج إسماعيل جبر وقادة الأجهزة الأمنية تقرر احتجاز الحاج علي واعتقاله ووضعه في أحد الزنازين في مقاطعة السلطة في مدينة نابلس لتبدأ الاتصالات المكثفة حول ظروف الاعتقال، ولماذا؟ وكيف؟

الأسير القائد/ علي السعدي (يمين)
وبجانبه الأسير القائد/ مروان البرغوثي (سجن هداريم)

رفضت السلطة رفضًا قاطعًا الإفراج عنه، ولكنه بفضل من الله وبمساعدة بعض الحراس الشرفاء تم التنسيق مع حراس السجن من أجل الخروج من المقاطعة ولاسيما بعد رؤية الأجهزة الأمنية وهي تخلي مقراتها تحسبًا من القصف الصهيوني بطائرات (F16) حيث ما أن خرج الحاج علي من المكان باتجاه مكان آمن حتى قصف المكان الذي كان يتواجد به بواسطة صواريخ طائرات (F16) واستطاع بجهد جهيد الخروج من المقاطعة وبمساعدة شرفاء حركة فتح الذين تمكنوا من إيصاله إلى مخيم بلاطة، فتم استقباله بكل حفاوة وخاصة المجاهد ناصر عويص أحد مؤسسي كتائب شهداء الأقصى، وتم التجهيز لإعادة الحاج علي إلى مخيم جنين رغم حضور عائلته ووالدته لرؤيته لاعتقاد الجميع بأن الحاج علي قد استشهد في المقاطعة وما هي إلا ساعات حتى تمكن الحاج علي من دخول مخيم جنين ليجد قادة وكوادر وعناصر سرايا القدس في استقباله ليأتيه معظم الفصائل الفلسطينية مهنئين إياه لعودته سالمًا إلى حضن المقاومة في مخيم جنين، وما كان من السلطة إلا أن اتصلت بالحاج علي طالبة منه عبر قادتها رافع الروجيبي وإسماعيل جبر وأبو أحمد إبراهيم خضر وغيرهم من أجل تسليم نفسه، فقال لهم: لقد كنت أتوقع أنكم وبدرجة معينة لا تزالون تحافظون على وطنيتكم وإنسانيتكم، ولكن بعد الذي حدث أقسم بالله العظيم بأن من يقترب أو يفكر بالاقتراب من أي مجاهد من سرايا القدس سيجد الطلقة في رأسه مما دفع قادة السلطة الفلسطينية إلى التراجع عن نواياهم تجاه الملاحقات الأمنية لقادة المقاومة الفلسطينية

وقرر المجاهد الحاج علي الخروج بكافة قادة وكوادر سرايا القدس والمسلحين بمسيرة حاشدة جابت شوارع مدينة جنين لإظهار قوة وعظمة سرايا القدس وكرسالة تهديد إلى أي جهة ممكن أن تفكر في الاعتداء على أي مجاهد من مجاهدي سرايا القدس،

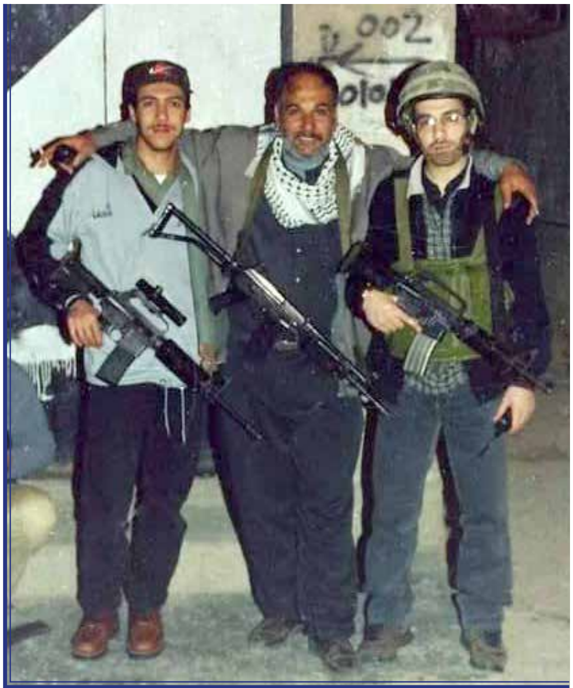

الأسير القائد/ علي السعدي (وسط)
برفقة الأسير القائد/ ثابت مرداوي والشهيد المجاهد/ محمد ياسين

وبنفس الوقت أكدت السرايا أنها على استعداد تام لمساعدة كافة المجاهدين ومن كل الفصائل للحصول على السلاح والذخيرة من أجل العمل حيث كان الحاج علي على علاقة وطيدة مع قادة كتائب شهداء الأقصى في مخيم بلاطة في مدينة نابلس، وكان يتم تبادل الخبرات والإمكانيات العسكرية المتوفرة، وعادة كان قادة كتائب الأقصى يرسلون الاستشهاديين من نابلس إلى الحاج علي من أجل إرسالهم لتنفيذ عمليات استشهادية في قلب

الكيـان الصهيـوني، وأحيانًـا كان الحـاج وبعـد ثلاثـة أيـام مـن حضـور الاستشـهادي تـأتي عائلته إلى الحـاج عـلي للسـؤال عنـه حتـى أصبـح يشـاع بـأن أي شـاب ضائـع ولم يعـد إلى منزلـه عـلى أهلـه الاتصـال بالحـاج عـلي؛ لأنـه سـيكون عنـده لإرسـاله لتنفيـذ عمليـة!

كـما أن الحـاج عـلي لـه بـاع طويـل في مسـاعدة العديـد مـن المجاهديـن في مدينـة جنـين ممـن ليـس لهـم أي انتـماء فصائـلي؛ فقـد حـضر إليـه أحـد أبطـال بلـدة اليامـون إبراهيـم عباهـرة طالبًـا منـه المسـاعدة في إحضـار المتفجـرات وامتـلاك السـلاح؛ لأنه يريد العمـل لوحده، وقـدم المجاهـد الحـاج عـلي كل العون المطلـوب لإبراهيم عباهـرة الـذي بـدوره اسـتطاع تجنيـد الاستشـهادي نمـر أبـو سـيفين بحـزام ناسـف، واستشـهد المجاهـد نمـر أبـو سـيفين، ولم تنجـح هـذه العمليـة وتفاجـأ الجميـع أن هنـاك شريـط فيديـو مصورًا باسـم الجهـاد الإسـلامي يُعـرض عـلى القنـوات الإعلاميـة مـا جعـل الأمـين العـام الدكتـور رمضـان شـلح يتواصـل مـع قـادة السرايـا في جنـين مسـتوضحًا الأمـر، فقـال لـه قـادة السرايـا بـأن هـذه العمليـة ليسـت للجهـاد الإسـلامي، وشرحـوا لـه القصـة بكافـة التفاصيـل، وهنـا يـأتي دور القائـد والمعلـم والمـربي الدكتـور رمضـان شـلّح قائـلًا لقـادة السرايـا: بـما أن الشـهيد صُـور برايـات الجهـاد الإسـلامي، وتـم إنزالـه باسـم الجهـاد الإسـلامي وبتـصرف فـردي مـن قبـل المجاهـد إبراهيـم عباهـرة؛ فأدبًـا وأخلاقًـا منـا لابـد مـن تبنـي الفشـل قبـل النجـاح، وأن الاستشـهاديين وأرواحهـم وعائلاتهـم وأبناءهـم أمانـة في عنـق قـادة سرايـا القـدس. هكـذا هـي سرايـا القـدس، وهكـذا هـي أخلاقهـم وأدبهـم.

وكان قـد كشـف الحـاج عـلي اتصالاتـه وعلاقاتـه مـع حركـة فتـح، وقـرر التخطيـط لعمليـة مشـتركة باسـم حركـة الجهـاد الإسـلامي وحركـة فتـح لكـون العلاقـة مـا بـين الحـاج عـلي وأحـد قـادة كتائـب الأقـصى المجاهـد عبـد الكريـم عويـص قويـة، واتفقـا عـلى تجهيـز الاستشـهاديين عبـد الكريـم أبـو ناعسـة ومصطفـى أبـو سرية، وكانـا مـن أبنـاء سرايـا القـدس، وبنفـس الوقـت يعمـلان في أحـد الأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية، وتـم تصويـر أحدهمـا باسـم حركـة فتـح والآخـر باسـم الجهـاد الإسـلامي، وكان السـلاح والعتـاد والذخـيرة والسـيارة، وكل شيء مقدمًـا مـن سرايـا القـدس، وعـلى رأسـهم الحـاج عـلي، والهـدف مـن كل ذلـك سـياسي، وهـو أن تكـون هـذه العمليـة الأولى في قلـب الكيـان الصهيـوني باسـم حركـة فتـح التـي كانـت تؤمـن ولا تـزال بالعمـل العسـكري في الأراضي المحتلـة عـام 1967م، وأمـا الهـدف العسـكري فهـو التعـاون الكامـل وبكـل الإمكانيـات

المتاحة مع كافة المجاهدين والشرفاء على قاعدة مقاومة العدو الصهيوني، وبفضل الله وتوفيقه بتاريخ 27/11/2001م؛ وصل الاستشهاديان عبد الكريم أو ناعسة ومصطفى أبو سرية إلى مدينة العفولة المحتلة، وفتحا نيران سلاحهما الرشاش تجاه الصهاينة، وأدت العملية لمقتل العديد من الصهاينة وإصابة العشرات بجراح خطيرة.

جن جنون السلطة الفلسطينية واستنفرت كافة أجهزتها الأمنية، وأصبحت هذه العملية محط أنظار كافة وسائل الإعلام وخاصة الصهيونية والأمريكية، وبدأت التهديدات للسلطة الوطنية الفلسطينية، وبدأت الحملات العسكرية والأمنية الصهيونية في كافة مناطق الضفة الغربية لمحاولة إخضاع المقاومة وفق الشروط الصهيونية إلا أنها في كل اجتياح وفي كل حملة عسكرية تجابه بمقاومة شعبية وعسكرية شاملة ومن كافة الفصائل الفلسطينية، وحرص المجاهد الحاج علي على تقديم كل ما يلزم للمجاهد محمود طوالبة ومساعديه من أجل إنتاج كميات كبيرة من المتفجرات وتجهيز الأحزمة الناسفة والعبوات الجانبية، وقد نجحت سرايا القدس بتنفيذ سلسلة من العمليات البطولية نفذها الاستشهادي عبد الكريم عيسى طحاينة، وأخرى نفذها الاستشهادي سامر شواهنة، وأخرى نفذها الاستشهادي رأفت أبو دياك مما جعل قادة العدو الصهيوني يوجهون أصابع الاتهام إلى قادة سرايا القدس في مخيم جنين ثابت مرداوي والحاج علي ومحمود طوالبة، وأصدروا قرارات اغتيال بحقهم، وقرر شارون على أثر ذلك اجتياح مخيم جنين لتصفية قادة سرايا القدس ومهاجمة عش الدبابير أي مخيم جنين.

فرض حصار مشدد على مخيم جنين من كافة الاتجاهات، وبدأت الاشتباكات مع العدو الصهيوني من كل جانب، وجاء خبر من قبل السلطة الفلسطينية في حال عدم انسحاب المقاومين من مخيم جنين فإنه سيتم هدم المنازل على ساكنيها مما اضطر المقاومين إلى الخروج إلى مدينة جنين لساعات محدودة بينما أصر المجاهد محمود طوالبة ومعه بعض المجاهدين على عدم الخروج والبقاء في مخيم جنين، واستمرت عمليات سرايا القدس وكتائب الشهيد عز الدين القسام وكتائب شهداء الأقصى؛ فإضافة لعمليات سرايا القدس قامت كتائب القسام بتنفيذ عملية استشهادية في قلب مدينة حيفا بتاريخ 31/03/2002م، نفذها الاستشهادي شادي طوباسي ابن مخيم جنين، وأدت إلى مقتل عشرين صهيونيًا وإصابة العشرات، وكانت هذه العملية بدعم من الجهاد الإسلامي حين استطاع الحاج علي تزويد المجاهد نصر جرار بالاستشهادي شادي طوباسي الذي كان يعتبر أحد الاستشهاديين لسرايا القدس بالإضافة إلى تزويده

بكمية كبيرة من المتفجرات، وليس هذا فحسب، بل تم تبني مصروفات ومستلزمات بيت العزاء للشهيد، وكل ذلك للوصول إلى حالة من التعاون الإسلامي والعسكري بين سرايا القدس وكتائب القسام في الضفة الغربية.

وكانت حركة حماس قد نفذت عملية سابقة، هي عملية فندق "بارك" في مدينة "نتانيا" الصهيونية بتاريخ 27/ 03/ 2002م والتي أدت لمقتل أكثر من ثلاثين صهيونيًا مما جعل شارون وموفاز يقرران اجتياح الضفة الغربية عبر عملية سُميت عملية السور الواقي مستخدمين كافة إمكانياتها العسكرية من مجنزرات ودبابات وطائرات وصواريخ لمواجهة المقاومة الفلسطينية في مخيم جنين حيث ما أن أعلن شارون عن هذه العملية حتى بدأت سرايا القدس بعقد اجتماعاتها في مخيم جنين، وعلى رأسهم الحاج علي وثابت المرداوي ومحمود طوالبة والعديد من الكوادر والقادة لسرايا القدس وتم الإعداد والتجهيز السريع للعبوات الناسفة والأحزمة الناسفة والأكواع والقنابل، وتم إحضار المزيد من الذخيرة من مناطق مختلفة من قرى جنين لدعم صمود المقاومة في مخيم جنين.

اجتمعت سرايا القدس بالأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية من أجل رسم خطة دفاعية عن مخيم جنين، وتم تقسيم المجموعات بالتعاون مع أفراد الأمن الوطني بقيادة النقيب أبو جندل، والتركيز على منطقة الجابريات والحارة الغربية والحارة الشرقية ووسط المخيم المكان الذي تواجد به الحاج علي من أجل تحريك الخلايا والمجاهدين في جميع الاتجاهات، وساهم الحاج علي بمساعدة المجاهدين في زرع العبوات الناسفة لمنع تقدم الدبابات الصهيونية، واشتدت المعارك لدرجة أن القصف في بعض الليالي لم يكن ليتوقف.

العشاء الأخير لمجموعة من أبطال معركة مخيم جنين
(نيسان 2002م)

لم يكن بالإمكان معالجة المصابين، وتعذر نقلهم للمشافي وبدأ الحاج علي وبقية المجاهدين بخوض الاشتباكات العنيفة جدًا مع العدو الصهيوني، وأحيانًا كانت تدور الاشتباكات من مسافة صفر وعلى الرغم من شراسة القصف الصهيوني وهمجية النيران، فطائرات الأباتشي وطائرات (F16) تحلق كسرب طيور جارحة متوحشة فوق رؤوس المدنيين لتزرع الدماء والخراب والموت في كل بيت وحارة وزقاق، وتسرق الأطفال من الأحضان الدافئة أو الطرقات الضيقة والزوايا المعتمة، ولكن الاستعداد للبذل والتضحية والفداء وتوطين النفس على طبيعة وشراسة الحرب كان أقوى من كل طائراتهم وقواتهم. وبدأت القوات الصهيونية تستخدم الجرافات الضخمة لهدم المنازل ومحاصرة المجاهدين، ولكن عزيمة وإصرار الأبطال

على المواجهة جعلتهم ينصبون الكمين تلو الكمين للعدو الصهيوني.

دوره البطولي في معركة جنين

ففي إحدى الأيام تمكن المجاهدون المتواجدون في وسط المخيم بصحبة المجاهد الحاج علي من نصب كمين محكم لفرقة جنود من المشاة مما أدى إلى مقتل ما يزيد عن 13 جنديًا صهيونيًا،

صور الجنود الصهاينة القتلى وعددهم (13)
في الكمين البطولي للمجاهدين بالمخيم

والاستيلاء على كافة أسلحتهم وذخيرتهم بالإضافة إلى سحب أربعة جثث من أجل المفاوضة عليها فيما بعد، وكانت قد سقطت العديد من المواقع، واستشهد العديد من المجاهدين، وفي مقدمتهم الشهيد القائد محمود طوالبة رفيق درب المجاهد الحاج علي، وبدأت الجرافات بهدم المنازل على ساكنيها إلى أن تم محاصرة المجاهدين في بقعتين جغرافيتين صغيرتين، وبتوفيق من الله تمكنت المجموعتان من الاندماج لتشكلا قوة لا يستهان بها، وكان معظمهم من قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية في مخيم جنين الذين بصمودهم كانوا يصعدون نحو الشمس بينما الجبناء الصهاينة تؤكد كل المؤشرات انحدارهم إلى مزبلة التاريخ، وبعد معارك لا يمكن وصفها لشدة أهوالها كأنها أحداث يوم القيامة تم محاصرة المجاهدين في منزل واحد يضم أبطال سرايا القدس، ومنهم ثابت المرداوي والحاج علي وكافة مقاتلي الفصائل الفلسطينية، ونجح أحد الأخوة المقاتلين، وهو جمال حويل بالاتصال بقناة الجزيرة طالبًا من كل البشر أن يقرؤوا الفاتحة على أرواحهم، وهم أحياء؛ لأنه سيتم دفنهم بعد قليل بواسطة جرافات الاحتلال الصهيوني، وهنا كان ذلك الاتصال لصالحهم حيث تحركت كل وسائل الإعلام بالإضافة إلى جمعيات حقوق الإنسان في العالم من أجل منع العدو الصهيوني من هدم المنزل على المجاهدين.

اعتقاله والحكم عليه

بدأت عملية التفاوض ما بين المجاهدين وبين العدو الصهيوني وهنا تمكن المجاهد ثابت المرداوي من الاتصال بالأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي ليطلعه على ما يحدث في الساعات الأخيرة حيث أكد الأمين العام أنه من الممكن أن نخسر هذه المعركة، ولكننا لم نخسر الحرب ولذلك لا مانع من أن تسلموا أنفسكم، فهذه جولة من الجولات والبطولات المستمرة في تاريخ الشعب الفلسطيني، وأن

هناك الأمل بفتح ملف التبادل بين حزب الله والعدو الصهيوني، واتفق المجاهدون على تسليم أنفسهم باستثناء الحاج علي الذي رفض الانصياع لهذا القرار مما جعل الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي يحدثه عن المقاومة والصمود وطبيعة الصراع، وأن هذا الصراع لا يمكن أن يحسم في معركة واحدة وأن النفس الطويل هو للمقاومة الفلسطينية وأن النصر سيكون قريبًا وأن الحرية لكم سترونها واقعًا،

الأسير القائد/ علي السعدي
برفقة والدته المرحومة خلال زيارتها له في السجن

وهنا بدأ المجاهدون بالخروج ليسلموا أنفسهم بشرط عدم خلع ثيابهم وعدم وضع العصبة على عيونهم، وكل ذلك ليلقوا نظرة الوداع على مخيم جنين وشهداء مخيم جنين وجرحى مخيم جنين، وليشاهدوا مخيم جنين وكأن زلزالًا أصابه، فلم يبق منه سوى التاريخ، وكان مصير مجاهدنا الكبير الحاج علي الصفوري (الحاج هاون) هو الاعتقال وكانت المقاومة والجهاد حبه الكبير الذي أعطاه طهارة أفكاره وعاطفته مجسدًا في الوقت نفسه القدرة على الفعل الحقيقي من دون خطابة أو إعلام أو صحافة أو رياء.

ووجد المجاهد الحاج علي نفسه من جديد داخل سجون الاحتلال ليكمل الدرب والطريق إلى جانب كافة الأسرى والمعتقلين ليستغل وقته في كل ما هو مفيد؛ فحصل على شهادة البكالوريوس في علم التاريخ، وصار أبًا لكل المعتقلين، ولا يزال ينتظر هو وإخوانه الأسرى المجاهدون وعدًا من سنين بتحريره وتحرير فلسطين.

STATE OF PALESTINE
MINISTRY OF EDUCATION AND HIGHER EDUCATION
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA

دولة فلسطين
وزارة التربية و التعليم العالي
جامعة الأقصى غزة

CERTIFICATE

شهادة

Faculty of Arts & Human Sciences

التاريخ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

DEAN OF FACULTY

الأسير المجاهد
محمد قاسم أحمد عارضة

مجاهد يتابع هدفه الجهادي في صبر وإصرار

تاريخ الميلاد: 1982/09/03م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة عرابة – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 8

تاريخ الاعتقال: 2002/05/16م

الحكم: 3 مؤبدات و20 عاماً

جميع أبطال التاريخ قد يُهزمون ويُقهرون ويموتون، وقد يتمكن منهم الضعف وهم محدودون بالزمان والمكان والبيئة والظروف كباقي البشر إلا أن المجاهد القائد الكبير محمد قاسم عارضة ليس تاريخًا فحسب، بل هو بأعماله أسطورة. فلك المجد ولك البطولة يا محمد! يا ريح المسك الطيب! يا معاني كلماتي! يا راحة كفي الممسكة بالقلم! لك منا سلام ما هطل الدمع أو بكى الغمام.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد محمد في بلدة عرابة بمحافظة جنين، في تلك البلدة ذات التاريخ العريق التي جاء اسمها كما قيل من كلمة كنعانية أصيلة وتعني (عربون) وهي التلة المرتفعة، ويُعتقد أيضًا أنها سميت عرابة نسبة إلى النبي عرابيل الذي سكنها. وأصبح الناس يقولون سنذهب إلى الرابية، ومن ثم على الرابية وأصبحت تسمى عرابة وأصبحت شاهدة على تاريخ مائة عام من الصراع الفلسطيني الصهيوني البريطاني، فخرّجت العديد من القيادات والأبطال والثوار والشهداء، وامتازت بعائلاتها العريقة كعائلة عارضة، وهي العائلة التي كانت قد سكنت الجزيرة العربية في منطقة تسمى العارضة وجبال العارضة، وهاجرت إلى الأردن ومنها إلى بلدة عرابة، ففي هذه البلدة ولد مجاهدنا محمد، وفي هذه

العائلة ولد والد المجاهد محمد في العام 1936م، وكان شاهدًا على تاريخ مهم من تاريخ الشعب الفلسطيني، حيث شهد الاحتلال البريطاني، وشهد الاحتلال الصهيوني، وعايش نكبة فلسطين عام 1948م، ثم نكستها عام 1967م ثم انتفاضتها الأولى عام 1987م، وبدأ حياته كعامل في زراعة الزيتون والاعتناء به وقطفه والعمل في خشبه، فكان يتعلق كثيرًا بالأرض رغم أنه لم يكن يملكها وإنما كان يستأجرها ويضمنها.

أكمل والد المجاهد محمد مشوار حياته عبر الزواج من امرأة رائعة من بلدة كفر راعي، استمر زواجه بها عشرين عامًا دون أن يرزقهم الله الأطفال، ونتيجة لكبر سنه وحاجته الماسة للولد وللأسرة قررت زوجته أن تزوجه من امرأة أخرى من قرية العرقة في مدينة جنين، ليرزقه الله تعالى منها طفلتين، وإذا بهذه الزوجة تحمل حملها الثالث، فجاءها في المنام رجل يرتدي ملابس بيضاء وله لحية بيضاء وبشرها بأن في أحشائها ولدًا وإن وُلد فعليها أن تسميه محمد، فكانت تعتقد أن في بطنها طفلة، ولما وضعت مولودها إذا به ولد فأسمته محمد، وأصبح الأب المكنى بأبي أحمد يُسمى أبو محمد، وعمت السعادة والفرح والسرور هذه العائلة البسيطة والمتواضعة إلا أن رياح الأمل والفرح لم تأت بما اشتهت هذه العائلة، فأصبح والد محمد لا يقوى على الحركة، وأصبحت حركته ثقيلة، وكبر سنه فما كان أمامهم سوى الاعتماد على المساعدة التي تقدمها الشئون الاجتماعية ووكالة الغوث لشئون اللاجئين لكونهم لاجئين من حيفا. ومع هذه الأحوال القاسية والصعبة فقد استحوذ المجاهد محمد على حب والديه منذ نعومة أظفاره، فحرص والده على تنشئته تنشئة إسلامية إيمانية، فعلمه الإسلام وأدب القرآن ورفعة الأخلاق، فأصبح إلى جانب أبيه من رواد المسجد، وكان يحرص على الصلاة فيه في معظم الأوقات، وأراد هذه الأب أن يعلم ابنه محمد كل ما لديه من خبرة وتجربة في حياته فلزمه كظله، وكان يسير معه في كل مشاويره سواء إلى زيارة العائلة لتعزيز صلة الرحم أو إلى العمل أو إلى المسجد، وبدأ هذا الأب يقص على ولده محمد قصص وحكايات من الماضي ليأخذ منها الدروس والعبر، ويعلمه معاني الحب والوطن والتضحية والفداء والشجاعة.

الأسير المجاهد/ محمد عارضة
برفقة والدته الصابرة خلال زيارتها له في السجن

تلك الشجاعة التي شهدت بلدة عرابة لوالد محمد بها في أحد أيام الانتفاضة الفلسطينية الأولى عندما اقتحم الجيش الصهيوني بلدة عرابة من كافة محاورها معززين بالآليات العسكرية ودباباتهم التدميرية، وأرادت إحدى هذه الدبابات المرور من جانب منزل عائلة أبو محمد، وفي حال مرورها من هناك سيؤدي ذلك لهدم أجزاء من المنزل مما جعل هذا الأب الشجاع يحمل بيده عصاه وكأنها تحولت بيده إلى مدفع، وبدأ يصرخ في وجه الجنود الصهاينة ووقف أمام هذه الدبابة قائلًا لهم: "لن تمروا من هنا إلا على جسدي" وحاولوا بكل قوتهم أن يبعدوه عن المكان دون جدوى، وما أن رأى الجنود الصهاينة هذا الإصرار وهذا التحدي من هذا الأب حتى قاموا بتغيير مسار هذه الدبابة، وأصبحت هذه الحكاية يتحدث بها الناس في قرية عرابة، فما أن سمعها محمد حتى قال لأبيه: يا أبي سأكبر وأصبح بطلًا مثلك، فقال له الأب: "أنت يا ولدي بطل منذ اليوم الأول الذي وُلدت فيه".

تعلم محمد من أبيه الكثير من المعاني والدروس والقيم، التي صقلت شخصيته في فترة طفولته، هذه الطفولة التي بدأت في زمن الانتفاضة الفلسطينية، التي على الرغم من صغر سنه حينها إلا أنه لا يزال يذكر أحداثها اليومية سواء عبر مدرسته التي كانت تشارك المتظاهرين في أحداثها أو عبر أشبال وفتيان بلدة عرابة الذين كانوا يساندون الشباب الكبار في رمي الحجارة والهتاف، ووضع الحواجز والمتاريس لمنع تقدم العدو الصهيوني إلى قلب بلدة عرابة، فبدأ حينها المجاهد محمد يعيش طفولة جديدة من نوعها، طفولة مليئة بحب الوطن والدين ومقاومة المحتل الصهيوني، طفولة محرومة من كل حقوقها المكفولة دوليًا وإنسانيًا في كل بقاع العالم، طفولة مليئة بالحزن والأسى لاستشهاد أبناء جيلهم من الأطفال، فعلى هذه الأحداث كبر ونما هذا المجاهد محمد، ولا يزال يذكر ذلك اليوم الذي استشهد فيه ابن عمه الشهيد حمد عارضة الملقب بملك الزجاجات الحارقة؛ بتاريخ 24/ 07/ 1989م حين نفذ عملية ضد أفراد من جهاز الشاباك الصهيوني وهم يصورون بلدة عرابة، وكان بالقرب منه المجاهد أنور حمران في ذلك الوقت. وأثار حدث استشهاد حمد العواطف في بلدة عرابة وتفجر الغضب بركانًا يتصاعد لهيبًا، وتم فرض منع التجول على البلدة، ولكن أبطال عرابة بكافة فصائلها الوطنية والإسلامية رفضوا الخضوع لهذا المحتل فلم تتعب ولن تكل من رجم الحجارة والزجاجات الحارقة والفارغة على جنود الاحتلال مصحوبة بصيحات الله أكبر ولله الحمد، فقد طغت على صوت الرصاص الحي والمطاطي، والهتافات باتت تزلزل الأرض من تحت أقدام المحتلين، قتلة الأطفال وكأن محمد سمع ابن عمه يقول:

إخوتي هذه الشهادة قد نلتها
فألحقوني وامشوا على إثرها
هذي أرض الأنبياء فارجعوا عزها
وأمة استنجدت بكم فاحموا عرضها
وعقيدة التوحيد ارفعوا رايتها
وأيادي كُبلت بالحديد فكوا قيودها

بداية اهتمامه بحركة الجهاد الإسلامي

رغم صغر سن المجاهد محمد إلا أنه كان يقول أنا مسلم، أنا ابن المسجد، أنا من أحفاد محمد _صلى الله عليه وسلم_ أنا من رُبا البلد الأمين ولن أهون ولن ألين. وبدأ والده يحرص حرصًا شديدًا على أن يجلسه معه في مجالسة المطاردين والفدائيين حيث كان منزلهم مقصد معظم الثائرين والمطاردين والمجاهدين، وكانت هذه العائلة رغم حالة الفقر التي تعيشها مستعدة أن تجوع ويجوع أولادها، ولكن ليشبع شباب الوطن؛ لأن الوطن أهم ألف مرة من حياة العائلة، فالعائلة تفنى ولكن يبقى الوطن. وفي أحد الأيام بينما كان محمد بصحبة فتيان البلدة إذا بهم يلعبون لعبة حول من ينتمي إلى فصيل فلسطيني، وبدأ كل واحد منهم يذكر أنه ينتمي إلى فتح والآخر يقول إلى الجبهة وآخر إلى حماس، ولما وصل الدور إلى الفتى الذي قبل المجاهد محمد قال: أما أنا فأنتمي إلى الجهاد الإسلامي، وعندها علم المجاهد محمد ماذا يقول، فقال وبصوت عالٍ: "أما أنا فأنا جهاد إسلامي"، وكان حينها في عمر الورود وتعمق حبه للجهاد الإسلامي أكثر فأكثر عندما كان يذهب إلى جانب أشبال الجهاد الإسلامي إلى المسجد الشمالي في عرابة، هذا المسجد الذي نشأ وتربى فيه، وكان له أثر عظيم عليه. حينها كبر ليأخذ دورة في الأذان في المسجد والعناية به وكان يجلس فيه مع كوادر حركة الجهاد الإسلامي الأكبر منه سنًا ليتأثر بهم، وبصفاتهم وأخلاقهم وبأفكارهم وخاصة مع المجاهدين إياد حردان وسفيان عارضة الذي كان له الأثر المباشر في ضم المجاهد محمد لصفوف الجهاد الإسلامي ليكون مع شباب الحركة في عرابة مع الأبطال محمد المرداوي وعبد الله عارضة وسامي عريدي وعمر عز الدين، وطارق عز الدين وكانوا يجتمعون في المسجد الشمالي في عرابة، وفي المساجد الأخرى كان يجتمع مع المجاهدين خضر عدنان وطارق قعدان ومحمود قعدان ورائد مغير.

الأسير المجاهد/ محمد عارضة (يمين)
برفقة الشهيد المجاهد/ وائل عساف

بدأت حياة المجاهد محمد تتغير شيئًا فشيئًا حين بلغ من عمره ثلاثة عشر عامًا، فبدأ يساعد والده في العمل ويكسب من عرق جبينه المال ويضعه في يد والده، فقال الوالد: "الحمد لله الذي أحياني لأرى تعب أولادي وآكل من عرق جبينهم وأحمل نقودهم" إلا أن المرض اشتد على هذا الأب ليتوفاه الله عز وجل بتاريخ 24/ 10/ 1995م، فأي حزن قد أصاب المجاهد محمد حينها وأي هم وأية مسئولية ألقيت على كاهله ليعيش حينها

هو وإخوته في بيت مفعم بالمآسي؟ فنشأ في حالة اليتم ليصبح بعدها المعيل والمسئول المباشر لعائلته ووالدته وأخواته وإخوانه الصغار، وفي ظل هذه المآسي والأحزان جاء الخبر الآخر، وهو نبأ استشهاد الأمين العام الدكتور فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي ليزداد حزنًا وألمًا، وبما أن الله -عز وجل- يقول في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10]، حرص حينها مجاهدو حركة الجهاد الإسلامي على الارتباط بهذه العائلة حيث في العام 1996م وفي ظل مجيء السلطة الفلسطينية كان المجاهد محمد قد أصبح من أهم نشطاء الجماعة الإسلامية الإطار الطلابي للحركة آنذاك، وازداد نشاطه في المدرسة ليكون إلى جانب صديقه المجاهد وائل عساف، وقاموا بالعديد من النشاطات المدرسية كمجلة الحائط وتوزيع جريدة "الاستقلال" التابعة للجهاد الإسلامي على مدير ومعلمي المدرسة، وتعتبر مجلة الحائط التي أنشأها محمد ووائل ونبيل مغير أول مجلة حائط تابعة للجماعة الإسلامية في مدارس جنين وقراها.

استمر نشاط المجاهد محمد عارضة ووائل عساف ورفيق دربهم المجاهد نبيل مغير في نشاطات الجماعة الإسلامية في المدرسة بالإضافة إلى الكلمات الصباحية حول مواضيع مختلفة وتلاوة القرآن الكريم في الصباح الباكر وبالإضافة إلى المدرسة امتد نشاطهم إلى المسجد في بلدة عرابة، فأحيوا المسجد الشمالي بمجلة الحائط والاعتناء بنظافة وترتيب هذا المسجد والمواظبة على تلاوة القرآن في وقت المغرب بصحبة المجاهدين أحمد دهيدي وطارق عز الدين ومحمد مرداوي وعبد الله عارضة وسامي عريدي إضافة إلى المجاهدين الأبطال وائل ومحمد ونبيل.

نشاطه ضد الاحتلال

أراد المجاهد محمد في العام 1997م أن يغيظ العدو الصهيوني ويجعله يشتاط غضبًا عبر قيامه بوضع جسم مشبوه على أحد الشوارع المؤدية إلى مستوطنة "مابو دوتان"، وما أن رأى العدو الصهيوني هذا الجسم المشبوه قام بإغلاق المنطقة والإعلان عنها منطقة مغلقة عسكريًا ومنع تقدم السيارات وأحضر خبراء المتفجرات ومئات الجنود الصهاينة معززين بآلياتهم العسكرية، وتم إحضار الروبوت الآلي على شاكلة الدبابة الصهيونية ليقوم بفحص هذا الجسم المشبوه والعمل على تفجيره، فتفاجأ العدو الصهيوني أن هذا الجسم جسم غير مشبوه ولا يوجد به متفجرات مما أثار حالة من الغضب الشديد في صفوف العدو الصهيوني، وهذا الأمر أدخل الفرح والسرور على قلب المجاهد محمد عارضة نتيجة لرؤيته منظر الجنود والضباط الصهاينة وهم غاضبون ومستاؤون من هذا العمل، وبدأ حينها المجاهد محمد ينشد ويقول:

أنا مسلم هل تعرفون المسلما؟
أنا نور هذا الكون إن هو أظلما

أنا مصحف يمشي وإسلام يرى
أنا نفحة علوية فوق الثرى

أنا من جنود الله حزب محمد
وبغير هدي محمد لا أهتدي

حاشاي أن أصغي لدعوة ملحد
وأنا فتى القرآن وابن المسجد

أنا عائدٌ أقسمت أني عائدٌ
والحقّ يشهد لي ونعم الشاهدُ

ومعي القذيفة والكتاب الخالدُ
ويقودني الإيمان، نعم القائدُ

أنا لا أهاب الموت إن هو أقبلا
بل أستحثّ له خطاي مهرولا

فهو السبيل لنصر شعبٍ مبتلى
ووراءه الفردوس طابت منزلا

مهَّدَ هذا الأمر للمجاهد محمد أن يبحث بالفعل عن عمل يقوده إلى مواجهة الصهاينة عبر الكفاح المسلح، فقرر إلى جانب إخوانه وائل عساف ونبيل مغير تشكيل خلية صغيرة وبدافع شخصي من قبلهم مهمتها إلقاء الزجاجات الحارقة على الدوريات الصهيونية في مستوطنة ومعسكر "دوتان" القريب من بلدة عرابة، والقريب من منزل المجاهد محمد عارضة إلا أن هذه المجموعة كانت تناطح عنان السماء بطموحها النضالي والجهادي، فبدأ المجاهدون بالنقاش حول ماهية الطريقة الأنسب للحصول على الدعم العسكري من مال وسلاح وذخيرة وقنابل، فما كان من المجاهد محمد إلا القول بأنه يعرف قادة الجهاد الإسلامي، وهم إياد حردان وعبد الحليم عز الدين وشريف طحاينة ومحمد فارس وسفيان عارضة وأنور حمران، ومعظمهم كان معتقلًا لدى السلطة الفلسطينية في العام 1998م، وقرروا الاجتماع مع المجاهد عبد الحليم عز الدين (أبو القسام) طالبين منه مساعدتهم في مطالبهم، وفي بداية الأمر رفض المساعدة حرصًا على أن يكملوا مشوارهم التعليمي، وإذا أرادوا الدراسة في سوريا أو إيران أو السودان فإنه سيساعدهم في ذلك، وبينما كان المجاهدون في مهرجان تأبين الشهيد سليمان طحاينة في جامعة القدس المفتوحة في جنين استطاع المجاهد محمد عارضة لقاء المجاهد أبو القسام في الجامعة ومهد الطريق له وللمجاهد وائل عساف لإقناع المجاهد أبو القسام بمطلبهم، وحصلت المجموعة على المال وقاموا بشراء مسدس وذخيرة وقنابل يدوية في أواخر العام 1999م.

استطاع المجاهدون أن يوائموا في العمل ما بين التزاماتهم في النشاطات الثقافية كمجلة الحائط وإنشاء فرقة نشيد إسلامي بقيادة محمود عارضة وعبد الله عارضة، وأيضًا إنشاء فريق إسلامي لكرة القدم وما بين الحرص على العمل العسكري الذي بدأته هذه المجموعة الوليدة بقيادة محمد عارضة ووائل عساف ونبيل مغير.

اعتقال السلطة له

إلا أن عيون عملاء السلطة الفلسطينية كانوا يتابعون هؤلاء المجاهدين أولًا بأول فتم اعتقالهم بتاريخ 11/01/2000م وكان حينها المجاهد محمد في الفصل الثاني من مرحلة التوجيهي في المدرسة، وبدأ مشواره الجديد في سجون السلطة الفلسطينية بدءًا من تحقيق متابعة رام الله للأمن الوقائي، ثم انتقل إلى سجن أريحا ثم انتقل إلى سجن جنيد واستطاع المجاهد محمد في تحقيق رام الله الالتقاء مع المجاهدين حمزة قعقور من مدينة جنين وأحمد شوقي من سيلة الحارثية في جنين

وكلاهما متهم بالانتماء إلى حركة الجهاد الإسلامي، وبعد عدم ثبوت أي أدلة ضدهما تم الافراج عنهما، بينما تم نقل المجاهد محمد إلى سجن أريحا حيث اجتمع هناك بقادة الحركة وهم أحمد المهداوي من طولكرم، وعبد الحليم عز الدين وسفيان عارضة من بلدة عرابة ومن حركة حماس التقى بالشيخ محمد جمال النتشة، وإبراهيم حامد وصالح تلاحمة وحسنين رمانة وغسان العداسي وأحمد الشيخ قاسم.

الأسير المجاهد/ محمد عارضة برفقة مجموعة من المجاهدين في أحد سجون السلطة بمحافظة جنين

ما هي إلا فترة من الزمن حتى تم نقل المجاهدين سفيان عارضة ومحمد عارضة إلى سجن جنيد في نابلس فاجتمعا مع قيادة الجهاد الإسلامي هناك أمثال المجاهدين إياد حردان وأسعد دقة وأنور حمران وخالد زكارنة ونعمان طحاينة وأبناء مجموعته لمحمد وائل عساف ونبيل مغير بالإضافة إلى المجاهد جميل جاد الله، وكان في هذه الفترة يقوم المجاهد الكبير زيد بسيسي بالتردد على سجن جنيد لزيارة المجاهدين، وتم الاتفاق بين المجاهد أسعد دقة والمجاهد زيد بسيسي على خطة لتهريب المجاهد جميل جاد الله من سجن جنيد، وبالفعل نجحت هذه الخطة بمساعدة كبيرة من المجاهد زيد بسيسي وذهبوا به إلى قرية صيدا ليقوم المجاهد جاسر رداد ومساعدوه بتأمين المكان لإخفاء المجاهد جميل عن عيون الناس والسلطة الفلسطينية، ومع شدة الحرص الأمني لهؤلاء المجاهدين إلا أن السلطة الفلسطينية أعادت اعتقال المجاهد جميل جاد الله وزيد بسيسي وجاسر رداد والمجاهدين الآخرين، وما أن رأى المجاهدون في سجن جنيد منظر المجاهد زيد، وقد كسرت يده على يد السلطة الفلسطينية أثناء التحقيق الميداني معه حتى غضب المجاهدون وبدأوا بالصراخ على إدارة سجن جنين، وشعر حينها الضباط بحالة الخطر مما استدعى إبعاد المجاهد زيد عن عيونهم وإرساله للتحقيق، فهكذا هم أبناء الجهاد الإسلامي يد واحدة على عدوهم حتى وإن كان من بني جنسهم اقتداءً بقوله _صلى الله عليه وسلم_: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى".

بدأ المجاهدون محمد ونبيل ووائل يستمعون إلى قادة الجهاد الإسلامي في سجن جنيد، وينهلون منهم حب العلم وحب الدين وحب الوطن ليعيشوا معاني النصر والتمكين والفداء والتضحية، التي تقود إلى الانتصار. وفي يوم 25/ 05/ 2000م حين انسحب العدو الصهيوني من لبنان بعد أن تكبد الخسائر البشرية والاقتصادية والنفسية في حربه مع حزب الله، كان هذا الانتصار بمثابة النصر

التمهيدي إلى كل حركات وأحزاب المقاومة في فلسطين بأن هذا العدو الصهيوني لا يتحمل حربًا طويلة الأمد وأنه بسواعد المقاومين يمكن أن تتحرر فلسطين، وكان لابد للمجاهدين في سجن جنيد من الاحتفال بهذا النصر الكبير مؤكدين على الاستمرار في نفس الخط الجهادي في مقاومة العدو الصهيوني. وهنا بدأ المجاهدون محمد ووائل ونبيل يتحدثون مع المجاهد إياد حردان حول استعدادهم للعمل العسكري بعد خروجهم من سجن جنين، وبدأوا برسم المستقبل الجهادي لهم.

وما هي إلا فترة من الزمن وإذا بالمفاوضات الفلسطينية الصهيونية التي كانت قد عُقدت في قمة كامب ديفيد في تموز من العام 2000م، يعلن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون عن فشلها، واتهم الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بإفشالها مما ولد حالة من الإحباط الشديد لدى الشعب الفلسطيني لتندلع الانتفاضة الفلسطينية الثانية بتاريخ 28/ 09/ 2000م وسط مشاركة جميع أبناء الشعب الفلسطيني، وما هي إلا فترة وجيزة، وبينما المجاهد محمد في قاعة الزيارة في سجن جنيد وهو جالس مع والدته إذا بقرار من السلطة الفلسطينية يقضي بالإفراج عنه هو وأبناء مجموعته وائل ونبيل، فكانت فرحة لا توصف، وما هي إلا أيام حتى تم الافراج عن المجاهدين إياد حردان، وعبد الحليم عز الدين. وما أن وصلا إلى بلدة عرابة حتى اندلعت المناوشات بين السلطة الفلسطينية والأهالي والمجاهدين لينتهي الخلاف عبر اعتقال المجاهدين مرة أخرى، وعندما أصر المجاهد محمد عارضة أن يذهب إلى المسجد وينادي بسماعة المسجد بأن السلطة الفلسطينية تحاول اعتقال أبطال الجهاد الإسلامي وأنها ترتكب الخطأ في ذلك، وأنه لابد من الوقوف في وجهها في ظل أحداث الانتفاضة إلا أن المجاهدين إياد وعبد الحليم وافقوا على الاعتقال بشروط ان يتم اعتقالهم في مقاطعة جنين وأن يخرجوا من المقاطعة متى أرادوا وبصحبة أحد الحراس.

الشهيد القائد/ إياد حردان وهو معتقل في أحد سجون السلطة بمحافظة جنين

كان الحارس الشخصي على المجاهد إياد حردان هو المجاهد محمد نصر من بلدة قباطية في حينه، وكانت الفرصة التي انتظرها المجاهد محمد وأبناء مجموعته، فتم التواصل مع المجاهد إياد لتطبيق ما تم الاتفاق عليه في سجن جنيد عبر تشكيل الخلايا العسكرية المسلحة، وفي هذه الفترة تم تحويل اسم الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي من "قسم" إلى سرايا القدس، وألقى المجاهد محمد البيان الأول بنفسه في بلدة عرابة، وما هي إلا أيام حتى تم تشكيل الخلية الأولى لسرايا القدس بقيادة المجاهد القائد إياد حردان مكونة من المجاهدين محمد عارضة ووائل عساف ونبيل مغير ويحيى الزبيدي وأسامة نغنغية المعروف بأسامة

البدوي، وكان إضافة لهذه الخلايا قد برزت قيادات مهمة لسرايا القدس أمثال القادة ثابت المرداوي ومحمود طوالبة وعلى السعدي (الصفوري).

قامت هذه المجموعة الجهادية في سرايا القدس والمكونة من محمد ووائل ونبيل ويحيى وأسامة بزرع عبوات ناسفة على طريق جنين نابلس لقافلة عسكرية صهيونية كانت في طريقها إلى معسكر التدريب في قرية صانور حيث تم رصد هذا الهدف بعد طول مراقبة دقيقة، وكانت المحاولة الأولى لعملية التفجير قد فشلت فأتبعوها بأخرى إلى أن نجحت نجاحًا كبيرًا حيث أدت إلى شطر إحدى الحافلات الصهيونية من النصف، في حين أكد رجال السلطة الفلسطينية أنهم حصلوا على معلومات تؤكد وقوع إصابات مباشرة في الجنود الصهاينة، فكبّر المجاهدون على هذا النصر العظيم وشكروا المجاهد القائد معتصم حماد على تزويدهم بهذه العبوات، وكانت هذه العملية هي الرد الأولي على جريمة اغتيال المجاهد أنور حمران أحد أهم قادة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية، وبعد هذا النجاح تم تعزيز التنسيق والتواصل بين المجاهد وائل عساف والمجاهد الكبير أسعد دقة من أجل تأمين احتياجات المجاهدين العسكرية سواء في جنين أو طولكرم.

بتاريخ 04/ 03/ 2001م استشهد المجاهد أسامة بدوي أحد مجاهدي سرايا القدس وأحد أفراد مجموعة المجاهدين وائل ومحمد ونبيل ويحيى الزبيدي وبقيادة إياد حردان، و وقع في ذلك اليوم خلاف حاد بين الجهاد الإسلامي وبين حركة فتح حول هوية انتماء المجاهد أسامة حيث ادعت كتائب شهداء الأقصى انتماءه إليها بينما أعلنت سرايا القدس انتماءه إليها،

الشهيد المجاهد/ أسامة نغنغية
استشهد بتاريخ 04/ 03/ 2001م

فما كان من المجاهد البطل يحيى الزبيدي إلا أن يحسم هذا الموضوع عبر إعلانه أمام جموع الناس بأن أسامة ينتمي لسرايا القدس، وأنه من ضمن المجموعة التي يقودها القائد المجاهد إياد حردان، وأعلن المجاهد يحيى أنه هو أيضًا ضمن مجموعة الشهيد أسامة البدوي، وكان لذلك الأثر الكبير على شباب مخيم جنين الذين بدأوا بالانتساب إلى حركة الجهاد الإسلامي، ولذلك أصرت حينها هذه المجموعة على الرد على جريمة اغتيال المجاهد أسامة البدوي، فقام المجاهدون بزرع عبوات ناسفة في نفس الموقع السابق على طريق جنين نابلس، وتم استهداف نفس القافلة المتجهة إلى معسكر صانور، وكان إلى جانب هذه المجموعة المجاهد القائد أسعد دقة ليكون له الشرف في الضغط على زر التشغيل للدائرة الكهربائية للعبوات الناسفة، وكانت هذه

العملية هي العملية الأولى التي يستخدم فيها تقنية التفجير عن بعد عبر الهاتف الخلوي، ونجح حينها المجاهد محمد عارضة ومجاهد آخر في زرع هذه العبوات في المكان المناسب، بينما كان المجاهدون أسعد دقة ووائل عساف ونبيل مغير يتواجدون في مكان مرتفع يطل على مكان زرع العبوات الناسفة، وما أن مرّت القافلة الصهيونية حتى قام المجاهد أسعد بتفجير هذه العبوة عن بُعد، وتعمقت العلاقة بين المجاهد محمد عارضة والمجاهد أمجد الفاخوري الذي تعرف عليه من خلال المجاهد إياد حردان ووائل عساف ليكون للمجاهد أمجد الفاخوري باع كبير في الجهاد والمقاومة في مخيم جنين فيما بعد.

استمر المجاهدون محمد ونبيل ووائل في نشاطهم العسكري، واستطاعوا زرع عبوة ناسفة عبارة عن قذيفة مدفعية بالإضافة إلى زرع عبوتين ناسفتين، وكان ذلك على طريق عرابة يعبد إلا أن هذه العبوات لم تنفجر مما جعل هذه المجموعة تتجه نحو عمليات إطلاق النار، فقام المجاهد أمجد الفاخوري برصد موقع عسكري في مستوطنة "ترسلة" الواقعة بين بلدة جبع وقرية عجة، وتعتبر هذه المنطقة خطرة جدًا، وكان الهدف هو إطلاق النار على أحد الجنود الذي يتواجد عادة خارج المكان المُحصن في تلك المستوطنة، وانتظر المجاهدون طويلًا خروجه من ذلك المكان لكي يتم إطلاق النار عليه، لكنه لم يخرج في ذلك اليوم، فتم إلغاء هذه العملية.

قام المجاهد الكبير محمد بشارات أحد أهم قادة سرايا القدس في جنين بقتل أحد الجنود الصهاينة بالقرب من منطقة دير شرف، وعاد إلى مخيم جنين ووقف أمام منزل الشهيد أسامة بدوي قائلًا لوالدة الشهيد ولعائلته ولأهالي مخيم جنين إنه استطاع الثأر لدماء الشهيد أسامة عبر قتله للجندي الصهيوني، فكان لهذا الحدث أهمية كبيرة في تعزيز قوة سرايا القدس في مخيم جنين، وأخذت تتطور شيئًا فشيئًا إلى أن أصبحت من أهم الأجنحة العسكرية في مدينة جنين، وبدأ التنسيق يتسع أكثر فأكثر بين المجاهدين محمد ووائل ونبيل ويحيى الزبيدي وكانوا يجتمعون عادة بالمجاهد إياد حردان في مخيم جنين كلما لاحت الفرصة لذلك.

وفي أحد الأيام التي غادر فيها المجاهدون محمد ووائل ونبيل مخيم جنين باتجاه بلدة عرابة إذا بحاجز صهيوني بانتظارهم مما جعلهم يقومون بتغيير مسارهم باتجاه بلدة يعبد، وتم ملاحقتهم من قبل الدوريات الصهيونية، وبعد جهد كبير استطاع سائق السيارة الدخول إلى مكان مأهول بالبيوت والسكان وأخفى السيارة بين بالات كبيرة من القش، وتمكن المجاهدون من الاختفاء عن أعين الجيش الصهيوني، وبدأ في ذلك الوقت يتعزز التواصل والتنسيق بين جنين وطولكرم حيث في أحد الأيام حدثت مشكلة بين الجهاد الإسلامي وأطراف أخرى في قرية صيدا في طولكرم حول أحقية وضع مجلة الحائط التابعة للجهاد الإسلامي في أحد المساجد، فكان لابد من إظهار قوة الجهاد الإسلامي في قرية صيدا فتم استدعاء عدد كبير من أبناء الجهاد الإسلامي من بلدة عرابة وجنين ومخيم جنين وذهبوا إلى قرية صيدا حاملين الرايات

السود وسط هتافات جهادية قام بها المجاهد محمد عارضة وسارت مسيرة جماهيرية مؤيدة للجهاد الإسلامي في قرية صيدا في ذلك الوقت مما جعل هذا الأمر بمثابة الرسالة الكبرى لكل الفصائل في كل زمان ومكان بأن حركة الجهاد الإسلامي قوة أساسية فاعلة في انتفاضة الأقصى، وأنها في صعود مستمر، وما هي إلا فترة من الزمن حتى أصبحت قرية صيدا عرين الجهاد الإسلامي، ولم ينقطع هذا التواصل والتنسيق بين أبناء الجهاد الإسلامي في مناطق الضفة حيث ذهب المجاهد محمد عارضة ونبيل مغير وسفيان عارضة مع المجاهد زيد بسيسي أحد قادة الجهاد الإسلامي في مدينة طولكرم ويعتبر من أهم مؤسسي سرايا القدس في طولكرم للقاء المجاهد أسعد دقة والمجاهد أحمد فني الملقب بالحصان والمجاهد جاسر رداد وكلاهما من قرية صيدا وهما من القيادات الأساسية لحركة الجهاد الإسلامي في طولكرم، وكان من المقرر في هذا المشوار هو الالتقاء بالشيخ المجاهد رياض بدير أحد مؤسسي الجهاد الإسلامي في طولكرم، وكذلك تم الاجتماع مع المجاهد أشرف البردويل في طولكرم، للاستفادة من خبرته العسكرية لاسيما في عملية التصنيع للمتفجرات، ولذلك كانت هذه اللقاءات والاجتماعات بين قادة وكوادر الحركة تعزز التفاهم وتقوي أواصر التعاون والمحبة والمحصلة هو خدمة الإسلام والقضية الفلسطينية.

مرحلة استشهاد القائد الكبير إياد حردان

في 05/04/2001م قام جهاز الشاباك الصهيوني بزرع عبوة ناسفة صغيرة الحجم، ولكنها شديدة الانفجار في غرفة التلفون العمومي الموجودة أمام مقاطعة مدينة جنين، حيث كان حينها المجاهد إياد حردان معتقلًا في هذه المقاطعة، وعادة يتردد على هذه الغرفة للاتصال بعائلته للاطمئنان عليهم، وفي ذلك اليوم في وقت الظهيرة توجه المجاهد إياد للاتصال بعائلته فانفجرت العبوة الناسفة، فاهتزت جنين وقراها ومخيمها وسراياها لهول المصيبة التي حلت بالمقاومة الفلسطينية حيث كان اغتيال هذا القائد المؤسس لسرايا القدس في مدينة جنين بمثابة الضربة القوية لسرايا القدس.

من تشييع جثمان الشهيد القائد/ إياد حردان
استشهد اغتيالاً بتاريخ 05/04/2001م

خرجت جماهير مدينة جنين عن بكرة أبيها منددة بهذه الجريمة ومحملة السلطة الفلسطينية المسئولية عن استشهاد المجاهد إياد حردان مما جعل السلطة الفلسطينية تفرج عن معظم المعتقلين السياسيين، وفي ذلك الوقت اتصل المجاهد وائل بالمجاهد محمد عارضة من أجل التجهيز والاعداد لاستقبال جثمان الشهيد القائد إياد حردان في بلدة عرابة، فقام المجاهد محمد عارضة بإلقاء بيان نعي المجاهد إياد حردان وكانت الجماهير الحاشدة في بلدة عرابة تنتظر وصول جثمان الشهيد إياد، ولذلك

حرص المجاهد محمد وكذلك المجاهد وائل على أن يكون هناك جنازة مهيبة تليق بهذا الشهيد البطل مما جعلهم ينسقون مع القائد في سرايا القدس المجاهد أسعد دقة ورفيق درب المجاهد الشهيد إياد بحيث يتم إرسال المجاهدين جاسر رداد وزيد بسيسي وأحمد فني وغيرهم من المجاهدين ليقوموا بارتداء اللباس العسكري وحمل السلاح والعتاد واضعين شعار سرايا القدس على جباههم وبمساعدة من مجاهدي بلدة عرابة، وذلك للإيحاء لعامة الناس بأن المجاهدين من سرايا القدس جاؤوا من خارج بلدة عرابة وأن بلدة عرابة ومجاهديها في حركة الجهاد الإسلامي هم من العاملين في العمل الجماهيري والسياسي فقط لإبعاد عيون العملاء عن مجاهدي سرايا القدس الذين يعملون بشكل سري هناك.

لذلك حرص المجاهد البطل محمد عارضة على إلقاء البيانات والهتافات والكلمات الحماسية في مسيرة التشييع، وألقى الأمين العام الدكتور رمضان شلح كلمة التأبين في المسيرة مطالبًا سرايا القدس بألا يبيت رصاصهم إلا في صدور العدو الصهيوني انتقامًا لدماء القائد إياد حردان. وفي هذه الفترة قرر المجاهدان أسعد دقة وزيد بسيسي عدم العودة إلى الاتفاق مع السلطة الفلسطينية الذي ينص على اعتقال المجاهدين في سجونها وفق شروط معينة من خلالها يمكن للمجاهدين حرية الحركة في النهار، وبعد استشهاد المجاهد الكبير إياد حردان قرر المجاهد أسعد دقة وأحمد فني التوجه إلى بلدة عرابة، فلجأ إلى منزل المجاهد محمد عارضة الذي وفر له كافة الاحتياجات والالتزامات المطلوبة حيث إن عائلته المضيافة قدمت الكثير لهذا المجاهد، وقام المجاهد محمد بإخراج أهله من المنزل إلى مكان آخر في الجبل من أجل حماية هذا المجاهد الذي شعر كأنه يجلس في بيته من شدة الترحاب والاستقبال والحفاوة التي حصل عليها ولاسيما أن والدة المجاهد محمد كان لها فضل كبير في الاهتمام والاعتناء بالمجاهدين من أبناء سرايا القدس، ويذكرون كرمها واهتمامها بهم وحتى أن الشهداء وائل عساف وأسامة البدوي وأسعد دقة وسفيان وإياد حردان لا يزالون يعيشون في ذاكرتها حتى هذا اليوم الذي تفتخر فيه بمعرفتهم لاسيما أنهم كانوا دومًا يجلسون إليها في بلدة عرابة ويحدثونها عن جهادهم ومقاومتهم، فما كان بيدها سوى الصلاة لله ـعز وجلـ والدعاء بالنصر والتمكين لهم في عملياتهم المسلحة.

الشهيد المجاهد/ وائل عساف
استشهد بتاريخ 12/ 09/ 2001م

بذلك أصبح المجاهد البطل وائل عساف الذي كان المساعد المؤتمن والأمين للمجاهد الشهيد إياد حردان هو الذي استلم الراية بعد استشهاد المعلم إياد، وحصل على خط وشيفرة للتواصل مع قيادة حركة الجهاد الإسلامي في الخارج باسم مستعار هو محمود وذلك بالتنسيق مع قادة سرايا القدس في جنين محمد بشارات وثابت مرداوي. وبدأ الحديث عن المجاهد محمد عارضة وباقي أعضاء مجموعته وقادة سرايا القدس حول ضرورة تنفيذ عملية استشهادية للرد على استشهاد القائد والمعلم إياد حردان إلا أن المجاهد وائل عساف كان لديه قناعة حول أن العمل الاستشهادي يجب أن يُؤجّل، والأهم هو القيام بعمليات إطلاق النار وزرع العبوات وإطلاق القذائف، وأنه غير مقتنع بإرسال الاستشهاديين لتنفيذ العمليات بدافع الحفاظ على المجاهدين ما أمكن، وبمعنى العمل على استنزاف قدرات العدو الصهيوني وإيقاع أكبر قدر ممكن من القتلى في صفوفهم بأقل الخسائر. وهذا الأمر لم يكن محببًا في البداية لبعض قادة الحركة السياسيين والعسكريين وتم حسمه عبر عملية استشهادية مزدوجة نفذها المجاهدان الاستشهاديان علاء الصباح من مدينة جنين وأسامة نمر درويش من مخيم جنين بتاريخ 25/ 05/ 2001م في قلب مدينة الخضيرة المحتلة، وأدت العملية البطولية إلى إصابة العشرات بجراح مختلفة، وكانت هي العملية الاستشهادية الأولى لحركة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية في انتفاضة الأقصى.

أشرف على العملية قادة سرايا القدس في مدينة جنين المجاهدان ثابت مرداوي ومحمود طوالبة بمساعدة المجاهدين طارق عز الدين ووائل عساف، واتبعتها سرايا القدس في مدينة جنين بعملية نوعية أخرى عبر إطلاق النار وقذائف الهاون على معسكر "دوتان"، وكانت هذه القذائف من تصنيع القائد الكبير في سرايا القدس في مخيم جنين الحاج علي الصفوري، وهي المرة الأولى التي يتم بها تصنيع قذائف الهاون بتاريخ الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية، وكانت خطة هذه العملية تتطلب أن يقوم المجاهد البطل أمجد الفاخوري والمجاهد محمد عارضة والمجاهد نبيل مغير بالاقتراب من معسكر "دوتان" وإطلاق النار من أسلحتهم الرشاشة من أجل خلق حالة من الاستنفار في صفوف الجنود الصهاينة، ويقومون بالخروج من غرفهم وخيمهم والتوجه نحو مكان إطلاق النار لتأتي المرحلة الثانية لهذه العملية عبر صعود المجاهدين لقمة مرتفعة تطل على المعسكر الصهيوني ويقومون بإطلاق قذائف الهاون لإيقاع القتلى والجرحى في صفوف الصهاينة. ونجحت هذه العملية بشكل كبير، ولكن ظهر ضعف واضح في عملية تصنيع قذائف الهاون. وكان إلى جانب المجاهد محمد عارضة في هذه العملية المجاهد البطل وائد عساف، وجاءت للرد على جريمة اغتيال قائدهما ومعلمهما الشهيد إياد حردان.

بتاريخ 11/ 09/ 2001م جرى اجتماع في بلدة عرابة بين المجاهدين الأبطال في سرايا القدس محمد عارضة وإياد صوالحة وطارق عز الدين وأسعد دقة ووائل عساف وسفيان عارضة من

أجل إقناع مجاهدي سرايا القدس في بلدة عرابة بالخروج منها إلى مكان أكثر أمنًا وأمانًا لاسيما أنه قبل ليلتين من ذلك التاريخ كانت طائرات العدو الصهيوني تحلق في سماء بلدة عرابة في وقت متأخر من الليل وعلى مستوى منخفض مما جعل المجاهد محمد يقوم بمحاولة الاتصال بالمجاهدين عبر الهاتف، ولكن هذا الأمر لم ينجح مما اضطره إلى الخروج بنفسه مسرعًا إليهم في وقت متأخر من الليل من أجل إخبارهم بهذا الأمر ولكي يأخذوا احتياطاتهم الأمنية ويخرجوا من ذلك المنزل الذي يتواجد به قادة سرايا القدس وائل عساف وأسعد دقة وسفيان عارضة، وكانوا يظنون مكانهم آمنًا جدًا ولا حاجة للخروج منه إلا أن ما حدث في ذلك اليوم من أحداث 11/ 09/ 2001م في الولايات المتحدة الأمريكية جعل المجرم شارون يفتح شهيته لقتل أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب الفلسطيني بذريعة محاربة الإرهاب.

في ساعات الفجر الأولى من يوم 12/ 09/ 2001م تم محاصرة المجاهدين من كل مكان ودارت الاشتباكات المسلحة في المكان، وحاول المجاهد محمد عارضة حينها فك الحصار عن إخوانه المجاهدين عبر خوضه الاشتباك المسلح العنيف مع الجيش الصهيوني، وتم إيقاع عدد من الإصابات في صفوف الجنود الصهاينة، واستطاع المجاهد الانسحاب من المكان بصعوبة بالغة جدًا بعد أن نفذت ذخيرته، بالإضافة إلى خراب أصاب البندقية. وما هي إلا فترة بسيطة حتى تم الإعلان عن استشهاد القادة الأبطال أسعد دقة وسفيان عارضة وائل عساف والفتاة بلقيس عارضة شقيقة الشهيد سفيان عارضة، واشتدت الهجمة الصهيونية على بلدة عرابة وعلى مجاهدي سرايا القدس، واستطاع المجاهد محمد حينها الخروج من بلدة عرابة باتجاه قرية فحمة ومعه أحد المجاهدين، وأثناء وجودهما في الجبال إذا بعدد من الملثمين ينادون عليهما بأن يذهبا باتجاههم إلا أن معية الله كانت مع المجاهدين، حيث علما بحسهما الأمني بأن هؤلاء هم من القوات الخاصة الصهيونية، واستطاعا الابتعاد عن أعين العدو الصهيوني، والعودة مرة أخرى باتجاه بلدة عرابة التي انسحب منها الجيش الصهيوني في ذلك الوقت، فقرر المجاهد محمد عارضة التوجه لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة على جثامين القادة الشهداء أسعد دقة ووائل عساف وسفيان عارضة.

الشهيد القائد/ أسعد دقة (يمين)
برفقة الشهيدين المجاهدين وائل عساف وسفيان عارضة

بعد تشييع جثامين الشهداء في بلدة عرابة بقي جثمان الشهيد أسعد دقة مسجى على أرض بلدة عرابة الصمود حيث أصرت والدة الشهيد

القائد أسعد دقة على عدم دفنه في بلدة عرابة، وأن على مجاهدي سرايا القدس إحضاره من بلدة عرابة إلى مسقط رأسه في بلدة عتيل في طولكرم، وكانت بلدة عرابة في ذلك الوقت محاصرة من كل جانب ولا يستطيع أحد الدخول أو الخروج منها، ولم يستطع أحد القيام بهذه المهمة فما كان من والدة الشهيد أسعد دقة إلا أن تقول: أحضروا لي المجاهد جاسر رداد، فهو المجاهد الوحيد الذي يستطيع أن يحضر لي جثمان ابني الشهيد أسعد مثلما أحضره لي من سجون السلطة. فما أن سمع المجاهد جاسر بهذا الكلام حتى أقسم بأن يذهب بنفسه إلى بلدة عرابة ويحضر جثمان الشهيد أسعد، وبالفعل استطاع المجاهد جاسر رداد صاحب المهمة المستحيلة الدخول إلى بلدة عرابة وحمل جثمان الشهيد القائد أسعد دقة وإخراجه من بلدة عرابة وهو يردد قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]، وكأن ملائكة الرحمن تحملهم وترعاهم وتفتح لهم الطريق، وما هي إلا ساعة من الزمن وإذا بالمجاهد جاسر رداد يقف أمام والدة الشهيد أسعد قائلًا لها بأنه قد وفَّى بالقسم والعهد والوعد بإحضار جثمان الشهيد أسعد، وسارت الجماهير في مسيرة حاشدة لتشييع الشهيد أسعد دقة إلى مثواه الأخير.

وضاقت بلدة عرابة باستشهاد الأبطال على المجاهد محمد عارضة مما جعله يأخذ قراره بمغادرتها والتوجه إلى مخيم جنين، واجتمع هناك مع المجاهدين عبد الحليم عز الدين والشيخ بسام السعدي وشريف طحاينة ومحمد فارس الذين كانوا يمثلون القيادة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي في ذلك الوقت، وبدأ مشواره الجديد في مخيم جنين، فاحتضنه أهل المخيم وعائلاتهم المناضلة كعائلة الشهيد أسامة بدوي وعائلة زبيدي عبر رفاق دربه المجاهدين يحيى زبيدي وطه زبيدي وزكريا زبيدي وكان لوالدتهم الشهيدة فضل كبير على المجاهدين في مخيم جنين وخاصة المجاهد محمد عارضة، وكذلك عائلة السعدي والنوباني والحاج علي الصفوري الذي كان يفتح منزله للمجاهدين لإيوائهم وإطعامهم، ولذلك تهيأت الظروف للمجاهد محمد بأن يكون مستقرًا في مخيم جنين لتجديد نشاطه العسكري حيث كان قد اتفق مع المجاهد حمزة أبو الرب على التنسيق بينهم للقيام بالعمليات العسكرية ولكن الظروف والإمكانيات لهذا العمل لم تكن متوفرة في ذلك الوقت للمجاهد محمد؛ مما جعله ينسق بين المجاهد حمزة أبو الرب والمجاهد طارق عز الدين من أجل أن يعملا معًا في العمل العسكري الجهادي، وتكلل ذلك بعملية "شاكيد" البطولية، حيث من اللحظة الأولى التي دخل بها المجاهد محمد إلى مخيم جنين كان يحافظ على تواصل وتنسيق دائم مع المجاهدين في بلدة عرابة سواء مع المجاهد نبيل مغير أو مع المجاهد طارق عز الدين، وتمكن من شراء كمية لا بأس بها من المواد الأولية التي تدخل في عملية تصنيع المتفجرات ساهمت في أن يستخدمها المجاهدون فيما بعد بعملية المجاهد مجاهد أبو جلبوش.

اللقاء مع القائد الكبير خالد زكارنة

كان المجاهد محمد قد تعرف على المجاهد خالد زكارنة (أبو أسامة) في سجن جنيد في العام 2000م قبل أحداث الانتفاضة، ومن المعروف أن المجاهد خالد يتمتع بخبرة عسكرية كبيرة اكتسبها أثناء تدريباته العسكرية التي حصل عليها أثناء وجوده في لبنان في معسكرات التدريب التابعة إلى المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وقد تعلم جميع أنواع وفنون تصنيع المتفجرات بالإضافة إلى التدريب على السلاح بكافة أنواعه، لذلك كان هذا المجاهد بمثابة الكنز المهم الذي تملكه حركة الجهاد الإسلامي في ذلك الوقت، ومنذ اللحظة الأولى لاندلاع انتفاضة الأقصى بدأ المجاهد محمد عارضة بالبحث عن هذا المجاهد، ونتيجة للوضع الصعب الذي مرت به سرايا القدس في جنين عبر فشل بعض عملياتها الاستشهادية ولأسباب متعددة تم إصدار قرار من الدائرة العسكرية لسرايا القدس في الخارج بوقف العمليات الاستشهادية.

الشهيد القائد/ خالد زكارنة
استشهد بتاريخ 22/ 05/ 2002م

أصرّ المجاهد نعمان طحاينة على إحضار المجاهد خالد زكارنة من مدينة نابلس إلى مدينة جنين للمساعدة في نقل سرايا القدس نقلة نوعية في العمليات الاستشهادية، وكانت أول عملية يقوم بها المجاهد خالد زكارنة في مدينة جنين بالتنسيق مع المجاهد الكبير أيمن دراغمة أسد الغور، فتم تجهيز الاستشهادي أحمد دراغمة من محافظة طوباس عبر المجاهد أيمن دراغمة الذي قام بتوصيله إلى مدينة بيسان المحتلة، وقام الاستشهادي أحمد بتفجير نفسه هناك مما أدى لمقتل ضابط أمن المستوطنة هناك، وذلك بتاريخ 07/ 10/ 2001م. فكان لابد من لقاء يجمع بين المجاهد محمد وبين القائد الكبير خالد زكارنة، وتم هذا اللقاء صدفة في جنين عندما رأى المجاهد محمد المجاهد خالد يسير في جنين فلحق به، وتمكن من الوصول إليه، وأثناء الحديث بينهما اتفق المجاهدان على لقاء ثان من أجل العمل العسكري، فإذا بالمجاهد الكبير والقائد العام لسرايا القدس في جنين نعمان طحاينة يرسل للمجاهد محمد عارضة ليعمل إلى جانبه وإلى جانب المجاهد خالد زكارنة.

بدأ المجاهدون نعمان وخالد ومحمد يُنَسقون لشراء مواد أولية لصناعة المتفجرات للتجهيز لعملية استشهادية، وكان الاستشهادي المجاهد سامر شواهنة من بلدة سيلة الحارثية في جنين الذي تعرف عليه المجاهد محمد عبر المجاهد نعمان طحاينة. وبهذه الفترة بالذات طلب المجاهد نعمان طحاينة من قائد سرايا القدس ثابت مرداوي أن يقوم بفتح خط للمجاهد محمد عارضة ليتمكن من خلاله من الاتصال بقيادة الحركة في الخارج وإحضار الأموال لتشكيل الخلايا العسكرية وصناعة المتفجرات، ومن أجل أن يقوم بالتنسيق مع الخلايا العسكرية الأخرى سواء في مخيم جنين أو في بلدة عرابة، وكان للمجاهد نعمان التأثير الكبير عبر توجيهاته الأمنية والعسكرية لجميع خلايا سرايا القدس في مدينة

جنين، ولذلك بدأ المجاهد محمد عارضة بمهماته الجديدة وإحياء التواصل بالمجموعات السابقة التي نفذت عمليات عسكرية مثل المجاهد منصور أبو عون، وكان لهم الفضل في تنفيذ عدة عمليات مسلحة في الغور ضد قطعان المستوطنين الصهاينة، وذلك بعلم القائد ثابت مرداوي الذي كان في ذلك الوقت يتعرض لضغط كبير جدًا بعد ملاحقة الأجهزة الأمنية الفلسطينية له مما اضطره للاختفاء عن عيون العملاء.

عملية الاستشهادي سامر شواهنة

أشرف على العملية المجاهدون خالد زكارنة ونعمان طحاينة ومحمد عارضة والمجاهد نور حيث قام المجاهد خالد زكارنة بتجميع الأحزمة الناسفة وتجهيزها للاستشهادي والتأكد من فعالية المادة المستخدمة عبر تجريب جزء من هذه المتفجرات حتى لا يقع في أخطاء العمليات السابقة، وكما أشرف المجاهد خالد على توصيل الصواعق والدائرة الكهربائية للحزام الناسف وإلى جانبه المجاهد محمد عارضة قام بتصوير الاستشهادي سامر شواهنة، وكان في هذه العملية دور بارز للمجاهد نعمان طحاينة الذي عرّف المجاهد محمد عارضة بالاستشهادي سامر شواهنة بطريقة غير مباشرة وبشكل سري جدًا وبأسماء حركية حيث استطاع المجاهد محمد الالتقاء بالاستشهادي سامر شواهنة في مسجد النور في مدينة جنين، وأحيانًا كان يجتمع به في أماكن أخرى متفق عليها دون استخدام وسائل الاتصال، ووفقًا لتوجيهات المجاهد نعمان طحاينة حتى إن المجاهد محمد لم يكن ليستطيع أن يسير جنبًا إلى جنب مع المجاهد سامر شواهنة في مدينة جنين للحفاظ على أمنه وسلامته، فكان أحدهما يسير أمام الآخر.

أخبر المجاهد نعمان طحاينة المجاهد محمد بأن يكون الاستشهادي سامر جاهزًا في مكان معين وفي زمان معين، وكان لهذا المجاهد البطل محمد عارضة دور محوري في عملية الاستشهادي سامر شواهنة الذي كان (دينمو) المجموعة المكونة من المجاهدين نعمان وخالد ومحمد ونور. وكان المجاهد محمد يقوم بعملية التواصل والتنسيق بين أطراف هذه المجموعة وبشكل سري، وكل مجاهد لا يعلم شيئًا عن أعمال المجاهد الآخر للحفاظ على سرية العمل والحرص على نجاحه، فكان لابد من وجود التخصص في العمل والواجبات حيث إن المجاهد نور الذي لا يعرف المجاهد محمد اسمه الحقيقي كان له دور مهم في تصنيع مادة أم العبد وانتقلت هذه المواد عبر المجاهد محمد إلى الشيخ خالد زكارنة، وبدوره يقوم باستخدامها دون أن يعلم أحد في تجهيز الحزام الناسف حتى إن المجاهد محمد لا يعرف من الذي سيوصل الاستشهادي إلى مكان تنفيذ العملية في داخل الكيان الصهيوني، ومن أجل ذلك كان لابد لهذه العملية من النجاح.

كان عمر الاستشهادي البطل سامر شواهنة واحدًا وعشرين عامًا، وكان ينتمي إلى حزب التحرير الإسلامي في سيلة الحارثية وأحد كوادرهم، وكان صديق الاستشهادي سليمان طحاينة الذي نفذ عملية سوق محني يهودا في القدس في العام 1998م، وكان يحفظ سبعة عشر جزءًا من كتاب الله -عز وجل- ويتمتع بأخلاق عالية جدًا بشهادة جميع أبناء سيلة الحارثية مما هيأه لأن يقوم في يوم 29/ 11/ 2001م بالتوجه لتنفيذ العملية الاستشهادية حيث صعد المجاهد سامر إلى حافلة صهيونية تقل بالعادة الجنود الصهاينة، وكانت متوجهة من وادي عارة إلى "تل أبيب" وقد فجر الاستشهادي نفسه في وسط الحافلة الصهيونية على الرغم من عدم اكتمال عدد الركاب، وكانت الخطة تنص على أن يقوم الاستشهادي بتفجير نفسه في وسط الحافلة واقفًا لقتل معظم الركاب، ولكن حدث شيء لا يعلمه إلا الله، لكن المجاهد خالد زكارنة مهندس هذه العملية استطاع أن يحلل ما حدث في هذه العملية، وهو عدم اكتمال العدد المطلوب في الحافلة بالإضافة إلى احتمالية أن قام الاستشهادي بتفجير نفسه جالسًا وليس في المنتصف كما كان مقررًا، ومع ذلك تم قتل ثلاثة جنود صهاينة وجرح تسعة آخرون.

خرجت الجماهير الفلسطينية في مدينة جنين وقراها ومخيمها ابتهاجًا بالعملية وبالنصر الذي حققته سرايا القدس، وقام المجاهد محمد عارضة بإبلاغ الأمين العام الدكتور رمضان شلح بتفاصيل هذه العملية، وأرسل أشرطة الفيديو إلى وسائل الإعلام، وأعلن مسئولية سرايا القدس عن هذه العملية الاستشهادية التي كان لها أهمية كبيرة جدًا لسرايا القدس في مدينة جنين لاسيما أنها جاءت في وقت هام جدًا، وجاء دعم كبير من قيادة الحركة في الخارج لقادة وكوادر وخلايا سرايا القدس معنويًا وماديًا، فكان المجاهدون محمود ونعمان وخالد يصرون كثيرًا على تشكيل مجموعة عسكرية في طوباس بقيادة المجاهد معمر ضراغمة، وتم تزويده وتزويد خليته عبوة ناسفة تم زرعها في منطقة الغور في إحدى المستوطنات الصهيونية حيث قام حينها المجاهدان محمد وخالد بتجهيز هذه العبوة مستخدمين كمية كبيرة وذات فاعلية من المتفجرات، وما أن تم تجهيزها حتى قام المجاهد محمد بتسليمها للمجاهد معمر دراغمة

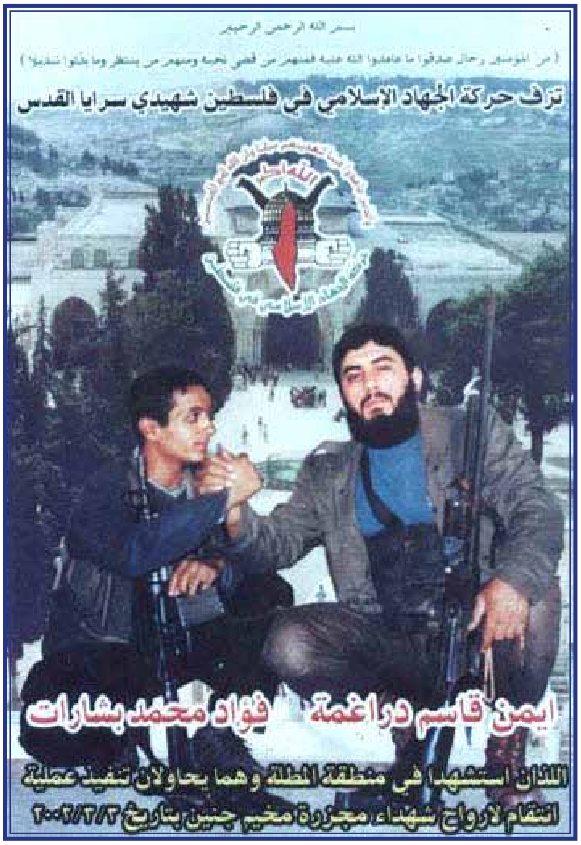

الذي استشهد فيما بعد بالعام 2002م، وهو أخو الشهيد البطل أيمن دراغمة أسد الغور، ولهما أخ شهيد ثالث هو عبد القادر استشهد بتاريخ 08/ 07/ 1988م في الانتفاضة الأولى، فكانت هذه العائلة من خيرة العائلات المجاهدة والمناضلة التي قدمت كل ما تملك دفاعًا عن الوطن وكرامة الشعب الفلسطيني. ويتبع المجاهد أيمن لمجموعة المجاهد محمد عارضة التي تضم المجاهدين نعمان وخالد دون أن يعلم بذلك، واستشهد هذا البطل أثناء قيامه بعملية جهادية في منطقة الغور إلى جانب المجاهد فؤاد بشارات حيث استشهد المجاهد أيمن وهو يحمل سلاحًا من نوع جاليلون، وهو السلاح الذي كان يحمله المجاهد محمد عارضة في الماضي، واستمر نشاط المجاهد محمد عارضة العسكري والجهادي والاجتماعي والجماهيري في مخيم جنين، هذا المخيم الذي ينظر إليه محمد عارضة كحاضنة اجتماعية وثقافية ووطنية للمقاومة الفلسطينية، وخاصة لأبناء سرايا القدس فهو من أكثر المخيمات في الضفة الغربية تضحية وعطاءً واقدامًا وفداءً.

كان لمحمد عارضة خصوصية فريدة لدى أهالي مخيم جنين وقادتها كأمثال الحاج علي الصفوري أحد أبرز قادة سرايا القدس في المخيم حيث تعرف عليه المجاهد محمد عن طريق المجاهد عبد الحليم عز الدين (أبو القسام) ليكون لهذا التعاون فيما بعد الأثر الطيب للعمل العسكري والجهادي، وتعززت الثقة بين المجاهدين ولاسيما عندما قرر المجاهد الحاج علي إرسال عملية استشهادية مزدوجة إلى مدينة العفولة المحتلة ونفذها الاستشهاديان عبد الكريم أبو ناعسة، ومصطفى أبو سرية، وكانت هي العملية الأولى في تاريخ المقاومة الفلسطينية التي تجمع سرايا القدس مع كتائب شهداء الأقصى في عملية واحدة، فعندها لم يجد الحاج إلا المجاهد محمد ليطلب منه أن يحضر له يافطات ورايات الجهاد الإسلامي وسرايا القدس من أجل تصوير الاستشهاديين بها، وكذلك تعمقت هذه العلاقة مع مجاهد آخر من مخيم جنين هو المجاهد سعيد طوباسي ذلك الشاب الذي يصفه محمد عارضة بالشاب الرائع والخلوق جدًا، وتعرف عليه في فترة العيد في العام 2001م حين ساعده في توزيع المعونات الضرورية للعائلات المحتاجة في مخيم جنين التي كانت تقدمها حركة الجهاد الإسلامي لتعزيز صمود أهالي مخيم جنين في وجه المحتل الصهيوني، ولما رآه من هذا المجاهد كان لابد أن يقوم المجاهد محمد عارضة بالإشارة إلى المجاهد نعمان وخالد بضرورة الالتقاء بالمجاهد سعيد وتقديم كل ما يلزم له من مساعدات عسكرية رغم أن المجاهد سعيد طوباسي منذ الأيام الأولى في انتفاضة الأقصى كان من ضمن المجوعة الأولى لسرايا القدس في مخيم جنين، وكان يعمل بشكل مباشر مع المجاهد محمود طوالبة الذي أصبح قائد سرايا القدس في مخيم جنين. وفي شهر 8 من العام 2001م ساهم مع المجاهد محمود طوالبة في المساعدة الكبيرة في عملية الاستشهادي سمير طوباسي ابن عم المجاهد سعيد وفيما بعد إضافة كما سيأتي.

أصبح المجاهد سعيد من أهم قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وكانت عائلته عائلة

الطوباسي من أكثر العائلات احتضانًا للمقاومة في مدينة جنين، وقدمت العديد من الأسرى والشهداء ولا تزال تقدم التضحيات الجسام على طريق الحرية والانتصار على هذا العدو المجرم، ولم يكن لينسى المجاهد محمد عارضة صديقه الحبيب الشهيد يوسف سويطات الذي نفذ العملية الاستشهادية إلى جانب صديقه الشهيد نضال جبالي في مدينة الخضيرة المحتلة في 28/ 10/ 2001م حيث في ليلة العملية دار نقاش حول أهمية أن تكون العمليات الاستشهادية بواسطة السلاح، وكانت وجهة نظر المجاهد محمد أن تكون العمليات بشكل عام بواسطة سلاح من نوع كلاشينكوف بينما كان يصر المجاهد البطل يوسف أن تكون بواسطة سلاح (M16) رغم أن طرق الحصول عليه صعب وثمنه مرتفع جدًا، ولكن كل سلاح المقاومة يجب أن يكون في خدمة الاستشهاديين، فتفاجأ في اليوم التالي محمد عارضة بأن هناك عملية استشهادية مزدوجة وبواسطة سلاح (M16) تبين فيما بعد أن أحد المنفذين لها هو صديقه يوسف الذي كان معه في ليلة أمس، والأهم أن قطعة السلاح (M16) التي استخدمها الاستشهادي يوسف كانت هي القطعة التي بالعادة يحملها المجاهد محمد عارضة في مخيم جنين، وطلبها منه قبل العملية بيومين المجاهد القائد نعمان طحاينة دون أن يعلم لماذا. ووفقًا لما صرح به المجاهد محمد عارضة فإن المسؤول عن هذه العملية وبشكل أساسي هو المجاهد القائد محمد العانيني بالإضافة إلى المجاهد ثابت مرداوي وبالتنسيق مع المجاهد نعمان طحاينة.

في أواخر العام 2001م اشتدت الحملات الأمنية الفلسطينية على مجاهدي سرايا القدس لاسيما في ظل زيارة المسؤولين الأمريكيين إلى الأراضي الفلسطينية من أجل إنعاش عملية السلام وإجهاض الانتفاضة وخاصة الجنرال الأمريكي أنتوني زيني وجورج تينت، مما سهل الأمر على السلطة الفلسطينية لإعداد خطة خبيثة ومحكمة لاعتقال أحد أبرز قادة سرايا القدس في مخيم جنين المجاهد محمود طوالبة، وتم اعتقاله وإرساله إلى سجن السلطة في مقاطعة نابلس،

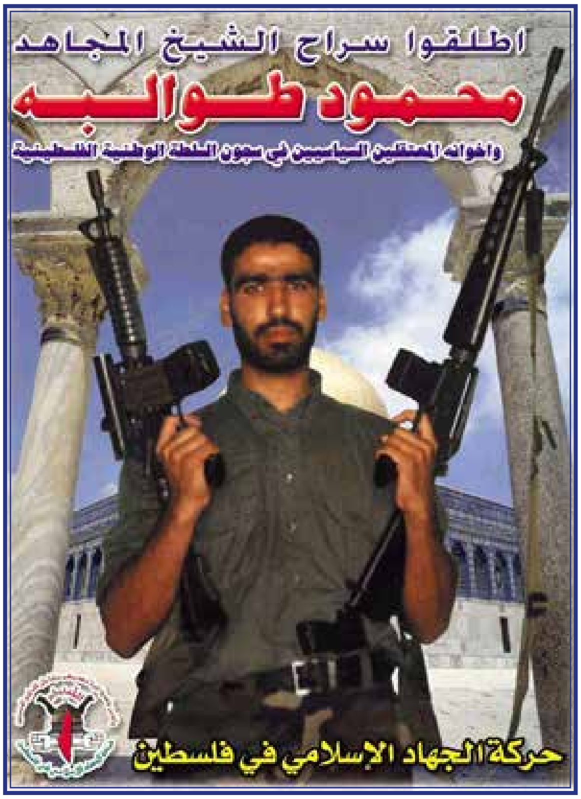

فانتفض مجاهدو سرايا القدس في جنين ومخيمها، وخرجت الجماهير الفلسطينية الحاشدة وفي مقدمتهم محمد عارضة الذي كان له الدور البارز في تحريض الجماهير في جنين ومخيمها عبر إلقائه بيانًا باسم الجهاد الإسلامي والقوى الوطنية والإسلامية ضد

ممارسات الأجهزة الأمنية الفلسطينية في اعتقال قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية، فما أن أنهى المجاهد محمد البيان حتى احتشدت الجماهير من كل مكان مطالبة السلطة الفلسطينية إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وفي مقدمتهم الجنرال محمود طوالبة، وتم حرق مقرات الأمن الوقائي في جنين.

استمرت الملاحقات الأمنية لتطال المجاهد الكبير القائد الحاج علي الصفوري عبر خطة محكمة مدروسة جدًا، وكانت هذه الفترة من أشد الفترات صعوبة على المقاومة الفلسطينية خاصة في مدينة جنين حيث تم نصب كمين للمجاهد محمد عارضة في مخيم جنين أثناء زيارته لبيت أخته في المخيم، ولما خرج منه في وقت متأخر جدًا من الليل إذا برجالات السلطة الأمنية الفلسطينية بتاريخ 07/ 01/ 2002م يحاصرون المجاهد من كل جانب ويقومون بخطفه من الشارع وإدخاله بالقوة في داخل السيارة، فحاول رغم أن السيارة مسرعة القفز من السيارة، فتعرضت قدمه لإصابة خفيفة، وتم نقله إلى مقر الأمن الوقائي في جنين، وبعدها تم ترحيله في اليوم التالي إلى رام الله ليتفاجأ في طريقه من جنين إلى نابلس بأن السيارات التابعة للأمن الوقائي التي تعتقله قد وصلت إلى داخل معسكر "دوتان" الصهيوني من أجل الحصول على التنسيق مع الجيش الصهيوني لإخراج المجاهد محمد إلى رام الله، وبدأ حينها المجاهد محمد بالصراخ على أفراد الأمن الوقائي متهمًا إياهم بالعمالة، وأنهم يريدون أن يسلموه للعدو الصهيوني، واستمروا في طريقهم حيث كان إلى جانبه المجاهد الكبير محمد العانيني، ولكن جهاز مخابرات السلطة هو الذي يعتقله وليس الوقائي. وما أن وصل موكبهم إلى نابلس وأرادوا إنزال المجاهد محمد العانيني إلى السجن أصر المجاهد محمد أن يتم السماح له بالنزول من السيارة والاجتماع مع المجاهد محمد العانيني للحظات قليلة حيث كانت هذه اللحظات بمثابة الوداع الأخير لهذا المجاهد الكبير الذي استشهد فيما بعد في قرية سيريس بمحافظة جنين بعد محاصرته من قبل الجيش الصهيوني، وخاض معهم اشتباكًا عنيفًا بشهادة العدو الصهيوني، وارتفعت روحه الطاهرة إلى العلياء في تاريخ 07/ 01/ 2002م أي بعد شهرين من تاريخ اللقاء الأخير مع المجاهد محمد عارضة، وما هي إلا ساعات حتى وجد المجاهد محمد عارضة نفسه في رام الله في زنازين التحقيق التابعة للأمن الوقائي حيث خضع فترة للتحقيق، وهناك تمكن من التعرف على مجاهدين من قطاع غزة كان قد أرسلهم القائد العام لكتائب القسام في فلسطين محمد الضيف لكي يقوموا بالمهمات الجهادية، فتم الإمساك بهم من قبل السلطة الفلسطينية عن طريق الأمن الوقائي في طولكرم.

مُنَع المجاهد محمد حينها من الحديث مع هؤلاء المجاهدين أو الاقتراب منهم إلا أن طبيعة وشخصية المجاهد محمد لا يمكن أن تخضع لأوامر أحد، وأنه إذا أصر على القيام بشيء سيفعله مهما كانت الصعاب ولذلك رضخت إدارة السجن بأن يجتمع المجاهد محمد مع المجاهدين القساميين إسماعيل شكشك وإبراهيم الهندي من قطاع غزة، كما استطاع أن يلتقي بالعديد من قادة وكوادر

المقاومة الفلسطينية في سجن السلطة برام الله، ومن ضمنهم التقى مع أفراد المجموعة الجهادية التي أسسها المجاهد الأسير جمعة التايه والتي كانت على علاقة مع القائد ثابت مرداوي في جنين وهم المجاهدون رياض خليفة ورائد عباس ومحمد جابر.

بدأ الحديث في داخل هذه السجن حول القيام باحتجاجات قوية من أجل المطالبة بالحرية من سجون السلطة مما جعل السلطة ورجالها بالأمن الوقائي يقومون بالاعتداء على المجاهد محمد عارضة وإخوانه الأسرى وصوبوا باتجاههم جرات الإطفائية، وبفعل الضغط الجماهيري والشعبي في رام الله وبيت لحم وطولكرم بدأ الافراج عن المعتقلين السياسيين تدريجيًا، فتم الإفراج عن المجاهد محمد في منتصف شهر (مارس) آذار من العام 2002م، وبدأ مشواره الجديد في رام الله.

مرحلة الجهاد في رام الله

منذ اللحظة الأولى التي خرج بها المجاهد محمد من سجن السلطة بدأ البحث عن المجاهدين والمقاومين في رام الله، واستطاع أن يجتمع مع قادة كتائب شهداء الأقصى ومنهم القائد عبد الكريم عويس من مخيم جنين وأحمد البرغوثي الملقب بالفرنسي من رام الله وحلوم أبو حميد من رام الله بالإضافة إلى عدد من مجموعة كتائب الشهيد أبو علي مصطفى، وبدأ التنسيق بين معظم الأجنحة العسكرية لإحياء المقاومة المسلحة في مدينة رام الله ونقل تجارب وخبرة المجاهدين في مخيم جنين إليها. وبدأ التعاون والتنسيق في الحصول على الأسلحة والذخيرة والمتفجرات والأحزمة الناسفة وخاصة بين المجاهد عبد الكريم عويس والمجاهد محمد عارضة

الأسير المجاهد/ محمد عارضة
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

وقدم المجاهد محمد الكثير من الأمور المادية والمعنوية واللوجستية لإحياء العمل العسكري في رام الله، وكان له محاولة في تشكيل خلايا عسكرية في مخيم الأمعري، وكانت الفترة التي سُجن فيها المجاهد محمد في سجن "عوفر" ثمانية أيام فترة هامة جدًا حيث استطاع أن يغير اسمه في التحقيق، وكذلك فعل المجاهدون خضر ضبايا ومحمد القبلاوي وعبد الكريم مسالمة، ولذلك تم الإفراج عنهم نتيجة الأسماء الوهمية التي عرفوا أنفسهم بها، وكانت هذه الفترة مرحلة إعداد خلية عسكرية مكونة من المجاهدين محمد عارضة وخضر ضبايا ومحمد القبلاوي، وتزامن خروجهم من السجن مع بداية اجتياح الضفة الغربية وخاصة مخيم جنين، وتم اجتياح مدينة رام الله فما

كان من المجاهد محمد إلا الذهاب إلى مخيم قلنديا والاختباء هناك لفترة من الزمن حيث إن أهالي هذا المخيم شكلوا حاضنة قوية للمجاهدين والمقاومين الفلسطينيين، وحاول المبيت ليلة في معهد قلنديا، وما أن خرج منه حتى تم اقتحامه من قبل الجيش الصهيوني، وما أن تم اجتياح مخيم قلنديا حتى قرر المجاهد محمد الخروج إلى قرية كفر نعمة، ولحسن حظه في ذلك اليوم كانت الطريق إليها غير مغلقة كالعادة، والهدف هو الوصول إلى هذه القرية التي بها المجاهد رياض خليفة أحد قادة سرايا القدس في رام الله، فاتفق معه المجاهد محمد على تشكيل خلايا عسكرية مسلحة في رام الله، ولهذا تمكن المجاهد محمد من شراء قطعتي سلاح من نوع ميني كلاشينكوف للخلية العسكرية الجديدة، وكان يعلم حينها أن في منطقة كفر نعمة يوجد الكثير من المغارات التي يمكن الاختباء بها في حال الخطر والملاحقات الأمنية الصهيونية للمجاهدين، وما أن خرج الجيش الصهيوني من رام الله حتى بادر المجاهد محمد بشراء سلاح جديد من نوع (M16) لتشكيل خلية عسكرية جديدة في كفر نعمة مهمتها إطلاق النار على المستوطنين والدوريات الصهيونية، والأهم أن المجاهد محمد لم يكتف بذلك فحسب، بل أخذ على نفسه المسئولية بتجهيز ثماني عبوات ناسفة ونقلها إلى كفر نعمة بالإضافة إلى تكثيف الجهود في الحصول على المواد الأولية في صناعة المتفجرات، وفي هذه الأثناء بعد اجتياح مخيم جنين واغتيال القادة العسكريين للجهاد الإسلامي أمثال القائدين محمود طوالبة وطه زبيدي واعتقال القادة الآخرين أمثال القادة ثابت مرداوي والحاج علي الصفوري كانت الضغوط كبيرة على المجاهد محمد للعودة إلى مدينة جنين لإكمال درب الشهداء والأسرى من قادة سرايا القدس في جنين إلا أنه آثر التريث وعدم الاستعجال في العودة إلى جنين قبل إتمام مشروعه الجهادي والعسكري في رام الله، وكان شديد الحرص على إخراج عملية استشهادية من رام الله بهدف إعادة الاعتبار للمقاومة المسلحة في رام الله بعد الهجمة الصهيونية على المدينة والتي أدت إلى اغتيال واعتقال معظم قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية هناك، فوقع اختيار المجاهد محمد على الاستشهادي محمد طه غنام من رام الله لتنفيذ العملية الاستشهادية، وكان هذا الاستشهادي معتقلًا سابقًا لفترة بسيطة، وحاول جهاز الشاباك الصهيوني أن يطلب منه المساعدة في تصفية أخيه كامل غنام أحد أهم قادة كتائب شهداء الأقصى في رام الله، فما أن خرج من السجن حتى قرر الرد عليهم بعملية استشهادية. وكان البطل كامل غنام يعمل في جهاز الأمن الوقائي ويمتلك الجرأة والشجاعة حيث في تلك الأيام لم يكن يعلم المجاهدون محمد عارضة وخضر ضبايا ومحمد القبلاوي كيف يخفون العبوات الناسفة التي قاموا بتجهيزها في رام الله، فتقدم هذا البطل وأخفاها في قلب مقر الأمن الوقائي في رام الله وبشكل سري جدًا.

اعتقاله والحكم عليه

أصبحت الظروف قاسية جدًا لتنفيذ العملية الاستشهادية، واستطاع المجاهد محمد عارضة الحصول على حزام ناسف تم إحضاره من مدينة نابلس قام بتصنيعه المجاهد فهد صوالحي، وهو

عبارة عن قذائف هاون على شكل حزام ناسف، وكان من المفروض أن تكون هذه العملية بمثابة الرد على جريمة ومجزرة مخيم جنين، والهدف هو ضرب العاصمة الأمنية والاقتصادية للكيان الصهيوني تل الربيع المحتلة، وتم إنهاء كافة الاستعدادات للعملية، وتصوير الاستشهادي على شاكلة الاستشهادي راغب جرادات صاحب عملية الياجور المشهورة لإرسال رسالة إلى سرايا القدس في جنين بأن رام الله بدأت تسير على خطا مدينة جنين في المقاومة والاستشهاد إلا أن رياح الجهاد والاستشهاد والثأر لم تأت بما اشتهى المجاهد محمد، ففي يوم العملية تم محاصرته بتاريخ 16/ 05/ 2002م، وتم تشديد الحصار على منطقة المصايف في الإرسال قرب المقاطعة في إحدى الشقق السكنية في رام الله، وكانت هذه الشقة شقة الشخص الذي انتحل اسمه المجاهد محمد في اعتقاله الأول، ولما رآه الضابط الصهيوني سأله: من أنت؟ فأجاب محمد: أنا أحمد صاحب الشقة. فقال له الضابط: أنا جئت إليك مباشرة! وكان يحمل صورة المجاهد محمد معه، وحين تم اعتقال المجاهد محمد واقتياده إلى مصعد العمارة كان قرار هذا البطل بأنه لا يريد أن يكون أسيرًا، فقرر مهاجمة الجندي الصهيوني الذي يُمسك به، وقام بفك وثاقه ونزع العصبة عن عينيه وضرب الجندي على وجهه.

بدأ الجندي الصهيوني الجبان بالبكاء والصراخ من الخوف وشدة الألم، وحاول المجاهد محمد خطف سلاح هذا الجندي، وقام بسحب الأقسام وأراد إطلاق النار، وفي هذه اللحظة قام عدد كبير من الجنود بالاعتداء عليه، وتمكنوا منه حيث كان يطمح المجاهد محمد أن يكون شهيدًا لا أسيرًا. وبنفس اليوم بتاريخ 16/ 05/ 2002م تم أيضًا محاصرة المجاهد الاستشهادي محمد طه غنام في المنطقة الصناعية في رام الله، وكان من المقرر خروج الاستشهادي بصحبة المجاهد محمد عارضة من رام الله لتنفيذ العملية لذلك قام الشاباك الصهيوني بالوصول إليه وتصفيته على أيدي القوات الخاصة الصهيونية مدعومين بقوات كبيرة من الجيش الصهيوني. ورغم ذلك فإن اعتقال المجاهد القائد محمد عارضة لم يكن لينهي جهاد المجاهد محمد عارضة، بل اعتبر السجن مكانًا مهمًا لصناعة الرجال وإعدادهم وصقل شخصيتهم، فعلى الرغم من أن العدو الصهيوني قد حكم عليه بثلاث مؤبدات وعشرين عامًا إلا أن ذلك الأمر لم يفت في عضده، ولا يزال صامدًا قويًا عزيزًا شامخًا رغم الصعاب ومرارة الألم حيث ما أن بدأت عائلته في زيارته حتى علم أمورًا لم يكن قد سمع بها حين حدثته عائلته أنه في فترة الاجتياح الكبير لمدينة رام الله كان هناك خبر تناقلته وسائل الإعلام مفادها أن هناك شهيدًا من رام الله ومواصفاته هي نفس مواصفات المجاهد محمد عارضة ما جعل عائلة المجاهد محمد عارضة تتجرع مرارة الألم والحسرة على فقدانه مما أدى لإصابة والدة المجاهد محمد برعشة في يدها استمرت معها لفترات طويلة.

ليس هذا فحسب، بل حاول الجيش الصهيوني أن يقتحم بلدة عرابة للبحث عن المجاهدين من سرايا القدس، واقتحموا منزل المجاهد محمد في داخل بلدة عرابة، وكانت عائلته غير متواجدة فيه،

الأسير المجاهد/ محمد عارضة
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

ولعدم وجود أحد في هذا المنزل قام الجنود الصهاينة بتحويل هذا المنزل إلى خراب ودمار وأضرار جسيمة. وفي هذه الفترة كانت العائلة تقوم ببناء بيت جديد في أطراف البلدة مما جعل العدو الصهيوني يقتحم هذا البيت ويقوم بتفجيره وتدميره بشكل جزئي انتقامًا من عائلة المجاهد محمد عارضة، وما هي إلا أشهر حتى قام العدو الصهيوني باعتقال المجاهد باسم عارضة شقيق المجاهد محمد لتعود الحاجة أم محمد إلى حزنها الذي لم ينته منذ فراق ولدها محمد. وتوالت المصائب والمحن على هذه العائلة، فلم يستهدف العدو الصهيوني رجال هذه العائلة فقط، بل طال النساء، فتم اعتقال شقيقات المجاهد محمد الثلاث، فأي مصيبة هذه التي يستطيع أن يتحملها المجاهد محمد ولسان حاله يقول:

أتسبى المسلمات بكل ثغر
وعيش المسلمين إذن يطيب

أما لله والإسلام حق
يدافع عنه شبان وشيب

فقل لذوي البصائر حيث كانوا
أجيبوا الله ويحكم أجيبوا

وبقي إخوة محمد عرضة للملاحقة الصهيونية بعد اعتقاله لمرات عديدة ضغطًا على هذه العائلة، ولذلك أصر المجاهد الكبير محمد على ألا يتوقف دوره الجهادي في سجون الاحتلال الصهيوني، وأنه لابد من مساعدة المجاهدين سواء في سجون العدو الصهيوني أو في الضفة الغربية وبكافة الوسائل الممكنة، فكان لهذا المجاهد الفضل الكبير خارج هذه السجون وداخلها في الاعتناء والاهتمام بالشباب الجامعيين، فقدم المجاهد المساعدة الكبيرة للمجاهد أحمد دهيدي من بلدة عرابة الذي كان يدرس في جامعة الخليل، وأصر على العودة إلى مدينة جنين وترك الدراسة ومباشرة العمل العسكري في سرايا القدس، فما كان من المجاهد محمد إلا أن يصل المجاهد أحمد بقيادة الحركة في الخارج ويمكنه من الحصول على خط للتواصل مع القيادة ومساعدته في الحصول على المال المطلوب لشراء السلاح والعتاد حيث إن المجاهد أحمد دهيدي نفذ عملية عسكرية مع المجاهد باسم عارضة شقيق المجاهد محمد، وكانت هذه العملية من أهم العمليات لجرأتها ولنوع السلاح الذي تم استخدامه فيها

حيث قام المجاهد باسم بإطلاق قذيفة أنيرجا على دورية صهيونية. واستمر المجاهد باسم في عمله في سرايا القدس في جنين، وقدم الكثير لسرايا القدس في ذلك الوقت من معلومات حول تحركات الجيش الصهيونية المتجهة إلى مخيم جنين وقت الاجتياح، ودفع ثمن ذلك عبر قيام مصلحة السجون بعزله في زنازين سجن إيشل الصهيونية، وما أن خرج من العزل الانفرادي حتى انكب على العلم والتعلم وحصل على دورات عديدة في كافة التخصصات الدينية والسياسية والثقافية بالإضافة إلى حصوله عل شهادة البكالوريوس في علم التاريخ من جامعة الأقصى ولا يزال ينتظر اليوم الذي يجمعه الله فيه بوالدته وإخوته وأخواته بعد طول انتظار استمر لأكثر من خمسة عشر عامًا قضاها محتسبًا صابرًا في سجون الاحتلال.

جامعة القاهرة

شهادة الماجستير المهني

0170893

تشهد كلية – التجارة – جامعة القاهرة بأن:

الطالب/ محمد قاسم أحمد عارضة

الجنسية: فلسطيني

قد حصل على درجة: الماجستير المهني في إدارة الأعمال (MPA) تخصص: إدارة مؤسسات

وحصل على المشروع بتقدير: // جيد جداً //

في دورة: يونيو — بتقدير عام: // جيد جداً //

النسبة المئوية: ٨١%

وقد اعتمد مجلس الكلية نتيجة امتحانه في: ٢٠١٨/٩/٣م

وقد أعطيت له هذه الشهادة لتقديمها إلى من يهمه الأمر

الموظف المسئول — المراجع — رئيس قسم الخريجين — مدير عام التعليم

عميد الكلية

الأسير المجاهد

محمد صبحي محمد أبو طبيخ

مجاهد صلب حكيم

تاريخ الميلاد: 1980/02/23م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مخيم جنين - محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 7

تاريخ الاعتقال: 2002/07/28م

الحكم: مؤبدان و15 عاماً

يُقاس المرء بما قدم وليس بما أخذ وملك، وتُعرف الرجال بأفعالها وليس بأقوالها، وعندما نعثر في مكان ما على بقايا صدق ورجولة وآثار عزة وكرامة؛ فنحن نكون أمام أبطال المقاومة في فلسطين الذين مروا من ذلك المكان، وعندما يرتجف القلم ويتوقف عن الحركة ويتجمد بين الأنامل، ويجف مداده ويصعب انقياده وتخور عزائمه، وتتبدد قواه فاعلم أنه في حضرة الأبطال المجاهدين في سرايا القدس؛ لذلك رويدك أيها القلم ليس هناك مثلي من يعلم عجزك وضعفك وقلة حيلتك، وعدم قدرتك إذا ما طلب منك الكتابة عن هذا المجاهد، ولهذا هوّن عليك أيها القلم؛ لأنك تقف عاجزًا صاغرًا أمام المجاهد محمد أبو طبيخ.

الميلاد والنشأة

ولد الأسير البطل محمد صبحي أبو طبيخ في مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين لعائلة أبو طبيخ التي تم تهجيرها بقوة السلاح في العام 1948م على أيدي العصابات الصهيونية والجيش الصهيوني الذي شكّله في ذلك الوقت بن غوريون، وارتكبوا المجازر في مدينة حيفا وقراها وضواحيها لتكون بلدة (صبارين) التابعة لقضاء حيفا من ضمن القرى والبلدات المستهدفة، فما كان من عائلة أبو طبيخ إلا أن تُلقي نظرات الوداع الأخيرة

على أرضها وهي تتعرض للسرقة والسلب من الصهاينة، وكانت هذه القرية الصبارينية الوادعة بمثابة القرية النموذجية في لواء حيفا لكبر مساحتها وتنوع مزروعاتها وكثرة عيون الماء فيها، وتضم مدرسة ابتدائية لتعليم الأطفال، وامتاز أهلها بالتعلم والوصول إلى درجات علمية رفيعة إلا أن يد الغدر الصهيوني لا يمكن لها إلا أن تنشر الثقافة الإجرامية في كل مكان، فبدأ الدمار والخراب والهدم والتشريد يلاحق الشعب الفلسطيني المظلوم، وتم استخدام الخطط الصهيونية السياسية منها والعسكرية، وظهرت الخطة "دالت" الصهيونية من أجل التطهير العرقي ضد الفلسطينيين.

منظر عام من بلدة صبارين المُهجّرة التابعة لقضاء حيفا

ولم يكن أمام أبناء بلدة صبارين خيار إلا مغادرة قريتهم وتاريخهم وأرضهم ومزروعاتهم ومائهم وهوائهم، والرحيل إلى مكان أكثر أمنًا وأمانًا، فوجدوا أنفسهم في مدينة جنين القسام هذه المدينة التي كانت مطمعًا للمستعمرين وعلى مر العصور بدءًا بالبابليين والآشوريين ومرورًا بالمماليك، حتى جاءها الجيش البريطاني الذي انسحب أمامه الجيش العثماني. ولا ننسى أنه في مدينة جنين انطلقت ثورة الشهيد عز الدين القسام الذي خاض معركته المشهورة في أحراش يعبد، وقرر مع المقاتلين الذين كانوا معه بأن يموتوا شهداء. هناك في ذلك المكان وضعت عائلة أبو طبيخ رحلها، في تلك البقعة الصغيرة التي تقع على سفح جبل بين مدينة جنين وبين منطقة وادي برقين، وتم تسمية هذا المكان بمخيم جنين للاجئين الفلسطينيين.

كان والد المجاهد محمد قد بلغ من العمر عند النكبة سنة واحدة حيث ولد في العام 1947م قبل النكبة الفلسطينية بعام واحد، وعاش في ظل عائلته المكونة من أبيه وأمه داخل هذا المخيم كما بقية العائلات الفلسطينية المهجرة والمشردة والمنكوبة معتمدين على قضاء متطلبات ومستلزمات الحياة على ما استطاعوا أن يحملوه معهم أثناء التهجير، ومعتمدين على ما تقدمه لهم وكالة غوث وتشغيل اللاجئين. وتتقدم الأيام بهذه العائلة وسط معاناة شديدة. كانت العائلة شيمتها الصبر والصمود في وجه الأوضاع الاقتصادية الصعبة جدًا في ظل حالة من الفقر عمّت اللاجئين، وما أن كبر والد المجاهد محمد ووصل الثامنة عشرة حتى أكرمه الله تعالى بأن يحصل على شهادة التوجيهي بنجاح، وقرر والده الحاج محمد أبو طبيخ (أبو صبحي) وزوجته الحاجة زهية سوسي (أم صبحي) أن يكمل ولدهم البكر صبحي تعليمه الجامعي، ولاسيما أن اللاجئ الفلسطيني في ذلك الوقت فقد كل ما يملكه في وطنه التاريخي، ولا يوجد ما يتم الاستثمار به سوى مجال التعليم والحصول على وظيفة التي من خلالها

يمكن لهذه العائلة، عائلة (أبو صبحي) أبو طبيخ أن تخرج من حالة الفقر والعوز والقهر والعذاب التي يعيشها أبناء المخيمات الفلسطينيين.

توجه الابن صبحي إلى بيروت ليكمل مشواره التعليمي ويدرس في جامعة بيروت العربية، وكان اختياره لهذه الجامعة لأمرين اثنين، الأول أن أخواله يعيشون في مدينة صيدا اللبنانية حيث تم تهجيرهم إليها في العام 1948م، والأمر الثاني هو أن هذه الجامعة كانت هي من الجامعات الأولى في الوطن العربي التي يمكن للطلبة الفلسطينيين أن يدرسوا فيها إلا أن رياح العلم والغربة والأمل في المستقبل لم تكن لتسير كما تم التخطيط لها بالكامل، فما أن بدأ في دراسته الجامعة حتى اندلعت حرب العام 1967م لتعيش هذه العائلة والمكونة في ذلك الوقت من سبعة أبناء وبنتين حالة القلق والقهر والحزن، والأهم حالة الشعور بالانكسار والهزيمة الحقيقية، فكانت نكسة بكل معنى الكلمة فعبر هذه الحرب وخسارتها تم إنهاء الحلم بالعودة والتحرير، كما وعدت الجيوش العربية في ذلك الوقت.

ولشدة خوف الحاجة أم صبحي على ولدها قررت الذهاب لزيارته في لبنان، والاطمئنان على ولدها الذي لا تعرف مصيره بعد الحرب. وكانت فترة الستينات مهمة جدًا لوالد المجاهد محمد ولاسيما أنه كان يتواجد في بيروت عاصمة الثورة الفلسطينية، فانتمى حينها إلى حركة فتح وأصبح من نشطائها ومن نشطاء الثورة الفلسطينية، وما هي إلا بضع سنين حتى أنهى والد المجاهد محمد تعليمه الجامعي، وعاد إلى فلسطين إلى حضن عائلته ومخيمه، وأصبح يسمى بالأستاذ صبحي حيث حصل على وظيفة في التربية والتعليم، وعمت حينها الفرحة والسرور هذه العائلة ولاسيما أن الوضع المادي لهذه العائلة بدأ يتحسن شيئًا فشيئًا، فإخوان صبحي قد كبروا وبدأوا يعتمدون على أنفسهم عبر حصولهم على أعمال كثيرة من خلالها يمكن لهم أن ينقلوا حياتهم من حالة الفقر إلى حالة اقتصادية أفضل، وأدركت هذه العائلة صحة قرارها تعليم ابنها صبحي.

قرر الأستاذ صبحي الزواج في العام 1973م، وكان نصيبه من مدينة نابلس من عائلة فلسطينية لاجئة هي عائلة الجدعان، وتزوج ابنة العائلة واسمها جميلة، وهي من مواليد العام 1951م حيث وُلدت أثناء وجود عائلتها في بلدة عرابة بمحافظة جنين، وتمكنت هي الأخرى من الحصول على فرصة للتعليم لتتخرج من معهد النجاح في نابلس وتصبح معلمة في إحدى المدارس للغة العربية، وكانت حياة هذه الأسرة الجديدة المكونة من الأستاذ صبحي وزوجته الأستاذة جميلة باعثة على الأمل في المستقبل بأن تكون لهم أسرة تعيش ظروفًا أفضل مما عاشاه في مراحل حياتهما المختلفة، ورزقهما الله بطفلتين، وتوفيت لهم طفلتان، فدعوا الله _عز وجل_ أن يرزقهما بالذكور، وما أن جاء تاريخ 23/ 02/ 1980م حتى رزقهم الله _عز وجل_ بمولودهما الجديد، وأسمياه (محمد) ليملأ حياتهما أملًا وسرورًا وفرحًا بعد طول ألم ومعاناة، وكان بمثابة الأمل الجديد المفعم بالحياة لهذه الأسرة، وكان منزلهما في مخيم جنين والذي يتكون من غرفة كبيرة للنوم وغرفة ضيوف ومطبخ وساحة في وسطه بالنسبة إليهما قصرًا من أجمل القصور في العالم

بالرغم من بساطته وتواضعه إلا أنه في ذلك الوقت لم يكن من السهل لأحد الحصول على منزل بتلك المواصفات أو حتى الحصول على وظيفة في التعليم كما حصل لوالديّ محمد، وفي ذلك المنزل ولد المجاهد محمد، وفي تلك الظروف نشأ ونما وكبر.

الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ
برفقة شقيقه الصغير (أرشيف الأسرة)

حظي المجاهد محمد باهتمام ورعاية والديه منذ الصغر، وحرص والداه على تربيته وتربية أخواته وأخيه أحمد الذي جاء بعده بعامين تربية إيمانية دينية مصحوبة بتربية سليمة قوامها وأساسها الدين والأخلاق والعلم، وفي هذه الفترة من مطلع الثمانينات في القرن الماضي حصل والد المجاهد محمد على قطعة أرض عبر تبرع من الحكومة الأردنية من خلال مشروع إسكان المعلمين الفلسطينيين في مدينة جنين، وتم تسمية الإسكان باسم ضاحية صباح الخير، وكان لزامًا على والد المجاهد محمد أن يضاعف من جهوده بالإضافة إلى وظيفة التعليم، وتمكن من الحصول على وظيفة بعد الدوام المدرسي في أحد مصانع البلاستيك في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م ليحصل على مزيد من المال من أجل بناء منزل جديد في ضاحية صباح الخير.

كان والد محمد لا يعرف طعم الراحة حيث يخرج في الصباح الباكر، ويعود في ساعة متأخرة من الليل، وفي كل صباح يخرج مع زوجته إلى مدرستيهما، ويبقى الأبناء في المنزل بصحبة جدتهم الحاجة (أم صبحي) لينعموا بحبها وحنانها وجلالها والاعتناء بها، وكانت بمثابة الأم الثانية لهم. وعاش والد المجاهد محمد أوضاعًا صعبة جدًا فلم يكن ليرى أبناءه إلا في وقت الصباح الباكر لصعوبة ظروف عمله في التعليم ومصنع البلاستيك، ومع ذلك كان الأولاد الصغار لا ينامون ليلهم، فسرعان ما يستيقظون من نومهم لينتظروا عودة والدهم من العمل والذي عادة لا يعود من عمله إلا ويحضر لهم الألعاب والطعام، وكان يؤثرهم على نفسه مما كان يحصل عليه في مصنع البلاستيك كقطع الجبنة الصفراء وبعض السندويشات، وإن لم يحضر لهم شيئًا يكفهم رؤيته، واللعب معه قليلًا قبل أن يسرع للنوم لشدة تعبه؛ لذلك كان العبء الأكبر في ذلك الوقت على والدتهم أم محمد التي كانت تتحمل أكثر من قدرتها وطاقتها لا لشيء إلا لإرضاء زوجها وأولادها، ومنّ الله عليهما بعد طول صبر ومعاناة بمنزل جديد محاط بحديقة مزروعة بمجموعة من الأشجار المثمرة في ضاحية صباح الخير، لينتقلوا للعيش فيه في العام 1986م.

كان العام 1986م عامًا مفصليًا لهذه العائلة؛ فمعظم الجيران الجدد ينحدرون من عائلات وطبقات اجتماعية مختلفة، وكان لابد من إعادة

صياغة حياة هذه العائلة بما يتناسب وأوضاعهم الجديدة في تلك البيئة المحيطة بهم، ولكن في نفس الوقت كان يصر والد المجاهد محمد على أن يبقى أبناؤه متعلقين بمخيم جنين، هذا المخيم الشاهد على قضية شعب مهجّر ومشرد عن أرضه التاريخية، وحتى لا تتحقق المقولة الصهيونية بأن: "الكبار يموتون والصغار ينسون".

كان لزامًا على عائلة أبو طبيخ أن تزرع في أبنائها حب الوطن وحب المخيم وكراهية العدو الصهيوني، وتم ذلك من خلال مجالسة الأحفاد لجدهم وجدتهم لأبيهم وجدهم وجدتهم لأمهم، ليخبروهم تاريخ القضية الفلسطينية ويقصوا عليهم أحداث النكبة الفلسطينية، وكيف تم تهجير الفلسطينيين عبر العصابات الصهيونية الإجرامية. وكان المجاهد محمد حينها على الرغم من صغر سنه يعشق تلك القصص والحكايات وطريقة سردها، وكان أحيانًا يسمعها مرة تلو الأخرى بلا كلل ولا ملل، وأحيانًا يقاطع جدته وهي تروي قصة اللجوء والنكبة ويحاول أن يطرح الأسئلة الكثيرة، وعادة ما كان لا يحصل على إجابات كافية لها، مثل: لماذا لم تبقوا في صبارين وترفضوا الخروج؟ ولماذا لم تقتلوا أنتم اليهود؟ ولماذا لم تحضروا معكم أموالكم وأغراضكم؟ ولماذا لم تعودوا إلى صبارين؟ والعديد العديد من الأسئلة مجهولة الإجابة.

حمل المجاهد محمد تلك القصص والحكايات، وحمل على كاهليه هم الجميع من أبناء الشعب الفلسطيني، وما أن بلغ من عمره سبعة أعوام حتى اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987م، وشعر حينها بمدى همجية اليهود الذين بدأوا بقمع الانتفاضة الفلسطينية عبر قمعهم للمسيرات الشعبية والجماهيرية، وكان كل ما سمعه المجاهد محمد من أجداده يراه اليوم واقعًا على الأرض، فلا يخلو يوم من الأيام إلا وكان المجاهد محمد يتعرض للاختناق بفعل الغاز المسيل للدموع، وكأنه أصبح وجبة إضافية لتلك الوجبات التي يقدمها مطعم الوكالة لطلاب مدارسها في مخيم جنين.

دوره في الانتفاضة الأولى

عاش مجاهدنا محمد مراحل الانتفاضة الفلسطينية الأولى بكل أحداثها وتفاصيلها حيث كان شبابها في مخيم جنين وبشكل شبه يومي يقومون بوضع الحواجز أمام مدرسة الوكالة في مخيم جنين، ويشعلون إطارات السيارات ويعلنون تعليق الدوام المدرسي. وكان المجاهد محمد حينها يقف إلى جانب هؤلاء الأبطال، ويشاركهم الهتافات والشعارات الوطنية كالشعار الخالد "يا شامير يا شارون.. هذا وطنا ونحنا هون"، بالإضافة إلى رمي الحجارة وما أن تتقدم الدوريات الصهيونية حتى يبدأ أبطال الانتفاضة يقذفون الجيش الصهيوني بالحجارة، والتي كانت تنهمر عليهم كالمطر، فما كان بيد الجيش الصهيوني الجبان إلا أن يعلن عن إغلاق المدرسة حتى إشعار آخر، فيكون الطلبة عرضة للضياع، لكن قادة وأبطال الانتفاضة الفلسطينية كان لديهم الوعي الكبير لمسألة تعليم الأطفال ويحرصون على ذلك، فكانوا يجمعون الطلبة في المساجد والبيوت وفي مركز خدمات جنين من أجل إكمال الأطفال لتعليمهم المدرسي لحين إعادة افتتاح المدرسة من جديد.

وما أن وصل المجاهد محمد سبعة أعوام من عمره حتى وجد نفسه في مسجد مخيم جنين في ظل الحركة الإسلامية التي كانت تشرف حينها على مراكز تحفيظ القرآن الكريم، حيث حرص والد المجاهد محمد أن يتعلم ولده محمد القرآن الكريم، وأن يحفظ كتاب الله وأن يستفيد من دروس وحلقات العلم في المسجد، وكان حينها يشرف عليهم الشيخ حسين من مخيم جنين، ومن ثم الشيخ جمال أبو الهيجا (أبو العبد) هو المشرف على مركز تحفيظ القرآن الكريم في مخيم جنين، وكان دائمًا يحرص على تربية ذلك الجيل من الأطفال تربية إسلامية ووطنية جهادية، وذلك عبر تحفيظهم لكتاب الله -عز وجل- وعبر الدروس والجلسات الإيمانية، وكذلك عبر إخراج الأطفال والأشبال والفتيان إلى رحلات تعريفية إلى مدن وقرى فلسطين سواء في الضفة أو الداخل المحتل، وكذلك عبر زيارة المسجد الأقصى المبارك، لتزداد معلومات هذا الجيل عن طبيعة فلسطين وقضيتها، فنشأ المجاهد محمد نشأة إيمانية بامتياز، وأصبح شعلة لإخوانه وأصحابه وأصدقائه سواء في المسجد أو المدرسة.

الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ
أثناء دراسته المرحلة الابتدائية في جنين

كان المجاهد محمد الأول في كل شيء، الأول في مدرسته، والأول في مركز تحفيظ القرآن الكريم، والأول في علاقاته الاجتماعية الممتدة، والأول في المشاركة بالمسيرات الشعبية والجماهيرية في الانتفاضة الفلسطينية، وكل ذلك ساهم في صقل شخصيته، فكان لديه القدرة على القيادة منذ الصغر، وما أن يطلب أمرًا من طلبة المدرسة من أبناء صفه إلا كانوا يجتمعون له وينفذون أوامره، وعندما يخرج من المدرسة ليشارك الأبطال في أحداث الانتفاضة؛ يتبعه زملاؤه فيتركون مقاعد الدراسة ويلحقون به، وما كان من مدير المدرسة وبعض المدرسين الأفاضل إلا أن يتحدثوا مع المجاهد محمد ويحثوه على العلم والتعليم، وأنه لا يمكن لثورة أن تنجح بدون العلم، فالجهاد وحده غير كافٍ، وأنه لابد من مفكرين لقيادة هذه الثورة، وما إلى ذلك من حديث أو كلام، ومع ذلك لم ينجحوا في مسعاهم، وكل ما حدث هو أن المجاهد محمد بدأ يوائم بين الدراسة وبين مشاركته في أحداث الانتفاضة.

أثرت الانتفاضة الأولى في مجاهدنا محمد كثيرًا وولدت لديه الإحساس، وكان يتمنى أن يكبر بسرعة حتى يقوم بتلقين الاحتلال درسًا لا ينسى، ولذلك شكّل منذ صغره مجموعة من الأشبال في مدرسته وظيفتهم رمي الحجارة والمشاركة في أحداث الانتفاضة ما أمكن وخاصة في وقت العصر، ولمّا كان لوالد محمد محل لبيع الخردوات في مخيم جنين يقوم بفتحه بعد الظهر من كل يوم كان المجاهد محمد يُلح على والده للذهاب معه إلى مخيم جنين، ليكون إلى جانبه في ذلك المحل ومن أجل أن يزور

بيت جده في المخيم، وما أن يصل إلى هناك سرعان ما يذهب إلى مجموعته حيث كانوا يذهبون إلى مكان قريب من مقاطعة جنين العسكرية، ويبدؤون برمي الحجارة على البرج العسكري، وما أن يبدأ الجنود الصهاينة بإطلاق النار حتى يعودوا إلى مخيم جنين وكأن شيئًا لم يحدث.

وفي أحد الأيام وأثناء وجود المجاهد محمد في مخيم جنين وبصحبة أبناء عمّه إذا بهم يرون عددًا من الجنود الصهاينة في إحدى الحارات، فقاموا برشقهم بالحجارة ظانين أن الجنود سيخافون ويتراجعون، فإذا بالمجاهد محمد الذي لم يتجاوز من عمره اثنى عشر عامًا، يقع في قبضة الجنود الصهاينة الذين بدأوا بضربه في ظل محاولة حثيثة من عامة الناس ونساء المخيم المتواجدات في ذلك المكان لتخليصه من الجنود الصهاينة، ولكن دون جدوى، فقاموا باعتقاله ووضعه في أحد الجيبات العسكرية الصهيونية، وما أن علمت جدته أم صبحي بهذا الأمر حتى أسرعت تبحث عن حفيدها ووصلت إلى ساحة وسط مخيم جنين، ووجدت ذلك الجيب الذي يحتجز حبيبها محمد ودخلت إلى داخل الجيب وحاولت أن تخلصه منهم دون جدوى، وما هي إلا ساعات حتى وجد المجاهد محمد نفسه في داخل المقاطعة العسكرية الصهيونية، وما أن حلّ الظلام حتى حضر إليه مختار مخيم جنين، وعمه حسن (أبو فادي) من أجل إجراء التفاوض مع الحاكم العسكري لإطلاق سراح محمد الطفل الصغير، وتوصلوا حينها لاتفاق بموجبه يتم إخلاء سبيله مقابل الحضور إلى المحكمة في اليوم التالي، وكان قد حكم عليه القاضي بالإفراج بشرط دفع غرامة مالية قيمتها (1000) شيكل فأثقلت ظهر أبيه، ولاسيما أنه كان بالكاد يوفر لأولاده مصروف البيت.

أول عملياته الجهادية

شعر المجاهد محمد أنه قد حمّل أباه فوق طاقته، وأقسم من يومها على الانتقام من هؤلاء الصهاينة، وقرر أن ينفذ عملية ضد العدو الصهيوني، فاتفق مع أحد أقربائه بأن يقوما بتجهيز العملية، وهي عبارة عن إعداد زجاجات حارقة تم تطويرها حيث قام المجاهد محمد وقريبه بالحصول على السولار والبنزين من أحد الأماكن، وتوجها إلى مستشفى جنين الحكومي إلى مكان يبعد بضعة أمتار عن البرج العسكري، وبعد أن قاما بتجهيز الزجاجات الحارقة قام المجاهد محمد بوضع أعواد الكبريت حول فوهة الزجاجة وثبتها بشكل جيد، وما أن اقتربا من الهدف إذا بسيارة عسكرية صهيونية تتوجه إليهما، فما كان حينها أمام المجاهد محمد إلا أمران فإما أن يترك الزجاجات الحارقة على الأرض وإما أن يشعلها ويرميها باتجاه السيارة العسكرية، وقرر وبكل شجاعة وبسرعة فائقة أن يشعل الزجاجة ويلقيها على السيارة العسكرية وتمت هذه العملية بنجاح، وبدأ الجنود الصهاينة بإطلاق نار كثيف، ولشدة الخوف الذي أصاب المجاهد محمد وقريبه خلال ثوانٍ معدودة كانا قد غادرا المكان باتجاه مكان آمن في مخيم جنين، وتوجها إلى منزل جدّه في ذلك المخيم وكأن شيئًا لم يحدث إلا أن أحد الأشخاص من مخيم جنين رآه وأخبر والده بهذا الأمر، وما أن جاء والده إلى

منـزل جـده في المخيـم حتـى أنكـر ذلـك، وحاولـوا مـرارًا وتكـرارًا بـأن يجعلـوه يعـترف، وجـنّ جنـون والـده الـذي كان قـد دفـع الغرامـة المالية الباهظة قبل فـترة قصيرة وبـذل جهـدًا كبيرًا في تدبير هـذا المبلغ، ثـم يـأتي ولـده مـرة أخرى ويجلب لـه مصيبة جديدة، ومع ذلك فقد نجا من العقاب الـذي كان بانتظاره.

شـعر المجاهـد محمـد بأنـه قـد انتـصر في معركتـه الشـخصية مـع العـدو الصهيـوني، وقـرر أن يطـور أعماله الجهاديـة عـبر صناعـة "الدفـاش" وهـو أشـبه بمسـدس، عبـارة عـن ماسـورة حديديـة، وقـام بتجميـع مصروفـه اليومـي لـشراء مسـتلزمات هـذا "الدفـاش"، واشـترى له عـدة رصاصـات، وعندمـا كان يحمـل هـذا "الدفـاش"؛ كان يشـعر بأنـه يحمـل مسدسًـا حقيقيًـا وأول محاولـة لتجريـب هـذا "الدفـاش" كانـت في داخـل مدرسـة مخيـم جنـين وداخـل الصـف المـدرسي، حيـث كان هنـاك تحدٍ بينـه وبـين أحـد طـلاب الصـف، ووافـق المجاهـد محمـد عـلى هـذا التحـدي، وأطلـق رصاصـة تجـاه الحائـط وبالفعـل نجحـت التجربـة، ولاذ جميـع الطلبـة بالفـرار مـن المدرسـة حتـى لا يقعـوا في قبضـة إدارة المدرسـة.

ولشـدة تعلـق المجاهـد محمـد بالانتفاضـة الأولى وأحداثهـا اليوميـة قـرر أن يكثـف نشـاطاته في ضاحيـة صبـاح الخـير، وقـرر مـع أصدقائـه أن يقومـوا كل يـوم أو في موعـد محـدد برمـي الحجـارة عـلى سـيارات المسـتوطنين التـي تمـر أمـام الضاحيـة والمكان الـذي بـه زقـاق ضيـق ومـن الصعـب اللحـاق بهـم في حـال تمـت ملاحقتهـم، وبالفعـل شـاركه في هـذا الـرأي العديـد مـن أبنـاء ضاحيـة صبـاح الخـير، ومعظمهـم كانـوا مـن سـكان مخيـم جنـين سـابقًا، وبـدأت هـذه المجموعـة تنشـط يومًـا بعـد يـوم حتـى يتـم إمطـار سـيارات المسـتوطنين بالحجـارة، وأحيانـا كان يقـوم المجاهـد محمـد وأصدقـاؤه بوضـع جسـم مشـبوه عـلى الشـارع الرئيـسي المـار مـن أمـام بلدتهـم مـن أجـل تعطيـل سـير سـيارات المسـتوطنين وإربـاك الجيـش الصهيـوني.

وفي أحـد الأيـام، خـلال الفـترة مـا بـين 1993/ 1994م قـرر المجاهـد محمـد تنفيـذ عمليـة ضـد سـيارة أحـد المسـتوطنين مـن مسـافة الصفـر، وطـرح هـذه الفكـرة عـلى أصدقائـه، ولكنهـم رفضـوا الموضـوع لخطورتـه وصعوبـة تنفيـذه، ولهـذا قـرر المجاهـد محمـد القيـام بهـذه العمليـة لوحـده حيـث تقتـضي الخطـة بـأن يقـوم المجاهـد محمـد بحمـل قطعـة حديـد قويـة يخبئهـا في ملابسـه وينتظـر قـدوم سـيارة مسـتوطن، وفي هـذه الأثنـاء يقـف المجاهـد محمـد عـلى رصيـف الشـارع، وحـين تمـر سـيارة المسـتوطن مـن جانبـه يقـوم بقـذف زجـاج السـيارة بقطعـة الحديـد، فيتنـاثر الزجـاج عـلى وجـه المسـتوطن بالإضافـة إلى ذلـك يتـم إصابـة المسـتوطن بقطعـة الحديـد، وبالفعل تمكـن المجاهد محمد مـن تنفيـذ هـذه المهمـة، وقـذف سـيارة المسـتوطن بقطعة الحديـد، وتـم إصابتهـا بدقـة كبـيرة، ومـا أن انسـحب من المـكان بسرعـة كبـيرة حتى سـمع صـوت إطـلاق كثيف للرصـاص فالمسـتوطن الـذي تعـرض لهـذا الحـادث فقد صوابـه وقدرتـه عـلى التحكـم بالسـيارة وبنفسـه، وقـام بإطـلاق النـار وبشـكل عشـوائي دون أن يحقـق الهـدف، حينهـا شـعر المجاهـد محمـد بنشـوة النـصر الكبـير، وفي نفـس الوقـت أثبـت لأصدقائـه أنه أشـجع منهـم وأقوى عزيمـة وإرادة، فأصبـح بطـلًا لا يقهـر ولا يعـرف الهزيمة أو التراجـع.

بدأ نشاط محمد الفردي والجمعي يزداد، ومع كل الفصائل فما من عرض عسكري لأي فصيل إلا ويكون معهم وخاصة للجبهة الشعبية لكون معظم أبناء عائلة أبو طبيخ كانوا ينتمون لصفوف الجبهة الشعبية، ولكن كان حبه الأول والأخير للحركة الإسلامية، تلك الحركة التي صنعت منه رجلًا قوي الإيمان وراسخ العقيدة وقوي الإرادة والعزيمة، ولا يعرف الخوف أو التراجع أو الانكسار، وما هي إلا فترة من الزمن وإذا بالاتفاق الذي وقعته منظمة التحرير مع العدو الصهيوني عبر اتفاق أوسلو يتجسد على أرض الواقع بدخول قوات الشرطة الفلسطينية إلى مقر المقاطعة في جنين عام 1996م.

كان المجاهد محمد يقف أمام المقاطعة عندما رأى خروج آخر دورية صهيونية منها تمهيدًا لدخول قوات السلطة الفلسطينية، وكان عدد كبير من الجماهير الفلسطينية يقف أمام المقاطعة ورجال السلطة يبعدون الناس من أمامها لضمان أمن الدوريات الصهيونية الخارجة من مبنى المقاطعة باتجاه الداخل المحتل، وحينها كان المشهد عبارة عن تواجد بعض الجنود أمام المقاطعة ويقفون أمام رجال السلطة يتحدثون معهم وفي نفس الوقت يمنعون وصول الناس إليهم، وفي ذلك اليوم استنتج المجاهد محمد أن رجال السلطة الذين يقفون أمام المقاطعة لحماية الجنود الصهاينة من الجماهير الحاشدة قد بات هدفهم واضحًا وهو حماية الاحتلال الصهيوني، فمن كان عدوًا بالأمس أصبح اليوم صديقًا ومدافعًا عنه.

أمام ذلك المشهد الصادم قرر المجاهد محمد مع أحد أصدقائه الاقتراب من أحد الجنود وخطف سلاحه، ثم الهرب باتجاه الجماهير المحتشدة، وبذلك لا يمكن للجنود الصهاينة إطلاق النار على أحد؛ لأنه سيؤدي إلى ارتكاب مجزرة، ومن ثم الهروب إلى مكان آمن، وبالفعل اقترب المجاهد محمد وصديقه من مكان تجمع الجنود وحاولا الاقتراب أكثر وأكثر من أحد الجنود الصهاينة، وهنا انتبه رجال السلطة الفلسطينيين بأن المجاهد محمد وصديقه قد اقتربا كثيرًا من ذلك الجندي، فأجبروهما على مغادرة المكان إلى مكان تجمع الجماهير، وبذلك تكون قد فشلت تلك المحاولة. وبدأت الفصائل الفلسطينية بتوزيع البيانات المعارضة لعملية السلام، وكانت تلك البيانات موقعة باسم حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي، وهذه المرة الثالثة التي يسمع بها المجاهد اسم حركة الجهاد الإسلامي، أما المرة الأولى فكانت في العام 1992م حيث سمع عن استشهاد المجاهد عصام براهمة في قرية عنزة بمحافظة جنين الذي خاض ملحمة أسطورية، وعلم أن هذا الشهيد ينتمي لحركة الجهاد الإسلامي،

الشهيد القائد/ عصام براهمة
استشهد بتاريخ 11/ 12/ 1992م

ولم يكن يعي ماذا يعني هذا الاسم في ذلك الوقت لصغر سنه، بينما كانت المرة الثانية في العام 1995م في يوم الإعلان عن اغتيال الدكتور فتحي الشقاقي حيث شاهد على شاشة تلفزيون العدو الصهيوني بث صور الشهيد فتحي الشقاقي وتقريرًا عن حياته، ومنذ ذلك اليوم وهو يحاول معرفة المزيد عن هذه الحركة التي يستشهد أمينها العام.

انتماؤه لحركة الجهاد الإسلامي

ما أن أكمل المجاهد محمد تعليمه المدرسي، وحصل على شهادة توجيهي حتى قرر أن يكمل الدراسة في جامعة بوليتكنك فلسطين بمدينة خليل الرحمن في العام 1998م، وأثناء ذهابه لتلك الجامعة من أجل التسجيل في كلية الهندسة قام عدد من الطلبة باستقباله وإرشاده إلى مكان التسجيل، وكانوا ينتمون إلى الجماعة الإسلامية، فسألهم حينها إلى أي فصيل تتبع هذه الجماعة الإسلامية، فأجابوه إلى حركة الجهاد الإسلامي، وكأن القدر ساق هذا المجاهد إلى تلك الجامعة ليجد ضالته هناك عبر الانتماء لحركة الجهاد الإسلامي، وبالفعل ومنذ اليوم الأول للدراسة في الجامعة جامعة بوليتكنك فلسطين انتمى إلى حركة الجهاد الإسلامي وأصبح من نشطاء الجماعة الإسلامية، وما هي إلا ثلاثة أشهر حتى أصبح من أهم مسؤولي الجماعة الإسلامية في الجامعة، وكان إلى جانبه المجاهدون مصطفى عوض من قرية رامين بمحافظة طولكرم، وفراس عودة من قلنديا في رام الله، ورافع مضية من بلدة حلحول في خليل الرحمن، وأحمد عبد الكريم من بلدة برقين في جنين، وواصف غنيمات من بلدة صوريف بمحافظة الخليل، وصديقه المجاهد محمد أيوب سدر من خليل الرحمن، والمجاهد أيمن اطبيش من بلدة دورا، وكانت لهم صولات وجولات عبر نشاطاتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية. وأصبحت العمارة التي يسكن بها، والتي تضم أكثر من 20 طالبًا من مختلف القرى والمدن الفلسطينية ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي ومن نشطاء الجماعة الإسلامية وهي الإطار الطلابي للحركة؛ مركزًا للحركة وذلك بتأثير المجاهد محمد، وأصبح عدد منهم فيما بعد قادة لحركة الجهاد الإسلامي في المدن الفلسطينية كالمجاهد جاد الحق رداد من طولكرم وعمار منصور من مدينة نابلس.

بطاقة تسجيل المرحلة الجامعة في بوليتكنك فلسطين بالخليل للأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ

تميز العام 1998م بكثرة نشاطات الجماعة الإسلامية في الجامعة، وما أن بدأت مرحلة الانتخابات لمجلس الطلبة في الجامعة حتى بدأ المجاهدون بالاستعداد مواصلين الليل بالنهار عبر سلسلة من النشاطات المميزة لإقناع الطلاب بالتصويت لصالح الجماعة الإسلامية، وتم إنشاء معرض لصور الشهداء والأسرى عبر إقامة خيمة كبيرة وسط الجامعة، وحقق هذا المعرض الذي أشرف

عليه المجاهدون محمد أبو طبيخ ومصطفى عوض ومحمد سدر وأحمد عبد الكريم نجاحًا كبيرًا جدًا مما جعل الجماعة الإسلامية تصبح من أهم الكتل الطلابية في الجامعة، وبدأ التنافس بين الكتل الطلابية في ذلك الوقت، وأحيانًا كان يأخذ منحى الاقتتال بين الكتل الطلابية لشدة التنافس الحزبي بينهم.

كان المجاهد محمد أحيانًا ممثلًا عن الجماعة الإسلامية في عملية فرز الأصوات، ودار أثناء عملية فرز الأصوات نقاش بينه وبين طالب آخر من حركة فتح حول أن الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية في الجامعة لن تحصلا على أي مقعد؛ لأنهما لا يتجاوزان عشرة أشخاص فقط، فأجابه المجاهد محمد بثقة كبيرة: كلامك صحيح نحن عشرة أشخاص، ولكننا عبارة عن عشرة قنابل ستنفجر في وجه العدو، متى أردنا ذلك ولدينا حجم كبير من التأييد في أوساط الجامعة؛ لأننا نعمل بصدق وإخلاص لأجل الطلبة بلا تمييز بين أحد. وما أن انتهت عملية فرز الأصوات حتى حصلت الجماعة الإسلامية على ثلاثة مقاعد، وحصلت الكتلة الإسلامية على أربعة عشر مقعدًا وحصلت الشبيبة الفتحاوية على أربعة عشر مقعدًا، وأصبحت الجماعة الإسلامية هي التي تحدد من سيكون المسؤول عن مجلس اتحاد الطلبة عبر تحالفها إما مع فتح وإما مع حماس، وبدأت مسلسلات الترغيب من كلا الطرفين، وبدأت الاتصالات مع قيادة الحركة في الخارج وفي مدينة الخليل، وانتهى الأمر بالتحالف مع حركة حماس في الجامعة، وحصلت الجماعة الإسلامية على ثلاث حقائب في مجلس الطلبة في الجامعة.

الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ (يمين)
في فعالية طلابية للجماعة الإسلامية بالخليل

اعتبرت تلك الفترة من أهم الفترات للجهاد الإسلامي في خليل الرحمن، وأصبحت قوة لا يستهان بها إلا أن هذه النشاطات الفكرية والدعوية والطلابية لم تكن تلبي طموح ورغبات المجاهد محمد، فما أن اندلعت المواجهات بين الفلسطينيين وبين الجيش الصهيوني في منطقة باب الزاوية في خليل الرحمن حتى قرر أن يطلب من مجلس الطلبة تعليق الدوام والذهاب للمشاركة في تلك المظاهرات، وتقدم الصفوف وأصيب بيده برصاص مطاطي من مسافة قريبة جدًا، وحمله الأبطال وفي مقدمتهم المجاهد مصطفى عوض، وتم نقله إلى مستشفى الملكة عالية في خليل الرحمن وإسعافه وإعطاؤه العلاج المناسب، وما أن توجه إلى المنزل الذي يسكن فيه حتى بدأت الوفود من الجامعة بزيارته والاطمئنان على صحته، وعلم مكانته لدى أبناء الجهاد الإسلامي ومدى احترام الطلبة والكتل الطلابية له.

وفي ذلك اليوم دار حديث بين المجاهد محمد أبو طبيخ ومحمد سدر حول ضرورة أن يكون هناك

عمل عسكري ضد العدو الصهيوني، وتوجها إلى قيادة الحركة من أجل الحصول على الدعم المالي والعسكري، ولكنهما فشلا في ذلك، فقرروا الذهاب إلى المسجد الأقصى من أجل جمع التبرعات، وكان ذلك في العام 1999م، وبالفعل أديا صلاة الجمعة في المسجد الأقصى، وشرعا يجمعان التبرعات لصالح الجماعة الإسلامية وحصلا على مبالغ كبيرة، ومن ثم توجها إلى مدينة رام الله من أجل جمع التبرعات من أصحاب المصانع والمؤسسات الخيرية، وبالفعل تمكنا من الحصول على مبالغ كبيرة؛ لأن معظم المتبرعين كانوا من سكان الخليل وأن المجاهد محمد سدر من سكان الخليل، وله معرفة سابقة بهم وبأقربائهم، وهذا سهل عليهما جمع التبرعات، ولما وصلا إلى الخليل قررا أن يشتريا سلاحًا من نوع مسدس. وبدأت عملية البحث عمن يزودهما بهذا المسدس، وهنا علم بعض مسؤولي الجماعة الإسلامية بمسألة جمع التبرعات، وبدأ الحديث حول من المسؤول عن جمعها؟ وأين سيتم إنفاقها؟ وغير ذلك من الأسئلة، وفي نهاية النقاش وافق المجاهدان محمد سدر ومحمد أبو طبيخ على أن يكون كل المبلغ لصندوق الجماعة الإسلامية في الجامعة؛ لأن جمع المال كان لذلك الغرض، وهنا كانت محاولة شراء المسدس والذي كان من المفترض تنفيذ عدة عمليات به في سوق الخليل.

اعتقاله مع بعض نشطاء الجماعة الإسلامية

في يوم 13/ 10/ 1999م، وأثناء تواجد المجاهد محمد أبو طبيخ في سوق الخليل المليء بالجنود والمستوطنين الصهاينة تم إيقافه، وطلب الجنود هويته وما هي إلا دقائق حتى جاء القرار باعتقاله، فإذا به في مركز تحقيق عسقلان الإجرامي وبدأ التحقيق معه حول الجماعة الإسلامية والنشاطات الطلابية، واستمر التحقيق معه لأيام طويلة وشاقة جدًا إلا أنه لم يكن ليعترف بكلمة واحدة وأثناء وجوده في زنازين التحقيق سمع أصواتًا كأنه سمعها بالماضي، فإذا بالمجاهدين أيمن اطبيش ونادر حنتش من أصدقاء المجاهد محمد أبو طبيخ الذين يدرسون معه في ذات الجامعة، وفي نفس التخصص ونفس الشعبة، فعلم أن موضوع الجماعة الإسلامية قد كشف أمره، وبدأت الاعتقالات للمجاهدين وامتلأت زنازين التحقيق بالمجاهدين من أبناء الكتلة الإسلامية والجماعة الإسلامية، ومن نشطاء الجماعة الإسلامية الذين تم اعتقالهم المجاهدون رافع مضية ومصطفى عوض وأحمد عبد الكريم وفراس عودة ومحمد سدر بالإضافة للمجاهدين محمد أبو طبيخ وأيمن اطبيش ونادر حنتش.

الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ
برفقة مجموعة من الأسرى في سجون الاحتلال

تعرض المجاهدان محمد وأيمن للضرب المبرح من قبل السجانين في زنازين التحقيق وبظروف قاسية جدًا، ومع ذلك بقيا صامدين في وجه المحققين والسجانين وفي أحد الأيام حضر أحد أفراد الشرطة

وأخرج المجاهدين محمد أبو طبيخ وأيمن اطبيش وأخبرهما أن لديهم محكمة، وما أن دخلا إلى قاعة المحكمة وجلسا أمام القاضي حتى سمع المجاهد محمد صوتًا من ورائه وكأن رجلًا يبكي، وطلب القاضي الصهيوني من المجاهد محمد بأن ينظر وراءه، وكان محمد يتعامل مع هذا القاضي بكبرياء وازدراء، فلم ينظر، فطلب القاضي منه مجددًا أن ينظر وراءه فرفض الانصياع له، ثم كرر الطلب مرات عديدة، فشعر المجاهد محمد أن الأمر مهم جدًا، فنظر إلى خلفه فوجد أباه يجلس في الخلف ويبكي، فلم يعلم ماذا يفعل في ذلك الوقت إلا أن يحبس دمعه ويُصلب إرادته ويقوي من نفسه وعزيمته، وهو يصبِّر أباه ويقول له: لماذا تبكي يا أبي؟ لا تخف منهم، هؤلاء جبناء وأنا قوي كما ترى، ولست خائفًا فوضعي ممتاز جدًا، ولا تقلق عليَّ، فارتفعت معنويات والد المجاهد محمد الذي قدم من مدينة جنين بطريقة معقدة جدًا لحضور المحكمة، وكذلك حدث مع المجاهد أيمن. وما أن عاد المجاهد محمد إلى زنزانته حتى أخذ على نفسه عهدًا بأن يدفع العدو الصهيوني ثمن دموع والده التي ذرفها في المحكمة.

اجتمعت المجموعة بكافة أفرادها محمد سدر ومحمد أبو طبيخ ومصطفى عوض وأحمد عبد الكريم وأيمن اطبيش ورافع مضية ونادر حنتش في سجن "مجدو" في نفس القسم من أواخر العام 1999م وبداية العام 2000م وقد فرح مجاهدو الجهاد الإسلامي بقدوم هؤلاء الأبطال الطلبة الجامعيين والمثقفين، حيث أضافوا كثيرًا من العمل الإيجابي والحركي في السجن، وكان ذلك الاعتقال الأول للمجاهد محمد، ومن خلاله تم استغلال تواجدهم بالقرب من بعضهم للتخطيط للمستقبل للعمل الجهادي في حال الخروج من السجن، وبدأ المجاهدان محمد أبو طبيخ ومحمد سدر يتحدثان حول تجميع ما يحسب لهم من مبالغ من أجل شراء السلاح بعد خروجهما من السجن من أجل بدء العمل العسكري لاسيما أنهما قد اكتسبا الخبرة الأمنية وكسرا حاجز الخوف من الاعتقال. وكأن ما خططا له داخل السجن كانا يعلمان بأنه سيتحقق بعد أشهر قليلة.

اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة ومعظم أفراد المجموعة في داخل السجن، مما جعلهم ينتظرون بفارغ الصبر موعد الإفراج عنهم للمشاركة في أحداث الانتفاضة، وتم الإفراج عن معظم أفراد المجموعة باستثناء المجاهد محمد أبو طبيخ الذي ما أن انهى مدة اعتقاله البالغة عامًا حتى تم تحويله للاعتقال الإداري، ليجتمع حينها بقادة وكوادر الحركة ويأخذ عنهم المزيد من الأفكار التنظيمية والسياسية والفكرية، وبدأت الانتفاضة تتحول من حالة العمل الجماهيري إلى حالة العسكرة، وتم تمديد الاعتقال الإداري للمجاهد محمد مرة أخرى، فشعر بأن الدنيا قد أطبقت عليه وأنها لا تريده أن يخرج من السجن.

وما هي إلا بضعة أشهر حتى جاء موعد محكمة تثبيت الاعتقال الإداري في سجن مجدو، فقرر أن يتحدث أمام القاضي بنفسه وعدم توكيل محامٍ له، وكانت ضابطة هي المسؤولة عن ملفه، وتحدثت أمام القاضي عن خطورة الإفراج عنه، وأنه

يشكل خطرًا على أمن الكيان الصهيوني، وهنا طلب المجاهد محمد الحديث أمام القاضي، وقال له: أيها القاضي! هل هذه الضابطة في المخابرات الصهيونية تعلم كل شيء عني؟ فأجابت الضابطة بنعم، فقال المجاهد محمد: أريد أيها القاضي أن أطرح عليها بعض الأسئلة لأثبت لك أنها لا تعرف عني أي شيء، وأن الملف الذي بين يديها كذب، فضحك القاضي وضحكت الضابطة الصهيونية، وبدآ يزدريان المجاهد محمد، فبدأ يسأل الضابطة قائلًا لها: اذكري لي ما هي أسماء إخواني العشرة؟ فبدأت تتخبط وقالت: لا أعلم، ثم قال لها: اذكري لي أين أسكن بالضبط في بلدة يعبد؟ فقالت وأين هذه تقع؟ ثم استمرت الأسئلة على هذا النحو بدون إجابات من قبل الضابطة، ولاسيما أن المعلومات التي يسأل عنها المجاهد محمد هي من اختراعه، ولا أساس لها من الصحة فهو ليس من بلدة يعبد وليس له عشرة إخوة وهكذا.

وهنا ضرب القاضي بيده على الطاولة، وقال: إن لم يتم تقديم أي مادة حقيقية عن المجاهد محمد خلال 72 ساعة فإنه سيتم الإفراج عنه، وشعر المجاهد محمد بنشوة النصر على جهاز المخابرات الصهيوني، وما أن عاد إلى السجن وحدث المجاهدين بما حصل حتى قالوا له بأن يجهز نفسه للحرية، وقرر حينها في اليوم التالي زيارة المجاهدين في الخيام، ومن المجاهدين الذين كانوا معه المرحوم يوسف العارف (أبو مالك)، وصديقه العزيز لؤي السعدي وعلي ومحمد أبو خزنة وسليمان وأنور العصا وأبو مجاهد وأبو أحمد العصا.

تم الإفراج عن المجاهد محمد أبو طبيخ من سجن مجدو بتاريخ 05/ 04/ 2001م، وكان والده ووالدته ينتظرانه على حاجز سالم الصهيوني،

الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ
وفي الخلف أسرته الصابرة خلال زيارتها له في السجن

وكان للحرية طعم جميل جدًا لم يشعر بحلاوته ومذاقه من قبل، وما أن وصل للمنزل في ضاحية صباح الخير حتى جاء خبر استشهاد القائد المجاهد إياد حردان، أحد أبرز قادة سرايا القدس في الضفة الغربية، فقرر المجاهد محمد الذهاب إلى مشفى جنين لإلقاء نظرات الوداع على هذا القائد الكبير، وما أن وصل إلى هناك حتى رأى الآلاف من الجماهير الفلسطينية الغاضبة التي تهتف بالانتقام من العدو الصهيوني، وفي تلك اللحظة تعرف المجاهد محمد على معظم قادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي في جنين الذين لم يكن يعرف بعضهم من قبل، وما هي إلا أيام حتى قرر المجاهد محمد البدء بالعمل والنشاط العسكري فإذا بالمجاهد الكبير قيس عدوان أحد قادة كتائب القسام يطلب من المجاهد محمد الحضور لمسجد جنين الكبير حيث كانا يعرفان بعضهما بعضًا منذ زمن طويل، والمجاهد محمد صديق أخيه نصار، وحصل الاجتماع بينهما،

وأراد المجاهد قيس استقطاب المجاهد محمد للعمل في صفوف كتائب الشهيد عز الدين القسام، وبدأ يحدثه عن طبيعة العمل وضرورته وضرورة التواجد في مدينة نابلس وبالتحديد في جامعة النجاح الوطنية وما إلى ذلك، فقال له المجاهد محمد بأنه ينتمي إلى حركة الجهاد الإسلامي الآن، ولكن لا مانع من العمل معكم بعد موافقة حركة الجهاد الإسلامي، وعلى ذلك اتفقا على اللقاء بموعد آخر إلا أن رياح الشوق للعمل لم تأتِ؛ إذ تم الإعلان من قبل العدو الصهيوني عن قائمة المطلوبين له، ومن ضمنهم المجاهد قيس عدوان، فاختفى حينها عن الأنظار.

عاد المجاهد محمد للبحث من جديد عمن يساعده في الحصول على فرصة للعمل العسكري، وعلم من قبل قادة الجهاد السياسيين في مدينة جنين أن المسؤول عن سرايا القدس في جنين هو المجاهد ثابت مرداوي، فقرر الاجتماع به والتعرف عليه عن قرب وحصل ذلك، وبدأ التعارف بينهما يزداد شيئًا فشيئًا، وبعد عملية الخضيرة التي نفذها الاستشهاديان أسامة أبو الهيجا وعلاء صباح بتاريخ 25/ 05/ 2001م بدأت علاقات المجاهد محمد أبو طبيخ تتسع مع قادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي السياسيين منهم والعسكريين، وكان محل اهتمام الجميع ومحل ثقة الكثيرين من أبناء الحركة، واستطاع نسج علاقات قوية ومتينة وواسعة مع أكبر عدد ممكن من أبناء الجهاد الإسلامي من جنين ومن قراها ومخيمها، ولذلك قام المجاهد نعمان طحاينة بالجلوس مع المجاهد محمد أبو طبيخ أكثر من مرة في جمعية الإحسان الخيرية في جنين طالبًا منه الابتعاد عن العمل العسكري، وأن يوافق على أن يقود الجماعة الإسلامية في الجامعة، وعرض عليه تخصيص معاش دائم من أجل ذلك إلا أن المجاهد رفض كل تلك العروض والضغوط، وسارع في العمل العسكري مع مراعاة ضرورة إكمال تعليمه الجامعي حيث توجه إلى الدراسة في الجامعة العربية الأمريكية في تخصص نظم المعلومات المحوسبة، ومنذ اللحظة الأولى لدخوله الجامعة العربية الأمريكية في بداية شهر سبتمبر (أيلول) من العام 2001م قام بتأسيس الجماعة الإسلامية الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي، فلم يكن هناك شيء اسمه الجماعة الإسلامية في الجامعة، وبدأ منذ اليوم الأول بالكتابة على لوحات كرتونية عبارات ترحب بالطلبة الجدد وموقعة باسم الجماعة الإسلامية، فاعترضت إدارة الجامعة على ذلك بحجة عدم وجود ترخيص للعمل لهذه الكتلة الطلابية، وذهب إلى عميد شؤون الطلبة في الجامعة، وتحدث معه حول ماهية الجماعة الإسلامية وما هي أهدافها ومنطلقاتها وأفكارها، فوافق عميد شؤون الطلبة على إعطاء الترخيص مقابل إحضار توقيع 50 اسمًا من الطلاب ممن ينتسبون للجماعة، فوعد المجاهد محمد عميد شؤون الطلبة أنه خلال 24 ساعة سيحضر له قائمة بالأسماء.

ما أن خرج من مكتب العميد حتى بدأ يسأل نفسه: هل يوجد أحد ينتمي للجهاد الإسلامي في الجامعة؟ وبدأ يفكر ماذا سيفعل، وكان قد تعرف على عدد من الطلبة الذين يدرسون معه في نفس التخصص، واستطاع من

خلال هذه المعرفة جعلهم يوقعون على تلك المخطوطة لإدارة الجامعة من أجل منح الترخيص لكتلة الجماعة الإسلامية، وكان من بين هؤلاء الطلبة طالب يدرس في كلية طب الأسنان وينتمي لحزب التحرير الإسلامي، ومن القدس وتربطه صداقة مع المجاهد محمد، ومن خلاله تمكن من الحصول على أصوات كل الطلبة الذين ينتمون لحزب التحرير، وفي نفس الوقت تلقى المجاهد محمد اتصالًا من المجاهد الأسير في ذلك الوقت لؤي السعدي في سجن مجدو، وطلب من المجاهد محمد أن يهتم بأخيه فتح الله وصديقه عبد القادر الدعمة، فكان للمجاهد لؤي ما تمنى. وأصبحت الجماعة الإسلامية الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في ذاك الوقت معترفًا بها بشكل رسمي من قبل إدارة الجامعة، ومن كافة الكتل الطلابية التابعة للفصائل الفلسطينية.

كثّف المجاهد محمد جهوده في الجامعة وبالتنسيق مع قيادة حركة الجهاد الإسلامي السياسية في مدينة جنين وخاصة الأخ المجاهد أبو أحمد طحاينة الذي أمد المجاهد محمد بالدعم المادي واللوجيستي والمعنوي لإنجاح هذا المشروع الوليد في الجامعة الأمريكية، واستطاع المجاهد محمد بذلك تجنيد العشرات من الطلبة والطالبات لصفوف الجماعة الإسلامية، وتمت المشاركة الفاعلة في كل نشاطات الطلبة في ذلك الوقت. وقد حقق نجاحًا ملحوظًا وبنفس الوقت كان يعمل بشكل سري في صفوف سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

العمل في صفوف سرايا القدس

بعد الإفراج عن المجاهد محمد أبو طبيخ من سجون العدو الصهيوني بتاريخ 05/ 04/ 2001م، وبعد أقل من أسبوعين أو ثلاثة تمكن من التعرف على أهم قائد في سرايا القدس في مدينة جنين هو المجاهد ثابت مرداوي (أبو أسامة)،

الأسير القائد/ ثابت مرداوي
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 11/ 04/ 2002م

ونشأت علاقة قوية وتنظيمية وصداقة قوية بين الطرفين، وكان يُصر حينها المجاهد ثابت على أن يكون المجاهد محمد بعيدًا عن الأنظار على قدر ضرورة الحاجة إليه لكونه أسيرًا سابقًا وطالبًا جامعيًا، والحاجة إليه ضرورية. واستمر الاتصال بينهما وبشكل سري، وبنفس الوقت تمكن المجاهد

محمد من التواصل مع صديقه القديم محمود طوالبة الذي يُعتبر في ذلك الوقت من قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وكان المجاهد محمد يبذل قصارى جهده في التعرف على أكبر عدد ممكن من المجاهدين، وفي كل مناطق مدينة جنين وقراها ومخيمها حتى مدن أخرى، وفي نفس الوقت حافظ على وجوده في صفوف سرايا القدس، ولكن بشكل سري، والأهم أن جمعية الإحسان الخيرية التابعة لحركة الجهاد الإسلامي في مدينة جنين التي كانت تقدم في ذلك الوقت المساعدات الإنسانية للفقراء والمحتاجين، كانت أيضا تعتبر مركزًا للقاء قادة وكوادر وأنصار حركة الجهاد الإسلامي في مدينة جنين، وبذلك تمكن المجاهد من التعرف على أكبر عدد ممكن من رموز وقادة وكوادر حركة الجهاد الإسلامي، وليصبح من أهم كوادر الحركة في مدينة جنين نتيجة علاقاته الممتدة والطيبة مع الجميع. وما أن جاء شهر 07/ 2001م حتى جاء أحد الأبطال من بلدة برقين في مدينة جنين هو المجاهد نضال أبو شادوف طالبًا من المجاهد محمد مساعدته في تنفيذ عملية استشهادية.

عملية بنيامينا الاستشهادية

بعد توجه المجاهد نضال أبو شادوف للمجاهد محمد طالبًا المساعدة للقيام بعملية استشهادية؛ توجه المجاهد محمد إلى صديقه المجاهد ثابت مرداوي عارضًا عليه هذا الأمر، فطلب الاستفسار بشكل جيد عن هذا البطل، وتبين أن المجاهد نضال أبو شادوف كان يتمتع بالشعبية الكبيرة بين الشباب في بلدة برقين، وكان محبوبًا جدًا، وله احترام كبير بين الناس، وينتمي لعائلة مناضلة وملتزمة بتعاليم الإسلام، ولها مكانة محمودة ومحترمة بين الناس، ولذلك رأى مجاهدو سرايا القدس أن مثل هذا الشاب، ومثل هذا النموذج هو المطلوب لتنفيذ عملية استشهادية، وكان رد سرايا القدس على المجاهد نضال بأنه تم الموافقة على طلبه ومساعدته على تنفيذ عملية استشهادية. وبدأ المجاهد محمد بالتواصل مع المجاهد ثابت مرداوي حول ضرورة الإسراع في هذا الأمر ولاسيما أن المجاهد نضال كان قد ذكر للمجاهد محمد في جلسات متعددة في مدينة جنين بأنه في عجلة من أمره لتنفيذ العملية، وأنه في شوق كبير للجنة والحور العين والاجتماع مع الأنبياء والصديقين والشهداء، وكذلك اللقاء بابن عمه الشهيد مهند أبو شادوف، وقال بأنه في حال التأخر سوف ينفذ العملية بواسطة السكين وبنفسه، ولذلك كان لا يمر يوم إلا ويكون للمجاهد محمد تواصل مع المجاهد ثابت للوقوف على آخر التطورات في موضوع الاستشهادي نضال، ووجد المجاهد محمد أنه يوجد مماطلة في هذا الأمر أو أنه يوجد شيء غير واضح وأنه لابد من معرفته.

وجد المجاهد البطل محمد أنه بتاريخ 10/ 07/ 2001م تم إرسال المجاهد جهاد جرار من بلدة الهاشمية في مدينة جنين وابن شقيقة المجاهد الكبير الشهيد البطل وليد العبيدي (أبو القسام)، وهو من نظم المجاهد جهاد جرار في صفوف حركة الجهاد الإسلامي حيث تمكن المجاهد ثابت مرداوي وبقية المجاهدين في سرايا القدس من إرسال الاستشهادي جهاد جرار إلى مدينة العفولة

لتنفيذ العملية الاستشهادية. وما أن وصل إلى موقع العملية قام بالضغط على زر التفجير، فلم ينجح بذلك وحاول مرارًا وتكرارًا دون جدوى، وتبين فيما بعد أن من قام بصناعة المتفجرات قد أخطأ في عملية التصنيع، وأخطأ قادة سرايا القدس بعدم قيامهم بتجريب عينة من هذه المادة المتفجرة لمعرفة فعاليتها ومدى قوتها، ولذلك علم المجاهد محمد أن المجاهد ثابت لا يريد الاستعجال في ذلك الأمر.

كان المجاهد نضال يصر على المجاهد محمد بضرورة الإسراع في ذلك وإلا فإنه كما ذكر في السابق سيقوم بتنفيذ العملية بواسطة السكين. بدأ المجاهد ثابت يعد المجاهد محمد بأنه سيبذل جهدًا كبيرًا في الحصول على كمية من المتفجرات بنوعية ممتازة تصلح لاستخدامها في العملية الاستشهادية، وطمأن المجاهد محمد الاستشهادي نضال بأن الأمر قد اقترب ولا حاجة للتسرع. وفي يوم 13/ 07/ 2001م كان قد كثّف المجاهد محمد اتصالاته مع المجاهد ثابت للوقوف على آخر المستجدات في التجهيز للعملية، وفي نفس الوقت كتم المجاهد محمد اتصالاته عن المجاهد نضال ليعرف مدى إصراره على تنفيذ العملية، ودار حوار طويل بينهما حول الهدف الذي من الممكن تنفيذ العملية لأجله، وحول لماذا يريد أن ينفذ هذه العملية؟ فوجد نفسه يقف أمام مجاهد صلب عنيد صاحب إرادة فولاذية لا يعرف الجبن أو الخوف، ووجده إنسانًا طيبًا جدًا، محبًا لوالديه وإخوانه وأخواته، فكان كثيرًا يذكر والدته بالخير ويدعو لها كثيرًا، وكذلك لوالده حتى إنه أوصى في وصيته بالاهتمام بوالدته والخروج بمسيرة حاشدة من مخيم جنين إلى منزله في بلدة برقين والوقوف إلى جانب والدته في محنتها.

توجه المجاهد محمد بتاريخ 14/ 07/ 2001م إلى منزل المجاهد محمود طوالبة في مخيم جنين ليعلم منه أين قد وصلت الاستعدادات ولاسيما أن المجاهد ثابت مرداوي لم يكن يجيب على الاتصالات، فأكد له حينها المجاهد محمود بأن الأمور في نهايتها وأن المتفجرات أصبحت موجودة، وقد أحضرها المجاهد ثابت مرداوي من مدينة نابلس وبدأ المجاهد محمد يتحدث مع المجاهد محمود حول العملية القادمة، وهل ستكون عبر الحزام الناسف أو عبر شنطة متفجرات؟ فأخبره حينها المجاهد محمود بأن الشنطة أفضل من الحزام بحيث يمكن استخدام كمية أكبر من المتفجرات. وأحضر حينها المجاهد محمود ماسورة حديد، وعرضها على المجاهد محمد وأخبره بأن هذه الماسورة سيتم تفريزها إلى قطع صغيرة، ليكون شكلها الخارجي أشبه بتفريزات القنبلة اليدوية وسيغلقها من الطرفين، فسأله حينها من يستطيع أن يقوم بمهمة التفريز هذه؟ فقال له بأن له صديقًا اسمه الحاج علي الصفوري سيعمل معه في قيادة صفوف سرايا القدس في مخيم جنين.

وفي يوم 15/ 07/ 2001م وبالتحديد وقت المساء اتصل المجاهد ثابت بالمجاهد محمد، وأخبره بأن يكون المجاهد نضال جاهزًا يوم غدٍ، فعلم المجاهد محمد بأن الاستعدادات قد اكتملت، وطلب من الاستشهادي نضال أن يتواجد في مدينة جنين في صباح يوم 16/ 07/ 2001م. وبالفعل اجتمع

المجاهد محمد به، وقال له بأنه سينفذ العملية عصر هذا اليوم، وعليه أن يجهز نفسه للتصوير، ورفض المجاهد نضال بأن يتصور وقال بأنه في عجلة من أمره، وأخرج من محفظته أربع صور شخصية، وأعطاها للمجاهد محمد وسلمه هويته ووصيته وورقة كتب عليها ما له وما عليه من ديون وأموال طالبًا تسليمها لعائلته في حالة استشهاده، وصلى حينها المجاهدان في وقت الظهيرة بالمسجد الصغير وسط مدينة جنين، وطلب المجاهد محمد من المجاهد نضال البقاء في المسجد إلى أن يعود إليه، وعليه أن ينتظر اتصالًا منه، وتوجه إلى مخيم جنين، وبالتحديد إلى منزل المجاهد محمود طوالبة.

كان المجاهد محمود طوالبة يقوم بوضع اللمسات الأخيرة للعبوة فساعده المجاهد محمد، وتم وضعها في إحدى الحقائب، ورأى المجاهد محمد أن الحقيبة كبيرة وغير مناسبة فتم استبدالها بحقيبة أخرى أصغر حجمًا من الأولى، وتم حمل العبوة الناسفة ولفها بغطاء صيفي، وتم وضع كمية كبيرة من الرصاص والشظايا حول العبوة، وقطع من القماش على جانبي الشنطة حتى تظهر وكأنها شنطة مليئة بالملابس، وبعد إنهاء كافة اللمسات الأخيرة، جاء اتصال من المجاهد ثابت للمجاهد محمود بأن يرسل شنطة المتفجرات بالإضافة لقطعة سلاح من نوع (M16) عبر أحد سائقي سيارات العمومي إلى مدينة جنين، وبالفعل خرج المجاهد محمد ومعه شنطة المتفجرات وقطعة السلاح ووضعها في السيارة، وما أن وصلوا إلى مدينة جنين حتى قام المجاهد محمد بالاتصال بالمجاهد ثابت، والتقى المجاهدان مع بعضهما بالقرب من قهوة النباتات في مدينة جنين.

في هذه الأثناء توجه المجاهد محمد إلى المسجد الصغير، وقال للاستشهادي نضال: الآن يا نضال ستتوجه إلى تنفيذ العملية الاستشهادية التي كنت تتمنى أن تقوم بها منذ فترة. وتوجها معًا إلى السيارة التي يتواجد بها المجاهد ثابت، وأثناء الطريق شاهداه يسير أمامهما، فقام المجاهد محمد بتسليم المجاهد ثابت مرداوي الاستشهادي نضال، وسلمه كل ما لديه من وثائق وجهازه الخلوي وكل ما في محفظته، وقام بتوديعه، وسأله: هل أنت راضٍ الآن؛ لأني حققت لك ما تريد؟ فأجابه وهو يضحك: الله يرضى عليك يا محمد، وأتمنى أن ألتقي بك في الجنة إن شاء الله.

توجه المجاهد ثابت ومعه الاستشهادي نضال إلى المكان الذي ستنطلق منه العملية، وكان حينها المجاهد نضال هو من اختار موقع العملية في "بنيامينا" وتوجه المجاهد محمد بعدها إلى منزله،

محطة القطارات في "بنيامينا"
المكان المستهدف بعملية الاستشهادي/ نضال أبو شادوف

وانتظر أمام التلفاز وقوع هذه العملية، وما أن جاء وقت المغرب حتى بدأت وسائل الإعلام الصهيونية الحديث عن وقوع انفجار ضخم في وسط مدينة "بنيامينا" بالداخل المحتل، وكان من المفترض أن يقوم الاستشهادي المجاهد نضال بتفجير نفسه في محطة القطارات في "بنيامينا" إلا أن عددًا من الجنود الصهاينة كانوا قد رأوه وهو يحمل حقيبة المتفجرات على ظهره، فأصابهم الشك في الأمر، فعلم أن الأمر أصبح خطيرًا، وتوجه إلى مكان يتواجد به عدد كبير من الجنود الصهاينة، وقام بتفجير نفسه، ولطبيعة أن الانفجار كان في مكان مفتوح أدى إلى وقوع اثنين من القتلى الصهاينة جنديًا ومجندة صهيونية، وإصابة العشرات بجراح خطيرة.

كانت تلك العملية هي الأولى التي تخرج من بلدة برقين في مدينة جنين، وهي العملية الأولى التي يتم بها قتل جنود صهاينة في عملية استشهادية خلال انتفاضة الأقصى، وجاءت بعد عملية الخضيرة التي نفذها الاستشهاديان علاء صباح وأسامة أبو الهيجا بتاريخ 25/ 05/ 2001م، وأدت إلى وقوع عشرات الإصابات، وجاءت بعد فشل عملية الاستشهادي الأسير جهاد جرار، والأهم أن هذه العملية كان لها أهمية كبيرة، عسكريًا حيث أظهرت مدى قوة وتطور أداء سرايا القدس العسكري عبر العمليات الاستشهادية وسياسيًا حيث أكدت سرايا القدس أنها رد حركة الجهاد الإسلامي على مجيء المبعوث الأمريكي لعملية السلام الذي كان بانتظاره العدو الصهيوني والسلطة الفلسطينية على أحر من الجمر من أجل إعادة إحياء عملية السلام في المنطقة، فكانت هذه العملية السبب في عودة هذا المبعوث الأمريكي من حيث أتى، وأدى ذلك لفشل المساعي لتحريك العملية السلمية التي سئم منها الشعب الفلسطيني.

وما أن أعلنت سرايا القدس مسؤوليتها عن عملية "بنيامينا" الاستشهادية في مساء 16/ 07/ 2001م حتى خرجت جماهير شعبنا الفلسطيني إلى الشوارع مهنئين ومكبرين وسط فرح كبير بهذه العملية، فما كان من المجاهد محمد إلا أن يسجد لله شكرًا لهذا الأمر. وتوجه في صباح اليوم التالي إلى مدينة جنين ليلتقي بقادة الحركة طالبًا منهم تنفيذ وصية الاستشهادي نضال، وهي خروج مسيرة جماهيرية ضخمة في مخيم جنين إلى منزله في بلدة برقين، وكان للاستشهادي نضال ما أراد وتم توزيع صوره في كل مكان، وكانت هذه العملية سببًا أساسيًا في إقبال عشرات الشباب إلى سرايا القدس طالبين العمل والانضمام إلى صفوفها وبعضهم يريد السلاح لإطلاق النار على سيارات المستوطنين على الطرق الالتفافية، وبعضهم يريد تنفيذ العمليات الاستشهادية، وبعضهم يريد تقديم العون والمساعدة اللوجستية لسرايا القدس.

القتيلان الصهيونيان
في عملية الاستشهادي/ نضال أبو شادوف

أصبحت سرايا القدس تتمتع بقوة ونشاط وحيوية في مدينة جنين، وتنافس الفصائل الفلسطينية الأخرى في ميادين المواجهة والقتال مع العدو الصهيوني، وما هي إلا أسابيع حتى بدأ المجاهد محمد يتحدث مع المجاهد محمود طوالبة حول إمكانية العمل على إعادة تصنيع المتفجرات كما كان في السابق وبإيعاز من القائد الكبير نعمان طحاينة (أبو الحسين) توجه المجاهدان محمد أبو طبيخ ومحمود طوالبة إلى منزل المجاهد المهندس محمد جرار (أبو أحمد) في مدينة جنين طالبين منه تقديم المساعدة في عملية تصنيع المتفجرات، فقام باستقبالهما وأحسن ضيافتهما ووافق على العودة إلى صفوف سرايا القدس بعد أن اعتزل العمل بعد خطئه في عملية تصنيع المتفجرات في عملية الاستشهادي الأسير جهاد جرار، وكان يعتبر من أهم المهندسين في حركة الجهاد الإسلامي إلا أن الخطأ الذي ارتكبه لا يمكن أن يضع حدًا أمام التطور والتقدم.

بدأ المجاهدان محمود طوالبة ومحمد جرار وبمساعدة بعض المجاهدين، ومنهم المجاهد محمد أبو طبيخ؛ في تصنيع المتفجرات في مخيم جنين في أحد المنازل المستأجرة، وتم تصنيع المتفجرات بكميات معقولة سواء من مادة "الأشلقان" أو من مادة "أم العبد" أو مادة الجلايكول، وهذه المادة كانت من أهم المواد رغم صعوبة العمل بإنتاجها بالشكل المطلوب، وما هي إلا فترة بسيطة فإذا بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) من العام 2001م في أمريكا تؤدي إلى جعل رجل الحرب والإجرام الهالك أرئيل شارون يقوم باستغلال الحدث ومفهوم الحرب على الإرهاب الذي أعلنته أمريكا ليبدأ في محاولة منه للقضاء على رموز وقادة وكوادر المقاومة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

قام جيش الإحتلال الصهيوني بتاريخ 11/ 09/ 2001م بمحاولة اجتياح مدينة ومخيم جنين إلا أن الدبابات والقوات الصهيونية بقيت محتجزة في منطقة حوش السعادة في جنين، ومع ذلك فقد أصر قادة وكوادر سرايا القدس ومعهم كافة أبطال الفصائل الفلسطينية للتصدي لهذه الدبابات الصهيونية مما أدى لاستشهاد أحد أبطال وكوادر سرايا القدس في مخيم جنين وهو الشهيد إياد نغنغية (المصري) الذي يعتبر من أهم كوادر سرايا القدس في مخيم جنين ومن الشباب الذين لا يعرفون معنى الخوف أو التراجع، وإلى جانبه استشهد أحد أبطال كتائب القسام وهو الشهيد إبراهيم السايس، وتم إصابة العشرات بجراح خطيرة.

في اليوم التالي، أي بتاريخ 12/ 09/ 2001م تم استهداف قادة سرايا القدس في بلدة عرابة ليدور اشتباك مسلح بينهم وبين الجنود الصهاينة وليرتقي إلى العلا الشهداء القادة أسعد دقة وسفيان عارضة

ووائل عساف بالإضافة إلى بلقيس عارضة شقيقة الشهيد سفيان، وكان هذا حدثًا مؤلمًا وصعبًا على حركة الجهاد الإسلامي وسراياها المظفرة، وكان لزامًا على سرايا القدس الرد على هذه الجرائم الصهيونية، فقام الاستشهادي أحمد دراغمة من محافظة طوباس بتنفيذ عملية استشهادية في مدينة بيسان المحتلة بتاريخ 07/ 10/ 2001م ردًا على مجازر ارتكبها العدو الصهيوني بحق قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية، وقرر المجاهدون محمد أبو طبيخ ومحمود طوالبة وأبو أحمد جرار العمل بشكل مكثف، لإنتاج كمية كبيرة من المتفجرات لصناعة العديد من العبوات الناسفة والأكواع المتفجرة التي هي أشبه ما تكون بالقنابل اليدوية، وبنفس الوقت استطاع المجاهد محمد أن يوائم في ذلك الوقت في شهر أكتوبر (تشرين أول) من العام 2001م ما بين دراسته الجامعية في الجامعة العربية الأمريكية ومتطلبات الجماعة الإسلامية ونشاطاتها اليومية وبين العمل في مساعدة المجاهدين محمود طوالبة وأبو أحمد جرار في تصنيع المتفجرات، وأصبح المجاهد محمد من أهم مصنعي المتفجرات في سرايا القدس.

وما أن جاء تاريخ 28/ 10/ 2001م حتى قام الاستشهاديان يوسف سويطات ونضال جبالي بتنفيذ عملية استشهادية مزدوجة بواسطة إطلاق النار وسط شوارع مدينة الخضيرة المحتلة لتأتي في ذكرى استشهاد الأمين العام الدكتور فتحي الشقاقي، بالإضافة إلى الرد على سلسلة الجرائم الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، فما كان من أجهزة الأمن الفلسطينية وبإيعاز من الأجهزة الأمنية الصهيونية إلا ملاحقة قادة وكوادر سرايا القدس وباقي أبناء الفصائل الفلسطينية الأخرى.

تم اعتقال المجاهد محمود طوالبة على يد جهاز الأمن الوقائي، وتم اقتياده إلى سجن نابلس المركزي، وكذلك حدث مع المجاهد الحاج علي الصفوري، وقام حينها المجاهد محمد بإنزال بيان في الجامعة العربية الأمريكية باسم الجماعة الإسلامية، مفاده رفض الاعتقالات السياسية مطالبين السلطة وأجهزتها الأمنية بإطلاق سراح المجاهدين والوقوف إلى جانب أبناء شعبها الذين يذبحون في كل يوم، وبينما كان المجاهد محمد عائدًا من الجامعة الأمريكية بعد قيامه إلى جانب الكتلة الإسلامية بعمل إفطار جماعي في يوم رمضاني؛ لاحظ أن هناك من يحاول مراقبته، وما أن وصل إلى منزله في ضاحية صباح الخير حتى اعتقد أن الملاحقة له قد انتهت، فإذا به في ساعات الفجر يتعرض منزله لمداهمة الأجهزة الأمنية الفلسطينية، وتم اعتقاله ووضعه في أحد الأماكن التابعة للسلطة الفلسطينية والمصممة كسجن للمعتقلين السياسيين، وانقطع المجاهد محمد عن تواصله مع قادة وكوادر الحركة إلا أن المجاهد سعيد طوباسي تمكن وبطريقة خاصة من تقديم المساعدة له، ولبقية المعتقلين وأحضر لهم كل ما يحتاجونه، وذلك بإيعاز من قادة الحركة في مدينة جنين، وعلم المجاهد محمد أن قادة الحركة لا يمكن لهم أن يتخلوا عن كوادرهم وأبنائهم حتى في أصعب الظروف.

وما هي إلا أشهر قليلة حتى بدأ العدو الصهيوني بقصف مقرات السلطة الفلسطينية،

ظانين بذلك أنهم يقضون على قادة سرايا القدس، واستطاع المجاهدان محمود طوالبة والحاج علي النجاة من ذلك القصف الصهيوني العنيف، بينما تمكن المجاهد محمد من إيصال معلومة إلى قادة المقاومة في مخيم جنين عن مكان تواجدهم واحتجازهم في مدينة جنين، وأنه إن لم يحضروا لإنقاذهم وإخراجهم من ذلك المكان فإنه سيتم قصفهم بصواريخ الطائرات الصهيونية، فبدأ أبطال وقادة وكوادر المقاومة في مخيم جنين بتجميع أنفسهم لمداهمة المكان الذي يحتجز به المجاهد محمد وإخوانه، وما أن أصبحت الساعة الثانية ليلًا حتى تم محاصرة المقر واقتحامه، وإخراج المجاهدين محمد ومن معه بقوة السلاح مجبرين عساكر السلطة على التراجع وعدم منعهم مما يقومون به.

تم إيصال المجاهد محمد لمدينة جنين، وتأمينه في أحد المنازل التابعة لحركة الجهاد الإسلامي، وبعد نصف ساعة جاء المجاهد طه زبيدي لزيارة المجاهد محمد وأهداه مسدسًا وذخيرة وأعطاه مبلغًا من المال لكي يتدبر أمره لحين استقرار الوضع الأمني، وكان ذلك بإيعاز من قائد سرايا القدس في جنين المجاهد ثابت مرداوي، وأصبح حينها المجاهد محمد من أهم قادة وكوادر سرايا القدس في مدينة جنين، ووقف شباب مخيم جنين إلى جانبه في كل شيء

الشهيد المجاهد/ طه الزبيدي
استشهد في معركة جنين
بتاريخ 06/ 04/ 2002م

لكون أن عائلته تسكن بعيدًا عن مخيم جنين، وتم استئجار منزل له وسط مخيم جنين، وكان هذا المنزل قبلة للمجاهدين والمطاردين، وأصبحت علاقة المجاهد محمد تمتد إلى أكبر شريحة ممكنة من أبطال المخيم، وكان ذلك في أواخر شهر يناير (كانون الثاني) من العام 2002م، وفي هذه الفترة كان قادة سرايا القدس، وعلى وجه الخصوص القائد الشهيد خالد زكارنة؛ قد استطاعوا تعليم المجاهدين في سرايا القدس على مادة متفجرات جديدة من نوع "اليوريا" وتمكن المجاهدان محمود طوالبة ومحمد أبو طبيخ من صناعة هذه المادة.

كان لعائلة المجاهد محمد منزل في مخيم جنين لا يسكنه أحد، فقام مجاهدنا بجعله مقرًا لسرايا القدس، وتجهيزه بكافة المستلزمات من طعام وشراب وفرشات، وما إلى ذلك بالإضافة إلى إحضار كافة المستلزمات لتصنيع المتفجرات من سماد اليوريا بالإضافة إلى حامض النيتريك وأدوات تصنيعها، وكان المجاهد محمود طوالبة قد أتقن تصنيع مادة اليوريا، ومن ثم أتقنها المجاهد محمد، وبدأ المجاهدان محمود ومحمد بتصنيع كميات معقولة من هذه المادة. وبما أنهما كانا في فصل الشتاء كان هناك صعوبة في تجفيف المواد المصنعة، فقام حينها المجاهد محمد بشراء عدد كبير من صوبات الكهرباء والمراوح من أجل تجفيف المواد، وقد نجح هذا الأمر، وازداد نشاط سرايا القدس في كل أنحاء الضفة الغربية، وافتتحت شهر مارس (آذار) عام 2002م بالعملية الاستشهادية النوعية بتاريخ 05/ 03/ 2002م حيث قام الاستشهادي

في سرايا القدس ابن بلدة سيلة الحارثية في جنين الاستشهادي عبد الكريم طحاينة بتنفيذ عملية استشهادية بمدينة العفولة لتوقع قتلى وجرحى.

الاستشهادي/ عبد الكريم طحاينة
استشهد بتاريخ 05/ 03/ 2002م

قرر العدو الصهيوني فيما بعد اجتياح مخيم جنين لاسيما أنه تم اعتقال أحد أبطال المخيم من حركة فتح أثناء محاولته تنفيذ عملية استشهادية في مدينة العفولة المحتلة، واجتمع قادة وكوادر الأجنحة السياسية والعسكرية في مدينة جنين لدراسة ما نقلته السلطة الفلسطينية بأنه إن لم يتم خروج المسلحين من مخيم جنين باتجاه مدينة جنين فإنه سيتم اجتياح المخيم من كافة المحاور، فخرج المجتمعون بقرار مفاده الخروج من مخيم جنين باتجاه المدينة. وفي ذلك اليوم كان المجاهدان محمود طوالبة ومحمد أبو طبيخ يتواجدان في مصنع المتفجرات، وجاء اتصال بالمجاهد محمود من الأمين العام الدكتور رمضان عبد الله شلح قائلًا له: بأن الصراع مع هذا العدو هو كر وفر يا محمود، فأجابه الشيخ محمود بأنه كر، وليس فرًا إن شاء الله، وأقسم المجاهد محمود على عدم الخروج من مخيم جنين، وكان إلى جانبه بعض المجاهدين، ومنهم سعيد طوباسي ومحمد أبو طبيخ وعبد الرحيم فرج وأشرف أبو الهيجا وعدد آخر من المجاهدين.

وما أن بدأ الخطر وحلَّ الليل حتى بدأت الدبابات الصهيونية بالتقدم تجاه المخيم من كافة المحاور، وأصر حينها المجاهد محمود على إخراج المجاهد محمد أبو طبيخ من مخيم جنين، باتجاه آمن من مدينة جنين حتى إن حصل أي مكروه لا سمح الله للشيخ محمود طوالبة فإن البديل عنه سيكون المجاهد محمد أبو طبيخ لكونه يملك الخبرة الكافية في تصنيع المتفجرات، ووضع معه كافة المعلومات السرية. وفكر حينها المجاهد محمد أبو طبيخ، وبعد ضغط شديد وافق على الخروج من المخيم ومعه سلاح من نوع كلاشنكوف، وتسلل من بين المنازل، ومن منزل إلى آخر حتى وصل إلى مشفى جنين الحكومي، ولما وصل إلى هناك إذا بالمشفى يتعرض لحصار محكم من قبل الجيش الصهيوني، وليس هناك إلا طريقة وحيدة لخروج المسلحين العالقين في المشفى، وهي عبر سيارات الإسعاف واستطاعت دفعة من المجاهدين الخروج بهذه الطريقة، ووصلوا بأمن وسلام إلى مدينة جنين إلا أنه خلال الطريق كانت هناك محاولة فاشلة لإيقاف سيارة الإسعاف وتفتيشها.

وما أن جاء دور الدفعة الأخيرة وكان بها المجاهد محمد ومعه بعض المجاهدين حتى تفاجؤوا بوجود الشيخ جمال أبو الهيجا بسيارة الإسعاف، وكان قد أصيب برصاصة من احدى طائرات الأباتشي في يده مما أدى إلى تمزقها وكان بحاجة ماسة إلى عملية جراحية سريعة، ولابد من نقله إلى مشفى الرازي بجنين، فأصر المجاهد محمد على البقاء إلى جانب الشيخ جمال أبو الهيجا مهما كلف الأمر، وبدأ يصبره على ألمه فوجده صابرًا وله من الإرادة والعزيمة وقوة التحمل ما يعجز عنه الكثير. ووصلوا بسلام إلى مستشفى الرازي، وتم إخضاع الشيخ جمال لعملية مستعجلة، وتم قطع يده لعدم قدرة الأطباء على علاجه، وما أن اطمأن عليه المجاهد محمد حتى ودعه وغادر المستشفى إلى مكان أكثر أمنًا في مدينة جنين.

وفي اليوم التالي عاد جميع المسلحين ومن كافة الفصائل إلى مخيم جنين، وعاد المجاهدان محمود ومحمد إلى عملهما في تصنيع المتفجرات، وكثفا العمل وأخبرا من يساعدهما من المساعدين، وكان من بينهم المجاهدون سعيد طوباسي وأشرف أبو الهيجا وعبد الرحيم فرج وشاب آخر من عائلة السعدي، وتم إنتاج كمية ضخمة من المتفجرات قدرت بنحو ألف كيلو جرام، وتم استخدامها في صناعة العبوات الجانبية والأحزمة الناسفة والأكواع، وإعطاء بعض الفصائل من هذه المواد المصنعة. وفي أحد الأيام وبينما كان المجاهد محمد عائدًا إلى المصنع إذا به يلتقي صديقه القديم المجاهد رأفت أبو دياك، وكان صديقه منذ زمن طويل، ودرس معه في المرحلة الثانوية في مدرسة جنين الثانوية، ويعتبر من أهم شباب المسجد الكبير، ومن المنشدين المميزين بأصواتهم الجميلة والعذبة والرائعة، وكان من شدة علاقته مع المجاهد محمد أنه ذهب إليه بمدينة الخليل عام 1999م عندما كان يدرس هناك في جامعة البوليتكنك، ومكث عنده ما يقارب الشهر، وتعرف على المجاهدين أحمد عبد الكريم وفراس عودة ورافع مضية، والكثير من شباب حركة الجهاد الإسلامي في الجامعة. ومنذ ذلك اليوم لم يلتقِ المجاهد محمد بالمجاهد رأفت فاستغرب حينها رؤيته في مصنع متفجرات، وفي منزله في مخيم جنين، فعلم أنه جاء لرؤية المجاهد محمود طوالبة وأنه عازم على تنفيذ عملية استشهادية، وعلم المجاهد محمد أن صديقه رأفت لن يتراجع عن هذا القرار. وما هي إلا بضعة أيام، وتحديدًا بتاريخ 20/ 03/ 2002م حتى استطاع الاستشهادي رأفت أبو دياك تنفيذ عملية استشهادية في احدى الحافلات الصهيونية في وادي عارة في الداخل المحتل مما أدى لمقتل ثمانية جنود صهاينة وإصابة العشرات بجراح خطيرة،

ووقعت في نفس اليوم عملية استشهادية مزدوجة نفذها الاستشهاديان علي حلاحلة ونبيل النتشة في إحدى المستوطنات في مدينة الخليل، ثم أقدمت كتائب القسام على تنفيذ عملية استشهادية بتاريخ 27/ 03/ 2002م في أحد المطاعم نفذها الاستشهادي عبد الباسط عودة أدت لمقتل أكثر من 30 صهيونيًا ليقرر رئيس الحكومة الصهيونية الهالك أرئيل شارون اجتياح الضفة الغربية في بداية شهر أبريل (نيسان) من العام 2002م.

تسارعت الأحداث واجتمعت الفصائل الفلسطينية للاتفاق على آلية للتصدي للجيش الصهيوني أثناء اجتياحه لمخيم جنين، وبدأ المجاهدان محمود طوالبة ومحمد أبو طبيخ ومعهم بعض المساعدين يواصلون الليل بالنهار لتجهيز العبوات الناسفة والأكواع المتفجرة، وفي نفس ليلة الاجتياح تم تصنيع كمية كبيرة جدًا من مادة الأشلقان واليوريا من أجل استخدامها في صناعة العبوات والأكواع بينما بدأت القيادة السياسية لحركة الجهاد الإسلامي في مخيم جنين بتجهيز كمية كبيرة من المواد الغذائية والمياه للمجاهدين ومن كل الفصائل الفلسطينية لتعزيز صمودهم في وجه الحصار والاجتياح، وقام قادة سرايا القدس بتجهيز أنفسهم لمعركة طويلة الأمد، وتم إحضار كمية كبيرة جدًا من الذخيرة وبمساعدة كافة القرى المحيطة في مدينة جنين، وهنا أراد بعض قادة الجناح السياسي والعسكري بألا يتواجد كافة أعضاء سرايا القدس في المعركة، وأن عليهم أن يخرجوا عددًا من قادة وكوادر وأعضاء سرايا القدس إلى أماكن آمنة للحفاظ على ديمومة واستمرار العمل العسكري ما بعد اجتياح مخيم جنين، وطلب قادة الحركة من المجاهد محمود طوالبة الخروج من مخيم جنين، فرفض هذا الأمر وقال بأنه سيبقى حتى يستشهد، وطلبوا من القائد ثابت مرداوي نفس الأمر إلا أنه كان مع فكرة خروج بعض الكوادر وإبقاء البعض الآخر في المخيم، ولحساسية الأمر اضطر المجاهد ثابت للبقاء داخل مخيم جنين بينما استجاب المجاهد محمد أبو طبيخ لمطلب قادة الحركة السياسية والعسكرية وخاصة المجاهد نعمان طحاينة والقائد محمود طوالبة وقام حينها المجاهد محمود بإعطائه خيوط العمل العسكري، ومع من يجب التواصل في حال الحاجة لذلك، وأنهى المجاهد محمد تصنيع آخر كمية من المتفجرات وبمساعدة المجاهد محمود طوالبة الذي قام بإعداد الحقيبة الخاصة به، والتي ذكر له أنه سيستخدمها في حال وقع في كمين للعدو الصهيوني حيث سيفجر نفسه بهم.

غادر المجاهد محمد المخيم وقلبه متعلق بكل ما يدور فيه من أحداث، وما هي إلا أيام على اجتياح مخيم جنين حتى قام الاستشهادي راغب جرادات بتنفيذ عملية استشهادية في قلب "الياجور" في مدينة حيفا المحتلة بتاريخ 10/ 04/ 2002م، وكان هذا المجاهد قد مكث عدة أيام في بداية شهر مارس (آذار) من العام 2002م في منزل المجاهد محمد أبو طبيخ في مخيم جنين دون أن يعلم عنه أحد أي شيء سوى من أحضره له وهو المجاهد محمود طوالبة، وكانت عائلته تبحث عنه في كل مكان، وجاء الكثير من قادة الحركة السياسيين والعسكريين

ليسألوا المجاهد محمد عن المجاهد راغب إلا أنه رفض أن يعلمهم أنه متواجد عنده في المنزل،

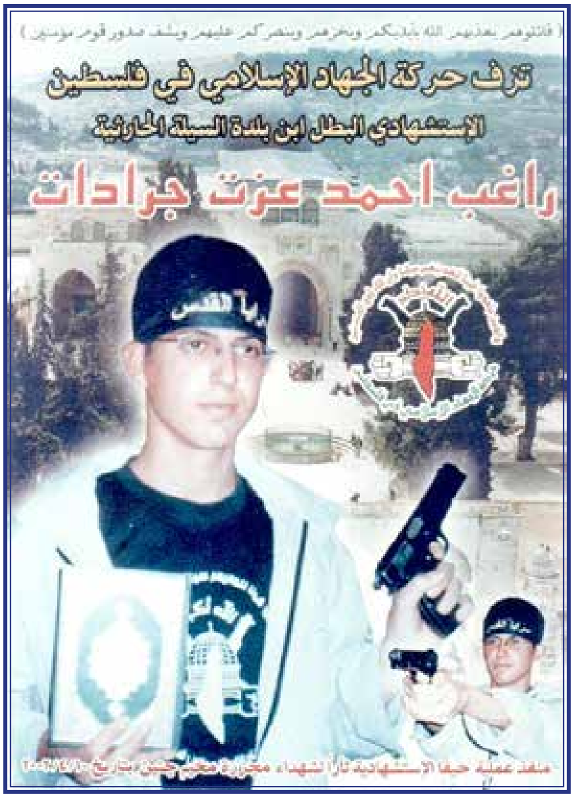

فكيف يخبرهم بذلك وقد أمَّنه المجاهد محمود على هذا البطل؟ وبعدها بأيام تم السماح له بالخروج من المنزل والعودة إلى منزله، فما أن سمع المجاهد محمد بنبأ العملية واسم الاستشهادي راغب جرادات حتى فرح كثيرًا لاسيما أن هذا المجاهد رغم صغر سنه الذي لم يتجاوز سبعة عشر عامًا كان يتحدث عن الشهادة وكأنه قد حصل عليها، ثم أحياه الله ـ عز وجل ـ ليكرر ما رآه ويخبر غيره عنها فكان مثقفًا وواعيًا، ومتقنًا للغة الإنجليزية ومبدعًا باللغة العربية وذا أخلاق عالية جدًا، وما أن يراه المرء حتى يتعلق به ويسمع ويطرب لكلامه العذب، وكانت هذه العملية كما يقال هي السبب وراء وقف اجتياح مخيم جنين حسب بعض التقارير الصهيونية.

وما أن انتهى اجتياح مخيم جنين حتى ظهرت وبشكل جلي للعالم أجمع مدى بشاعة المجازر التي ارتكبها المجرم الصهيوني أرئيل شارون وجيشه في المخيم، وبدأ الإعلام المحلي والدولي ينقل ويتحدث عما جرى فيه، وتحدثوا عن المقاتل الفلسطيني الذي خاض معركة مخيم جنين من أجل الوطن والكرامة مؤمنًا بالله ـ عز وجل ـ وبالحتمية القرآنية بالنصر والتمكين، وأنه كان ولا زال مستعدًا دومًا للتضحية وفي كل الظروف، بينما كان موقف الغرب المجرم أن التزمت أمريكا وأوروبا الصمت بحجة أن الفلسطينيين إرهابيون، ووصف الرئيس الأمريكي جورج بوش المجرم أرئيل شارون بأنه رجل سلام، أما موقف الأمم المتحدة فقد أصدرت القرار 1405 عن مجلس الأمن الدولي والذي فوض الأمين العام للأمم المتحدة بتشكيل لجنة لتقصي الحقائق حول أحداث مخيم جنين رغم أن أمريكا والكيان الصهيوني رفضا هذا القرار ورفضا تشكيل اللجنة.

مرحلة ما بعد اجتياح مخيم جنين

ما أن انسحب الجيش الصهيوني من المخيم حتى بدأ أبناء مدينة جنين وقراها بالتوجه إلى المخيم للوقوف على ما حدث في داخله ليجد الجميع مشهدًا لا يمكن للذاكرة أن تنساه، وكيف تنساه وقد تم هدم البيوت على ساكنيها وتم استشهاد العشرات واعتقال المئات؟ وكان لزامًا حينها على

قادة الحركة اتخاذ القرار الخالد وهو تقديم المساعدة العاجلة والفورية لكل عائلات مخيم جنين سواء كانوا ينتمون لحركة الجهاد الإسلامي أم لا، وكانت هذه المساعدة عبارة عن توفير منازل وشقق سكنية مؤقتة لهم بدلًا من بيوتهم المهدمة وتجهيزها بكافة المستلزمات الأساسية بينما توجه المجاهد محمد إلى كل الأماكن التي كان من المفروض أن يجد بها متفجرات والمواد الأولية التي تدخل في عملية التصنيع واستطاع معرفة أماكن تواجدها، وقرر في يوم 18/ 04/ 2002م في وقت متأخر من الليل أن يقوم بالدخول إلى تلك الأماكن وإخراج هذه المواد وإخفائها في أماكن سرية، وتم الاستعانة بشابين صغيرين لم يتجاوزوا ستة عشر عامًا، وهما المجاهدان الشهيدان التوأم أبناء الشيخ بسام السعدي إبراهيم وعبد الكريم السعدي، وتم طلب المساعدة من أحد سائقي السيارات من نوع فولكس في مخيم جنين ليتم نقل هذه المواد في سيارته، وتوجه الجميع بعد منتصف الليل إلى منزل المجاهد محمد في وسط مخيم جنين، وكان المنزل الوحيد الذي لم يتعرض لهدم كلي في ذلك الحي من المخيم، ولكن الطريق إليه صعبة وشاقة نتيجة وجود ركام البيوت المهدمة وآلاف الأطنان من الحجارة والحديد في الطريق، ومع ذلك تغلب المجاهدون الثلاثة محمد وإبراهيم وعبد الكريم على هذا الأمر، واستطاعوا الدخول إلى المنزل وبدأوا بإخراج المواد الأولية كالسماد وحامض النيتريك والكبريتيك بالإضافة إلى مئات الكيل وجرامات من المتفجرات بالإضافة إلى عدد قليل من العبوات الناسفة، وما هي إلا ساعتان أو ثلاث حتى أصبحت كافة المواد في داخل السيارة، وهنا شكر المجاهد محمد التوأم المجاهدان إبراهيم وعبد الكريم، وتوجه إلى أحد الأماكن في مدينة جنين لتخبئة هذه المواد، وبعد يومين توجه إلى أحد الأماكن التي أخبره عنها الشهيد القائد محمود طوالبة، وذكر له أن فيها مواد أولية ومتفجرات وعبوات ناسفة، وتم إضافتها إلى المواد السابقة وأصبح لدى سرايا القدس في مدينة جنين كمية لا بأس بها من المواد الأولية والعبوات الناسفة والمتفجرات الجاهزة.

وفي آخر شهر أبريل (نيسان) من عام 2002م ذكر المجاهد محمد للقائد العام نعمان طحاينة ما حدث معه وأين مكان وجود هذه المواد، فأثنى عليه وقال له بأنه لابد من إعادة بناء سرايا القدس من جديد، وأخبره بأنه سيحضر له شخصًا لديه الخبرة الكبيرة في عملية صناعة المتفجرات،

الشهيد القائد/ نعمان طحاينة
استشهد اغتيالاً بتاريخ 13/ 07/ 2004م

وكان ذلك الشخص هو المجاهد الكبير الشهيد إياد صوالحة، وعرف عن نفسه باسم حسن وحصل التعارف بينهما، واستأجرا أحد البيوت في جنين في عمارة الكراج ليكون مكان اجتماعهما وللنوم. ومنذ الأيام الأولى للتعارف بينهما بدأ الحديث بحضور

القائد نعمان طحاينة حول ثلاث نقاط وهي:

1. التحضير للرد السريع على مجزرة مخيم جنين.

2. إعادة هيكلة سرايا القدس عبر تجنيد أكبر عدد ممكن من المجاهدين وتسليحهم وتدريبهم على حمل السلاح وتزويدهم بالعبوات الناسفة لاسيما أن الأوضاع ما بعد اجتياح مخيم جنين اختلفت عما كانت عليه حيث إن الجيش الصهيوني أصبح في إمكانه الدخول والخروج كما يريد في كل مناطق الضفة الغربية.

3. العمل على تشكيل مجموعة وظيفتها تعلم آلية تصنيع المتفجرات وتعليم غيرهم لضمان استمرارية العمل، وهنا كان العبء أكبر على المجاهد محمد لكون القائد العام نعمان لا يستطيع أن يتحرك بحريته في مدينة جنين، ولكون المجاهد إياد لا يعرف إلا القليل في مدينة ومخيم جنين.

وأصر المجاهد محمد على البدء في موضوع تصنيع المتفجرات قبل أي شيء، فبدأ بمرحلة جديدة من عملية التصنيع، وتم استئجار مكان للعمل به في جنين، وبدأ المجاهدان إياد صوالحة ومحمد أبو طبيخ يحضران المواد الأولية بكميات قليلة جدًا حتى لا يشك أحد بهما أثناء دخولهما وخروجهما، وكانا أحيانًا يضطران للعمل في ساعات متأخرة من الليل حتى لا يراهما أحد، فكان لابد من إحضار عدد من المجاهدين لكي يتعلموا تصنيع المتفجرات، وبدأ المجاهد محمد بالبحث عمن تتوافر فيهم شروط العمل وهي الإخلاص والسرية، فوجد صديقيه المجاهدين سعيد طوباسي وشادي العموري وأحضرهما إلى المكان الذي يتم به تصنيع المتفجرات، وكان بانتظارهما القائد إياد صوالحة، وعرفهما على المجاهد إياد صوالحة بأن اسمه حسن، وبدأ المجاهد محمد بتعليم المجاهدين سعيد وشادي تصنيع المتفجرات، ووجدا أن المهمة ليست معقدة كما ظنوا، وطلب منهما بعد إتقانهما عملية التصنيع أن يقوما وحدهما بتصنيع المادة. وبدأ المجاهدان إياد ومحمد يراقبانهما عن كثب وقد نجحا في هذا الأمر، ولذلك كان لابد من إيجاد مكان آمن في حاضنة شعبية داعمة للمقاومة، وكان ذلك رأي محمد وإياد والمجاهدين الشهيد نعمان طحاينة والشهيد إياد صوالحة، وهو العودة إلى منزل المجاهد محمد أبو طبيخ في مخيم جنين، وتجهيز المنزل والطريق المؤدية إليه حتى يعود المصنع إلى ما كان عليه قبل الاجتياح. وقام المجاهد محمد بشراء كافة مستلزمات التصنيع من براميل ومواد أولية وموازين حرارة ومراوح، وما إلى ذلك. وبدأ المجاهدون الأربعة إياد صوالحة ومحمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي وشادي العموري بالعمل في هذا المصنع، وكان هذا في بداية شهر مايو (أيار) 2002م.

بدأت القيادة السياسية للحركة في جنين بمحاولة وصل المجاهد محمد أبو طبيخ بقيادة الحركة في الخارج، واجتمع المجاهدون إياد صوالحة ومحمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي في إحدى العمارات بمدينة جنين في وقت متأخر من الليل حول من سيمسك هذا الخط؛ لأن من يمسك به سيكون هو المسؤول الأول عن قيادة سرايا القدس في مدينة جنين، فرفض المجاهد محمد أبو طبيخ ذلك وكذلك فعل

المجاهدان إياد وسعيد، فما كان من المجاهد محمد إلا القول للقائد إياد صوالحة بأن يكون هو المسؤول عن سرايا القدس وأن المجاهدين محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي سيكونان إلى جانبه في كل شيء بينما سيتم إعطاء خط التواصل إلى أحد المجاهدين من مخيم جنين ليقوم بالتواصل عبره مع قيادة الحركة في الخارج، فتم تقسيم العمل إلى خطوتين:

الأولى: تجنيد عدد معين من المجاهدين وتعليمهم تصنيع المتفجرات بكميات كبيرة.

الثانية: تشكيل لجنة من المجاهدين وظيفتها تجنيد المقاتلين لصفوف سرايا القدس وشراء السلاح والذخيرة لهم وتشكيل خلايا مسلحة وظيفتها التصدي للجيش الصهيوني عبر خوضهم للاشتباكات المسلحة معه.

وتم تنفيذ هذين الأمرين، فتمكن المجاهدون من إحضار المال عبر الحركة وشراء السلاح والذخيرة وتسليح عدد كبير من المجاهدين في مخيم جنين، وشراء البدلات العسكرية لهم والبساطير والجعب، وشكلوا مجموعات عسكرية مسلحة واضعين شعار سرايا القدس على جباههم، فعلم الناس حينها أن سرايا القدس قد أعادت بناء قوتها وأعادت تنظيم صفوفها، وأما على صعيد المتفجرات فتم إضافة بعض المجاهدين للمساعدة في عملية التصنيع كالمجاهد البطل فادي الغول الذي له علاقة سابقة مع قادة الحركة في جنين عندما كان يدرس معهم في جامعة القدس المفتوحة، وكان له علاقة طيبة مع المجاهد ثابت مرداوي ونهاد أبو غانم وسعيد طوباسي ومحمد أبو طبيخ، فلم يكن هناك صعوبة في انضمام المجاهد فادي الغول إلى مجموعة المجاهدين إياد ومحمد وسعيد وشادي العموري، وانضم أيضًا إليهم المجاهد علاء الزرعي صديق المجاهد سعيد طوباسي ورفيق دربه. وكان هؤلاء الأبطال لهم الفضل بعد الله -عز وجل- في إحياء عملية تصنيع المتفجرات في مدينة جنين من جديد، وتم تقسيم المهام، فمنهم من يحضر المواد الأولية كالسماد وحامض النيتريك، ومنهم من يقوم بعملية التصنيع، ومنهم من يقوم بتجفيف المواد، ومنهم من يشرف على تخبئتها في أماكن سرية. وأصبحت كافة الاستعدادات للبدء في العمليات الاستشهادية جاهزة، وتم الاتفاق بين المجاهدين خالد زكارنة وإياد صوالحة ومحمد أبو طبيخ على التحضير لعملية استشهادية جديدة ردًا على مجزرة مخيم جنين، وكان ذلك في منتصف شهر 05/ 2002م. وقام المجاهد محمد أبو طبيخ بإحضار لغم أرضي بطريقته الخاصة وتسليمه للمجاهدين خالد زكارنة وإياد صوالحة، وبدأ المجاهدين بتفكيك هذا اللغم وإخراج مادة (T.N.T) من داخله.

طلب المجاهد خالد من المجاهد محمد أن يقوم بتجهيز عشرة مواسير صغيرة الحجم من النحاس عبر إحدى مخارط الحديد في جنين لتكون هذه المواسير عبارة عن عشرة عبوات صغيرة يتم سكب مادة (T.N.T) في داخلها للحصول في نهاية الأمر على حزام ناسف من مادة (T.N.T)، وفي نفس الوقت علم المجاهد محمد من بعض المجاهدين من مخيم جنين أن هناك من يبحث عمن يساعده في تنفيذ عملية استشهادية في الداخل المحتل، وتعرف عليه

المجاهد محمد أبو طبيخ وأرسله إلى المجاهد إياد صوالحة ليقوم بتصويره وتجهيزه للعملية الاستشهادية، وأصبح موضوعه عند المجاهدين خالد زكارنة وإياد صوالحة. وعاد المجاهد محمد في ذلك الوقت للبحث عمن يستطيع أن يوفر لهم مادة حامض النيتريك من الداخل المحتل لعدم توفرها في الأسواق الفلسطينية، فما كان من أحد المجاهدين والذي يعتبر من أهم قادة وكوادر الحركة في جنين إلا تقديم المساعدة المطلوبة، وكانت من شقين الأول المساعدة في إحضار خلاط كبير يساعد في تصنيع كمية كبيرة من المتفجرات دفعة واحدة بحيث في كل دفعة يتم تصنيع 25 كيلو جرامًا من المتفجرات من نوع اليوريا مما جعل سرايا القدس تنتقل نقلة نوعية في صناعة المتفجرات. الأمر الآخر هو تمكن المجاهد من إحضار الشخص الذي عبره سيتم إحضار كمية كبيرة من حامض النيتريك حيث تم تجنيد أحد الأشخاص من أجل إحضار 100 جالون من مادة حامض النيتريك بالمواصفات المطلوبة، وتم إحضارهم من مدينة أسدود المحتلة إلى مدينة جنين، وما أن وصلوا إلى مدينة جنين حتى قام المجاهدون محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي بالعمل على تعبئة هذه الجالونات في أماكن مختلفة في مدينة جنين فكان لهذه الكمية الكبيرة من مادة النيتريك أثر عظيم على سرايا القدس في مدينة جنين وطولكرم وحتى في نابلس ولاسيما أن السلطة الفلسطينية بدأت تلاحق من يبيع هذه المادة في الأسواق الفلسطينية، وبالإضافة إلى ذلك تم الحصول على عشرات الأطنان عبر المجاهدين محمد وسعيد من مادة السماد من نوع اليوريا التي تدخل في صلب عملية التصنيع، وتم تعميم ثقافة التصنيع لتدخل على مناطق أخرى كمدينة طولكرم ونابلس، وأيضًا تم نقل الخبرة من مخيم جنين إلى قرى وضواحي مدينة جنين وخاصة سيلة الحارثية وعرابة.

وما أن جاء تاريخ 20/ 05/ 2002م حتى قام المجاهد إياد صوالحة بإرسال الاستشهادي محمد حمدية لتنفيذ عملية استشهادية في الداخل المحتل، وهو من مدينة غزة ويقيم في مدينة جنين؛ لتنفيذ عملية استشهادية في مدينة العفولة وجهز له الحزام الناسف من مادة (T.N.T)، وتم تسليمه للمجاهد أنس جرادات لإيصاله إلى موقع العملية إلا أن ظروفًا خاصة منعت وصول المجاهد الاستشهادي محمد حمدية إلى موقع العملية،

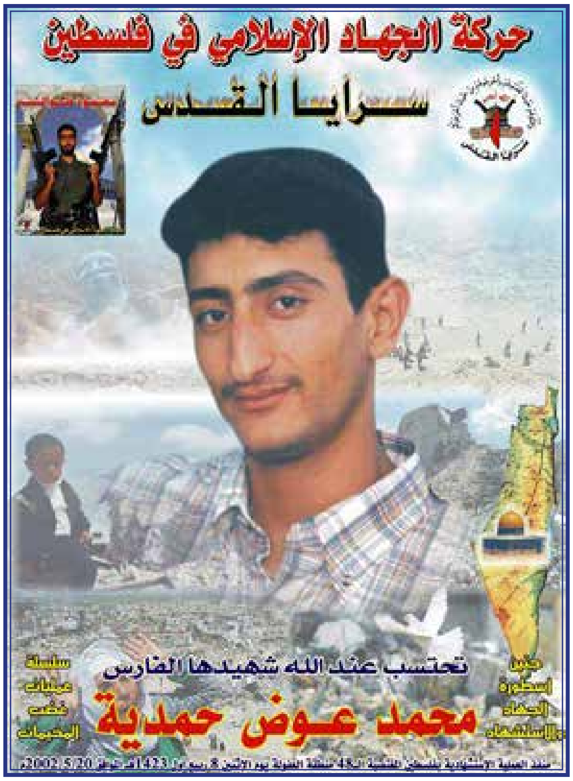

وفجَّر نفسه أثناء اقتراب دورية صهيونية منه دون وقوع إصابات مباشرة وأعلنت سرايا القدس مسؤوليتها عن العملية الاستشهادية، واجتمع المجاهدون محمد وخالد وإياد لدراسة الوضع وتقييم ما حدث، وطلب المجاهد محمد حينها أن يتم تجهيز سيارة مفخخة وزرعها في الداخل المحتل، فوافق المجاهدان إياد وخالد على ذلك.

قرر المجاهد خالد زكارنة القيام بعملية عسكرية بالقرب من بلدة سيلة الحارثية، وسيساعده في ذلك المجاهدان أنس جرادات وعبد الهادي العمري بحيث سيتم زرع عبوة ناسفة في طريق دورية صهيونية، ويتم تفجير العبوة وتصوير العملية، ثم يقوم المجاهد خالد زكارنة بإطلاق صاروخ لاو على الجنود الصهاينة للإجهاز عليهم، وهنا رفض المجاهد محمد والمجاهد إياد استخدام صاروخ اللاو في العملية لاسيما أنه عرض على المجاهدين محمد وإياد شراءه في الماضي إلا أنهما كانا مترددين خوفًا من أن تكون هذه الصواريخ مرسلة من قبل الشاباك الصهيوني لاغتيال المجاهدين، وقال حينها المجاهد خالد بأنه فحص هذا الصاروخ وبأن كل أموره جيدة، وبأنه كان قد تدرب على مثل هذه الصواريخ على يد المقاومة في الجنوب اللبناني، ولم يستطع المجاهد محمد والمجاهد إياد إقناع المجاهد خالد زكارنة بالتراجع عن ذلك.

بتاريخ 22/ 05/ 2002م خرج المجاهد خالد لتنفيذ العملية، وتم تفجير العبوة الناسفة وما أن استعد المجاهد خالد زكارنة لإطلاق صاروخ اللاو حتى انفجر الصاروخ به فاستشهد على الفور، وما أن علم المجاهدان نعمان طحاينة ومحمد أبو طبيخ بهذا الأمر حتى أسرعا إلى مشفى جنين الحكومي بعد أن تم إحضار جثمان الشهيد خالد عبر الإسعاف وتوجه المجاهدان نعمان ومحمد إلى ثلاجة جثامين الشهداء لإلقاء نظرة على جثمان الشهيد خالد وللتأكد إن كان هو أم لا، وتأكدا حينها من أن هذا الجثمان هو جثمان الشهيد خالد زكارنة، وكانت صدمة كبيرة جدًا لقادة وكوادر وأعضاء سرايا القدس لخسارتهم أحد أهم مهندسي سرايا القدس ومن خبراء المتفجرات، ومع ذلك أقسم مجاهدو سرايا القدس على الرد على مجازر العدو الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني، ومواصلة العمل الجهادي.

بدأ المجاهدان محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي بتوسيع دائرة العمل في عملية تصنيع المتفجرات عبر استئجار عدد من المنازل في مخيم جنين لإنتاج أكبر كمية ممكنة من المتفجرات؛ لأنه تم اتخاذ القرار في سرايا القدس بالتجهيز للعمليات الاستشهادية عبر السيارات المفخخة، وتم إنتاج مئات الكيلو جرامات من مادة اليوريا، وتجريب عينات عشوائية منها في منطقة الجابريات وكانت فعالة جدًا. وفي هذه الفترة من شهر 05/ 2002م حضر إلى مدينة جنين المجاهد طارق عز الدين، وكان له خط للتواصل مع قيادة الحركة، وله خبرة في العمليات العسكرية والاستشهادية، وبدأ العمل إلى جانب المجاهد محمد أبو طبيخ جنبًا إلى جنب في كل شيء، وبدأت القوات الخاصة الصهيونية مدعومة بالجيش الصهيوني تكثف من دورياتها في مدينة جنين ومخيمها وقراها سواء في الليل أو في النهار،

وأصبحت حركة المجاهدين صعبة جدًا، وبالكاد يستطيعون التحرك، وبسرية تامة تحرك حينها المجاهدون وقسموا أنفسهم إلى مجموعات صغيرة حتى يسهل عليهم التحرك، وكان المجاهدان محمد وطارق مع بعضهما بعضًا، وكانا أحيانًا لا يجدان مكانا يبيتان فيه، فيتوجهان للنوم في إحدى العمارات التجارية في مدينة جنين أو في أحد المحال التجارية أو في بعض المكاتب الذين تربطهم بأصحابها علاقات جيدة، وأحيانًا كان يجتمع المجاهدون محمد أبو طبيخ وإياد صوالحة وطارق عز الدين في إحدى الشقق السكنية وسط كراج الباصات والسيارات في مدينة جنين إما لمناقشة أوضاع سرايا القدس وإما للتخطيط لعمليات عسكرية وإما للالتقاء بقيادة وقادة وكوادر سرايا القدس ومن كافة المناطق، وأحيانًا في هذه الشقة كان يتم تصوير الاستشهاديين كما حدث مع الاستشهادي حمزة سمودي حيث استطاع المجاهدون إياد صوالحة وأنس جرادات وسعيد طوباسي الإشراف على عملية الاستشهادي حمزة سمودي الذي فجر نفسه في مفرق مجدو بتاريخ 05/ 06/ 2002م عبر سيارة مفخخة مليئة بالمتفجرات مما أدى لمقتل أكثر من سبعة عشر جنديًا صهيونيًا وإصابة العشرات.

جاءت العملية للرد على مجزرة مخيم جنين واعتداءات الصهاينة على أبناء الشعب الفلسطيني، وما أن تم الانفجار حتى عاد المجاهد إياد صوالحة إلى الشقة السكنية وبها المجاهد محمد أبو طبيخ، وقام المجاهد إياد بمعانقة المجاهد محمد وقال له: الحمد لله رب العالمين، لقد نجحت العملية.

الاستشهادي/ حمزة سمودي
استشهد بتاريخ 05/ 06/ 2002م

وطلب منه أن يذهب لأحد الصحفيين للإعلان عن اسم الاستشهادي حمزة سمودي مع صورة له وصورة عن الهوية رغم أن هناك من أعلن عن العملية عبر الاتصال بقيادة الحركة في الخارج، وكان لابد من الاختفاء عن الأنظار ولاسيما أنه بعد العملية اجتاح العدو الصهيوني مخيم جنين من كافة المحاور، واستخدم طائرات الأباتشي التي بدأت بإطلاق النار بشكل عشوائي على المنازل والشوارع في مدينة جنين، وقام المجاهد محمد بتأمين مكان آمن للمجاهد إياد صوالحة، واستطاع المجاهدان محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي مغادرة مدينة جنين، باتجاه المخيم فإذا بالمخيم قد تم محاصرته من كافة الجهات والمحاور.

وما أن حل الظلام حتى بدأ الجيش بالدخول إلى مخيم جنين بحثًا عن المطاردين والمجاهدين، وهنا قرر المجاهدان محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي

الانفصال عن بعضهما البعض بحيث يبقى المجاهد سعيد داخل المخيم بينما يذهب المجاهد محمد ومعه عشرات المقاتلين إلى بلدة قباطية لتكون هي القاعدة الجديدة لحركة الجهاد الإسلامي بدلًا من مخيم جنين. ومنذ اليوم الأول لدخول بلدة قباطية طلب المجاهد محمد من أبطال سرايا القدس دخول بلدة قباطية بكافة أسلحتهم وعدتهم وعتادهم ولبسهم العسكري حاملين رايات سرايا القدس ليتفاجأ أهالي بلدة قباطية بأن سرايا القدس أصبح لها قوة حقيقية في بلدة قباطية مما جعل عشرات الأبطال من هذه البلدة الأبية ينتمون لحركة الجهاد، ولصفوف سرايا القدس، وهذا لم يكن يحدث لولا أن هذه البلدة تعتبر من أهم البلدات التي قاومت المحتل الصهيوني ولها صولات وجولات في المقاومة منذ العام 1967م، ويمتاز أهل بلدة قباطية بكافة عائلاتها بالطيبة والأخلاق العالية وحسن إكرام الضيف، وفتح الناس للمجاهدين أبواب بيوتهم، وكانوا يتسابقون لإيواء واحتضان المجاهدين، فنعم العائلات القبطاوية الأصيلة.

وبذلك تمكن المجاهد محمد من مساعدة مجاهدي سرايا القدس في بلدة قباطية كأمثال القادة حمزة أبو الرب ومحمد نصري أبو الرب من جعل بلدة قباطية شوكة في حلق الاحتلال الصهيوني، وبذلك أصبحت في شهر 06/ 2002م من أهم معاقل الجهاد الإسلامي بفضل الله وبفضل جهود المجاهد محمد أبو طبيخ، وبهذا تم تخفيف المعاناة عن أهالي مخيم جنين المجروح ذلك المخيم الذي كان يعتبر قلعة المقاومة الفلسطينية في مواجهة المحتل الذي استمر في صموده بمواجهة العدو الصهيوني رغم الألم والجراح والحزن على الشهداء وغياب أبنائهم في سجون الاحتلال، وتميز مخيم جنين بأنه قد تغلب على ذلك كله وبقي فاتحًا أبوابه لكل المجاهدين ومن كافة أنحاء الضفة الغربية. وتقاسمت العائلات بها الطعام والشراب مع المجاهدين كعائلة السعدي والطوباسي والنوباني ونغنغية وصمادي وأبو الهيجا وأبو زينة وعائلة زبيدي التي ضحت كثيرًا لأجل هذا الوطن، وعائلة أبو طبيخ التي فتحت أبوابها للمجاهدين وعائلة قنديل والصباغ والدمج وعائلة العمار والعامر وغيرهم من العائلات التي لا مجال لحصرها هنا، فكان مخيم جنين أنموذجًا حيًا في تكاتفه وتعاضده وتماسك عائلاته واحتوائه لكل المجاهدين، وكان لابد أن يتعلم كل أحرار الوطن معنى الحرية والتضحية والمقاومة والصمود ومعنى اتحاد العائلات مع المجاهدين في خندق واحد ضد العدو الصهيوني، ولا يزال مخيم جنين حتى هذه اللحظة مضربًا للأمثال في أخلاق أبنائه العالية وفي تضحيات شبابهم.

وفي منتصف شهر 06/ 2002م تم رسميًا تقسيم المهام بين المجاهدين بحيث يبقى المجاهد إياد صوالحة ومعه المجاهد سعيد طوباسي من مخيم جنين يشرفان على تصنيع المتفجرات بينما يبقى المجاهد محمد أبو طبيخ من بلدة قباطية يشرف على تنظيم الخلايا العسكرية في بلدة قباطية وقرى مدينة جنين وبعض المدن الأخرى، وبدأ المجاهدون يأتون من كل قرى مدينة جنين إلى بلدة قباطية وبالتحديد

إلى المجاهد محمد أبو طبيخ لمساعدتهم في توفير السلاح لهم والعتاد لممارسة العمل المسلح ضد العدو الصهيوني، فقد حضرت مجموعة من قرية عنزة ومن خيرة المجاهدين، ومنهم الشهيد عثمان صدقة والمجاهد محمد خضر والمجاهد بشير صدقة، وكانوا بصدق من أخلص وأصدق الشباب في العمل العسكري في صفوف سرايا القدس. وحضر أيضًا إلى المجاهد محمد من بلدة طمون مجموعة من الأبطال كالشهداء بكر بني عودة وأمين بشارات، فكانا يملكان من الشجاعة ما تفوق أبناء جيلهما، وكذلك حضر من بلدتي برقين والزبابدة. وليس هذا فقط، بل لتتسع الدائرة ولتشمل عددًا من المجاهدين من مدينة نابلس وطولكرم. وكان للمجاهد أحمد بسيسي من قرية رامين في طولكرم صولات وجولات مع سرايا القدس في مدينة جنين وأصبح فيما بعد من أهم قادة سرايا القدس في طولكرم.

تم إنشاء خط للتواصل مع سرايا القدس في مدينة نابلس مع المجاهد أنس شريتح الذي كان يدرس في كلية الهندسة في جامعة النجاح الوطنية، وكان قد تعرف بالمجاهد محمد أبو طبيخ في سجن مجدو في بداية العام 2000م وحدث تعاون بينهما استمر فترة من الزمن، وبدأ المجاهد محمد في ذلك الوقت بالعمل على تجميع أكبر عدد ممكن من المجاهدين من قرى مدينة جنين في بلدة قباطية بالتعاون مع القادة الشهيد حمزة أبو الرب والأسير محمد نصري أبو الرب، وتم خلق علاقة جيدة مع كتائب شهداء الأقصى في بلدة قباطية عبر قائديها الأسير كمال أبو وعر والأسير محمد أبو الرب وغيرهما من القادة الذين شكلوا مع سرايا القدس وحدة وطنية جهادية بامتياز فكان لا يمر يومًا إلا ويتم إرسال المجاهدين المسلحين لتنفيذ عمليات إطلاق نار في أماكن صهيونية مختلفة ونتيجة لكثرة أعمال المجاهدين المتواجدين في بلدة قباطية كان لابد من توفير المنازل وتجهيزها لاستقبال المجاهدين فقام القادة السياسيون في بلدة قباطية أمثال المجاهدون حسن خمايسة وحلمي نزال بمساعدة المجاهدين في توفير المنازل وتقديم الطعام والشراب والدعم اللوجيستي لهم وحتى أن عائلة المجاهد رياض نزال المعروف بحمور قد فتحت أبواب منازلها للمجاهدين فكان منزلهم بصدق قبلة لكل المجاهدين الشرفاء في فلسطين وقدموا كل ما يملكون من أجل هذا الوطن وكرامته وخدمة المجاهدين فنعم العائلة عائلة نزال.

في بداية شهر 07/ 2002م أصبحت بلدة قباطية عنوانًا لكل المجاهدين في بلدات مدينة جنين، فجاءت مجموعة بقيادة المجاهد معمر دراغمة من سكان محافظة طوباس، وهو شقيق الشهيدين أيمن وعبد القادر دراغمة، ويريد العمل في صفوف سرايا القدس فرفض المجاهد محمد حينها أن يقدم له المساعدة،

وأن يخرجه مع المجاهدين لتنفيذ العمليات العسكرية بسبب الأوضاع الصعبة التي تعيشها عائلته، ومع ذلك كان يصر المجاهد معمر أن يكون في مقدمة الصفوف في مواجهة العدو الصهيوني ليلقى الله -عز وجل- شهيدًا في إحدى المحاولات لتنفيذ عملية عسكرية ضد قوة صهيونية في بلدة اليامون، وكان استشهاده صاعقًا لكل المجاهدين، مما جعل مجاهدي سرايا القدس يبذلون جهدًا كبير في تكثيف العمل العسكري ضد العدو الصهيوني وأخذ الاحتياطات والحذر.

ورغم صعوبة الأوضاع الأمنية إلا أن المجاهد محمد كان يخرج من بلدة قباطية بشكل أسبوعي للاجتماع مع القائدين نعمان طحاينة وإياد صوالحة، وذلك لاطلاعهما على تفاصيل العمل العسكري في بلدة قباطية، والتطور السريع الذي حدث. وفي احدى الجلسات أخذ القرار بين المجاهدين نعمان وإياد ومحمد بالرد على جريمة اغتيال الشيخ صلاح شحادة في حي الدرج بقطاع غزة، وقام المجاهد محمد بتجهيز أحد الاستشهاديين من بلدة برقين في جنين لتنفيذ عملية استشهادية، وتم تصويره برايات سرايا القدس، وتجهيز المتفجرات من نوع مادة اليوريا وبمساعدة كافة أبناء المجموعة بالإضافة إلى شراء المجاهد محمد السيارة من نوع تيوتا بيضاء اللون من أجل استخدامها في العملية.

أخبر المجاهد محمد المجاهد إياد بأن الاستشهادي جاهز والسيارة جاهزة، وتوجه عصر يوم 27/ 07/ 2002م إلى بلدة برقين للقاء المجاهد إياد صوالحة، وما أن وصل بالسيارة إلى مدخل بلدة برقين من جهة مثلث الشهداء حتى استقبله المجاهد سعيد الذي صعد معه في السيارة من أجل إيصاله للمكان الذي يتواجد فيه المجاهدون في سهل برقين. ورغم وجود بعض الدبابات في سهل برقين إلا أن المجاهدين محمد وسعيد تمكنا من الوصول إلى المكان الذي يتواجد فيه المجاهدان إياد صوالحة ونهاد أبو غانم وآخرون ومعهم البراميل المليئة بالمتفجرات.

تم وضع تلك البراميل داخل السيارة وتجهيزها بالكامل، فلم يبق إلا أمران، الأول إحضار الاستشهادي، والأمر الثاني إيجاد من سيوصل الاستشهادي إلى مكان العملية، فقام المجاهد محمد بالاتصال على الاستشهادي للحضور إلى مكان تواجد المجاهدين، وقال له بأنه سينفذ العملية في هذه الليلة، وعليه أن يتجهز خلال ساعة من الزمن، فطلب الاستشهادي أن يذهب لمنزله لتجهيز نفسه للعملية، وانتظر المجاهدون محمد وسعيد وإياد ونهاد أكثر من ساعة.

بدأ المجاهد محمد يتصل برقم الاستشهادي دون جدوى، وبدأت الأوضاع تتغير شيئًا فشيئًا، وأصبحت بلدة برقين محاطة من كافة الجهات، وطلب المجاهد محمد من القائد العام لسرايا القدس إياد صوالحة ركوب السيارة المفخخة والخروج من بلدة برقين باتجاه مخيم جنين، فرفض المجاهد إياد في البداية إلا أن المجاهد محمد أصر على ذلك، حينها وافق المجاهد إياد على الخروج برفقة المجاهد سعيد؛ لأنه يعرف الطريق بشكل

جيد، بينما المجاهدون محمد أبو طبيخ ونهاد أبو غانم وأحمد صبح كان عليهم أن يسيروا على أقدامهم من منزل لآخر للخروج من بلدة برقين، إلى مخيم جنين، وبدأ الحصار يشتد أكثر فأكثر على بلدة برقين ولا يوجد مكان إلا ويتواجد به الجيش الصهيوني.

وصل المجاهدون إلى أحد المنازل وانتظروا حتى بزوغ الفجر، ومن ثم علموا بأن الاستشهادي قد تم اعتقاله، فأكملوا مسيرهم باتجاه مخيم جنين من منزل لآخر ومن جبل لآخر. وأجرى حينها المجاهد محمد اتصالًا بالقائد العام نعمان طحاينة وأبلغه عن أوضاعهم الصعبة وأنهم محاصرون من كل المحاور، فبدأ يدعو لهم وطلب من المجاهد محمد أن يكثر من الاستغفار وتلاوة آية الكرسي. واتصل بعده القائد المجاهد إياد صوالحة بالمجاهد محمد وأبدى حزنه الشديد لما أصابه وإخوانه نهاد وأحمد، ومن ثم جرى اتصال بين المجاهد محمد والقائد السياسي أبو أحمد طحاينة الذي له فضل كبير في مسيرة جهاد المجاهد محمد أبو طبيخ، ودعا له الله _عز وجل_ أن يخرجه من بين أيدي العدو سالمًا. واستمرت الاتصالات تتوالى بالمجاهد محمد، وبعض الاتصالات والمكالمات تم تسجيلها من قبل المجاهدين، وتم تناقلها فيما بعد بينهم ليسمعها كل المجاهدين وهي اللحظات الأخيرة لحصار المجاهد محمد، وبدأ الضغط والحصار يشتد ويقترب أكثر وأكثر وحاول قادة وكوادر سرايا القدس مساعدة المجاهدين عبر خوضهم للاشتباكات المسلحة دون جدوى.

اعتقاله والحكم عليه

أُعتقل المجاهد محمد ومعه المجاهدان نهاد وأحمد، وتم اقتياده لتحقيق الجلمة ليبدأ المسلسل الإجرامي الصهيوني باستخدام أبشع أنواع التعذيب مع المجاهد محمد لاسيما أنه كان أصيب قبل شهرين من اعتقاله بيده اليسرى وأدت الإصابة لتهتك في الأنسجة والأعصاب وكان في حالة يُرثى لها، فتم استغلال هذا الأمر من قبل قادة الشاباك، وضرب المجاهد على يده اليسرى والضغط بكل قوة عليها ومع كل ضربة أو ضغطة كان يشعر بأنه قد أغمي عليه ليجد نفسه وسط عيادة التحقيق ويده تنزف دمًا فيعيدوه مرة أخرى للتحقيق بلا نوم، وتعرض لأوضاع مأساوية جدًا لمدة خمسة أيام متواصلة بلا توقف ليكون اليوم الخامس هو الأصعب في حياة المجاهد محمد، حيث تم إحضار ضابط من أخطر ضباط التحقيق في سجن الجلمة، وبدأ يمارس تحقيقه العنيف جدًا معه من أجل تعرضه للإغماء أكثر من مرة، وما أن استيقظ من الإغماء حتى وجد المجاهد محمد أن معه نفس الضابط الذي قام بتعذيبه ونفس الشعر في لحيته، فقام بالبصق في وجهه، فتم على الفور اقتياده لمكان خارج التحقيق في الزنازين الخارجية، وتم ربط يديه بأعلى باب الزنزانة وقدماه مرتفعتان عن الأرض قليلاً، فقط أصابع رجليه تلامس الأرض، وترك على هذا النحو لساعات طويلة، وكان في حالة صحية صعبة جدًا ولم يشف بعد من الإصابة التي في يده اليسرى.

بدأ المجاهد محمد يستغفر الله العظيم ويسأل الله أن يخفف عنه آلام التعذيب، فإذا به يسمع صوتًا

يناديه من الزنزانة التي بجانبه ويتحدث باللغة العربية فبدأ ذلك الشاب يسأل عن هوية المجاهد محمد، فأجابه أنه من مدينة جنين ومن عائلة أبو طبيخ فقال ذلك الشاب أنه يعرف أقرباء محمد في وادي برقين لكونه من وادي برقين، فشعر حينها المجاهد محمد بشيء من الأمان والاستئناس، وشرح لذلك الشاب الوضع المأساوي الذي يعانيه في أقبية التحقيق، وأنه لا يزال صامدًا دون اعتراف، فوعد ذلك الشاب الذي سيفرج عنه في اليوم التالي أن يوصل رسالة المجاهد محمد وآلامه ومعاناته للإعلام في الخارج، وشعر المجاهد محمد بالصدق في حديث ذلك الشاب، فما أن حلَّ الليل حتى تم إعادة المجاهد محمد إلى التحقيق وكان متعبًا جدًا، ولم يتمكن ضباط المخابرات أن يأخذوا منه حرفًا واحدًا فتم إحضار ضابطة من الشاباك الصهيوني، وكانت هذه الضابطة هي المسؤولة عن ملف المجاهد محمد في الاعتقال الإداري، وهي التي انتصر عليها وعلى مساعديها في مرافعته أمام القاضي في محكمة الإداري في شهر أبريل (نيسان) 2001م وقالت حينها: كنت أعلم أنك يا محمد ستصبح مخربًا كبيرًا، ولذلك كنت أطلب أن تبقى في الاعتقال الإداري. ثم بدأ ضباط المخابرات في تكرار أساليب جديدة في عملية التحقيق مع المجاهد محمد، وأخبروه أنه تم هدم منزله في مخيم جنين.

وفي اليوم التالي بينما كان نائمًا في الزنزانة في ساعات الليل اقتحم ضباط المخابرات زنزانة المجاهد محمد، وتم تفتيشها بحثًا عن شيء لا يعلمه المجاهد محمد، وتم اقتياده للتحقيق ليسأل عن كيفية إخراجه رسالة للصحافة والإعلام حول وضعه في داخل التحقيق، حيث لم يزره أي محام ولا يوجد معه هاتف ولا يوجد وسيلة سوى أن يكون أحد السجانين أو ضباط المخابرات هم من أخرج هذه الرسائل، وهذا الأمر مستحيل جدًا، فضحك حينها المجاهد محمد وأخبرهم إن كنتم قد عجزتم عن معرفة هذا الأمر، كيف خرج للإعلام والصحافة؟ وهذا يعني انتصارًا جديدًا عليكم في عقر داركم، فجن جنون المحققين وبدأ مرحلة جديدة من التعذيب عبر حرمان المجاهد محمد من النوم لأيام طويلة حتى ينهار الجسد وتضعف المعنويات، فتم إحضار بعض المجاهدين الذين اعترفوا بالتحقيق ليشهدوا ضد المجاهد محمد، وتم مواجهته بالأدلة الكثيرة وبعشرات الاعترافات، وعندها لم يستطع المجاهد محمد الصمود كثيرًا مما أدى لاعترافه بالشكل الذي يريده هو، فأمضى في زنازين التحقيق أكثر من مائة يوم متواصلة التقى فيها في داخل الزنازين بالمجاهد الشيخ محمد يوسف جرادات (أبو أحمد) وكان مصابًا في رجله ووضعه مأساوي جدًا، والتقى بالمجاهدين محمد خضر وبشير وعثمان صدقة من قرية عنزة ومحمد طوباسي وفادي الغول من مخيم جنين بالإضافة لعشرات المجاهدين المعتقلين من كافة الفصائل. وكان المجاهد حينها يرفع معنويات المجاهدين في زنازين التحقيق ويصبرهم ويمنيهم بأن هناك صفقة تبادل لحزب الله قادمة، ولن ينسونا، وأن سرايا القدس لن تنسى أسراها في سجون الاحتلال ولاسيما أن ما قامت به سرايا القدس في الضفة الغربية قد عجزت الفصائل الفلسطينية مجتمعة بالنسبة والتناسب عن القيام به.

تم نقل المجاهد محمد إلى داخل سجون الاحتلال الصهيوني، وبالتحديد إلى سجن "هداريم" ليمكث به عامًا كاملًا، ومن ثم تم نقله إلى سجن ايشل بعدها، وهناك التقى بمعظم المجاهدين كعبد الله الوحش وسعيد طوباسي وعبد الحليم عز الدين وطارق عز الدين ومحمد عمران وعبد عبيد وعبد الجبار الشمالي ومهند الشيخ إبراهيم وجاسر رداد وشادي العموري ومحمد أبو عقل وعشرات المجاهدين الآخرين، وما أن انتهى إضراب العام 2004م حتى تم عزل المجاهد محمد لدواعٍ أمنية في عزل ايشل في قسم أربعة ليكون إلى جانب قادة الشعب الفلسطيني، وفي مقدمتهم المجاهد يحيى السنوار (أبو إبراهيم)، وتوفيق أبو نعيم وزاهر جبارين وثابت مرداوي ومحمد أبو جلالة (أبو المثنى) ونضال زلوم ومروان البرغوثي وتيسر البرديني وزهير ششنية ورائد أبو ظاهر وعبد عبيد ونصر شقيرات وعبد الرحمن شهاب وأبو زكي الحسني وغيرهم من الأبطال. ورغم المعاناة الشديدة في داخل السجون إلا أن عائلة المجاهد محمد التي هدم منزلها في مخيم جنين، وتم الاعتداء على والده وعائلته في منزلهم بضاحية صباح الخير، واعتقل ولده المجاهد محمد؛ طالهم أيضًا هم الألم والمعاناة والعذاب عبر زيارتهم لابنهم محمد في سجن إيشل.

كانت والدة المجاهد محمد تخرج في ساعات الفجر الأولى في مدينة جنين لزيارة ابنها في سجن ايشل، فتبدأ الزيارة في الساعة الثامنة مساء ولمدة لا تزيد أحيانًا عن نصف الساعة وخمس وأربعين دقيقة، وإذا كان الطقس حارًا فإنه لا مكان يحميهم من حر الشمس، وإذا كان الطقس باردًا فلا مجال

الأسير المجاهد/ محمد أبو طبيخ
برفقة قادة من الحركة الأسيرة بسجون الاحتلال

لحمايتهم من البرد والمطر، ولا مكان يقضون به حاجتهم ولا مكان للصلاة والوضوء، فكانت أوضاعهم مأساوية جدًا، وما أن يرى المجاهد محمد والدته المتعبة جدا حتى يتمالك أعصابه ويبدأ يخفف عنها آلامها ومعاناتها، وما أن تعود والدته من الزيارة حتى يصل الأهالي لمدينة جنين في وقت متأخر من الليل لاسيما في ظل وجود الحواجز العسكرية الكثيرة ولمنع التجوال أحيانًا، فكانوا أحيانًا يصلون إلى البيوت في ساعات الفجر الأولى فيكون الحساب أربعًا وعشرين ساعة متواصلة من الألم والمعاناة والعذاب، فأي أم هذه التي تصبر على سجن ولدها وهدم منزلها؟ وكذلك الأمر كان يحدث مرارًا وتكرارًا مع والده الذي كان يتمنى أن يكبر ولده ليكون بجانبه في كل شيء.

امتدت المعاناة إلى أخواته وأخيه الوحيد أحمد الذي حمل الأمانة في الاعتناء بوالده ووالدته وأخواته، ورغم تلك الآلام والمعاناة إلا أن المجاهد

محمد لم يستسلم للسجن وقهره، بل أيقن أن الحرب مع هذا العدو ليست فقط عسكرية، بل يجب فهم طبيعة هذا العدو وهذا المحتل وفهم آلية تفكيره وعمل أجهزته الأمنية والسياسية، فدرس في الجامعة العبرية تخصص العلوم السياسية بعد أن أتقن تعلم اللغة العبرية إلا أن الأمور لم تسر وفق ما أراد المجاهد محمد حيث تم منعه أمنيًا من إكمال الدراسة، فتوجه لدراسة الدبلوم في تخصص الخدمة الاجتماعية في الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية في قطاع غزة ثم أنهى بكالوريوس في التاريخ من جامعة الأقصى وأتبعه في بكالوريوس آخر في العلوم السياسية من جامعة القدس - أبو ديس، ثم أصبح طالبًا في الماجستير في تخصص الشؤون الصهيونية في جامعة القدس أبو ديس، واستطاع أن ينهي خمسة أبحاث في مواضيع مختلفة بالإضافة إلى حصوله على عشرات الدورات في تخصصات مختلفة، ومع ذلك لم يبخل على إخوانه في إعطائهم المحاضرات والجلسات في مواضيع ثقافية متعددة، ولم يبخل عليهم في العمل التنظيمي في كافة المجالات وفي كافة السجون التي يتواجد بها، ولا يزال بعد أن أمضى أكثر من ثمانية عشر عامًا من عمره داخل سجون الاحتلال يحلم بذلك اليوم الذي يجتمع به بعائلته وأبيه وأمه وأخيه وأخواته لتجتمع الأسرة من جديد بعد انقطاع دام وما زال منذ ثمانية عشر عامًا وقد تمددت العائلة واتسعت في ظل الأحفاد، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: 51].

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القدس
عمادة القبول والتسجيل

Al-Quds University
Deanship of Admission & Registration

مصدقة

بناءً على نتائج امتحانات الفصل الثاني من العام الاكاديمي ٢٠١٧/٢٠١٨ قرر مجلس الجامعة في جلسته رقم ٣٦١ بتاريخ ٢٠١٨/٠٦/١٣ منح محمد صبحي محمد ابو طبيخ المولود في جنين عام ١٩٨٠ درجة بكالوريوس في العلوم السياسية ، بمعدل احدى وثمانون و ثلاثة اعشار (٨١,٣٪) وبتقدير جيد جداً.

ابو ديس في ٢٠١٨/٠٦/١٣

مدير التسجيل

عمادة القبول والتسجيل

18097

دولة فلسطين
وزارة التربية و التعليم العالي
جامعة الأقصى غزة

STATE OF PALESTINE
MINISTRY OF EDUCATION
AND HIGHER EDUCATION
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA

شهـــــادة

CERTIFICATE

محمد صبحي محمد ابو طبيخ

بكالوريوس

التاريخ

من

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

Bachelor of

History

from

Faculty of Arts & Human Sciences

الأسير المجاهد

محمد ساري محمد حسين

المجاهد الذي لم تُخِفْه وعورة طريق تحرير الوطن

تاريخ الميلاد: 1980/06/19م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مخيم نور شمس – محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 8

تاريخ الاعتقال: 2002/08/05م

الحكم: 26 عاماً

نقف اليوم للحديث عن مجاهد عَلِم أن الأشواك في الطريق كثيرة، وأن المسار إلى الهدف طويل وشاق، ولا يتحمل السير فيه إلا الأبطال الشجعان من الرجال، وأراد بإصرار أن يكون منهم، فشمر عن ساعد العزم، وتزود من وقود الهمة؛ ليصل إلى القمة في أعالي المجد، واقتحم جدران الصعاب ففتحت له سرايا القدس الأبواب، فكان من أبطالها، إنه المجاهد محمد ساري حسين الذي ولد في مخيم نور شمس للاجئين الفلسطينيين في مدينة طولكرم، هذا المخيم الذي انضم إلى قائمة المخيمات الفلسطينية التي وجدت نتيجة للمجازر البشعة التي ارتكبتها العصابات الصهيونية في العام 1948م، حيث طرد الفلسطيني من أرضه وأصبح غريبًا مشردًا في وطنه، لاجئًا عن أرض الآباء والأجداد، عاش بطلنا المجاهد محمد ساري في هذا المخيم وفي تلك الظروف، ليعيش من جديد بعد 32 عامًا من النكبة مأساة شعبه من خلال الألم والمعاناة والعذاب اليومي الذي كان يعيشه ويشاهده يوميًا، ولكنه كبقية أبناء هذا الشعب يعيش في بيوت وحارات وأزقة المخيم، وعيناه ترنوان إلى هناك مسقط رأس عائلته في بلدته الأصلية التي هجروا منها.

الميلاد والنشأة

في تلك الأجواء ولد المجاهد محمد ساري ليعيش في ظل عائلة متوسطة الحال تتكون من أربعة أولاد وبنتين، وكان والده يبذل جهدًا مضاعفًا ليوفر لعائلته لقمة العيش الكريم، فعمل في مجال البناء، وفي أكثر من عمل علّه يشعر أبناءه أنه بإمكانهم التغلب على المأساة التي يعيشونها والتي سببها الاحتلال الصهيوني، وكان حال المجاهد محمد كما باقي أطفال مخيم نور شمس البسطاء الذي لا يعرفون إلا القليل عن تعاليم الإسلام وأدب القرآن، وما أن جاء العام 1987م حتى اندلعت انتفاضة الحجارة، انتفاضة الجماهير الفلسطينية في كل أنحاء الوطن المحتل، وشكلت نموذجًا يُحتذى به لكل أحرار العالم، وبدأ الجيش الصهيوني يستخدم كل قوته لإطفاء شعلة الغضب الفلسطيني، من قتل الأطفال والنساء والشيوخ، واعتقال الشباب، واقتحام المنازل، ومنع التجوال، وفصل معلمين من المدارس، وفرض الضرائب، وغلق المدارس، وهدم البيوت، واقتلاع الأشجار.

كان لعائلة المجاهد محمد نصيب من هذه الاعتداءات، حيث تعرضت لاقتحام وحشي من قبل الجيش الصهيوني الذي وصلته معلومات تفيد بأن شخصًا اسمه ساري مسؤول عن عملية تهريب السلاح من الأردن إلى الضفة الغربية، واعتقد الجيش الصهيوني حينها بأن ساري هو والد المجاهد محمد، فتعرض للضرب الشديد من قبل الجيش الصهيوني وتم إهانته أمام أولاده وزوجته، وعاثوا فسادًا ودمارًا رهيبًا في المنزل، وتم اعتقاله لفترة قصيرة وأفرج عنه بعد أيام، وتبين للعدو الصهيوني أنه لا علاقة له بشيء، وخرج من السجن ليجد أن ولده محمد كان في غيابه بمثابة الأب، والأخ الكبير لإخوانه، حمل همومهم واعتنى بهم كما لو كان شابًا قويًا وصلبًا، ومنذ ذلك اليوم أقسم المجاهد محمد على أن ينتقم من الاحتلال على ما ألحقه بعائلته من ألم ومعاناة.

أصبح محمد من أشبال الانتفاضة، أبطال الحجارة الذين لم يكونوا قد تعبوا وكلوا من رمي الحجارة والزجاجات الفارغة مصحوبة بصيحات "الله أكبر"، وكان صوت حناجر الأبطال محمد ساري وعمار قزموز وبهاء شبراوي، هؤلاء الأبطال الأصدقاء الثلاثة أبناء مخيم نور شمس الأسطوري تطغى على صوت الرصاص الحي والمطاطي،

أحد الشوارع الرئيسية لمخيم نور شمس بمحافظة طولكرم

وكان صوت هتاف هؤلاء الأشبال الذين جمعهم حب الوطن وكراهية المحتل الصهيوني قد زلزل الأرض تحت أقدام بني صهيون، كان حينها يختلط الحابل بالنابل، ولم يكن الاحتلال الصهيوني يستطع

أن يسيطر على الأوضاع رغم إطلاقه للرصاص والغاز المسيل للدموع، هذا الرصاص والغاز أصبح وقودًا لهؤلاء الأبطال عبر قبولهم للتحدي، وعبر صمودهم بالتصدي للمحتل، ولسان حالهم يقول ما قاله الشاعر:

نحن لا نعرف معنى الطفولة
قد أتينا الكون في طور الرجولة

فإذا ما سرقوا أحلامنا
فهم ما سرقوا منا البطولة

نحن نحمل الحقد على كل اليهود
فهم نسل الأفاعي والقرود

لم نفكر بصراعات حدود
فالصراعات صراعات وجود

نحن فتيان فلسطين الجريحة
ولها كل شرايين الذبيحة

مهرها من دمنا ندفعه
ليس يغلو أبدا مهر المليحة

ولشدة شراسة المواجهات مع المحتل كان الجيش المجرم يشن اقتحامات متكررة في مخيم نور شمس؛ لاعتقال أشبال الانتفاضة، وتم اعتقال البطلين عمار قزموز وبهاء الشبراوي صديقي المجاهد محمد ساري الذي استطاع الهروب من محاولة الاعتقال؛ لتكون الفترة ما بين العام 1994-1995م فترة صعبة ومؤلمة جدًا وخاصة عندما انفصل والد المجاهد عن والدته وتزوج من امرأة أخرى، فما كان من والدة محمد إلا الذهاب إلى بيت أبيها في مخيم طولكرم، وينتقل أبناؤها وبناتها إليها في بيت جدهم، ولم يكن ذلك البيت مؤهلًا ليتسع لهم جميعًا فكان لابد من استئجار غرفة من أجلهم جميعًا، وبشق الأنفس، وبعد تعب شديد جدًا تمكنوا من دفع أجرة هذه الغرفة، وحينها أدرك المجاهد محمد عظم المسؤولية التي وقعت على كاهليه؛ لذلك حمل الأمانة وقرر الاعتناء بأمه وإخوته، واتجه للعمل وهو لا يزال في سن الخامسة عشرة داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، وعمل في مجالات متعددة من أجل الحصول على المال الذي يمكن من خلاله أن يعيل والدته وإخوته وحتى أباه وزوجة أبيه.

لاحظ محمد أثناء عمله داخل الأراضي المحتلة عام 1948م لدى إحدى العائلات الصهيونية أن لها بيتًا كبيرًا وواسعًا وجميلًا جدًا، ومن حوله مزرعة كبيرة والمياه بها وفيرة والكهرباء والمصابيح لا يتم إطفاؤها لا ليلًا ولا نهارًا، وحتى أن كلابهم لها بيت أكبر من الغرفة التي يعيش بها كل أفراد أسرته في مخيم طولكرم، فجلس مع نفسه ليقارن ما بين حياة هذه العائلة الصهيونية، وما بين حياة عائلته وأسرته الفقيرة جدًا والتي تعيش يوميًا حياة الألم والمعاناة والحسرة والحزن، وتساءل عن مصدر الحزن وهذه الآلام ليجد أن السبب الأول والأخير هو الاحتلال الصهيوني الذي هَجَّرهم من وطنهم وأرضهم في العام 1948م، وجعلهم يعيشون في مخيمات اللجوء وسط ظروف مأساوية لا تصدق في بيوت صغيرة مبنية من الطوب، ومسقوفة بألواح الزينكو، وبالكاد يحصلون على أساسيات الحياة اليومية، فالأطفال

في المخيمات يستخدمون التراب كمادة يلعبون بها، وتلمح في عيونهم الآلام والأحزان.

كان صعبًا على المجاهد محمد أن يرى أبناء شعبه ووطنه يطردون ويطاردون في المنافي، وهي جريمة أشد وأخطر ألف ألف مرة من القتل، بينما هؤلاء الصهاينة الغرباء القادمون من كل أصقاع الدنيا يستوطنون الأرض؛ بعد أن هَجَّروا أهلها إلى الفيافي، فبعد أن كانت بيارات الحاج أبو ساري أصبحت تسمى بيارات "مردخاي"، وأصبحت زيتونات الحاجة أم سالم تسمى زيتونات "غولدمائير"، فكان ذلك كفيلًا أن يملأ قلب المجاهد محمد كراهية وبغضًا للمحتل الصهيوني، ولذلك أقدم على سلب كل ما يقع تحت عينيه ويديه من العدو المجرم، فسلبهم مولدًا للكهرباء واستطاع إنارة بيته في طولكرم، وجنى مبلغًا من المال تمكن عبره من مساعدة عائلته، وأعاد الكرة مرة أخرى وسلبهم شيئًا آخر، وبنفس الوقت بدأ يعمل في كل المجالات ويطلب أجرًا كبيرًا، وخاصة عندما عمل في مجال حفر القبور، فكان لا يقبل أن يحفر قبرًا إلا إذ دُفع له المبلغ الذي يريد، وكان يتمنى في داخله لو أنه يستطيع أن يحفر في اليوم ألف قبر وذلك للخلاص من الصهاينة الاستعماريين الإحلاليين الاستيطانيين، وما هي إلا ثلاث سنوات حتى تمكن المجاهد محمد من شراء منزل لعائلته في مخيم طولكرم، وتمكن من تعليم أخواته في الجامعة ولا سيما أن أخاه أحمد انضم إليه وخرج من المدرسة باكرًا ليعمل في مجالات مختلفة للمساهمة في مساعدة عائلته، وإخراجها من حالة الفقر إلى حالة ميسورة مقبولة.

بقدوم العام 1999م قرر محمد الالتحاق بدورة عسكرية تابعة للسلطة الفلسطينية في أريحا، وتخرج منها بعد فترة ليعمل في جهاز حرس الرئاسة، وكان قد حصل على المرتبة السابعة في القنص خلال الدورة العسكرية علمًا أن أخاه أحمد كان قد سبقه للعمل في أجهزة السلطة الفلسطينية، وكذلك حصل على مرتبة متقدمة أكثر من أخيه محمد في عملية القنص، وبدأ المجاهد محمد يعمل في جهاز حرس الرئاسة، واكتسب خبرة أمنية وعسكرية خدمته في انتفاضة الأقصى.

انتفاضة الأقصى المباركة

هذه الانتفاضة التي بدأت عندما تجرأ مجرم الحرب الصهيوني أرئيل شارون على وطء أرض الحرم القدسي، بالاتفاق المسبق مع حكومة رئيس الوزراء الصهيوني المجرم إيهود باراك، وكأنه أراد من هذا الأمر وضع قدميه في مستنقع العنف، والذي بنظره سعى إليه من أجل عودة اليمين الصهيوني المتطرف إلى سدة الحكم في الكيان الصهيوني، وعندما أعطى باراك لشارون الضوء الأخضر لدخول الحرم كان يراوده حلم الضغط على الفلسطينيين، والتنصل من استحقاقات السلام المطلوبة منه، والتهديد بالأسوأ بعد رفض المفاوض الفلسطيني ما عرض عليه في قمة كامب ديفيد الثانية، وما تلاها من تفاوض في طابا، إلا أن حسابات الصهاينة اللامدروسة واللامحسوبة قد أشعلت وألهبت الأرض تحت أقدامهم؛ لتندلع انتفاضة فلسطينية شاملة مرت بمراحل مختلفة من المواجهة الشعبية، والتي شارك المجاهد محمد في فعالياتها ونشاطاتها المختلفة،

ولطبيعة عمله في حرس الرئاسة تعرف على المعتقلين السياسيين في مقرات السلطة، ومنهم المجاهدون أسعد دقة ورياض بدير وأنور عليان ومحمود كليبي وغيرهم من أبطال حركة الجهاد الإسلامي، وبدأ يقدم لهم العون والمساندة والمساعدة، وأصبح من يومها عضوًا في حركة الجهاد الإسلامي، وفاعلًا ونشيطًا في صفوف سرايا القدس.

جاءت المرحلة الثانية في انتفاضة الأقصى وهي مرحلة عسكرة الانتفاضة، وبها أسقطت استراتيجية المائة يوم التي وعد بها المجرم شارون لتحقيق الأمن للصهاينة، حيث أصبحت الفصائل الفلسطينية الوطنية منها والإسلامية تؤمن بأن الكفاح المسلح وحده الكفيل بردع المجرم شارون وخطته الجديدة، فقامت بعدة عمليات مميزة أسقطت خلالها استراتيجية شارون الذي تولى رئاسة الوزراء الصهيونية بتاريخ 07/ 03/ 2001م وحدد مئة يوم لتحقيق الأمن للصهاينة، ولم يتحقق له إلا الخيبة والفشل والخسران؛ ليعود ويتراجع حينها ويستبدل استراتيجيته تحت ضربات المقاومة الفلسطينية إلى استراتيجية جديدة أسماها الإعلام الصهيوني باستراتيجية الكذب كما أسماها الكاتب الصهيوني "بالي ليفيكين"، أو استراتيجية الخداع والمصيدة واستجلاب الانتقامية إثر تصعيده للاغتيالات ضد المقاومة الفلسطينية من خلال تصفيته لقادة وكوادر الأجنحة العسكرية الفلسطينية للفصائل، ومع هذا فإن سرايا القدس وحدها نفذت في العام 2001م أكثر من عشر عمليات استشهادية أدت لمقتل العشرات، وكانت ردود الأفعال الصهيونية قوية جدًا تجاه الفلسطينيين، وبالإضافة إلى ذلك قيام السلطة وأجهزتها الأمنية بملاحقة المقاومة الفلسطينية عبر زجها للمقاومين في سجونها وزنازينها بهدف إنهاء الانتفاضة الفلسطينية، أو على الأقل محاولة السيطرة عليها.

حاولت الأجهزة الأمنية الفلسطينية في طولكرم اعتقال المجاهدين أنور عليان ورياض بدير ومحمود كليبي إلا أنهم لم يتمكنوا من المجاهد محمد ساري الذي هددهم أنهم في حال الاقتراب منه فعليهم قراءة الفاتحة على أرواحهم، ولهذا لم يجرؤ أحد على محاولة اعتقاله بالرغم من أنه كان يتبع لحرس الرئاسة، هكذا هم رجال سرايا القدس الذين صاغتهم أفكار ومنطلقات حركة الجهاد الإسلامي؛ ليكونوا أبطالًا شجعانًا، حيث ما أن هبَّت رياح انتفاضة الأقصى وتعاظمت حتى كان من بركاتها على هذا الشعب العظيم أن الكثير من الشباب غير الملتزمين؛ والذين جذبتهم الدنيا إليها بقوة عادوا إلى الله _عز وجل_، وتمسكوا بحبله المتين، وعمروا المساجد، والتزموا بالدين، ولذلك فقد امتلأ قلب المجاهد محمد بالإيمان وأصبح نموذجًا للرجال المجاهدين الصادقين، وهذا لم يكن ليتحقق إلا بفضل الله _تبارك وتعالى_ واندلاع انتفاضة الأقصى المباركة والانتماء لسرايا القدس.

دوره الجهادي

أدرك المجاهد محمد ساري أنه لم يعد هناك صلاح الدين وسعد وخالد وقطز ولا معتصم، وما تبقى سوى قيادات من ورق تتشتت قلوبها مع

الرياح أشبه بقلوب الطيور، فلا نامت أعين الجبناء، وأدرك بوعيه المتقدم بأنه لم يتبق سوى أولئك الذين يساومون على دماء شهداء الشعب الفلسطيني، ولذلك وقف وقفة شجاعة إلى جانب قادة وكوادر سرايا القدس في طولكرم، وبدأ يخوض الاشتباك تلو الآخر، واضعًا نصب عينيه أن هذا العدو لا ينفع معه أن تستجديه وتتوسل إليه ليعطيك الفتات من الأرض؛ لتقام عليها الدولة الكرتونية المزعومة عبر الاتفاقيات السلمية.

تلك الاتفاقيات التي وقفت عاجزة أمام اجتياح الضفة الغربية في شهر أبريل (نيسان) من العام 2002م، وفي نفس الوقت كانت الحكومة الصهيونية واهمةً جدًا عندما اعتقدت أنها باجتياحها لمدن الضفة الغربية ستمنع العمليات الاستشهادية، ففي تاريخ 10/ 04/ 2002م وقبل أن يخرج الجيش الصهيوني من مخيم جنين خرجت عملية استشهادية إلى الداخل المحتل، ونفذها الاستشهادي راغب جرادات أحد أبطال سرايا القدس من بلدة سيلة الحارثية بمحافظة جنين،

الاستشهادي/ راغب جرادات
استشهد بتاريخ 10/ 04/ 2002م

وقتل عشرة صهاينة وأصاب العشرات، ولذلك فإن الصهيوني صادوق يحزكيلي الكاتب في جريدة "يديعوت أحرنوت" كتب بتاريخ 12/ 04/ 2002م في مقابلة مع الدكتور ناعومي بتساتسور من مكتب دراسات الأمن القومي في جامعة حيفا الذي درس شخصية الاستشهادي الفلسطيني؛ أن ما يسمى عملية السور الواقي مؤخرًا لن توقف ما أسماه بالعمليات "الانتحارية" كاشفًا أن هذا الأمر بدأ في 16/ 04/ 1993م عندما أقدم الشاب ساهر تمام بتفجير نفسه بالسيارة المفخخة بين باصين في منطقة الغور، وخلال السنوات السبع التي تلتها وحتى أيلول عام 2000م فقد سجلت ثلاثون محاولة للقيام بعمليات، نجح منها 24 في سلسلة عمليات شباط آذار عام 1996م بعد اغتيال الشهيد يحيى عياش، ولكن ومنذ بدء الانتفاضة في أيلول عام 2000م وحتى كانون أول عام 2001م نُفذ 49 عملية، وخلال الأشهر الأربعة الأولى من هذا العام 2002م سجلت 153 محاولة لعمليات نفذ منها 102 وتم ضبط 51 عملية قبل خروجها، إذن نلاحظ مما سبق أن ما سعى إليه شارون وأجهزته الإجرامية لم يحقق لهم لا الأمن ولا الأمان ولا الاستقرار، بل أدى لزيادة واضحة من قبل الشعب على العمل العسكري والاستشهادي، ولهذا فإن المجاهد محمد ساري إضافة لمساعدته اللامحدودة لقادة وكوادر سرايا القدس وخوضه للاشتباكات شبه اليومية ومساعدته في إيواء المجاهدين بمنزله الذي أصبح قبلة للمطاردين من كل أنحاء الضفة الغربية؛ قرر حينها البدء في العمل الاستشهادي، الذي بنظره هو الوحيد القادر على ردع العدو الصهيوني.

في شهر أكتوبر (تشرين أول) 2002م عرض المجاهد محمود كليبي -أحد قادة سرايا القدس- على المجاهد محمد ساري تقديم المساعدة في عملية إيصال استشهادي إلى داخل الكيان الصهيوني، وما أن تم تجهيز شنطة المتفجرات وقام المجاهد محمود بتزويد الاستشهادي محمد الرفاعي من مخيم عسكر بمدينة نابلس وتصويره وتهيئته للعملية؛ حتى توجه بالاستشهادي وشنطة المتفجرات من مدينة نابلس إلى طولكرم للاجتماع بالمجاهد محمد ساري الذي بدوره اختار موقعًا مناسبًا للعملية في مدينة "نتانيا" بأحد المقاهي الصهيونية، حيث يكون جالسًا في هذا المقهى يوميًا ما يزيد عن مائة مستوطن صهيوني، وتم الاستعداد في يوم 09/ 10/ 2002م لهذه العملية البطولية، وخرج المجاهد محمد ومعه الاستشهادي محمد الرفاعي وشنطة المتفجرات.

كان من المفروض قبل وصول المجاهدين إلى منطقة العملية أن يقوم المجاهد محمد ساري بإيصال الدائرة الكهربائية للعبوة، وذلك لضمان عدم انفجارها أثناء الطريق، وركب المجاهدان في إحدى سيارات العمال المتوجهة للعمل في مدينة "نتانيا"، وأثناء الطريق وقبل وصولها إلى منطقة الحدود تفاجئوا بوجود حاجز صهيوني لم يكن بالعادة متواجدًا، فنزل المجاهد محمد ساري من السيارة وهرب إلى مكان بعيد من ذلك الحاجز، فإذا به يقع بين مجموعة من الصهاينة كانت مختبئة هناك أي كما يقال في المثل الشعبي "هرب من عزرائيل إلى قباض الأرواح".

اعتقاله والحكم عليه

وتم اعتقاله واقتياده إلى الحاجز، وإذا به يرى أن الجنود قاموا بإنزال كل من كان في السيارة وشاهد الاستشهادي محمد الرفاعي يحمل الشنطة على ظهره واعتقد حينها أن الاستشهادي ربما تمكن من تفعيل الدائرة الكهربائية وأوصل الأسلاك، فأشار إليه بأن فجر نفسك بالجنود المحيطين بك وبنفس الوقت كان الاستشهادي يظن بأن المجاهد محمد ساري قد أوصل الأسلاك عندما رأى الجنود، وضغط الاستشهادي محمد على زر التفجير دون جدوى، وبحفظ الله ورعايته للاستشهادي لم يكن الجنود عند اعتقال المجاهد محمد ساري يعلمون لماذا هرب؟، ولم يقوموا بتفتيش العمال والسيارة وطلبوا منهم فقط العودة لمدينة طولكرم؛ ليعود الاستشهادي من جديد إلى مدينة طولكرم ومعه شنطة المتفجرات، بينما تم اعتقال المجاهد محمد ساري حسين واقتياده إلى موقع (DCO) أي مقر الارتباط العسكري في طولكرم؛ ليمكث هناك ثلاثة أيام متواصلة، حيث عرف عن نفسه أن اسمه هو أحمد موسى غانم على اسم صديق له، وعند فحص المعلومات التي تخص هذا الاسم تبين أن هذا الاسم لا علاقة له بأحداث الانتفاضة، ومع ذلك بقي الجنود محتجزين المجاهد محمد ساري حتى اليوم الثالث حيث جاءه أحد الضباط في "الشاباك" الصهيوني وأجلسه على الأرض، ووضع قدمه على كتفه وأسمعه مكالمة تم رصدها من قبل الوحدة 8200 للمجاهد محمود كليبي وهو يطلب من كل مجاهدي سرايا القدس الخروج من أماكنهم؛ لأنه تم اعتقال المجاهد محمد

ساري، وحينها أحضر الصهاينة أحد العملاء الذي كشف لهم بأن هذا الشاب المحتجز لديهم هو المجاهد محمد ساري.

تم اقتياد المجاهد محمد ساري إلى مركز تحقيق سجن "بيتاح تكفا" ليمكث في التحقيق مدة 120 يوم وحكم عليه بالسجن 26 عامًا، ليكمل مشواره الجهادي والنضالي مع إخوانه أحمد وعدنان حيث تم اعتقال المجاهد أحمد بتاريخ 13/ 01/ 2004م؛ لدوره البارز في عملية الاستشهادي رامي غانم من بلدة دير الغصون في طولكرم والذي فجَّر نفسه في مقهى في مدينة "نتانيا" بتاريخ 30/ 03/ 2003م وأدت إلى إصابة 54 صهيونيًا بجراح مختلفة، وحكم عليه بالسجن المؤبد بالإضافة إلى 35 عامًا، وكذلك تم اعتقال أخيهم الأصغر عدنان بتاريخ 03/ 03/ 2004م، والذي لم يكن قد أنهى عمره ثمانية عشر عامًا، وحكم عليه لمدة 25 عامًا بتهمة تقديم المساعدة المالية لعملية الاستشهادي رامي غانم ولنشاطات أخرى.

الأسيران الشقيقان
أحمد وعدنان ساري محمد حسين

لقد كان اعتقال الأخوين أحمد وعدنان صدمة كبيرة للمجاهد محمد ساري، والذي كان دائما في حالة قلق دائم على والدته وأخواته وأخيه محمود الذي بقي وحده في مواجهة تحديات العائلة، وما هي إلا فترة من الزمن حتى جاءهم خبر وفاة أبيهم بتاريخ 04/ 01/ 2008م ليعيش الإخوة الثلاثة يومًا حزينًا جدًا عليهم إلا أن الأسرى من حولهم بداخل السجن وقفوا إلى جانبهم وقفة الرجال الرجال مدة ثلاثة أيام، وفتحوا لهم بيت الأجر في ساحة السجن، وتم تقديم التمر والقهوة وإلقاء الكلمات باسم الفصائل الفلسطينية حتى إن مدير السجن وضباطه عند رؤيتهم لهذا المشهد الفلسطيني الرائع قاموا بالدخول إلى ساحة السجن وسلموا على الإخوة الثلاثة محمد وأحمد وعدنان وسمحوا لهم بالاتصال بوالدتهم؛ لتستمر معاناة العائلة يومًا بعد يوم ولاسيما أن منزلهم في طولكرم قد تم هدمه عندما تم اعتقال المجاهد أحمد، وكانوا يبذلون كل جهد ممكن وطرقوا كل الأبواب لإعادة بناء المنزل ليضم أمهم وأخاهم محمود وأخواته وزوجة أبيه وابنتها الوحيدة.

فكم هي صعبة حياتك يا محمد، وكم هي الأحمال ثقيلة، ولكن عبثًا أن يستريح المجاهد، وعبثًا أن ينحني للرياح العاتية، بل بقي صامدًا في وجه التيار معلنًا أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، ولو طال الزمن أو قصر فإن العودة إلى الأرض المحتلة عام 1948م قد باتت قريبة، وما ذلك على الله بعزيز.

الأسير المجاهد

سعيد حسام سعيد طوباسي

شقيق المجاهدين وابن خنساء فلسطين

تاريخ الميلاد: 1983/09/07م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مخيم جنين – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 12

تاريخ الاعتقال: 2002/11/01م

الحكم: 31 مؤبد و50 عاماً

تحفل كتب التاريخ الإنساني بشكل عام بأسماء المئات، بل الآلاف من القادة والأبطال والمجاهدين الذين قدموا مساهمات مشهودة وجليلة لشعوبهم وأمتهم ودُولهم، ومن بين هؤلاء ليس سهلًا أن نجد أبطالًا عظماء يتركون وراءهم مدرسة تراثهم في منهاج عقيدتهم ومسيرة جهادهم. فقد قرأ الكثير من الناس قصصًا عن كوكبة طاهرة هم منا ونحن منهم، ويعيشون في عصرنا وفي عقولنا وقلوبنا ليشكلوا نماذج فريدة من التضحية والبذل والعطاء، فحينما نضع المجد والبطولة ونقف على بوابات الزمن فنحن لا نملك إلا إيمانًا في القلب ومصحفًا في اليد وفي اليد الأخرى رشاشًا، وعندما تسيل دماء شهدائنا وجرحانا في كل يوم في مدننا ومخيماتنا وشوارعنا فعندها لا يمكن إلا أن نقف إجلالًا لشلال الدم المتدفق، فنحن لا نملك سوى الكلمات الجميلة ليس أكثر للحديث عن أبطال سرايا القدس في فلسطين الذين نفضوا غبار السنين عن الوطن السليب، وعندها لابد لأمتنا أن تقف احترامًا لأبطال الجهاد الإسلامي، وعليها أن تقف إجلالًا وإكبارًا لابن سرايا القدس الأسير المجاهد سعيد حسام طوباسي.

طفولة لاجئ

وُلد الأسير المجاهد سعيد لعائلة فلسطينية لاجئة تم تهجيرها بقوة السلاح الصهيوني من أرضها في قرية زرعين من قضاء حيفا في الأراضي المحتلة عام 1948م، لتجد العائلة نفسها فوق ثرى مخيم جنين، هذا المخيم الذي يعيش فيه اللاجئون الفلسطينيون حياة مأساوية مظلمة

من آثار قرية زرعين المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

وفي ظروف قاهرة، فالمنازل مكتظة ومتلاصقة ببعضها البعض ومعظمها مشيدة من الطوب، ومسقوفة بألواح الزينكو، وشوارع المخيم ضيقة لا تكاد تمر بها السيارات، وأحيانًا لا يستطيع البشر السير بها، ومجاري الصرف الصحي مكشوفة مما يعرض السكان في المخيم لخطر الإصابة بالأمراض المختلفة. فيه مجموعات كبيرة من الأطفال الصغار الذين ينتشرون في شوارع وأزقة المخيم وهم يلعبون لعبتهم المفضلة "يهود وعرب"، ولكنهم ليسوا كأطفال العالم؛ فليس لديهم متنزهات أو ملاعب لكرة القدم، بل لديهم مطعم صغير تشرف عليه وكالة الغوث لإطعام الأطفال، ولديهم شوارع ضيقة مروية بدماء وأطفال وشباب مخيم جنين من الذين استشهدوا بالمواجهات مع العدو الصهيوني، لذلك ترى في عيون هؤلاء الأطفال عِظم المأساة، فهناك وُلِد المجاهد سعيد وهنالك نشأ وقضى طفولته المعذبة في المخيم وشوارعه وساحاته وأزقته، ولكن عينيه بقيتا دومًا مفتوحتين ومتوجهتين صوب تلك القرية العزيزة على عائلته وهي زرعين، والتي لا يزال يحلم بأن يراها وينعم بدفء العيش فيها والموت على أرضها. ففي ظل هذه الظروف عاش وترعرع مجاهدنا الكبير سعيد ووجد نفسه في ظل حركة إسلامية تحتضن أطفال المخيم، وهي حركة حماس التي كانت في بداية انطلاقتها تحرص على العناية والاهتمام بأطفال فلسطين لحمايتهم من ظلم المحتل الصهيوني، فمنذ ذلك اليوم تعلق قلبه بحب المساجد فلا يكاد يخرج منها حتى يعود إليها، فجمعته وشباب المسجد علاقة وطيدة عبر جلسات إيمانية وروحانية عظيمة عَرف من خلالها تعاليم الإسلام وأدب القرآن، فكان دائمًا يحرص على مشاركة أبناء جيله حلقات العلم والترفيه.

تفتح وعيه الوطني

في هذه المرحلة بدأ المجاهد سعيد يدرك ويعي ما يحيط به من صراع صهيوني فلسطيني، فهذا المحتل لم يبق للأطفال أي فرصة حقيقية ليعيشوا كباقي أطفال العالم، فلم يحظ بفرصة احتضان أعمامه وأخواله له كبقية الأولاد، وذلك بسبب اعتقالهم في سجون الاحتلال، ولطالما وجد نفسه بالقرب من والدته ليذهب لزيارة أعمامه وأخواله

في سجون الاحتلال، ليرسم في ذاكرة طفولته المعذبة منظر الجيش الصهيوني الذي يعتقل أقرباءه ويهين الأمهات والآباء القادمين لزيارة أبنائهم، ليس هذا فقط بل يفتش الصغار وكأنهم يحملون أحزمة ناسفة، فكان المجاهد سعيد يرعبهم ويخيفهم رغم صغر سنه لا لشيء سوى أنه فلسطيني، وما أن تم اعتقال أخيه الأكبر كمال حتى علم أن عائلته أيضًا مستهدفة؛ فهذا العدو لا يفرق بين طفل وامرأة وبين بنت ورجل؛ فكلهم إرهابيون وكلهم أعداء ويجب التخلص منهم. ومن شدة تعلقه بأخيه كمال ذهب في أحد الأيام إلى مكان يُدعى بالهلال الأحمر الفلسطيني، وهذا المكان ملاصق لمقر المقاطعة الصهيونية في مدينة جنين حيث تضم هذه المقاطعة السجن الصهيوني وخيم الاعتقال التي يعيش بها المعتقلون الفلسطينيون، واستطاع المجاهد سعيد التسلل من الهلال الأحمر والوصول إلى محيط الخيم المحاطة بالأسلاك الشائكة، وقد تمكن حينها من رؤية أخيه كمال طوباسي وهو في إحدى الخيم معصوب العينين، واشتد غضبًا عندما رأى أحد الجنود وهو يقود البطل كمال طوباسي إلى مقر التحقيق وهو معصوب العينين، فوجد المجاهد سعيد نفسه يصرخ بأعلى صوته: اتركوه إنه أخي كمال الكبير! وبدأ يقذفهم بالحجارة إلى أن رآه الناس فأبعدوه من المكان حتى لا يتعرض لمكروه.

لم ينعم المجاهد سعيد بالحياة التي يتمناها كل إنسان حتى إن باب التعليم قد أُغلق في وجه أطفال فلسطين، فما كانت المدارس تبدأ بالعمل حتى يقوم الجيش الصهيوني باقتحامها والعبث بمحتوياتها واعتقال من يريد، وأحيانًا ونتيجة لكثرة المواجهات بين الطلبة والاحتلال كان يتم إغلاق المدارس ولفترات طويلة حيث أراد العدو من ذلك أن ينسى الأطفال قراهم ومدنهم التي هُجِّروا منها، فخاب أملهم ورجاؤهم، وجاءت الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي صنعت بحق جيلًا من الأطفال أسماهم العالم جيل الانتفاضة، وهو جيل أبطال الحجارة، فقد حرص قادة وكوادر الانتفاضة على تربية هذا الجيل بشكل ثوري وأخلاقي، فكان الأطفال يشاركون الكبار بنشاطات وخدمات كبيرة كتنظيف شوارع وساحات مخيم جنين، والعناية بنظافة المسجد وزيارة قبور الشهداء في وادي برقين بالقرب من مخيم جنين؛ ليعلموا أن الوطن بحاجة إلى تضحيات، وأن الأبطال يستحقون زيارة قبورهم وقراءة الفاتحة على أرواحهم؛ للسير قدمًا على نهجهم.

طريق الآلام

بدأ الهم والغم يزداد في حياة المجاهد سعيد الذي لم يكن له من اسمه في بداية حياته نصيب، فقد تُوفي والده في العام 1996م ليتركه طفلًا يافعًا بعمر الزهور لم يكن عمره وقتها يتجاوز ثلاثة عشر عامًا، ولكن بالرغم من يتمه فقد عرف أصدقاؤه البسمة على وجهه التي لم تفارقه، فلم يكن هناك مكان للعبوس بين عينيه أو للبغض في قلبه؛ لأنه كالطير في رقته وشفافيته وروحانيته وبساطته وأخلاقه، فكان لا يزال يحب الجميع صغارًا وكبارًا ما جعله الفتى الذي يقود من حوله من الناس بأخلاقه وحبه وطيبته. وبعد وفاة والده اضطر المجاهد سعيد أن يساهم في توفير مصروف العائلة ومساعدة أخيه

الأكبر كما في ذلك، فترك المدرسة وبدأ العمل في كل المجالات، فلم يبق مجال يستطيع العمل به إلا قام به؛ حرصًا منه على سد حاجات عائلته، فكبر قبل أوانه وأصبح رجلًا رغمًا عنه. وعلى الرغم من ذلك إلا أنه لم يكن ليتوقف عن طرح الأسئلة حول مفاهيم سياسية ووطنية كمفهوم الاحتلال والاستيطان والحرية، والأهم كان يداهمه دائمًا هذا السؤال: لماذا يتم اعتقال الشباب من بيوتهم؟ ولماذا هذه الطوابير من الناس الذين يقفون فترات طويلة للحصول على الحصة المطلوبة من المؤن من وكالة الغوث؟ فهذا كله ولّد لديه حقدًا أسود على العدو الصهيوني، وازداد أكثر حينما تم اغتيال الشهيد يحيى عياش حيث شارك المجاهد سعيد في المسيرات الحاشدة التي انطلقت من مدينة جنين، وشارك في تقديم واجب العزاء لعائلة الشهيد يحيى عياش في قرية رافات في محافظة سلفيت، وأصر هذا المجاهد البطل سعيد أن يُقَبِّل رأس الطفل براء ابن الشهيد يحيى عياش؛ إكرامًا وإجلالًا لأبيه لما قدمه للشعب الفلسطيني من الفداء والعطاء والتضحية، وكيف لا يفعل ذلك وقد تربى منذ صغره على حب الشهداء وزيارة قبورهم؟

بداية الاتصال بحركة الجهاد الإسلامي

في هذه الأثناء كانت السلطة الفلسطينية قد أحكمت قبضتها على حركتي حماس والجهاد الإسلامي، وبدأت عملية اعتقالات واسعة، فما كان من المجاهد سعيد إلا أن ذهب لزيارة هؤلاء المجاهدين المعتقلين السياسيين في سجون السلطة الفلسطينية في مقر المقاطعة في مدينة جنين، حيث كان عدد من أقربائه معتقلين هناك، وقد تعرف على مجموعة من المجاهدين الفلسطينيين ممن ينتمون إلى حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين؛ فلم يكن يومها يسمع بهذه الحركة، وما هي إلا فترة من الزمن حتى أصبح على علاقة أخوية مع هؤلاء المجاهدين حيث كان يجلس إليهم ليحدثوه عن حركة الجهاد الإسلامي وعن أفكارها وأسماء قادتها وأهم منطلقاتها، واستمر بالاستماع إليهم لفترة طويلة، ولم يعلم وقتها أن هذا الاسم حركة الجهاد الإسلامي سيلازمه في حياته كلها، فما أن اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة في شهر أيلول من العام 2000م حتى خرج مئات الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني في انتفاضة شعبية في وجه المحتل الصهيوني؛ ليؤكدوا لهذا المحتل بأن هذا الشعب هو شعب حي وأنه مهما جرى في عملية السلام بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين العدو الصهيوني فإن هذا الشعب لم ولن ينسى مدنه وقراه في الأراضي المحتلة في العام 1948م.

في تلك الفترة كان المجاهد سعيد طوباسي يعمل في قرية البعنة في الداخل المحتل، وعلم أن هناك مظاهرات حاشدة قد انطلقت من مدينة جنين باتجاه نقطة الاحتكاك مع العدو الصهيوني في حاجز الجلمة، وقد جاء الخبر حول استشهاد العديد من الشباب في هذه المظاهرات، فما كان منه إلا أن ترك العمل وترك المال وعاد إلى مخيم جنين؛ ليقف إلى جانب المجاهدين في المخيم حيث بدأت الانتفاضة الفلسطينية تتسع موجتها شيئًا فشيئًا في كل بقاع الوطن الحبيب، فلم يكن للمجاهد سعيد إلا الانحياز الكامل للمقاومة

الفلسطينية، فأكد بذلك أنه مجاهد شجاع لا يهاب الموت، وجريء لا يعرف الخوف، وهذه النوعية دائمًا تصنع للأمم مجدًا سامقًا، وتزرع في الأمة المهزومة الأمل وتبث في كيانها الثقة.

نشاطه الدعوي

حرص المجاهد سعيد بما اتصف به من جرأة وشجاعة على إحياء القلوب الفلسطينية في مخيم جنين وأكدَّ ذلك بانضمامه إلى مجموعة من الشباب المسلم من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13]، فآمنوا بالخط الجهادي وآمنوا بالنهج المسلح أسلوبًا للحرية والانعتاق من قبضة العدو الصهيوني، فكانت بكل صدق مجموعة ربانية مجاهدة حيث ضمت كلًا من سعيد طوباسي ومحمود طوالبة وعبد الرحيم فرج وأشرف أبو الهيجاء وإياد أبو الليل وأسامة أبو الهيجاء وإياد المصري وأسامة التركمان وعماد النشرتي ويوسف سويطات ونسيم العموري وعزيز المصري وعلاء الصمادي والعديد من المجاهدين الأبطال الذين كتب الله على أيديهم العزة والكرامة بأعمالهم الجهادية الخالدة. وبدأت هذه المجموعة عملها في باب الدعوة إلى الله عز وجل فهدي الله بهم عددًا كبيرًا من الشباب في مخيم جنين، فأصبحت قلوبهم متعلقة بمساجد الرحمن، فآمنوا بأن الانتفاضة الفلسطينية بحاجة إلى رافعة إسلامية وإلى جهود الحركة الإسلامية وخاصة الجهادية من أجل النهوض بواقع الشعب الفلسطيني للتمكن من تحقيق الأهداف المرجوة من الانتفاضة الفلسطينية.

قام هؤلاء المجاهدون بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات متعددة مهمتها زيارة أهالي مخيم جنين وحثهم على العودة إلى التمسك بحبل الله المتين، إضافة إلى تكثيف زياراتهم للمرضى في مشفى جنين الحكومي وتقديم العون للفقراء والمساكين والمحتاجين من الناس، ونتيجة لهذه التعبئة الدينية أصبحت المساجد عامرة بالمصلين، فعندما كان ينظر الناس إلى المساجد في صلاتي الفجر والعشاء يشعرون أنهم يصلون صلاة الجمعة لكثرة تعداد المصلين من كل الأجيال والأعمار، والفضل بذلك عائد إلى هذه المجموعة الربانية بقيادة المجاهد محمود طوالبة وسعيد طوباسي. وقد تعرف في تلك الفترة المجاهدان محمود طوالبة وعبد الرحيم فرج على مؤسس سرايا القدس في مدينة جنين وهو القائد المجاهد إياد حردان والذي كان معتقلًا في ذلك الوقت في سجون السلطة الفلسطينية في مقر المقاطعة في مدينة جنين، فكان يتم السماح له بالخروج من السجن متى شاء وبصحبة أحد الحراس من السلطة الفلسطينية وهو المجاهد محمد نصر (أبو زريق)، وقد تم عقد اجتماع ضم المجاهدين محمود طوالبة وسعيد طوباسي وبقية أفراد مجموعتهم في أحد الأماكن في مخيم جنين، وتم التعريف بسرايا القدس وأهدافها ومنطلقاتها الفكرية والدينية والأخلاقية والثورية، والاتفاق على توسيع نشاط سرايا القدس وبشكل عسكري بمعنى عسكرة الانتفاضة الفلسطينية حيث فهم المجاهدون وعلى رأسهم المجاهد سعيد طوباسي بأن الجهاد والكفاح المسلح هو الخيار الوحيد لاستعادة الحقوق المغتصبة من الصهاينة، وإفشال مخططاتهم ووقف أطماعهم

الشهيد القائد/ إياد حردان
استشهد اغتيالاً بتاريخ 05/ 04/ 2001م

التوسعية تجاه الأمة ومقدراتها، وبالرغم من ذلك فإن ضغط الواقع واختلال موازين القوة لصالح معسكر الأعداء يدفع الكثيرين من المناضلين الشرفاء والمجاهدين والمخلصين إلى الدعوة من أجل الانتظار والتريث في الجهاد المسلح بحجة أن الظروف قد تغيرت، وأن الناس تعبوا من كثرة الانتفاضات والثورات والهبات، وليسوا على مستوى المواجهة وعيًا وإرادة، وأن الضرر الذي يمكن أن يلحق بالحركات الإسلامية إذا أصرت على أن تعلق الجرس وحدها وتستمر بالجهاد المسلح أكبر من النفع بكثير، وهكذا فهم مجاهدو سرايا القدس الأخطار المحدقة بهم، فجاءت هذه المجموعة المجاهدة لسرايا القدس وبقيادة القائد إياد حردان لترد على ذلك الادعاء والتحليل اللاواعي لطبيعة المرحلة وطبيعة عمل الدين الإسلامي الذي هو أعلى معارج الإيمان في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. فهكذا فهموا الدين بأن الجهاد هنا هو سبيل الهداية والإيمان والوعي والثورة والالتزام، والمزيد من ذلك سيؤدي بكل تأكيد إلى مزيد من الجهاد في سبيل الله، والإنسان المسلم الرسالي والطليعي الملتزم بهذا النهج إنما يرتقي سلم العروج إلى معية الله في مرتبة الإحسان لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

ووفقًا لذلك أراد المجاهد سعيد طوباسي أن يلبي نداء الجهاد والتضحية، فقرر القيام بعملية استشهادية في قلب الكيان الصهيوني فتوجه إلى العديد من المسئولين عن ذلك في سرايا القدس وكتائب القسام، والرد كان واحدًا وهو أن الحاجة إلى سعيد طوباسي كبيرة في البقاء على قيد الحياة وذلك لمساعدة المجاهدين في أمور المقاومة وتجنيد الشباب المسلم للعمل الجهادي؛ لأن المجاهد سعيد طوباسي بطبيعته وقوة شخصيته وتأثيره يستطيع فعل الكثير الكثير للمقاومة الفلسطينية.

مرحلة الجهاد والاستشهاد

بدأ المجاهد سعيد فعليًا بتجنيد الاستشهاديين والمجاهدين بالإضافة إلى تكثيف نشاطاته الاجتماعية عبر زيارة منازل الشباب المسلم، بالإضافة إلى زيارة مقر جمعية الإحسان الخيرية والتي من خلالها استطاع أن يتعرف على أكبر عدد ممكن من أبناء الجهاد الإسلامي في مدينة جنين وقراها. وبدأت

مرحلة جديدة لسرايا القدس في الضفة الغربية وخاصة في مدينة جنين حيث استطاعت سرايا القدس إدخال سيارة مفخخة إلى مدينة القدس بتاريخ 02/ 11/ 2000م وأسفرت هذه العملية عن مقتل صهيونيين ووقف وراءها الشهيدان القائدان أنور حمران وإياد حردان، بالإضافة إلى قيام مجاهدي سرايا القدس بعمليات إطلاق النار على الطرق الالتفافية، وكان في مقدمة المجاهدين الشهيد المجاهد أسامة التركمان من مخيم جنين الذي استطاع بإرادته الفولاذية وقوة قلبه وشجاعته رد العدوان والقوات الخاصة الصهيونية التي حاولت التسلل إلى منطقة وادي برقين لاعتقال أو اغتيال المجاهد نصر جرار إلا أن تصدي المجاهد أسامة لهم عبر اشتباكه المسلح معهم لفترة طويلة أدى إلى انسحابهم مخلفين وراءهم عتادهم الحربي، وبدأ المجاهدون يقبلون على سرايا القدس فمنهم من يريد السلاح ومنهم من يريد الاستشهاد ومنهم من يريد الاشتباك مع العدو الصهيوني، ومنهم من يريد أن يتعلم صناعة المتفجرات، وهنا أَصرَّ المجاهد محمود طوالبة أحد أبرز قادة سرايا القدس في مدينة جنين أن يقوم المجاهد إياد نغنغية بتدريب المجاهد سعيد طوباسي على استخدام السلاح وإطلاق النار، ليبدأ المجاهد سعيد طوباسي مشواره الجهادي إلى جانب المجاهد القائد محمود طوالبة عبر مساعدته في العديد من القضايا التي يطلبها منه، ولاسيما فيما يتعلق بتجنيد المجاهدين والاستشهاديين لسرايا القدس التي كانت من أوائل الأجنحة العسكرية في الضفة الغربية التي مارست العمل العسكري في انتفاضة الأقصى وخاصة في مدينة جنين، وفي إحدى جولات سرايا القدس على الطرق الالتفافية أصر أحد أبطال سرايا القدس وهو المجاهد أسامة التركمان

الشهيد المجاهد/ أسامة نغنغية
استشهد بتاريخ 04/ 03/ 2001م

وتحديدًا في ليلة عيد الأضحى المبارك أن يحتفل بهذه الليلة على طريقته الخاصة حيث صلى العشاء وأحيا الليل وحمل سلاحه وودع أهله وأصحابه وتوجه إلى منطقة الاشتباك مع الدوريات الصهيونية على الشارع الالتفافي بالقرب من حاجز الجلمة الصهيوني واشتبك مع العدو الصهيوني اشتباك الأبطال واستخدم القنابل اليدوية في هذه العملية، وما أن سمع مجاهدو سرايا القدس بنبأ الاشتباك حتى أسرع الأبطال سعيد طوباسي وباقي المجاهدين للتوجه إلى منطقة الاشتباك لنصرة المجاهد أسامة فوجدوه في تلك الليلة في يوم 04/ 03/ 2001م مضرجًا بدمائه؛ لتزفه سرايا القدس شهيدًا إلى العلا، فكان الشهيد الأول لسرايا القدس في مخيم جنين وتم تشييع جثمان الشهيد وسط مشاركة عشرات الآلاف من أهالي محافظة جنين، يتقدمهم

قادة وكوادر وأبناء سرايا القدس، وما أن وصل موكب التشييع مقبرة الشهداء في وادي برقين وبعد الانتهاء من دفن الشهيد حتى عمد المجاهدان سعيد طوباسي وإياد المصري إلى حجز قبرين لهما في مقبرة الشهداء، وأكد بذلك المجاهد سعيد طوباسي أنه على درب الشهداء لسائر، وأنه لم ولن يتوانى عن خدمة دين الله عز وجل وحمل راية الجهاد والمقاومة للوصول للتحرير.

وبدأت سرايا القدس توسع نشاطها العسكري وبدأ أعداد مجاهدي سرايا القدس بالازدياد، فقرر جهاز الشاباك الصهيوني أن يغتال المجاهد الكبير إياد حردان والذي كان وقتها معتقلًا عند أجهزة السلطة الفلسطينية الأمينة في مقر المقاطعة في جنين حيث تم زرع عبوة ناسفة صغيرة الحجم في غرفة الاتصال العمومي الموجودة أمام مقر المقاطعة في مدينة جنين والتي اعتاد المجاهد إياد حردان الاتصال منها على عائلته، وما أن سمع دوي الانفجار وانتشر خبر استشهاد المجاهد إياد حردان حتى خرجت الجماهير الحاشدة من كل مناطق جنين وبعشرات الآلاف، يتقدمهم عشرات المقاومين من أبناء سرايا القدس وعلى رأسهم المجاهد ثابت مرداوي ومحمود طوالبة والحاج علي الصفوري وسعيد طوباسي ليؤكدوا للعالم بأن هذا الشهيد هو عبارة عن اللهب الذي يسري في عروق الأمة، وما ينزف في هذه التضحيات هو عبارة عن الدم الذي يروي الصحراء العربية من الخليج إلى المحيط، وانتفض الشعب شبابًا ونساءً وشيوخًا وأطفالًا يطلقون الأقمار في ليل الأمة الأسود.

مكان اغتيال الشهيد القائد/ إياد حردان
أمام أحد مقرات السلطة بمحافظة جنين

فاكتب يا إياد حردان بدمائك على أسوار وجدران الحارات والشوارع والمخيمات والمدن كلمات النور الخالدة، وامض فإخوانك في سرايا القدس المرداوي والطوالبة والصفوري والطوباسي على دربك لسائرون حتى تجلل خارطة الوطن بالعز والفخار وتشع نورًا من دماء الأحرار، وجاء الرد السريع من قبل إخوة الشهيد القائد إياد حردان في سرايا القدس عبر عملية استشهادية مزدوجة في قلب الكيان الصهيوني في وسط مدينة الخضيرة بتاريخ 25/ 05/ 2001م، حيث نفذ الاستشهاديان علاء صباح وأسامة أبو الهيجاء العملية عبر سيارة مفخخة تزن عشرات الكيلو غرامات من المتفجرات

ليعيدا للوطن هويته المسلوبة وللقدس بهجتها وللمقاومة حيويتها ونشاطها، فكانا نعم الشهيدان، كيف لا وقد تربيا في مساجد الرحمن وبصحبة المجاهد سعيد طوباسي الذي كان قد سهر معهم ليلة العملية ليحدثاه عن الحور العين والجهاد في سبيل الله وكأنه شعر أنهم مفارقون. وما أن هما بالعودة إلى منازليهما حتى ودعهما واحتضنهما مطولًا.. فيا شوقاه للأحبة محمدًا وصحبه! وما أن شوهد المجاهد سعيد بصحبة الشهيدين المجاهدين علاء وأسامة قبل يوم من العملية حتى ساد الانطباع العام لأهالي مخيم جنين أن للمجاهد سعيد طوباسي علاقة بهما، فبدأ جهاز المخابرات الفلسطينية وجهاز الأمن الوقائي الفلسطيني يجلسان مع المجاهد سعيد ويقدمان له النصائح بعدم العمل العسكري وأن هذه الانتفاضة ستنتهي خلال أشهر قليلة. وتم تحريض عائلة المجاهد سعيد لتجبره على التوقف عن العمل في صفوف سرايا القدس، فما كان من المجاهد سعيد إلا أن يقول لهم جميعًا: "إنني عرفت الطريق، طريق الجهاد في سبيل الله فأصبحت أحرص على الموت في سبيل الله كما يحرص غيري على الحياة، واعلموا أني لن أنافق ولو وضعوا بكفي المغارب والمشارق، فيا دافني رؤوسكم مثل النعام تنعموا وتنقلوا بين المبادئ اللقالق ودعوا البطولة لي وحدي فأنا لن أنافق". وبهذه الكلمات الرائعة والمعبرة والتي سيسجلها التاريخ لتكون نبراسًا للأجيال ومشاعل هداية الأمة بدأ المجاهد سعيد يجوب شوارع جنين ومخيمها محرضًا الشباب على الإقدام والتضحية والفداء لينضموا إلى صفوف سرايا القدس، إلى تلك الثلة المؤمنة من الذين لم يلتفتوا إلى الدنيا وزخارفها وزينتها ولا يلتفتوا إلى الوراء، ويقولوا:

أبشر فهذه أمتي ولدت
جيلًا يرتل سورة العصر

أبشر فأنا جيل نصرتكم
جئنا نرتل سورة النصر

أعاد المجاهد سعيد طوباسي نشاط المجموعة القديمة ومجاهدين جدد ومنهم المجاهدون (مصطفى أبو سرية، عبد الله الوحش، عبد الكريم أبو ناعسة، يوسف سويطات، إبراهيم السعدي، عبد الكريم السعدي وعلاء السعدي (الزرعي)، وشادي العموري) ممن لا تفتر لهم همة مهما كانت المصاعب كبيرة، ولا تلين لهم عزيمة مهما كانت الطريق وعرة، لتنطلق سرايا القدس بحلتها الجديدة، وبقيادة راشدة، بقيادة المجاهدين ثابت مرداوي ومحمود طوالبة والحاج علي الصفوري في مرحلة جديدة من الكفاح المسلح عبر سلسلة من العمليات النوعية التي زلزلت الأرض من تحت أقدام بني صهيون، فكان لتلك المجموعة الجهادية بقيادة محمود طوالبة وسعيد طوباسي فضل كبير في تزويد السرايا بالشباب المجاهد الذين نفذوا فيما بعد أهم وأبرز عمليات سرايا القدس، فهنا يكمن سر الصلاة والمواظبة عليها كما فعلت هذه المجموعة، فكانت الصلاة هي سر الأخلاق العالية والفضائل الحميدة فزاد من قناعات أبطال سرايا القدس بأن طريق الجهاد والفداء والاستشهاد هو فرض عين، وأن الصهاينة هم ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: 82]، وأنهم قتلة الأنبياء والمرسلين.

فقد عادت بهم الذاكرة الإسلامية إلى ذلك التاريخ في صدر الإسلامي وإلى منهاج الإسلام في تربية المجاهدين يوم كان المسجد هو الميدان الذي يتربى فيه أبطال الفداء والاستشهاد. يوم كان قيام الليل هو صانع المجاهدين الذين هم ﴿أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:6]. لذلك آمن أبطال سرايا القدس بأن الطريق الوحيد المفضي إلى إحدى الحسنيين: الصبر وقهر العدو وتحرير القدس وفلسطين، أو الشهادة التي لا يَعدلها مقام في المثل العليا للمؤمنين بالإسلام. وكيف لا؟ والشهيد هو اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، والشهيد هو الذي يُقتل في سبيل الله وقد سمي بذلك؛ لأن الملائكة تشهده وتحضره ساعة استشهاده؛ ولأنه يشهد ما أعده الله له من النعيم المقيم عند أول قطرة دم تسيل من جسده.

فإن أعداءه أموات حتى ولو كانوا ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: 96]. أية حياة؟ بينما الشهيد هو حي عند الله حتى ولو غادر هذه الحياة الدنيا إلى الدار التي هي خير وأبقى. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:169].

فأثمر كل ذلك على هذه المجموعة الجهادية في سرايا القدس تنفيذ المجاهد محمد محمود بكر نصر من بلدة قباطية في جنين بتاريخ 12/ 08/ 2001م عملية استشهادية في "كريات موتسكين" في حيفا أوقعت عشرات الإصابات، وأتبعتها سرايا القدس بعملية أخرى في قلب مدينة الخضيرة المحتلة ردًا على اجتياح مدينة ومخيم جنين بتاريخ 11/ 09/ 2001م والذي استشهد فيه خيرة المجاهدين في مدينة ومخيم جنين ومنهم المجاهد إياد المصري الصديق الحميم للمجاهد سعيد طوباسي، والذي كان له الفضل في تدريب المجاهد سعيد على إطلاق النار، والآن هذه العملية التي نفذها الاستشهاديان يوسف سويطات ونضال الجبالي من مخيم جنين بتاريخ 28/ 10/ 2001م والتي أدت إلى مقتل وإصابة العديد من الصهاينة في مدينة الخضيرة بالداخل المحتل. واستمر نشاط سرايا القدس ليتوج بعملية استشهادية مزدوجة بين سرايا القدس وكتائب شهداء الأقصى في مدينة العفولة بتاريخ 27/ 11/ 2001م والتي نفذها الاستشهاديان الصديقان للمجاهد سعيد وهما مصطفى أبو سرية وعبد الكريم أبو ناعسة مؤكدين بذلك أن فلسطين بحاجة إلى تضافر الجميع لحمايتها وتحريرها.

العدو يتعقبه

استمر نشاط المجاهد سعيد طوباسي جنبًا إلى جنب مع قادة وكوادر وأبناء سرايا القدس حتى إنه أحضر ابن عمه سمير طوباسي للمجاهد محمود طوالبة لتنفيذ عملية في الداخل المحتل إلا أن هذه العملية قد تم إحباطها واعتقال المجاهد سمير طوباسي على أيدي قوات الاحتلال الصهيوني ليصبح على أثرها المجاهد سعيد طوباسي من المطلوبين الخطيرين للعدو الصهيوني، ليكون إلى جانب المجاهد محمود طوالبة بعد أن استطاع الهروب من سجن المقاطعة التابعة للسلطة الفلسطينية في مدينة نابلس، كما أن شهر نوفمبر (تشرين ثاني) من العام 2001م كان صعبًا ومؤلمًا للمقاومة الفلسطينية فقد اعتقلت الأجهزة الأمنية للسلطة الفلسطينية

العديد من مجاهدي سرايا القدس في الضفة الغربية حيث تم حينها اعتقال المجاهد محمود طوالبة والمجاهد علي الصفوري والمجاهد محمد أبو طبيخ،

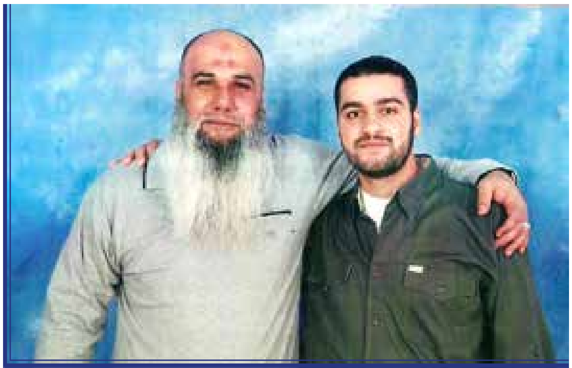

الأسير القائد/ سعيد طوباسي (يمين)
برفقة الأسير القائد/ علي السعدي

وما أن خرج هؤلاء الأبطال من سجون السلطة الفلسطينية حتى بدأت سرايا القدس بإعادة نشاطها العسكري، وتمثل ذلك بالعملية التي أشرف عليها المجاهد علي الصفوري والتي جاءت حينها لتؤكد للسلطة الفلسطينية بأن هنالك من حركة فتح وبقية الفصائل لا تزال تؤمن بالنهج المسلح، وأن مسار التسوية قد ولى زمنه، وأن هذا الزمان هو للمقاومة الفلسطينية ولأبطال سرايا القدس، وخاصة الجنرال محمود طوالبة الذي ما أن خرج بالقوة من سجن المقاطعة في نابلس ووصل إلى مدينة جنين حتى خرج أهالي مخيم جنين بشيوخها ورجالها ونسائها وشبابها لاستقبال هذا المجاهد الكبير الذي ألهب مشاعر وعواطف الناس، فقذف الله في قلوب الناس محبة هذا المجاهد ليبدأ مرحلة جديدة من حياته بصحبة المجاهدين محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي حيث استطاع المجاهد محمد أبو طبيخ جعل منزل عائلته في مخيم جنين مقرًا لسرايا القدس، ومكانًا يتم فيه تصنيع المتفجرات وبذل المجاهدان محمود طوالبة ومحمد أبو طبيخ أقصى جهد ممكن لتصنيع المتفجرات من نوع (يوريا)، وكانا يعملان من ساعات الصباح الأولى وحتى منتصف الليل من أجل تأمين كمية المتفجرات المطلوبة لتصنيع الأحزمة الناسفة والعبوات الناسفة والأكواع، مما أفاد المجاهدين في معركة مخيم جنين الأسطورية، وكان يتوافد عليهما العديد من المجاهدين من كل الفصائل الفلسطينية سواء من أبناء حركة حماس أو من حركة فتح لرؤية هذا المصنع وآلية التصنيع المتبعة.

وما أن جاء شهر مارس (آذار) من العام 2002م حتى بدأ الجيش الصهيوني يتحدث عن اجتياح لمخيم جنين من أجل إحباط العمليات الاستشهادية قبل وقوعها، بالإضافة إلى تدمير البنية التحتية للمقاومة الفلسطينية، وبدأ مجاهدو سرايا القدس الاستعداد للمواجهة إلا أن هذا الاجتياح كان محدودًا حيث جرى اتفاق بين السلطة الفلسطينية وبين الجيش الصهيوني مفاده أن يخرج المسلحون من مخيم جنين باتجاه المدينة وفي المقابل يتم انسحاب الجيش الصهيوني من مخيم ومحيط مخيم جنين، ووافق الجميع على ذلك باستثناء المجاهد محمود طوالبة وعبد الرحيم فرج وسعيد طوباسي وبعض المجاهدين من الذين رفضوا الخروج من مخيم جنين، حيث دار نقاش وحوار بين المجاهد محمود طوالبة وبين الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الدكتور رمضان عبد الله شلَّح حول خروج المجاهد محمود من المخيم،

وأراد الدكتور رمضان من محمود طوالبة أن يخرج المسلحين إلى مدينة جنين خوفًا عليه من الاعتقال أو الاغتيال، وقال الأمين العام: "يا شيخ محمود إن الحرب كَرّ وَفَرّ". فأجابه المجاهد محمود: "نعم إنها كَرّ ولكن لن تكون فَرّ إن شاء الله".

العمليات الاستشهادية في العمق الصهيوني

وما أن انسحب العدو الصهيوني من مخيم جنين ومدينتها حتى بدأت العمليات الاستشهادية تضرب العمق الصهيوني في الخضيرة والعفولة و"نتانيا" و"تل أبيب" والقدس حيث استطاعت سرايا القدس في الضفة الغربية وتحديدًا في شهر مارس (آذار) من العام 2002م تنفيذ العديد من العمليات الاستشهادية، فكان منها في تاريخ 05/ 03/ 2002م حيث نفذ الاستشهادي عبد الكريم طحاينة عملية استشهادية في مدينة العفولة المحتلة، وكذلك نفذ الاستشهادي أكرم نبتيتي من سكان بيت لحم عملية استشهادية بتاريخ 17/ 03/ 2002م في التلة الفرنسية بالقدس المحتلة، وكذلك نفذ الاستشهاديان علي حلاحلة ونبيل النتشة من سكان الخليل عملية استشهادية مزدوجة بتاريخ 20/ 03/ 2002م داخل مغتصبة "بيت شيمش" في الخليل، وقام المجاهد الاستشهادي رأفت أبو دياك بعملية استشهادية نوعية في وادي عارة بتاريخ 20/ 03/ 2002م، وكان الصديق الحميم للمجاهد محمد أبو طبيخ، وأقدمت حركة حماس على تنفيذ عملية نوعية كبيرة وهي عملية بارك والتي أدت إلى مقتل ثلاثين صهيونيًا ونفذها الاستشهادي عبد الباسط عودة بتاريخ 27/ 03/ 2002م، وكذلك أتبعتها بعملية استشهادية في 31/ 03/ 2002م نفذها الاستشهادي شادي طوباسي ابن عم المجاهد سعيد طوباسي والذي كان له الفضل في أن سهل له ظروف هذه العملية.

العدو يرد بعملية السور الواقي

جُنّ جُنون شارون رئيس الحكومة الصهيونية، وقرر إلى جانب وزرائه في الحكومة الصهيوني تنفيذ عملية واسعة النطاق تتمثل في عملية السور الواقي عبر اجتياح كامل الضفة الغربية وخاصة اجتياح مخيم جنين، وكان هذا الاجتياح هو الاجتياح الخامس لمخيم جنين منذ بداية انتفاضة الأقصى، وقد حشد الجيش الصهيوني حوالي 5 آلاف جندي صهيوني وحوالي 500 آلية عسكرية في مساحة كيلو متر مربع هي مساحة مخيم جنين الذي يضم نحو 15 ألف نسمة معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال فضلًا عن بضع عشرات من المقاتلين الفلسطينيين، وربما لم يتجاوز عدد المقاتلين مائة مقاتل!

وما أن بدأ الجيش الصهيوني بالتحرك عبر دباباته وآلياته العسكرية باتجاه الضفة الغربية وخاصة باتجاه مخيم جنين بدأ المجاهدون الأبطال في مخيم جنين ومن كافة الفصائل الفلسطينية بالإعداد والاستعداد للمواجهة المفترضة مع هذا العدو الصهيوني، وبدأ التخطيط المحكم من قبل الفصائل الفلسطينية، وبدأ قادة الجهاد الإسلامي في مدينة جنين من الجناح السياسي للحركة بالعمل على تزويد المجاهدين وإمدادهم بالمال والطعام

والشراب لتعزيز صمودهم في المعركة، وبدأ المشايخ في مخيم جنين بالمناداة عبر ميكروفونات المساجد مطالبين المجاهدين برص الصفوف والوحدة الوطنية، وبدأ أطفال مخيم جنين يسيرون بشوارع وأزقة وحارات المخيم وهم يقرعون طبول الحرب ويهتفون طوالبة، طوالبة، طوالبة". وأصبح مخيم جنين خلال أيام مستعدًا لمواجهة العدو الصهيوني حيث استطاع المجاهدان محمود طوالبة ومحمد أبو طبيخ والمجاهد محمد جرار مضاعفة كميات المتفجرات وبسرعة لم يكن يتوقعها أحد، ولكنها الإرادة والعزيمة. وفي ليلة الاجتياح طلب المجاهد محمود طوالبة من المجاهد محمد أبو طبيخ عدم البقاء في مخيم جنين، وأن عليه الخروج إلى مكان آمن حيث إن جميع أسرار المجاهد محمود طوالبة العسكرية موجودة لدى المجاهد محمد أبو طبيخ،

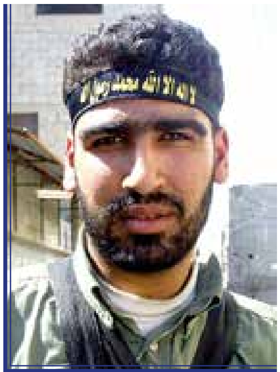

الشهيد القائد/ محمود طوالبة
قائد ملحمة مخيم جنين
(نيسان 2002م)

وبعد نقاش استمر طويلًا وبضغط من قادة الجناح السياسي للحركة وافق المجاهد محمد أبو طبيخ على الخروج من مخيم جنين ليكون له الدور الكبير ما بعد الاجتياح، فكان من المجاهدين القليلين ممن يستطيعون صناعة المتفجرات، فقام حينها المجاهد محمد أبو طبيخ بتوديع رفيق دربه المجاهد محمود طوالبة وهو يعلم أنه لن يراه مرة أخرى. وبدأ مجاهدو سرايا القدس بوضع اللمسات الأخيرة على التجهيزات اللوجستية والعسكرية حيث تم زرع العبوات الناسفة على مداخل مخيم جنين، وتم تجهيز كمية الأكواع المطلوبة ومن كافة الفصائل، وتم توزيعها على جميع المجاهدين في المخيم، وتخزين كميات كبيرة من الطعام والشراب حيث إن خوض الحروب ليس نزهة، وإن السباحة عكس التيار يلزمها التخطيط والذكاء والإعداد وحسن القيادة واستغلال الثغرات وتحييد المشاكل الثانوية والحرص على الوحدة الوطنية، وهذا ما جسده المجاهد سعيد طوباسي إلى جانب مجاهدي سرايا القدس على أرض الواقع، حيث حرص في ليلة الاجتياح على دعوة قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية في مخيم جنين إلى التمسك بحبل الله المتين والصلاة جماعة في المسجد وقيام الليل والقنوت، والحرص على الدعاء والتمكين للمجاهدين، والأهم التوبة إلى الله عز وجل، فكان المجاهد سعيد طوباسي وإخوانه نموذجًا للرجال الذين يقيمون الليل ويصومون النهار ويخشون الله عز وجل، ويكونون وحدهم في الليل بصحبة الله عز وجل في ظل دعاء وخشوع وبكاء، وهذا البكاء لهو خير دليل على أن خوف الله في القلوب طرد الخوف ممن سواه، وصار متربعًا على عرش القلب لا ند له ولا شريك ولا خوف ولا وجل ولا توكل ولا رغبة ولا تعلق إلا بالله وحده الذي تتصدع الجبال إذا نزل عليها كلامه، وتوجل القلوب وتنفطر إذا تليت عليها آياته. لذلك نرى أن الله عز وجل قد أحب المجاهد سعيد طوباسي وإخوانه في سرايا القدس فحبب فيهم خلقه، فالزهر يحن إلى شجونهم والكون يطرب لشدوهم والأرض عطشى إلى

دمعهم. وصدق فيهم قول الشاعر:

بكى الباكون للرحمن ليلًا
وباتوا ليلهم لا يسأمونا

بقاع الأرض من شوق إليهم
تحن متى عليها يسجدونا

الاستعداد لقتال العدو

وما أن بدأ أئمة المساجد بالتكبير والتهليل والإنشاد والدعاء حتى بدأت الاستعدادات وتقسيم المجموعات من كافة الفصائل إلى المناطق الغربية والشرقية ووسط مخيم جنين، بالإضافة إلى منطقة الجابريات، وأماكن نقاط الاحتكاك مع العدو الصهيوني حتى لا يكون هناك ثغرات يتسلل منها العدو الصهيوني إلى مخيم جنين، فكانت المجموعة الغربية تضم المجاهدين محمود طوالبة وسعيد طوباسي ونسيم العموري، وتعتبر هذه المنطقة من أهم وأخطر الأماكن. وبدأت الاشتباكات العنيفة في كافة محاور مخيم جنين واشتدت المعركة واشتد القصف الصهيوني للمنازل، وتم محاصرة عدد من الجنود الصهاينة في المنطقة الغربية حيث بدأ المجاهدون محمود طوالبة وسعيد طوباسي بإمطارهم بزخات من الرصاص والقنابل اليدوية وهم يهتفون الله أكبر، الله أكبر. وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.. فإذا الجنود الصهاينة الذين يفتخرون أمام العالم بأن الجيش الصهيوني جيش قوي ولا يقهر يقهرون ويبكون ويصرخون ويتوسلون أمام المجاهدين الربانيين طوالبة وطوباسي حتى لا يقتلوهم. فهؤلاء رجال سرايا القدس الذين لا يخافون الموت بل يسارعون إليه.

واستطاعت فرقة من مقاتلي جهاز الأمن الوطني الفلسطيني الانضمام إلى مجموعة المجاهدين محمود طوالبة وسعيد طوباسي ونسيم العموري للقتال إلى جانبهم في الحارة الغربية من المخيم، وبعد أن حصل بينهم التعارف الأخوي والجهادي انتبه المجاهد سعيد طوباسي أن أحد أفراد الأمن الوطني واسمه طارق لا يصلي معهم، فأراد أن يبذل كل جهد ممكن رغم القصف الصهيوني ورغم اشتداد المعارك لهداية الشاب طارق لا لشيء إلا لأن المجاهد سعيد طوباسي استطاع لفطرته السليمة أن يعي ماذا يعني قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]. وما هي إلا أيام حتى بدأ البطل طارق في تأدية الصلاة ودعا الله أن يغفر له ويرحمه ويتقبله شهيدًا، وإذا به بالفعل يلقى الله شهيدًا. وما أن سمع المجاهد سعيد طوباسي بخبر استشهاده حتى بكى عليه كثيرًا وحمد الله وشكره على هداية هذا البطل طارق قبل استشهاده. فهكذا هي أخلاق مجاهدي سرايا القدس أمثال المجاهد سعيد طوباسي.

وتوالت الأحداث في معركة جنين ليُسمع نبأ استشهاد البطل زياد العامر أحد أهم قادة كتائب الأقصى في مخيم جنين، والذي كان له دور كبير في رفع معنويات المجاهدين في معركة المخيم، مما جعل المجاهدين في مخيم جنين يعيدون لملمة الجراح وترتيب الصفوف من جديد وتقسيم المجموعات وتبادل أفرادها والأماكن والمهمات لمنع دخول العدو الصهيوني إلى قلب مخيم جنين في حارة الحواشين. واستمر القصف العشوائي لطائرات

الأباتشي لمنازل مخيم جنين. وفي إحدى الليالي حالكة الظلام تم إطلاق نحو 90 صاروخًا باتجاه مواقع المقاومين الفلسطينيين في مخيم جنين، ليرتفع عدد الشهداء الذين أحبهم المجاهد سعيد فأصبح في كل يوم من أيام الاجتياح يودع حبيبًا وصديقًا ومجاهدًا بثياب الدم التي تنطلق من خلالها رائحة الورود والياسمين. وربما كان يستطيع المجاهد سعيد طوباسي توديع الأحبة وأحيانًا كثيرة لم تكن تسمح مشيئة الله حتى برؤيتهم قبل الرحيل.

وفي هذه الأثناء بدأت قوات الاحتلال الصهيوني بالتقدم نحو حارة الحواشين وقد سقطت العديد من مواقع الاستحكام للمجاهدين في منطقة الجابريات والحارة الشرقية والغربية، فانتقل حينها المجاهد سعيد طوباسي من الحارة الغربية إلى منطقة الحواشين ليجتمع هناك بالمجاهدين عبد الله الوحش وعبد الهادي العمري وعلي القنيري وعبد الرحيم فريحات وغيرهم من المجاهدين. وبدأت المعركة تشتد أكثر فأكثر على المجاهدين ليبدأ المجاهد سعيد وبقية المجاهدين بالانتقال من بيت إلى آخر للحفاظ على أنفسهم من الاعتقال أو الاغتيال حيث قاموا بفتح ثغرات في الجدران بالإضافة إلى التحرك في النهار والاختباء ليلًا. فاستفاد المجاهدون من ذلك عبر تحركاتهم اليومية مما جعل العدو الصهيوني يصرح أنهم يقاتلون مجاهدين مدربين ومحنكين عسكريًا، وما كان من أهالي وعائلات مخيم جنين إلا احتضان المقاومة الفلسطينية والتضحية بأملاكهم وبيوتهم ومحلاتهم وأنفسهم من أجل المقاومة الفلسطينية، حتى إن النساء كان لهن دور فعال في معركة مخيم جنين،

الأسير القائد/ سعيد طوباسي
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

فكان المجاهد سعيد طوباسي يطلب مساعدتهن في نقل المصابين بين المنازل إضافة إلى قيامهن بمداواة الجرحى ومساعدة المجاهدين في تزويدهم بالأخبار وأماكن تواجد العدو الصهيوني، فهذه هي المرأة الفلسطينية المجاهدة، فهي الأم وهي الزوجة وهي الدكتورة وهي المجاهدة وهي الاستشهادية وهي التي تدفع أبناءها للجهاد في سبيل الله، وهناك العديد من القصص حول صبر وجلد وجهاد النساء وهن يُعِدْن كتابة التاريخ من جديد بالدماء والدموع، وهن ينسجن خارطة وعلم الوطن في الليالي الحالكة الظلمة وحامية الوطيس.

اشتداد المعركة

واشتدت المعارك وبلغت القلوب الحناجر، وبدأت جرافات الاحتلال بهدم البيوت على من بها لتعلو صيحات الله أكبر، حي على الجهاد، حي على الجهاد. وتقدمت جموع الذئاب المفترسة المجرمة من جنود الاحتلال ليهاجموا شعبًا أعزل إلا من إرادته وصموده وتجذره في أرضه وهو يتحلى بإيمانه وحجارته ورصاصه التي تحولت إلى قذائف تزلزل قلوب العدو الصهيوني، مما جعلهم أشبه بالوحوش الضارية، واستمر القصف العنيف والمكثف على أي شيء يتحرك حتى لو كان ظلًا لشجر أو حجر أو بشر، فأصر المجاهد سعيد على مساندة إخوانه المجاهدين في المعركة الدائرة في قلب حارة الحواشين لاسيما أن ذخيرتهم بدأت تنفذ، وعندها افترق المجاهد سعيد عن إخوانه المجاهدين محمود طوالبة ونسيم العموري وكان قد حصل على شنطة متفجرات من المجاهد محمود طوالبة ليفجر نفسه في الجنود الصهاينة في حال تم حصاره وإلقاء القبض عليه، وكان قد كتب وصيته وسلمها إلى أحد المجاهدين وهو المجاهد محمد طزازعة من بلدة قباطية، فأي صورة مشرقة هذه للمجاهدين؟ فإذا كان للتاريخ أن يُسجل مواقف العظماء ويكتب في صفحاته الخالدة بطولات فليقف التاريخ اجلالًا واكبارًا لهؤلاء المجاهدين.

استشهاد القائد محمود طوالبة

وما هي إلا فترة وجيزة حتى جاء الخبر الأصعب على حياة المجاهد سعيد طوباسي وهو خبر استشهاد المجاهد الكبير أحد أبرز قادة سرايا القدس في مدينة جنين وجنرال مخيم جنين الشهيد محمود طوالبة والذي بكاه المجاهد سعيد وأبكى المجاهدين من حوله، واهتزت قلوب المجاهدين لهول المصيبة فكيف يستشهد أحد أهم ركائز المقاومة الفلسطينية في هذه المعركة؟! مما جعل المجاهدين يردون بكل قوة ممكنة على هذا العدو الصهيوني عبر خوض الاشتباكات المسلحة من نقطة الصفر أحيانًا. وعلى الرغم من ضآلة إمكانيات المقاومة الفلسطينية أمام الآليات الصهيونية المتقدمة فإن ما حدث من اشتباكات عنيفة في اليوم الثامن جعل العقيد الصهيوني إياك شالاين قائد القوات الصهيونية في منطقة جنين يُصرح لصحيفة معاريف: "لاشك أنهم (المقاومون) قد أعدوا أنفسهم بشكل جيد لمقاومتنا ويبدو أنهم يتمتعون بمعنويات عالية". وفي هذه الفترة كان الجيش الصهيوني قد حشد عشرات آلاف الضباط والجنود والدبابات مع إسناد جوي مقابل كل مجاهدي مخيم جنين، واشتد القصف الصهيوني على مواقع المجاهدين وبدأت جرافات الجيش الصهيوني بتجريف المنازل من كل مكان للوصول إلى قلب مخيم جنين في حارة الحواشين.

لا خيار إلا الصمود في القتال

وبدأ النقاش والحوار بين المجاهدين حول جدوى المقاومة في ظل القصف الصهيوني من الطائرات وفي ظل وجود الجرافات الصهيونية، فكانت الآراء منقسمة بين المجاهدين ما بين مؤيد للاستسلام للحفاظ على الأرواح المتبقية من المجاهدين، وما بين الرفض المطلق لذلك حتى

ولو دفن المقاومون وهم أحياء تحت الأنقاض، فما كان من المجاهد سعيد إلا أن يحدث المقاومين عن أهمية الصبر والصمود في معركة مخيم جنين، مذكرًا إياهم بتجارب عالمية حيث إنه في الحرب العالمية الثانية خسر الاتحاد السوفيتي عشرين مليون قتيل وستين مليون مصاب وثلثهم عاش في إعاقة دائمة وكل ذلك من أصل 120 مليون مواطن في ذلك الوقت، لذلك اعلموا أيها المجاهدون بأنه بالرغم من ضخامة الخسائر الكبيرة فقد كان للروس بالمقابل انجازات عظيمة وصمدوا صمودًا ملحميًا وأسطوريًا أوقفت العدوان، واستمر المجاهد سعيد يحدث المجاهدين عن فضل الجهاد والاستشهاد والصبر في الساعات الأخيرة إلا أن حال مخيم جنين أصبح لا يَسُرّ صديقًا ولا يغيظ عدوًا حيث باتت معظم المنازل مهدمة، وبدأت المقاومة يتراجع أداؤها شيئًا فشيئًا، ولكن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 6].

العملية الاستشهادية التي رفعت معنويات المقاومين

خرج المجاهد الاستشهادي راغب جرادات ابن بلدة سيلة الحارثية من محافظة جنين وبتاريخ 10/ 04/ 2002م من مدينة جنين التي يحاصرها الجيش الصهيوني بكافة دباباته وجنوده ومجنزراته وتسلل من بينهم مصحوبًا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]، مرتديًا حزامًا ناسفًا حيث توجه إلى قلب الكيان الصهيوني في منطقة الياجور في حيفا وصعد إلى إحدى الحافلات الصهيونية المليئة بالجنود الصهاينة ليقف بينهم قائلًا: بسبب اجتياحكم للضفة الغربية وقتلكم للأطفال والنساء والشيوخ وارتكابكم للمجازر وخاصة في مخيم جنين، فإن سرايا القدس تؤكد لكم أن هذا الأمر لن يمر بدون حساب، وها أنا قد جئتكم بالرعب واعلموا أنكم قد حولتم بلادنا إلى مقابر وزرعتم الرصاص في رؤوسنا وفعلتم المجازر، فيا أيها الصهاينة لا شيء هكذا يمر دون حساب، فكل ما صنعتم في مخيم جنين مسجل على دفاتر، وفجر نفسه في داخل الحافلة لتعلو روحه إلى بارئها لتحمله ملائكة الرحمة إلى جنات الخلد، لينعم بالخير الذي وعده الله عباده الشهداء، وأوقعت هذه العملية عشرات القتلى والجرحى في صفوف الجنود الصهاينة الذين كانوا متوجهين لمساندة الجيش الصهيوني في معركة جنين.

الاستشهادي/ راغب جرادات
استشهد بتاريخ 10/ 04/ 2002م

وما أن علم المجاهدون بهذا الخبر حتى ارتفعت معنوياتهم وبدأ التكبير والتهليل، وعلم المجاهدون حينها أن سرايا القدس واستشهادييها أمثال المجاهد الاستشهادي راغب جرادات يسعون جاهدين لفك الحصار عن مخيم جنين، وجن جنون العدو الصهيوني وخاصة رئيس الحكومة الصهيوني أرئيل شارون ووزير حربه المجرم بنيامين بن اليعزر، فعلى الرغم من الحصار الشديد لمدينة جنين وأخذ الاحتياطات الأمنية المشددة لم يكن ذلك ليمنع وقوع العملية الاستشهادية، مما جعل الجيش الصهيوني يأخذ قراره بتكثيف الضربات الجوية على المجاهدين، وأصدروا قرارًا للجرافات الصهيونية بهدم المخيم على ساكنيه، وكان لا يزال على قيد الحياة من المجاهدين بضعة عشرات من الأبطال انقسموا إلى مجموعتين الأولى كانت في منزل حسن أبو طبيخ وضمت كلًا من المجاهدين (سعيد طوباسي، عبد الله الوحش، عبد الرحيم فريحات، عبد الهادي العمري، معتصم أبو السباع، وائل أبو السباع، علي القنيري، زكريا الزبيدي، عماد النشرتي) وغيرهم من المجاهدين الذين رفضوا الاستسلام للعدو الصهيوني، واستطاعوا التواري عن أنظار العدو الصهيوني، بينما المجموعة الثانية وفي مقدمتهم (ثابت مرداوي، الحاج علي الصفوري، وقائد كتائب شهداء الأقصى جمال حويل) وغيرهم من الأبطال وكان عددهم 27 مجاهدًا رفضت في البداية الاستسلام للعدو الصهيوني رغم أن الجرافات كانت تحيط بها من كل جانب، وفي هذه الفترة كان الجيش الصهيوني وبعد عشرة أيام من اجتياح مخيم جنين حول المخيم إلى كتلة من الدمار والخراب، وكان المنظر أشبه بالزلزال وأصبح من تبقى من المجاهدين المحاصرين لا حول لهم ولا قوة، ووصل في ذلك الوقت أن حزب الله أعلن عن مبادرته لمبادلة المحاصرين الفلسطينيين بالعقيد الصهيوني الأسير لدى حزب الله حنان تانينباوم، وكان لهذا الأمر أثر عظيم في لفت أنظار الهيئات الحقوقية والإنسانية وجميع وسائل الإعلام في العالم، ولاسيما عندما استطاع المجاهد جمال حويل الحديث على قناة الجزيرة الإخبارية وذكر لهم ما آلت إليه الأمور في مخيم جنين، وطلب من جميع أحرار العالم أن يقرأوا الفاتحة عليهم حيث إن الجرافات الصهيونية سوف تقوم بهدم المنزل عليهم ودفنهم تحت الركام وهم أحياء.

المفاوضات للخروج من الحصار

وما هي إلا ساعات حتى بدأت المفاوضات بين المجاهدين وبين الجيش الصهيوني حيث قام الجيش الصهيوني بإرسال جهاز لاسلكي للمجاهدين المحاصرين للحديث معهم والاتفاق على آلية الاستسلام، وأراد الجيش الصهيوني حينها فرض شروط المنتصر عليهم إلا أن هؤلاء المجاهدين رفضوا الانصياع لشروط الجيش الصهيوني، وفي نهاية الأمر تم الاتفاق على خروج المجاهدين من المنزل بحيث لا يتعرض لهم أحد بالضرب، أو أن يطلق عليهم الرصاص وأن يتم معاملتهم حسب اتفاقية جنيف الرابعة، وألا يتم إجبارهم على خلع ملابسهم، أو تعصيب أعينهم حتى لا يتمكنوا من رؤية شيء، وأضافوا لذلك أنهم طلبوا أن يلقوا نظراتهم حول محيط المنزل الذي كانوا يتحصنون فيه حتى يروا ما آل إليه مخيم جنين بعد أيام

قاسية وصعبة ودامية وشبه مستحيلة دارت في مخيم جنين، وما أن خرجوا من المنزل حتى وجدوا أن ما حدث في مخيم جنين هو ترجمة عملية للفكر الصهيوني الذي تولى شارون وجيشه تنفيذه من خلال حملات القتل المنظم والإعدام دون محاكمة والاعتقال العشوائي ومنع تقديم الأغذية والدواء للمحاصرين ومنع تسليم جثث الشهداء وتسوية المنازل بالأرض.

غدر العدو ونقضه للاتفاق

وبعد اعتقال هؤلاء المجاهدين الـ 27 وفي مقدمتهم الأسير القائد ثابت مرداوي والأسير القائد الحاج علي الصفوري ظن العدو الصهيوني أن المعركة قد انتهت وأنه استطاع اعتقال آخر مجموعة جهادية في مخيم جنين ليتفاجأ أن المجموعة التي تحصنت في منزل حسن أبو طبيخ قد كُتب لها النجاة من القتل والاعتقال وكانت تضم المجاهد سعيد طوباسي وإخوانه،

الأسيران القائدان/ ثابت مرداوي وعلي السعدي
لحظة الأسر في معركة مخيم جنين (نيسان 2002م)

وما أن أعلن الجيش الصهيوني عن رفع الحصار عن مخيم جنين وعلمت هذه المجموعة بالأمر حتى خرجوا من المنزل الذي يتواجدون فيه وهبوا مسرعين لرفع الأنقاض عن جثث الشهداء وإسعاف الجرحى ومساعدة العائلات الثكلى والمهدمة منازلهم، حيث بادرت حركة الجهاد الإسلامي إلى مساعدة سكان مخيم جنين ممن هدمت منازلهم عبر مساعدتهم في الحصول على منازل مستأجرة لفترة زمنية مؤقتة، وتم تزويدهم بكل ضروريات الحياة اليومية من مأكل وملبس ومشرب ودواء، إضافة إلى مبلغ من المال ليعينهم على مصيبتهم التي ألمت بهم في مخيم جنين وإكرامًا وإجلالًا لهم لما قدموا لأجل المقاومة، وللعلم وللتاريخ فإن حركة الجهاد الإسلامي لم تكن لتميز بين منزل وآخر، وبين رجل وآخر، أو بين فصيل وآخر؛ لأن القضية الفلسطينية واحدة والشعب واحد والمعركة التي دارت في مخيم جنين تحمل مسئوليتها كل أبناء مخيم جنين دون استثناء، ونتيجة لمصداقية حركة الجهاد الإسلامي ونزاهتها استطاعت أن تحظى بثقة المتبرعين من أصحاب الأموال في الضفة الغربية أو الأراضي المحتلة عام 1948م أو من خارج فلسطين لتقوم بدورها بمساعدة المحتاجين من أبناء مخيم جنين، فشهد لها الجميع في نزاهتها وسخائها وكرمها.

إعادة تشكيل سرايا القدس

وما هي إلا أيام حتى بدأت سرايا القدس بإعادة ترتيب أوضاعها الداخلية حيث بدأ القائد العام لسرايا القدس في مدينة جنين المجاهد نعمان طحاينة بإعادة تشكيل سرايا القدس من جديد، وبقيادة جديدة من حوله ومعه المجاهدون إياد صوالحة وسعيد طوباسي ومحمد أبو طبيخ وشادي العموري وفادي الغول وعبد الله الوحش وأنس

جرادات وسامي جرادات وحمزة أبو الرب ومحمد نصري أبو الرب ومحمد قاسم عارضة، وغيرهم من المجاهدين الأبطال من القادة والكوادر في سرايا القدس، وقد بدأت مرحلة جديدة لسرايا القدس في مدينة جنين، فتم تقسيم المجاهدين إلى مجموعات، منها مسئول عن العمل الميداني وإعادة تزويد المجاهدين بالسلاح والذخيرة واللباس العسكري وتجنيد المجاهدين لصفوف سرايا القدس، وقد أشرف عليهم المجاهد عبد الله الوحش، وساعده في ذلك بعض المجاهدين، بينما استطاع المجاهد محمد أبو طبيخ ومنذ اليوم الأول ما بعد الاجتياح إعادة تجميع المواد المتفجرة والمواد التي تستخدم في صناعة المتفجرات، وما تبقى من مخلفات الاجتياح من عبوات ناسفة وأحزمة ناسفة، واستطاع المجاهد الكبير نعمان طحاينة أن يجمع المجاهدين إياد صوالحة ومحمد أبو طبيخ في مدينة جنين في منتصف شهر نيسان ليشكلا المجموعة الأولى والأساسية لسرايا القدس في مدينة جنين لتكون مسئولة عن تصنيع المتفجرات والعمليات الاستشهادية. وبدأ المجاهدان معًا وجنبًا إلى جنب في تصنيع المتفجرات في أماكن سرية في مدينة جنين، وكان لابد من إحضار وتجنيد العديد من مجاهدي سرايا القدس للمساعدة في عملية تصنيع المتفجرات، فما كان من المجاهد محمد أبو طبيخ إلا أن تذكر المجاهد سعيد طوباسي ليكون إلى جانب المجاهدين محمد أبو طبيخ وإياد صوالحة في تصنيع المتفجرات، لاسيما أن المجاهد سعيد طوباسي كان قبل اجتياح مخيم جنين يساعد المجاهدين محمود طوالبة ومحمد أبو طبيخ جنبًا إلى جنب ويدًا بيد في تصنيع المتفجرات والعبوات والأحزمة والأكواع، وكان لابد من توسيع عدد أفراد المجموعة، وما أن وافق المجاهد نعمان طحاينة وإياد صوالحة على ذلك حتى أصبحت المجموعة تتكون من إياد صوالحة ومحمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي وشادي العموري، وتم إعادة تفعيل وصنع المتفجرات في منزل المجاهد محمد أبو طبيخ في مخيم جنين، وتم تطوير صناعتها بطريقة جديدة يمكن من خلالها تصنيع ما يقارب من الـ100 كيلو غرام دفعة واحدة، حيث استطاع المجاهدان سعيد طوباسي ومحمد أبو طبيخ وأحد المجاهدين إحضار خلاط كبير جدًا لإنتاج المواد المتفجرة المطلوبة، بالإضافة إلى شرائهم معظم شوالات السماد من نوع اليوريا الموجودة في أسواق مدينة جنين، وليس هذا فحسب بل استطاع الأبطال محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي ومجاهدون آخرون إحضار مائة جالون من حامض النيتريك من مدينة أسدود المحتلة والذي يدخل في صلب المواد المتفجرة، وهذه المادة بالتحديد لا يمكن توفرها في الأسواق الفلسطينية إلا بكميات قليلة جدًا وبشروط أمنية معقدة، وهذا الأمر ساهم بزيادة كمية المتفجرات المصنوعة والتي تم استخدامها في العديد من العمليات العسكرية الجهادية، فكانت هذه الفترة من أهم الفترات الزمنية في تاريخ سرايا القدس في مدينة جنين، حيث استطاع المجاهدون إياد صوالحة ومحمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي ومساعدوهم شادي العموري وفادي الغول وعلاء الزرعي ونهاد أبو غانم إعادة هيكلة وقوة ونشاط سرايا القدس حتى قرر المجاهدون إياد صوالحة ومحمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي التجهيز للرد على مجزرة مخيم جنين

عبر سلسلة من العمليات الاستشهادية، فجاء الرد الأول والسريع عبر عملية المجاهد الاستشهادي ابن غزة هاشم والذي يعيش في مدينة جنين البطل محمد حمدية بتاريخ 20/ 05/ 2002م حين استطاع الخروج من مدينة جنين باتجاه موقع العملية في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م، وكان يرتدي حزامًا ناسفًا بمادة (T.N.T) القوية والشديدة الانفجار، ورغم أن المجاهد الذي قام بإيصاله استطاع تجاوز كافة الحواجز الأمنية الصهيونية إلا أن الاستشهادي محمد حمدية لم يتمكن من صعود الحافلة الصهيونية وفجّر نفسه بالقرب من جيب عسكري، ولم تحقق هذه العملية النتيجة المطلوبة، واستمر بعدها نشاط وقوة سرايا القدس في مدينة جنين وقراها ومخيمها فكان للمجاهدين سعيد طوباسي وعبد الله الوحش الفضل بعد الله في إعادة هيبة وقوة وعظمة سرايا القدس في مخيم جنين لتدور الاشتباكات العنيفة بين أبطالها وبين قوات الجيش الصهيوني، وتم تطوير العمل العسكري ليتسع نشاط سرايا القدس ليشمل التعاون والتنسيق بين خلاياها والفصائل الأخرى؛ إذ استطاع المجاهد سعيد طوباسي إمداد قادة وكوادر كتائب شهداء الأقصى في مدينة جنين ومخيمها بالعبوات الناسفة ليتم زراعتها في الشوارع التي تسير بها الدوريات الصهيونية.

أراد المجاهدون إياد صوالحة وسعيد طوباسي ومحمد أبو طبيخ تعميم ثقافة المقاومة والبحث عن موقع آخر ليكون معقلًا لسرايا القدس، واختار المجاهد محمد أبو طبيخ نقل جزء من العمل العسكري من مدينة جنين ومخيمها إلى بلدة قباطية لأهمية موقعها الاستراتيجي ولوجود الحاضنة الاجتماعية والوطنية فيها للمقاومة الفلسطينية، ورغم وجود العديد من المعيقات والصعوبات لتحقيق هذا الأمر إلا أنه بإرادة وعزيمة سرايا القدس تم فرض سياستها في بلدة قباطية، بينما واصل المجاهدان إياد صوالحة وسعيد طوباسي العمل في مجال تصنيع المتفجرات وأضافا مختبرًا آخر لتصنيع المتفجرات في بلدة سيلة الحارثية ليكون رديفًا إلى ما بدأه الأبطال في جنين ومخيمها.

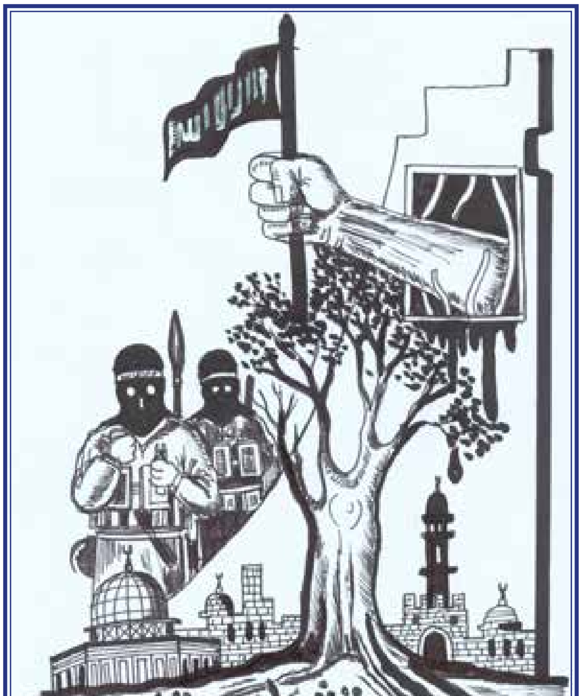

وما أن أصبحت سرايا القدس في جنين قوة لا يضاهيها أي قوة قرر المجاهدون إياد صوالحة وسعيد طوباسي وأنس جرادات الرد المزلزل على

جرائم العدو الصهيوني نحو الشعب الفلسطيني ولاسيما بعد استشهاد القائد المعلم الشهيد خالد زكارنة الذي استشهد أثناء مهمة جهادية بطولية بتاريخ 22/ 05/ 2002م، فبدأ المجاهدون إياد صوالحة وأنس جرادات وسعيد طوباسي بالاستعداد والإعداد والتجهيز لعملية استشهادية نوعية يتم تنفيذها في قلب الكيان الصهيوني حيث استطاع القائد البطل إياد صوالحة من إحضار الاستشهادي حمزة سمودي بواسطة وحدة تجنيد الاستشهاديين في سرايا القدس، وكانت مجموعة المجاهد إياد صوالحة قد جهزت كميات كبيرة من المتفجرات من نوع "يوريا"، وتولى المجاهد سعيد طوباسي وشادي العموري مهمة شراء سيارة مناسبة للعمل تستطيع حمل كمية كبيرة من المتفجرات، فوقع اختيارهما على سيارة مسروقة من نوع رينو (تندر) لتبدأ المهمة التالية وهي شراء لوحات التسجيل للسيارة بحيث تكون هذه اللوحات صفراء اللون تُظهِر السيارة عند دخولها إلى داخل الكيان الصهيوني بأنها سيارة "إسرائيلية"، فكان من الصعب جدًا العثور على مثل هذه اللوحات ولكن إرادة وعزيمة المجاهدين سعيد وشادي لا تعرف المستحيل. وبعدها قام المجاهدان إياد صوالحة وسعيد طوباسي بوضع البراميل المليئة بالمتفجرات في داخل السيارة، وحرص حينها المجاهد إياد على تصوير الاستشهادي حمزة سمودي قبل العملية، ولم يبق سوى توصيل الدائرة الكهربائية لبراميل المتفجرات وأصبحت العملية شبه جاهزة.

عملية مجدو الاستشهادية

وفي فجر يوم 05/ 06/ 2002م تمكن المجاهد إياد صوالحة ومساعدوه من وضع السيارة المفخخة والاستشهادي حمزة بالقرب من مسجد القاضي في مدينة جنين، ليأتي الدور الأهم والأبرز في كل عملية استشهادية وهو إخراج العملية إلى حيز التنفيذ، حيث تمكن المجاهد أنس جرادات وأفراد مجموعته من اقتياد السيارة المفخخة وبصحبة الاستشهادي حمزة سمودي من جنين إلى مكان تنفيذ العملية في مفرق مجدو بالداخل المحتل ليقوم الاستشهادي المجاهد حمزة سمودي بدوره بقيادة السيارة المفخخة والتوجه بها نحو الحافلة الصهيونية ليُحدِثَ انفجارًا ضخمًا جدًا أشبه بانفجار البراكين، وأدت العملية إلى قتل 17 جنديًا صهيونيًا وإصابة العشرات بجراح خطيرة،

النصب التذكاري للقتلى الصهاينة
في عملية مجدو الاستشهادية بتاريخ 05/ 06/ 2002م

وقد قال المدعي العام الصهيوني أثناء محاكمة المجاهد سعيد طوباسي في محكمة سالم الصهيونية: "إن عملية مجدو كانت عملية رهيبة، فكانت الصور في هذه العملية صادمة عندما أنهت حياة الجنود في صباح يوم صيفي مشمس وساطع، فمن الصور التي رأيناها

يظهر لنا مدى قوة الانفجار والدمار والضربات التي تسبب بها سعيد طوباسي وشركاؤه، حيث كان هيكل الباص مثل ثمرة يابسة متفحمة كثيرة البذور، وكان الزجاج المحطم ينتشر في كل مكان، وكان الدخان يتصاعد من الحافلة، وأجزاء الباص تراها منتشرة في كل مكان في مفترق مجدو، وارتجفت قلوبنا من رؤية صور القتل والأرواح التي قطعت بضربة سيف واحد، فوقفنا ننظر بجزع شديد إلى صور الأسلحة التي تطايرت في كل جانب".

ولما تم التأكد من وقوع العملية عاد المجاهد إياد صوالحة إلى الشقة السكنية التي يتواجد بها عادة المجاهدون، وما أن فتح محمد أبو طبيخ باب المنزل للمجاهد إياد صوالحة في الصباح الباكر حتى قام المجاهد إياد صوالحة باحتضان المجاهد محمد أبو طبيخ، وذكر له تفاصيل العملية في مفترق مجدو، وسلّمه صور وهوية الاستشهادي حمزة سمودي، وطلب منه أن يذهب إلى أحد الصحفيين في جنين ليخبره عن اسم الاستشهادي ويسلمه الصور، وعند القيام بذلك تفاجأ الصحفي من الاسم حيث تبين أنه من نفس العائلة التي ينتمي إليها، وزفت سرايا القدس المجاهد الشهيد الاستشهادي حمزة سمودي إلى العلا، مؤكدة بأن هذه العملية رد طبيعي على جرائم الاحتلال الصهيوني بحق أبناء شعبنا الفلسطيني وأنها لم ولن تكون الأخيرة، وقد جاءت هذه العملية متزامنة مع ذكرى هزيمة حزيران من العام 1967م، ليكون تاريخ هذه العملية البطولية 05/ 06/ 2002م رسالة للعالم بأن هذا العام سيتحول ذكرى الهزيمة إلى نصر بسواعد المجاهدين إياد صوالحة وسعيد طوباسي وأنس جرادات.

وكان ذلك اليوم هو يوم من أيام الله عز وجل،

الاستشهادي/ حمزة سمودي
استشهد بتاريخ 05/ 06/ 2002م

أثلج الله به صدور المؤمنين والمجاهدين وأمهات الشهداء والأسرى والمعتقلين في مخيم جنين لما مثله من لحظات عزٍ وفخار، ويوم ذل وهزيمة لنظرية الأمن الصهيوني التي كانت تظن بأن اجتياحها للضفة الغربية قد حقق الأمن والأمان للكيان الصهيوني، فجاء رد السرايا بعملية استشهادية نوعية في مفرق مجدو، فجن جنون العدو الصهيوني، وبدأ بعملية اجتياح جديدة لمدينة ومخيم جنين وسط إطلاق كثيف للنار من قبل طائرات الأباتشي ودخلت الدبابات والمجنزرات إلى شوارع مدينة جنين، فما كان من مجاهدي سرايا القدس إلا أخذ الحيطة والحذر والاختفاء عن أعين العملاء، ولكن مجاهدي سرايا القدس لا يعرفون طعم الراحة وقد قرأوا سيرة القائد خالد بن الوليد الذي كان لقبه

الرجل الذي لا ينام وكان أيضًا لا يدع أحدًا ينام لا أعداءه ولا جنوده، فأدرك قادة وكوادر سرايا القدس هذا الأمر فكيف لسعيد طوباسي ومحمد أبو طبيخ وإياد صوالحة وأنس جرادات أن يناموا والأعداء لا ينامون واصلين ليلهم بنهارهم مكرًا وتخطيطًا؟ كيف ينام قادة وأبناء سرايا القدس وهذه الأرض تعج بالمحتلين والطغاة والأقزام وترجوهم ليوم الخلاص والتحرير؟ كيف ينامون وهم حملة لواء الجهاد والصديق والفاروق وخالد بن الوليد؟ فهي حرقة الضعفاء والمساكين والمعتقلين والجرحى والنساء والأطفال. لذلك كثف مجاهدو سرايا القدس هجماتهم وضرباتهم واشتباكاتهم المسلحة مع العدو الصهيوني مما جعله يبدأ بحملات أمنية لاعتقال المجاهدين.

وفي إحدى المرات قام الجيش الصهيوني باقتحام منازل مخيم جنين وأشرف على هذه الحملة الضابط الصهيوني المسئول عن منطقة جنين ويدعى الكابتن جمال، وكان كلما دخل بيتًا من بيوت مخيم جنين يضع رقم هاتفه ليقوم المجاهدون بالاتصال عليه ليبلغهم رسالة الشاباك الصهيوني للمقاومة الفلسطينية، فما كان من المجاهد سعيد طوباسي وقادة كتائب الأقصى ومنهم الشهيد علاء الصباغ إلا أن قاموا بالاتصال بالكابتن جمال، وقالوا له: "أيها الجبان! كيف تقوم باقتحام منازل مخيم جنين ولا يوجد بها سوى النساء؟ ولو كنت رجلًا شجاعًا فعليك المجيء إلى مخيم جنين، وعليك بالنزول من الجيب العسكري المصفح وأن تقابل المجاهدين وجهًا لوجه بالسلاح". فقال لهم الكابتن جمال: "أنا على استعداد تام لعدم اقتحام منازل مخيم جنين وحتى لن أدخل أبدًا مخيم جنين شرط أن تطلبوا من سعيد طوباسي أن يهدأ ولا يقوم بأي عملية استشهادية". ورفض الأبطال هذه الصفقة ووعدوه بمزيد من العمليات الاستشهادية والاشتباكات المسلحة. وعلى أثر ذلك قرر المجاهدون سعيد طوباسي وعبد الله الوحش وعبد الهادي العمري التخطيط لعملية اغتيال الضابط الصهيوني الكابتن جمال عبر زرع عبوة ناسفة جانبية على الطريق الذي يسير فيه عادة موكب هذا الضابط، وتم التجهيز لهذه العملية بكل حذر ووعي وحنكة عسكرية إلا أن الضابط الصهيوني لم يعد يسير في ذلك الطريق مما أدى إلى تأجيل العملية لموعد آخر.

إحباط عملية مجدو الثانية

ونتيجة لاشتداد العنجهية الصهيونية بحق أبناء الشعب الفلسطيني، وخاصة ما حدث في قطاع غزة عندما قام العدو الصهيوني باغتيال قائد كتائب القسام الشهيد صلاح شحادة، واستشهد معه العديد من أفراد عائلته من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب في حي الدرج الذي تم فيه تسوية المنازل بالأرض لشدة قصف الطائرات للمكان. كان رد المجاهدين محمد أبو طبيخ وسعيد طوباسي الإعداد والتجهيز لعملية استشهادية جديدة في مفرق مجدو والهدف هذه المرة ضد حافلة صهيونية تقل عددًا كبيرًا من ضباط الطيران الصهيوني، فقام المجاهد إياد صوالحة بتجهيز المواد المتفجرة وبمساعدة مساعديه حيث وضعوا هذه المواد في براميل كبيرة استعدادًا للعملية، بينما قام

المجاهد محمد أبو طبيخ بتجنيد أحد الاستشهاديين من بلدة برقين بمحافظة جنين، وقام بتصويره بالإضافة إلى شرائه لسيارة من نوع متسوبيشي جديدة بيضاء اللون من أجل استخدامها في هذه العملية، وتوجه بها في يوم 27/ 07/ 2002م إلى بلدة برقين ليجتمع هناك بالمجاهدين إياد صوالحة وسعيد طوباسي ونهاد أبو غانم حيث كانوا ينتظرون مجيء السيارة وكانت براميل المتفجرات جاهزة، فتم توصيل الدائرة الكهربائية من قبل المجاهد إياد صوالحة، وفي هذه الأثناء قام المجاهد محمد أبو طبيخ بإعلام الاستشهادي بأنه سينفذ العملية مساء يوم 27/ 07/ 2002م، وطلب منه أن يعود إلى منزله ويغتسل ويغير ملابسه ويحاول أن يودع عائلته دون إشعارهم بشيء، والأهم من ذلك العودة بأسرع وقت ممكن، ولم يبق لجهوزية العملية سوى توصيل الاستشهادي إلى مفرق مجدو، وشعر المجاهدون بعد غياب الاستشهادي عنهم مدة تزيد عن الساعة أن هنالك شيئًا ما يحدث في بلدة برقين وفعلًا بدأت الدبابات الصهيونية بالتحرك باتجاه قلب بلدة برقين، وبدأت الأحوال تتغير إلى أن جاء الخبر بأن الاستشهادي قد تم اعتقاله من منزله، وفيما بعد تبين أنه قد أطلع أحد أقربائه عن نيته تنفيذ عملية استشهادية، مما أدى إلى اقتحام بلدة برقين واعتقال الاستشهادي، وفي هذه الساعات طلب المجاهد محمد أبو طبيخ من المجاهدين إياد صوالحة وسعيد طوباسي ونهاد أبو غانم مغادرة بلدة برقين باتجاه مكان آمن حيث طلب المجاهد محمد أبو طبيخ من المجاهدين إياد صوالحة وسعيد طوباسي بأن يستقلا السيارة المفخخة ويقوداها باتجاه مكان آمن في مخيم جنين، بينما يقوم المجاهد محمد أبو طبيخ عبر مساعدة المجاهدين نهاد أبو غانم وأحمد صبح بمغادرة بلدة برقين باتجاه مخيم جنين سيرًا على الأقدام إلا أن الرياح جاءت بما لا يهوى المجاهدون حيث تم محاصرة بلدة برقين من كل مكان وانتشر الجيش الصهيوني في القرية، وتم ملاحقة ومطاردة المجاهد محمد أبو طبيخ ونهاد أبو غانم وأحمد صبح من منزل لآخر إلى أن تمكن الجيش الصهيوني من اعتقال المجاهدين في صباح اليوم التالي بتاريخ 28/ 07/ 2002م.

إحباط عملية الخضيرة

أصرّ المجاهد إياد صوالحة على الاستمرار في نهج العمليات الاستشهادية والعمليات العسكرية، فأخذ المجاهدون إياد صوالحة وسعيد طوباسي وأنس جرادات بالإعداد لعملية نوعية كبيرة، وتم تجهيز سيارة مفخخة تزن 400 كيلو غرام من المتفجرات ليتم زراعتها أمام إحدى العمارات الصهيونية في قلب مدينة الخضيرة المحتلة، وما أن استطاع المجاهد أنس جرادات ومساعداه إخراج السيارة المفخخة إلى مكان تنفيذ العملية في مدينة الخضيرة بتاريخ 05/ 09/ 2002م حتى تم كشف هذه العملية من قبل العدو الصهيوني، ولم يكتب الله عز وجل أن تنجح هذه العملية والتي لو قدر الله لها أن تنجح لكانت قد غيرت معالم كثيرة في الشرق الأوسط بحسب ما ذكره الصهيوني شمعون بيرس حينها، وعلى أثر هذه العملية قام الجيش الصهيوني باجتياح كبير لمدينة جنين بحثًا عن المجاهدين إياد صوالحة وأنس جرادات وسعيد طوباسي من أجل

اعتقالهم أو اغتيالهم، وأدرك هنا المجاهد إياد صوالحة حالة الخطر التي وصلوا إليها فأصر على نقل خبرته العسكرية وطريقة صناعة المتفجرات وتجهيز الأحزمة الناسفة والعبوات الناسفة للمجاهدين أنس جرادات وسعيد طوباسي ليكونا خير خلف لخير سلف في المستقبل.

عملية مفرق كركور

إن الله عز وجل دومًا يقف إلى جانب المجاهدين في سبيل الله؛ إذ ما أن جاء شهر أكتوبر (تشرين أول) من العام 2002م حتى استطاع المجاهد محمد عقل تجنيد الاستشهاديين محمد حسنين وأشرف الأسمر والذي بدوره أوصلهما

الاستشهاديان/ أشرف الأسمر (يمين) ومحمد حسنين استشهدا معاً بتاريخ 21/ 10/ 2002م

إلى المجاهد سعيد طوباسي الذي اجتمع بهما في صالون الحلاقة الخاص بالمجاهد محمد حسنين في مدينة جنين، وبعد حوار ونقاش دار بين المجاهد سعيد طوباسي والاستشهاديين محمد وأشرف تم إبلاغهما عن موعد يجمع بين القائد إياد صوالحة وبين الاستشهاديين في أحد المساجد في مدينة جنين ليتم الاتفاق معهما على عملية استشهادية مزدوجة في قلب الكيان الصهيوني، ليبدأ بعدها العمل السري والجماعي للمجاهدين إياد صوالحة وسعيد طوباسي وأنس جرادات للتجهيز للعملية حيث قام المجاهد سعيد طوباسي بتجميع المتفجرات الموجودة في مخازن سرايا القدس في جنين فوجدها رطبة وبحاجة إلى إعادة تجفيف، فقام بشراء خلاطين للطحن بالإضافة إلى شراء 14 صوبة كهربائية من أجل إعادة تنشيف المواد المتفجرة، وبصعوبة بالغة تمكن المجاهد سعيد من تجهيز كمية جيدة من المتفجرات، وقام بتجريب عينة منها فوجدها بفعالية عالية، فتم تجميع هذه المواد إلى جانب المواد التي أحضرها المجاهدان إياد صوالحة وأنس جرادات ليقوم المجاهد إياد صوالحة بتجميع كل المتفجرات بواسطة البراميل لتصبح السيارة محملة بالمتفجرات وجاهزة للانطلاق نحو الهدف، واستطاع حينها المجاهدان إياد صوالحة وسعيد طوباسي تصوير الاستشهاديين محمد حسنين وأشرف الأسمر، وتم الاتفاق بين المجاهدين إياد صوالحة وسعيد طوباسي وأنس جردات بعد الإعداد والتجهيز الكامل للعملية على أن يكون يوم 21/ 10/ 2002م هو يوم تنفيذ العملية، واستطاع المجاهد أنس جرادات مع مساعديه وبصعوبة بالغة متجاوزين الحواجز الأمنية الصهيونية ورغم الاحتياطات الأمنية الكبيرة للشاباك الصهيوني إدخال السيارة المفخخة إلى قلب العدو الصهيوني في مفرق كركور، وكانت الخطة المعدة للتنفيذ هو أن يقوم أحد الاستشهاديين بتفجير شنطة المتفجرات بينما الاستشهادي الآخر يقوم بقيادة السيارة المفخخة ومطاردة حافلة 4 إلا أن خللًا ما حدث في أثناء وقوف المجاهدين بسيارتهم المفخخة على مفرق كركور المليء بالشرطة الصهيونية

فقاما بتفجير السيارة المفخخة من خلف إحدى الحافلات الصهيونية في المفرق، مما أدى إلى مقتل 14 جنديًا صهيونيًا وإصابة العشرات بجراح خطيرة.

القتلى الصهاينة في عملية كركور الاستشهادية
بتاريخ 21/ 10/ 2002م

وما أن سُمع خبر العملية وارتقاء الاستشهاديين محمد وأشرف إلى العلا حتى بدأت ساعات المساجد بالتكبير والتهليل في ربوع محافظات الضفة الغربية وخاصة في مدينة ومخيم جنين حيث أعاد الاستشهاديان محمد وأشرف البسمة إلى شفاه الأطفال الحزينة الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم وإخوانهم في مجزرة مخيم جنين، فكم من أم فقدت ولدها؟ وكم من طفل فقئت عينه أو كسرت ذراعه؟ وكم من جنين اختنق في بطن أمه؟ وكم من بيت هُدم على رؤوس ساكنيه؟ وكم من مجازر ارتكبها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني الأعزل؟ فرغم الدماء الغزيرة والدموع الحارة إلا أن مجموعة الأبطال إياد صوالحة وسعيد طوباسي وأنس جرادات أقسموا على المضي قدمًا في هذا الطريق، طريق ذات الشوكة، طريق الجهاد والاستشهاد حتى تعود للأمة كرامتها وهويتها الإسلامية. وبدأ حينها الشاباك الصهيوني يتخبط ولا يعلم ماذا يصنع بهذه المجموعة الجهادية التي أذاقت العدو الصهيوني الألم والمرارة والذل والهزيمة في مواقع الاشتباك، وكثف الجيش الصهيوني هذه المرة من عملياته الأمنية في مدينة جنين لملاحقة ومتابعة المجاهدين إياد وأنس وسعيد ما جعلهم يتفرقون عن بعضهم البعض، وكل مجاهد بدأ يبحث له عن مكان آمن يستطيع فيه الاختفاء عن عيون العملاء المنتشرة في كل مكان، فما كان من المجاهد سعيد طوباسي إلا الذهاب إلى بلدة قباطية ليكون هناك إلى جانب المجاهدين عبد الله الوحش، ومحمد نصري أبو الرب وحلمي نزال، وتعرض هناك لمحاولة محاصرة مما جعل المجاهد حمزة أبو الرب يقوم بعملية تحقيق في هذا الأمر ولاسيما أن المجاهد سعيد طوباسي كان له العديد من لقاءات العمل الجهادي مع المجاهد حمزة أبو الرب، وكان حينها المجاهد سعيد ينوي التوجه إلى مدينة طولكرم ليكمل المشوار الذي بدأه سابقًا عبر تعليمه لأحد المجاهدين فيها تصنيع المتفجرات لنقل الخبرة إلى أكبر عدد ممكن من المجاهدين حتى إن بعض المجاهدين في مدينة نابلس كان لهم نصيب في الحصول على كمية لا بأس بها من المتفجرات من تصنيع المجاهدين إياد وسعيد.

مطاردة الشاباك لسعيد طوباسي واعتقاله

ضاقت الدنيا على المجاهد سعيد طوباسي في بلدة قباطية فقرر الخروج منها إلى مكان بعيد باتجاه قرية العرقة بمحافظة جنين، وفي هذا اليوم 31/ 10/ 2002م كان الجيش الصهيوني قد اجتاح مخيم جنين لهدم خمسة منازل ومنها منزل المجاهد سعيد طوباسي، فحاول حينها المجاهد سعيد الاتصال بوالدته؛ ليخبرها بما حدث حيث كانت العائلة تنام خارج هذا المنزل لكثرة الاقتحامات والاعتداءات والتفتيشات والمضايقات التي يقوم بها الجيش الصهيوني بحقها انتقامًا من المجاهد سعيد طوباسي الذي أذلهم وأذل جنودهم في عمليتي مجدو وكركور. فما كان من والدة المجاهد سعيد إلا أن تقول لولدها لا يهم هدم المنزل، المهم يا سعيد أنك بخير وصحة جيدة وكذلك فعل أخيه الأكبر كمال.

وما أن وصل المجاهد سعيد إلى قرية العرقة وبات فيها ليلته الأخيرة حتى أقدم العدو على اقتحام القرية واعتقال المجاهد سعيد طوباسي في يوم 01/ 11/ 2002م، وتم اقتياده إلى تحقيق الجلمة الصهيوني وسط احتفالات ومباركات في أوساط رجال الشاباك الصهيوني ليبدأ المجاهد سعيد طوباسي مشواره الجهادي الجديد في سجون الاحتلال الصهيوني حيث حكمت المحكمة العسكرية في سالم بتاريخ 14/ 07/ 2003م عليه بالمؤبد إحدى وثلاثين مرة متتالية بالإضافة إلى 50 عامًا إضافية، وحينها وقف المجاهد سعيد طوباسي وسط المحكمة متحديًا القضاة الصهاينة ومتوعدًا إياهم بأنه هنالك لا يزال أبطال في سرايا القدس مستمرون على نهج الجهاد والاستشهاد، وذكر لهم المجاهد سعيد ما دفعه إلى هذه العمليات بقوله: "قبل عملية مجدو كان هناك اجتياح الجيش لجنين ونابلس وهذا رد على مذبحة مخيم جنين، وعملية كركور هي رد على مقتل القائد صلاح شحادة في غزة وهدم مبنى يحوي أطفالًا ونساء على رؤوس ساكنيه، وأن أعمالي كانت ضد الجنود الصهاينة وليس المدنيين".

المجاهد سعيد طوباسي في المعتقل

في داخل السجون بدأ المجاهد سعيد يكرس جهده ووقته من أجل المعرفة والعلم والتعلم حيث استطاع الحصول على شهادة التوجيهي، ثم شهادة دبلوم الخدمة الاجتماعية، ثم بكالوريوس في علم التاريخ، ثم اتبعها ببكالوريوس في العلوم السياسية، وبدأ ينسج العلاقات الوطنية والاجتماعية مع شريحة الأسرى والمعتقلين ومن كل الفصائل الفلسطينية، فكان مثالًا يُحتذى به من قبل الجميع ورمزًا للمحبة والعطاء والتضحية ولاسيما المعاناة الكبيرة التي أصابت عائلته، فقد جرى اعتقال أخيه المجاهد محمد طوباسي قبله بعدة أشهر بتاريخ 18/ 08/ 2002م والحكم عليه بصفقة من النيابة الصهيونية والعائلة والتي كان شرطها أن يوافق المجاهد سعيد طوباسي على تسريع حكمه مقابل التخفيف عن حكم المجاهد محمد طوباسي، حيث كانت المحكمة العسكرية في سالم تطالب بمحاكمته لمدة 18 عامًا وبفضل الصفقة التي تم عقدها مع المجاهد سعيد بتسريع محاكمته تم تخفيف الحكم إلى ثماني سنوات ونصف.

أم كمال أم المجاهدين الستة

وبدأت عندها معاناة المجاهدة والمناضلة والأم والمربية حورية طوباسي (أم كمال)، هذه المرأة التي كانت نموذجًا للصمود والتحدي والتضحية، فهي التي تربي الأجيال وتبث فيهم الروح الدينية والوطنية وتزرع فيهم معنى النضال والكفاح لاستعادة الوطن الفلسطيني الذبيح والسليب، فكانت الحاجة أم كمال مختلفة ومميزة عن غيرها من نساء العالم، وخير دليل على ذلك استقبالها لخبر هدم منزلها واعتقال ولديها محمد وسعيد، فكان لها دور مركزي إلى جانب الأمهات الفلسطينيات في تحصين وصيانة استقرار الانتفاضة حيث برهنت المرأة الفلسطينية سواء في انتفاضة العام 1987م أو انتفاضة الأقصى 2000م قدرتها على المساهمة بشكل أو بآخر من أجل تحرير الوطن وتقدمه الاجتماعي، فكان لها دور فاعل على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعسكري، وكان لزامًا على الأم الصابرة أم كمال أن تكون كالشجرة بحيث لا يجب أن يعيقها لحظة الاستمرار في الحياة وأن يكون الألم والحرمان وفقدان الأبناء هما غذاء هذه الشجرة التي يجب أن تنمو في نور الوعي وتثمر من أجل الحرية والعدل، لتزداد الحاجة أم كمال ألمًا وعذابًا باعتقال ولدها الأكبر سند العائلة المجاهد كمال طوباسي بتاريخ 11/ 06/ 2002م ليحكم عليه العدو الصهيوني لمدة عامين قضاها بألم وحسرة على عائلته المشتتة والمتقطعة الأوصال حيث منزلهم قد هدم وإخوته محمد وسعيد بالسجن وهو الذي كان مسئولًا عن والدته وإخوته وأخواته قبل اعتقاله

الأسير القائد/ سعيد طوباسي
برفقة والدته الصابرة خلال زيارتها له في السجن

فمن سينوب عنه في البيت؟ فأي ألم وأي مصيبة قد وقعت على كاهليك يا كمال فحاول مرارًا وتكرارًا أن يجتمع بإخوانه محمد وسعيد في سجون الاحتلال دون جدوى، فلم يكن الشاباك الصهيوني يريد أن يجمعهم جميعًا في سجن واحد بل أراد لهم العذاب والافتراق، وليس هذا فحسب، بل حاول هذا المحتل الصهيوني عندما مرض المجاهد كمال في داخل السجن أن يتجاهل مرضه إلى أن حضر وفد طبي من خارج السجون ليتم فحصه، فإذا به بحاجة إلى عملية جراحية مستعجلة في بطنه، فتم على الفور نقله إلى أحد المشافي في الكيان الصهيوني تحت حراسة أمنية صهيونية مشددة وهو مكبل اليدين والقدمين ليتم إجراء العملية الجراحية له ليتبين فيما بعد أن ما يسمون أنفسهم بالأطباء قد قاموا بالعملية الجراحية دون اكتراث لوضع المجاهد كمال الصحي، فقد أضروا بالأعصاب الموجودة في منطقة البطن وتعمدوا نسيان كتلة من الأنسجة وقطع القماش والخيطان في داخل بطنه، مما جعله بعد تحرره يدخل في مرحلة علاجية طويلة حتى

عافاه الله مما أصابه في سجون العدو الصهيوني. وهذا كله جاء في ظل رفض مصلحة السجون السماح للمجاهدين محمد وسعيد رؤية أخيهم كمال في مستشفى الرملة حتى ولو لمدة دقيقة واحدة أو على الأقل سماع صوته عبر الهاتف من غرفة مدير السجن، حيث إن جميع الطلبات قد قوبلت بالرفض الشديد ليستمر مسلسل المعاناة بحق هذه العائلة الفلسطينية المجاهدة، عائلة أم كمال طوباسي لتستيقظ الحاجة أم كمال وعائلتها على وقع خبر صادم لم يستطع أحد في البداية أن يخبرها به وهو خبر استشهاد ابنها المقاوم أحمد طوباسي على أثر اشتباك مسلح في بلدة عرابة بمحافظة جنين جنبًا إلى جنب مع رفيق دربه المجاهد الشهيد نضال أبو سعدة بتاريخ 31/ 01/ 2006م، حيث كان المجاهد أحمد قد شق طريقه نحو الجهاد في سبيل الله في ظل صفوف سرايا القدس ليكون من أبرز قادتها في مدينة جنين والساعد الأيمن للقائد في سرايا القدس في جنين المجاهد الشهيد نهاد أبو غانم، فأي مصيبة هذه التي أصابت عائلة طوباسي؟ فهذه الأم الصابرة لم تستطع أن تتحمل رؤية أبنائها كمال وسعيد ومحمد في سجون العدو، فكيف لها أن تزيد على ذلك استشهاد ابنها المجاهد أحمد إلا أنها صبرت واحتسبت وعلمت أن هذا هو قدر العظماء وقدر الأنبياء وقدر المؤمنين وقدر المجاهدين وقدر من يؤمن بتحرير فلسطين.

قال ابن القيم في حتمية الآلام ومكابدة المشاق: "والله تعالى ابتلى أولي العزم من الرسل فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول فأعقلهم من باع ألمًا مستمرًا عظيمًا بألم منقطع يسير وأشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر". فصبرًا يا أم كمال ولا تجزعي فإن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة.

ورغم صعوبة الحياة داخل سجون العدو الصهيوني، وظلم السجان للإخوة المجاهدين كمال وسعيد ومحمد الذين ما أن سمعوا خبر استشهاد أخيهم البطل أحمد حتى صبروا واحتسبوا وحمدوا الله وشكروه، وحينها كان المجاهد سعيد طوباسي في عزل سجن "هداريم" الصهيوني فلم يكن حينها يعلم ماذا يصنع فما كان من جميع الأسرى والمعتقلين ومن كافة الفصائل الفلسطينية في سجن "هداريم" إلا الوقوف إلى جانب المجاهد سعيد في هذه المحنة الصعبة والشديدة عليه فقدموا له واجب العزاء، وكانوا له نعم المجاهدون ونعم الإخوان، وهم الأصحاب وكان صديقه الغالي عليه المجاهد محمد أبو طبيخ معزولًا في سجن "إيشل" الإجرامي، وما أن سمع الخبر حتى قال أعانك الله يا صديقي سعيد، وأعانك الله يا أمي يا أم كمال، وأرسل رسالة من عزله في سجن "إيشل" إلى أخيه ورفيق دربه المجاهد سعيد طوباسي يحدثه فيها عن الشهادة في سبيل الله وشفاعة الشهيد وأجر الصابرين. وأما كمال وأخوه محمد اللذان كانا معًا في سجن النقب الصحراوي فهوَّن عليهما مصيبتهما وجود البلفون الخلوي المهرب إلى داخل السجن فتمكنا حينها من التواصل مع والدتهما وحثها على الصبر بكلمات إيمانية من هدي الرحمن وسنة نبيه محمد ـصلى الله عليه وسلمـ فوجد هذان الأخوان الصابران أن والدتهما صابرة محتسبة ومن

حولها أهالي وعائلات مخيم جنين بشيوخها ونسائها وشبابها وبناتها وأطفالها ومن كل العائلات كعائلة السعدي والزبيدي والنوباني ونغنغية والشلبي والوحش وعويس وأبو الهيجاء وجرار والفايد وأبو غانم، وغيرها من العائلات الفلسطينية المضحية.

واستمر مسلسل الإجرام الصهيوني بحق هذه العائلة المجاهدة ليتم اعتقال المجاهد محمود طوباسي بتاريخ 06/ 08/ 2006م وهو الأخ التوأم لأخيه الشهيد أحمد حيث أراد الانتقام لدماء أخيه أحمد عبر تجنيده لأحد الاستشهاديين لتنفيذ عملية استشهادية بإشراف القائد الكبير في سرايا القدس الشهيد وليد عبيدي ليحكم عليه لمدة 27 شهرًا ليلحق به أخوه المجاهد إبراهيم طوباسي بتاريخ 01/ 07/ 2007م حيث حكمت عليه محكمة سالم العسكرية بالحكم لمدة 28 شهرًا. وتستمر معاناة الأم المؤمنة أم كمال في مسلسل زيارات أبنائها في سجون الاحتلال الصهيوني فكل مجاهد من أبنائها موجود في سجن بعيد عن الآخر، فهي تخرج في ساعات الصباح الأولى من منزلها في مخيم جنين إلى حاجز الجلمة الصهيوني منتظرة إحدى الحافلات التي يشرف عليها الصليب الأحمر لنقل عائلات الأسرى لزيارة أبنائهم في السجون وتصل إلى سجن "هداريم" المركزي لزيارة ولدها سعيد الذي بدوره قبل موعد الزيارة بيومين يكون قد جهز نفسه نفسيًا وجسديًا بحيث يقوم بقص شعره والاغتسال وكي ملابس (الشاباص) البنية اللون الخاصة بمصلحة السجون الصهيونية والإلزامية في لبسها ليخرج بأفضل منظر ومظهر أمام والدته التي بدورها تكون منهكة ومتعبة جدًا، وما أن تدخل إلى قاعة الزيارات في السجن حتى تحاول أن تبدو امرأة قوية وبمعنويات عالية تناطح السحاب حتى لا تقلق ولدها سعيد عليها أكثر من اللازم، وكل طرف منهما يحاول، بل يصارح الذات لإعطاء أفضل ما عنده ولديه في الزيارة، وهذه الزيارة لا تستمر سوى خمس وأربعين دقيقة وسط إجراءات أمنية مشددة، يفصل ما بين السجين وعائلته لوح بلاستيكي قوي وشفاف بالكاد يستطيع الأسير رؤية عائلته بشكل واضح، ويتم الحديث بينهما عبر سماعة التلفون والتي تكون هذه المكالمة منذ بداية الزيارة حتى نهايتها مسجلة لدى مصلحة السجون والجهات الأمنية الصهيونية، وما أن تنتهي الزيارة وتصل الحاجة أم كمال إلى منزلها في مخيم جنين في ساعات متأخرة من الليل حتى تبدأ في فجر اليوم التالي مرحلة جديدة من العذاب والألم للذهاب لزيارة ابنها محمد في سجن آخر غير "هداريم"

الشيخ القائد/ خضر عدنان
في زيارة لعائلة الأسير القائد/ سعيد طوباسي

وتستمر بذلك على مدار الأيام والأسابيع والأشهر وهي تنتقل من سجن إلى آخر لرؤية أبنائها كمال وسعيد ومحمد وفيما بعد إبراهيم ومحمود. فأي أم هذه؟ إنها خنساء فلسطين بحق، أم المجاهدين كمال ومحمد ومحمود وإبراهيم ووالدة الشهيد أحمد. وفي أغلب الأوقات بل في كل زيارة يقوم أبناؤها بالتوسل إليها بعدم المجيء لزيارتهم؛ لأنهم يخافون عليها وعلى صحتها ولصعوبة ومعاناة الخروج للزيارة التي يبدأ مشوارها من فجر ذلك اليوم إلى منتصفه، وبعد محاولات حثيثة من قبل الأسرى والمعتقلين وللتخفيف من معاناة المجاهدة أم كمال قررت مصلحة السجون وعبر المحكمة أن يتم جمع الإخوة سعيد ومحمد في سجن "هداريم"، وكانت فرحة لا توصف لأم كمال ولولديها سعيد ومحمد حيث ظنا أن لا تلاقيا ولكن الله غالب على أمره، وشاءت حكمة الله أن يجتمع المجاهدان سعيد ومحمد مع المجاهد محمد أبو طبيخ في سجن "هداريم" بعد سنوات من الاعتقال، وفي غرفة واحدة ليعيدا ذكريات الماضي الجميلة والأليمة منها التي جمعتهم في مخيم جنين، وليتذكرا أبطال معركة مخيم جنين أمثال الشهداء العظام زياد العامر وطه الزبيدي وأبو جندل وعلام القنيري وعماد النشرتي وإياد أبو الليل وأشرف أبو الهيجاء وعلاء الصباغ وثائر أبو الكامل وإبراهيم وعبد الكريم السعدي وغيرهم من الأبطال الشهداء الذين كان لهم فضل كبير على حياة المجاهد سعيد طوباسي، إضافة إلى الأحياء منهم كالأسرى الأبطال عبد الكريم عويس وأخيه حسان ونضال نغنغية التركمان وعصام أبو السباع وجمال حويل والشيخ جمال أبو الهيجاء، والعديد العديد من القادة والكوادر من كل الفصائل الفلسطينية في مخيم جنين.

وما هي إلا سنوات حاولت فيها عائلة المجاهد سعيد طوباسي أن تلتقط أنفاسها بشيء من الأمن والاستقرار حتى فاجأهم العدو الصهيوني باقتحام مخيم جنين من كافة المحاور في تاريخ 17/ 09/ 2013م من أجل اعتقال المجاهد إسلام طوباسي الذي كان ينام على سطح منزله في مخيم جنين، وما أن حاول الهروب حتى قامت القوات الخاصة بإطلاق النار عليه فأصابته بجراح متوسطة فقاموا بحمله من سطح المنزل وجره على درجات المنزل وسط نزيف دموي مستمر، وعندما أحضروا أخاه إبراهيم ليسألوه عن هوية المصاب أخبرهم بأنه أخوه إسلام، وعلى الفور قام أحد أفراد القوات الخاصة الصهيونية بإطلاق النار على المجاهد إسلام في بطنه ليتأكدوا من موته حيث إن عملهم هذا كان مبيتًا لإعدام المجاهد إسلام طوباسي؛ لاتهامه بقيادة مجموعة لسرايا القدس في مخيم جنين وأنه المسئول عن إصابة أحد الضباط الصهاينة في أحد الاشتباكات في مخيم جنين.

وما أن علم الأهالي في جنين وقراها ومخيمها نبأ استشهاد المجاهد إسلام طوباسي ابن عائلة طوباسي الأبية التي قدمت منزلها وأبناءها أسرى وشهداء حتى خرجوا بعشرات الآلاف بمسيرات حاشدة إلى منزل الشهيد إسلام طوباسي ليقفوا إلى جانب هذه العائلة في مصابها وألمها الكبير ونزيف الدم المتواصل، فلما علم المجاهد سعيد طوباسي

خبر استشهاد أخيه إسلام وهو في سجن "هداريم" عندما سمع المجاهد جمال حويل يتحدث عن شهادته وعن أوضاع عائلة طوباسي، حتى قامت إدارة سجن "هداريم" بإغلاق السجن ومنع الأسرى من الخروج من الغرف خوفًا من ردات فعل الأسرى على استشهاد المجاهد إسلام طوباسي. وما هي إلا ساعات حتى بدأ الأسرى في سجن "هداريم" ومن كافة الفصائل يتوافدون على غرفة المجاهد سعيد طوباسي لتقديم واجب العزاء، فأي صبر سيصبر المجاهد سعيد طوباسي في هذه المحنة وهذا الألم الذي لا يتوقف؟ ولكنه لم ولن يجزع ولن يهون ولن يتراجع ولن يستسلم؛ لأنه أسد جنين القسام وأسد سرايا القدس، فالأسود لا تئن أمام عيون الذئاب، بل تعض على الجراح وتصمد لأفظع الآلام وتحافظ على وقارها وعظمتها ولا تبكي إلا إذا جنَّها الليل، فبكاء الرجال لا يكون إلا لشيء جلل.

لا يزال المجاهد سعيد أسيرًا لدى العدو الصهيوني، هذا العدو الذي استطاع المجاهد سعيد أن يفهمه جيدًا عبر قراءته ودراسته في سجون الاحتلال حيث كان قد دخل سجون العدو وتحصيله العلمي لا يتجاوز الصف التاسع الأساسي فإذا به يحصل على شهادة التوجيهي، ودبلوم خدمة اجتماعية، ثم بكالوريوس في التاريخ، ثم بكالوريوس في العلوم السياسية، ولا يزال بانتظار تحقيق الوعد الذي قطعته المقاومة الفلسطينية بتحرير الأسرى عما قريب بإذن الله تعالى.

الأسير المجاهد
عبد الله ناجي وحش برغيش

أحد أبطال ملحمة جنين الكبرى

تاريخ الميلاد: 1983/02/11م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: مخيم جنين – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 14

تاريخ الاعتقال: 2002/11/22م

الحكم: 23 عاماً

حديثنا اليوم عن مجاهد أمضى سنوات عمره منكرًا لفرديته وذاته، مستجيبًا لنداء الوطن ووفيًا له، حيث إن فرديته نقطة في بحر بقاء عزة الوطن ومازال ويبقى كذلك وللأبد، فما أن انتمى لصفوف سرايا القدس حتى لم يدع جهدًا إلا وبذله في سبيل الله، ثم في سبيل كرامة الوطن، فتراه مستمرًا بالعطاء اللامحدود بالرغم من كل العواصف الهوجاء التي اجتاحت جنبات روحه وألحقت تمزقًا في عنفوان الصبا، وأحدثت شرخًا في الأمل، فالتحية كل التحية لهذا المجاهد عبد الله ناجي وحش برغيش.

المولد والنشأة

ولد المجاهد عبد الله في مخيم جنين (عاصمة الاستشهاديين)، هذا المخيم الذي جاء نتيجة لنكبة فلسطين العام 1948م التي تم فيها قسرًا تهجير ما يقارب المليون فلسطيني من مدنهم وقراهم وبيوتهم وأراضيهم ليجدوا أنفسهم موزعين على تسعة وخمسين مخيمًا داخل فلسطين، وفي الدول العربية المجاورة ليحمل كل مواطن لقبًا جديدًا رغمًا عنه وهو كلمة (لاجئ)، ويعتبر مخيم جنين ضمن تسعة عشر مخيمًا أقامتها وكالة الغوث (الأونروا) على أرض الضفة الغربية عام 1953م، ويبلغ عدد سكانه اليوم ما يزيد عن خمسة عشر ألفًا، ولطبيعة موقعه

الاستراتيجي على سفح أحد الجبال الواقعة ما بين مدينة جنين ووادي برقين، يستطيع سكان المخيم رؤية مدن وقرى فلسطين المحتلة عام 1948م، والتي أصبح معظمها إما مدمرة بالكامل أو شبه مدمرة لتكون أشبه بالأطلال الممزوجة بدماء الشهداء الذين دافعوا عنها في حرب العام 1948م.

ولذلك اقتضت حكمة الله ـعز وجلـ أن تتواصل مسيرة النضال للاجئين الفلسطينيين الذين لن ينسوا ماضيهم الأليم ليستلم الراية من بعدهم جيل وراء جيل لعلهم بدمائهم وتضحياتهم وإحيائهم لذكرى النكبة والألم يبنون صرحًا شامخًا يعطي للوطن الانتماء، ويزرعون ورودًا بلون الأقحوان تنساب من ثناياها قطرات الدم العبق برائحة الورود، وتسير جداول ترسم خارطة الوطن في دفاترها ليكتبوا أنشودة العشق السرمدي كلما خطت من نزيف قلوب عاشقة لذرا الكرمل وحيفا ويافا واللد والرملة وطبريا وبيسان وخاصة قرية هوشة قضاء مدينة عكا أصل عائلة المجاهد عبد الله الوحش.

كان للمجاهد عبد الله الشرف أن يُسجل تضحياته وبطولاته وسنين عمره في دفتر العشاق للوطن، فعلى أرض مخيم جنين الأبي ولد هذا المجاهد، وبه نشأ وترعرع في ظل عائلة فلسطينية مؤمنة بالله ـعز وجلـ ومتمسكة بالتعاليم الإسلامية، ولاسيما أن والد المجاهد عبد الله إضافة لعمله الشاق في مجال بيع الخضراوات في جنين، وأحيانًا كان يعمل كدلال للخضراوات، وعمل كإمام وخطيب وواعظ في مسجد مخيم جنين، وانتقل منه إلى مدينة الناصرة المحتلة التي كان معظم أهلها يتسابقون لسماع خطبته ومواعظه ودروسه في المساجد؛ فكانت مدينة الناصرة تنام على صوته وهو يدعوها للفلاح ليكون المجاهد عبد الله كما يقال بالمثل العامي "فرخ البط عوام" حيث حظي المجاهد عبد الله باهتمام والده ليأخذ عنه حب الإسلام والصلاة وارتياد المساجد التي تعلق بها قلبه وتتلمذ على يد مشايخ مسجد مخيم جنين في تعلمه القرآن وأدب الإسلام وحب الجهاد والمقاومة ونداء الوطن.

وعلى الرغم من صغر سن المجاهد عبد الله إلا أنه بدا عليه الهم والتعب فكبر قبل أوانه ولم يكن ليشعر بطعم الطفولة ولم يكن ليعرف لها معنى سوى العمل، وتحمل الأعباء والمسؤولية، فما أن بلغ من عمره سبع سنوات حتى بدأ يساعد والده المريض بالقلب والسكر والضغط كأنه أصبح رجل البيت الأول فشرع في العمل في كل المجالات من العمل في ملحمة أخواله إلى بيع الخضرة إلى بيع القرطاسية المدرسية تلك المدرسة التي لم تكن ضمن أولوياته واهتماماته وطموحه بقدر اهتمامه اللامحدود في خدمة أبيه وأمه وإخوته الصغار، فكان لزامًا عليه أن يتحلى بالمسؤولية التي حملتها إياها عائلته رغما عنه.

فأين طفولة هذا الطفل الذي لم يتجاوز من عمره عشر سنوات، ولكن دومًا وأبدًا يبقى هذا حال الأطفال اللاجئين، فاللاجئ يعني أن يكون معذبًا ومضطهدًا ومظلومًا وفقيرًا وضعيفًا إلا من إرادته وعزيمته وإصراره على العودة، تلك العودة الجماعية المنشودة، والذي يتحمل مسؤولية ذلك هو المحتل

الصهيوني الذي احتل واغتصب الأرض الفلسطينية، تحت مسمع ومرأى العالم الحر والديمقراطي فهذا عدو لا يرحم شيخًا ولا امرأة، فكيف له أن يرحم طفلًا في عمر المجاهد عبد الله الذي لا يزال يتذكر همجية وشراسة وظلم العدو، عندما داهم جيش الاحتلال الصهيوني منزلهم في المخيم حيث كانت معظم المظاهرات وأيام التصعيد في الانتفاضة الأولى أمام منزلهم كونه يقع في مدخل مخيم جنين،

مشهد متكرر للمواجهات مع قوات الاحتلال الصهيوني خلال انتفاضة الحجارة (1987م)

حيث يضع شباب الانتفاضة الحواجز والمتاريس ويحرقون إطارات السيارات لمنع تقدم العدو الصهيوني إلى داخل مخيم جنين، وما أن يقوم جيش الاحتلال بتفريق المتظاهرين عبر إطلاق النار عليهم وعبر إلقاء القنابل المسيلة للدموع؛ يأتي دور مسلسل جديد من الإهانات للأهالي حيث يقتحم الجيش الصهيوني منزل المجاهد عبد الله الوحش ويعبثون بمحتوياته ويخرجون والده من المنزل بقوة غطرستهم وعنجهيتهم وقوة سلاحهم، ليجبروه على تنظيف مخلفات أحداث التصعيد اليومي للانتفاضة، فكان جوابه دائمًا واحدًا لا يتغير ولا يتبدل وهو الرفض المطلق لتنفيذ ذلك، ليبدأ مسلسل الشتائم والضرب والإهانة أمام الزوجة والأبناء الصغار الذين لم يكن أمامهم سوى التعبير عن خوفهم المصحوب بالغضب الخفي، والذي يقول: سنريكم أيها المجرمون ماذا سنفعل بكم حينما نكبر؟، فكان هذا حال العدو الصهيوني الذي لا يرحم بشرًا ولا حجرًا ولا حتى الشجر حتى إن شجرة العنب في بيت جيران المجاهد عبد الله لم تسلم من همجية الاحتلال الذي كان يجرف ما تبقى من مخلفات التصعيد في أيام الانتفاضة عبر الجرافة الصهيونية مما أدى إلى حرمان أصحاب المنزل من التفيؤ بظلالها وحرم نساء المخيم من ثمرها وورقها والاجتماع تحتها، فهذا هو سلوك العدو الصهيوني الذي لا يفهم معنى الإنسانية ولا يفرق بين بشر وشجر وحجر؛ فكلهم بنظره إرهابيون لأنهم على أرض فلسطين ولأنهم فلسطينيون.

ولشدة الأوضاع وصعوبة الأحوال ازداد مرض والد المجاهد عبد الله ليقرر السفر إلى الأردن لتلقي العلاج المناسب ليكون إلى جانبه إخوته وأخواته الذين يعيشون هناك ليصبح المجاهد عبد الله وحيدًا بلا سند، بل هو الذي أصبح السند للعائلة ولتقع على كاهله مسؤولية العائلة في مخيم جنين، وازدادت عيه المسؤوليات الجسام ليتخلى عنه حبه لممارسة كرة القدم التي برع بها أثناء مشاركته أشبال وشباب مسجد مخيم جنين في العديد من المباريات بين مساجد قرى ومدينة جنين.

وبدأ مشواره في كفاحه في العمل وبشكل يومي من أجل توفير مستلزمات واحتياجات العائلة في ظل شوقه لأيام المسجد عندما كان يجلس

في حلقة العلم والقرآن، والتي أشرف عليها المجاهد الشهيد محمود حلوة ليتذكر تلك الأيام الجميلة والتي غالبًا ما كان يتم اصطحاب أشبال المسجد في مخيم جنين إلى أماكن ترفيهية وتعريفية في مدن وقرى الوطن الغالي ليجد المجاهد عبد الله نفسه في مسؤولية وتعب وهم كبير، ولكن الله -عز وجل- لا يمكن أن يتخلى عن عباده الفقراء والمحتاجين والمظلومين، فما أن علم أصدقاء والده نبأ خروجه للعلاج إلى الأردن حتى قدموا من مدن وقرى فلسطين المحتلة عام 1948م وخاصة من مدينتي الناصرة وأم الفحم من أجل زيارة عائلة صديقهم أبو عبد الله ليقدموا لهم كل ما يلزم من مقومات الحياة ليعززوا صمودهم في وجه متطلبات الحياة الصعبة والمؤلمة لتعلم هذه العائلة أن الله لا يضيع أجر المؤمنين.

وما تكاد عطلة المدارس تقترب حتى يبدأ عبد الله وإخوته بالاستعداد للسفر إلى الأردن لرؤية والدهم الذي حاول مرارًا وتكرارًا العودة إلى الوطن، ولكن هذا العدو الصهيوني لم يكن ليسمح له بالعودة إلا بعد ثلاث سنوات نتيجة لدوره في الخطابة والوعظ والإرشاد والتحريض ومساعدة المحتاجين من الناس للبقاء في وطنهم وعلى أرضهم، ونتيجة لبعد والد المجاهد عبد الله عن زوجته وأبنائه وحاجته لمن يساعده في حياته قرر الزواج من امرأة من سكان الأردن لتكون إلى جانبه في مرضه ومحنته معلنًا تمسكه بمواقفه تجاه هذا المحتل الصهيوني؛ لأنه رجل صارم وإنسان جاد ومكافح وصبور ووطني وأب مثالي ونموذج للعفة والطهر يؤمن بأن الأرض ومن عليها يرثها الله -عز وجل-، وأن هذه الحياة كل الحياة ما هي إلا رحلة وعلى روادها ومحبيها أن يعيشوها بعزة وكرامة، وأيضًا عليهم أن يدخلوا لها بكرامة، وما أن يصل المجاهد عبد الله وإخوانه إلى والدهم في الأردن حتى يبدأ يحدثهم عن فلسطين ومدنها وقراها وأصلهم العكاوي وبلدتهم هوشة لتعيش الذكرى في ظل حرارة اللقاء التي أذابت الأجساد وكوتها بالدموع الساخنة المتساقطة، ولتتسلل الفرحة الحزينة إلى النفوس بضعة أيام، وما أن تكاد تنتهي حتى يبدأ العد التنازلي بالأفول لتلك الفرحة المؤقتة لتقترب ساعة الوداع والعودة والتي تعني مفارقة الوالد مجددًا، وتبدأ ساعة الرحيل والعودة إلى مخيم جنين ليعود المجاهد عبد الله الوحش في مطلع التسعينات.

وبعد عودته من زيارة والده في الأردن يتحمل المسؤولية من جديد، ولكن هذه المرة بمعنويات عالية وهمة كبيرة ولاسيما أنه اطمأن على صحة والده وزوجة أبيه وأعمامه وعماته في الأردن لتكون هذه الفترة أيضًا فترة حساسة جدًا على أبناء الشعب الفلسطيني، فهي فترة تشهد على إقدام منظمة التحرير الفلسطينية على الدخول في العملية السلمية مع الكيان الصهيوني برعاية أمريكية ودولية في ظل تخبط فلسطيني ما بين مؤيد للعملية السلمية وما بين معارض لها جملة وتفصيلًا.

ومرورًا بمدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية ووصولًا إلى مدينة رفح بالإضافة إلى رفض اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات العودة والشتات في الدول العربية، وخاصة في الأردن وسوريا ولبنان،

فعمت الإضرابات ورفعت الرايات السود وحزن المجاهدون في فلسطين المحتلة، وانقسم الشعب الفلسطيني في موقفه بالكثير من القضايا كمنظمة التحرير والانتفاضة، وتم التوقيع على إعلان أوسلو في واشنطن بتاريخ 13/ 09/ 1993م، وأدى ذلك إلى تراجع الانتفاضة الفلسطينية الشعبية، وخمدت براكينها في ظل استياء شعبي ودولي وفي ظل ترهيب صهيوني حيث كتب أحد الكتاب والروائيين الصهاينة (عاموس أوز) أنه في 13 سبتمبر (أيلول) من العام 1993م يعتبر ثاني أكبر نصر في تاريخ الصهاينة، بينما عبرت الحركة الإسلامية ممثلة بحركتي حماس والجهاد الإسلامي عن رفضها المطلق للعملية السلمية ولإفرازات أوسلو المشؤوم والذي يعتبر نكبة جديدة للشعب الفلسطيني، وأنهما ستعملان بكل جهد ممكن لإفشال العملية السلمية، وفي الاتجاه الآخر أيدت حركة فتح اتفاق أوسلو وحرصت على إنجاحه للوصول إلى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف.

تم تهيئة الشعب الفلسطيني لاستقبال السلطة الفلسطينية والقادمين من الخارج إلى الضفة وغزة لتخرج جماهير من مدينة جنين بقيادة حركة فتح إلى مقر المقاطعة في جنين لاستقبال السلطة الفلسطينية، وكان المجاهد عبد الله إلى جانب أشبال المخيم من ضمن الذين ذهبوا إلى المقاطعة، ولكن ليس حبًا في السلطة وإنما حبًا في اكتشاف طبيعة المقاطعة وشكل وغرف السجن فيها ولرؤية مكان الخيم التي كان يتم احتجاز شباب مخيم جنين بها. وكان يراهم المجاهد عبد الله وأطفال المخيم من روضة الهلال الأحمر الفلسطيني الملاصق لمقر المقاطعة، والأهم أن المجاهد عبد الله وابن عمه أرادا البحث عن مخلفات الجيش الصهيوني الذي انسحب من المقاطعة، فعثرا أثناء تفتيشهما لغرف المقاطعة على كمية من الرصاص بالإضافة إلى مسدس صغير الحجم من نوع "توتو" لم يتمكنا من التعامل معه لصغر سنهما، فعادا إلى مخيم جنين فرحين مسرورين بما عثرا عليه من غنائم، واكتملت فرحة المجاهد عبد الله عندما سمح لوالده بالعودة إلى فلسطين بعد إبعاد استمر لأكثر من ثلاث سنوات.

وأعاد المجاهد عبد الله المسؤولية التي حملها رغمًا عنه إلى والده بعد طول عذاب ومعاناة وألم وهم اضطر معه إلى ترك دراسته في الصف التاسع الأساسي، ولكن قدر الله هو الغالب، فما أن جاء العام 2000م حتى اشتد المرض على والده ليتوفاه الله ـ عز وجل ـ وليعود الحزن والأسى مرة أخرى إلى قلب المجاهد عبد الله لاسيما أنه أصبح هذه المرة هو المسؤول الأول والأخير عن والدته وزوجة أبيه وإخوانه وأخواته ليكثف العمل ليل نهار من أجل الاعتناء بعائلته ومتطلباتها الحياتية ولتستمر الأوضاع بشكل مأساوي أكثر فأكثر لتندلع الانتفاضة الفلسطينية، والتي سميت بانتفاضة الأقصى في 28/ 09/ 2000م، والتي جاءت تعبيرًا عن اللحظة التاريخية والهامة في تشييع اتفاق أوسلو إلى مثواه الأخير.

وعلى الرغم من تأخر وتردد بعض الفصائل في المشاركة في انتفاضة الأقصى، وخاصة في أسابيعها الأولى كان المجاهد عبد الله الوحش إلى جانب أبطال مخيم جنين من أوائل الذين انضموا إلى شباب

الانتفاضة في الدفاع عن الشعب الفلسطيني وعن مقدساته ليواجه العدو الصهيوني إلى جانب جماهير مدينة جنين على حاجز الجلمة بالقرب من مدينة جنين، وهي نقطة الاحتكاك الوحيدة تقريبًا في مدينة جنين مع العدو الصهيوني في ذلك الوقت ليرتقي إلى العلا الشهداء وليسقط الجرحى وتزداد شعلة الانتفاضة عنفوانًا وقوة في وجه المحتل، ولحاجة المجاهد عبد الله الوحش إلى السلاح توجه إلى الحصول على دورة تدريب عسكري في السلطة الفلسطينية ليتدرب على استعمال السلاح وتفكيكه وكيفية التعلم على القنص، وإصابة الهدف بدقة ليتخرج منها كموظف في جهاز المخابرات العامة الفلسطينية في جنين إلى جانب أصحابه ورفاق دربه المجاهدين مصطفى أبو سرية وعبد الكريم أبو ناعسة.

جهاده في انتفاضة الأقصى

ولم يمنعه عمله في المخابرات من ممارسة نشاطه في انتفاضة الأقصى حيث تمكن من التعرف على الحاج علي الصفوري أحد أبرز قادة سرايا القدس في مدينة جنين، وانضم إليه المجاهدون مصطفى العموري وعبد الكريم أبو ناعسة ومصطفى أبو سرية لتكون هذه المجموعة من أهم مجموعات الحاج علي الصفوري الذي زودهم بالمال والسلاح والذخيرة، وكان عملها سريًا للغاية كونهم يعملون في جهاز المخابرات الفلسطينية ليكون أول عمل عسكري للمجاهد عبد الله في انتفاضة الأقصى بصحبة المجاهدين خضر ضباية ومصطفى أبو سرية وعبد الكريم أبو ناعسة بتنفيذ عملية اشتباك مسلح على الشارع الالتفافي في مدينة جنين ضد دورية صهيونية، وتم إصابتها بشكل مباشر وأعلنت سرايا القدس عن هذه العملية التي أوقعت إصابة صهيوني بجراح.

الأسير المجاهد/ عبد الله برغيش (يمين)
برفقة الأسير القائد/ علي السعدي (الصفوري)

قرر المجاهد عبد الكريم أبو ناعسة أن يعلن عن العملية عبر سماعة مسجد مخيم جنين متحديًا السلطة الفلسطينية والاحتلال الصهيوني، وأنها لن تكون آخر عملية لهم، وبهذا تم اكتشاف أمر المجموعة فقام جهاز المخابرات الفلسطينية بحبس المجاهدين عبد الله الوحش ومصطفى أبو سرية في مقر المخابرات الفلسطينية في جنين لمدة ثلاثة أسابيع ليتم بعدها نقلهما للعمل في مقر المخابرات الفلسطينية في مدينة طوباس، وأراد الجهاز من ذلك إبعادهما عن الجهاد الإسلامي

في مخيم جنين ومحاولة التأثير عليهما لترك العمل العسكري مع سرايا القدس، والاهتمام بوظيفتهما في السلطة الفلسطينية، فما كان من المجاهدين عبد الله ومصطفى وبقية أفراد مجموعتهم إلا خوض الاشتباكات العنيفة مع العدو الصهيوني في معسكر صانور وتياسير ويعبد، ليأتي قرار السلطة الفلسطينية عبر مدير المخابرات في مدينة جنين بترقين قيدهم، بمعنى أنهم يمهدون لفصلهم من جهاز المخابرات الفلسطينية ليعود المجاهدين بعدها إلى مخيم جنين وسط ترحاب شديد من قبل الأهالي وقادة وكوادر المقاومة الفلسطينية، وتحديدًا سرايا القدس، وفي مقدمتهم الحاج علي الصفوري الذي قدم للمجاهد عبد الله وأبناء مجموعته كل ما يلزم من احتياجات مالية وعسكرية من سلاح وذخيرة ليكونوا إلى جانب أهالي مخيم جنين ومجاهدي سرايا القدس في مواجهة تقدم العدو الصهيوني في اجتياح سبتمبر (أيلول) من العام 2001م حين تقدم الجيش الصهيوني بدباباته وآلياته العسكرية باتجاه مخيم جنين من منطقة حرش السعادة مما جعل المقاومين ومن كل الفصائل يقررون التصدي وبكل قوة لهذا العدو الصهيوني، لتدور الاشتباكات المسلحة في منطقة المدارس في مخيم جنين ليجتمع المجاهدون جنرال فلسطين محمود طوالبة، والحاج علي الصفوري وثابت مرداوي وإياد المصري وإبراهيم الفايد وزياد العامر والعديد من المقاتلين الفلسطينيين، وبمقدمتهم المجاهد عبد الله الوحش بالإضافة إلى توافد العديد من مجاهدي سرايا القدس من المدن والقرى الفلسطينية لنصرة المجاهدين في مخيم جنين للدفاع عن كرامة المخيم وأهله ومجاهديه.

وحضر المجاهدان زيد بسيسي وبهاء الشبراوي من طولكرم إلى مخيم جنين ليكون المجاهد زيد بسيسي والذي يعتبر من مؤسسي سرايا القدس في طولكرم على رأس المقاتلين في مخيم جنين ونتيجة لاستبسال المجاهدين في القتال قام العدو الصهيوني عبر دباباته بإطلاق قذائفها باتجاه المجاهدين لتصيب إحداها المجاهدين إياد المصري وإبراهيم الفايد ليطلب المجاهدان زيد بسيسي ويحيى الزبيدي من الطواقم الطبية الإسراع في إسعافهم ليجد المجاهد زيد أن المجاهدين قد فارقا الحياة، فكان مشهدًا صعبًا ومؤثرًا حيث شاهد المجاهد زيد بسيسي دماء المجاهدين على الأرض، ولم يكتف العدو الصهيوني بهذا بل طال القصف الصهيوني طواقم الإسعاف، وحتى الصحافيون لم يسلموا من إرهابه وقصفه الهمجي، حيث أصيب الصحفيان علي سمودي وسيف الدحلة في هذا القصف، وامتدت المواجهات إلى قرى مدينة جنين وخاصة إلى بلدة عرابة بمحافظة جنين، وارتقى إلى العلا الشهيد البطل أسعد دقة من بلدة عتيل في مدينة طولكرم الذي كان يتواجد في بلدة عرابة وخاض اشتباكًا مسلحًا مع الجيش الصهيوني هناك، ويعتبر من أبرز مؤسسي سرايا القدس في مدينة طولكرم واستشهد معه المجاهد الكبير سفيان عارضة وشقيقته بلقيس، بالإضافة إلى أبرز قادة سرايا القدس في مدينة جنين ابن بلدة عرابة الصمود وائل عساف.

كان لزامًا على سرايا القدس أن ترد على هذه الجريمة، ورغم الحصار الشديد في مدينة جنين وصعوبة التحرك قام المجاهدان الاستشهاديان يوسف سويطات ونضال الجبالي بعملية استشهادية في مدينة الخضيرة المحتلة بتاريخ 28/ 10/ 2001م، عبر إطلاق النار ليرتقيا إلى العلا شهداء مقبلين غير مدبرين ويجتمعا مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في عليين وسقط أكثر من ستة قتلى صهاينة في هذه العملية، والتي أهدتها سرايا القدس لأرواح شهداء مدينة جنين في شهر سبتمبر (أيلول) من العام 2001م.

وأراد إضافة إلى ذلك المجاهد عبد الله الوحش وأبناء مجموعته الثأر مرة أخرى لدماء الشهداء وخاصة دم الشهيد إياد المصري ابن مجموعتهم وأحد أصدقائهم في مخيم جنين، فتوجهوا متوكلين على الله -عز وجل- في يوم رمضان تجاه معسكر صانور الصهيوني ليدور الحديث بين المجاهدين أثناء توجههم لتنفيذ العملية حول موضوع الشهادة والحور العين، وإذا بالمجاهد عبد الكريم أبو ناعسة ومصطفى أبو سرية يسألان أخويهما المجاهدين الوحش ومصطفى العموري: هل يا أحبابي ستزعلون علينا في حال استشهدنا؟ فأجابهما المجاهد عبد الله: بكل تأكيد ونحزن حزنًا شديدًا على فراقكما، ولكن ربما نحن الذين نستشهد اليوم وليس أنتما، فما أن وصلوا معسكر صانور وبدأوا يستعدون للمواجهة وما أجملها من مواجهة، فكانوا صائمين يومهم الرمضاني وفي وقت الظهيرة وفي وضح النهار ليكونوا وجهًا إلى وجه مع هذا المحتل الصهيوني،

الاستشهاديان/ مصطفى أبو سرية (يمين) وعبد الكريم أبو ناعسة استشهدا معاً بتاريخ 27/ 11/ 2001م

ولما رأوا نزول أحد الجنود من البرج الذي كان يحرس به من أجل تبديل مناوبة الحراسة، استعد المجاهدون لإطلاق النار ليجدوا أن هناك جنديًا آخر يصعد عبر السلم الحديدي إلى برج آخر بالقرب من البرج الأول فصاح المجاهدون: الله أكبر! الله أكبر! وبدأوا بإطلاق النار على الجنود الصهاينة، وكلما سقط جندي عن سلم البرج تعالت أصوات حناجرهم بكلمة الله أكبر! الله أكبر! وهم يرددون قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، وبدأ الجنود الصهاينة بالصراخ والبكاء مستغيثين بالدعم الجوي والإسنادي، فقرر المجاهدون الانسحاب من الموقع قبل وصول التعزيزات الصهيونية، ليتمكنوا من العودة إلى مخيم جنين ويجتمعوا بالحاج علي الصفوري الذي أعلن مسؤولية سرايا القدس عن العملية ردًا على مجازر العدو الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني وإهداءً لروح الشهيد إياد المصري، وردًا أوليًا على اغتيال قائد كتائب القسام في الضفة الغربية محمود أبو هنود.

وما أن سمع المجاهدون أذان المغرب حتى توجهوا للإفطار بعد يوم رمضاني جهادي طويل، وكان قد اتفق المجاهد عبد الله مع المجاهدين مصطفى أبو سرية وعبد الكريم أبو ناعسة أن

يصلوا العشاء جماعة في مسجد مخيم جنين ويصلوا التراويح وبعدها يجتمعون أمام المسجد، وخرج المجاهد عبد الله الوحش من المسجد لينتظر أخويه مصطفى وعبد الكريم ولكنهما لم يخرجا من المسجد فعلم أنهما لم يصليا العشاء في المسجد وأنهما اتفقا على الذهاب إلى مكان ما، ولا يريدان أن يعلم بذلك المجاهد عبد الله، وما هي إلا ساعة حتى اجتمع بهم في مخيم جنين، وكان متضايقًا جدًا من تصرفهما غير المبرر، وبدأ المجاهدون مصطفى وعبد الكريم يعتذران للمجاهد عبد الله لمحاولة إرضائه، ولم يكتفيا بذلك بل ذهبا إلى منزل المجاهد عبد الله ليسهرا عنده تلك الليلة لعله يسامحهما ويغفر لهما ما فعلاه به، وعلم المجاهد عبد الله أنهما يخططان لشيء ما ولا يريدان الإفصاح عنه، فشاركهما الحديث والضحك والمزاح وتصافت النفوس، وما أن تأكدا أن المجاهد عبد الله قد رضي عنهما وسامحهما حتى غادرا منزله في الساعة الواحدة ليلًا، ليستيقظ المجاهد صبيحة يوم 27/ 11/ 2001م على صوت والدته وهي توقظه من النوم لتخبره أن هناك عملية في العفولة، وأن من نفذ العملية هما استشهاديان، وقبل أن تنتهي من كلامها قال لها المجاهد عبد الله: أتعلمين من هم؟ قالت: كيف لي أن أعلم؟ فأجابها إنهما مصطفى أبو سرية وعبد الكريم أبو ناعسة، هكذا حدثته روحه التي عانقت بالأمس روحيهما، وعلم حينها لماذا لم يصليا في المسجد كما وعداه، حيث كانا قد ذهبا إلى الحاج علي الصفوري لتصويرهما قبل العملية وتجهيزهما ليوم غد.

ارتدى المجاهد عبد الله بدلته العسكرية وحمل سلاحه وتوجه إلى منازل الشهداء الأبطال لتهنئتهم باستشهادهما، وما أن رأى المجاهد عبد الله الحاج علي الصفوري حتى سارع إليه بالعتاب، وطرح الأسئلة وكان حزينًا جدًا حيث عاتب الحاج علي لماذا لم يرسله مع أخويه لتنفيذ العملية وكان يتمنى أن يكون معهما الاستشهادي الثالث، فكما اجتمعوا معًا في الدنيا تمنى أن يجتمعوا معًا في الآخرة،

الأسير المجاهد/ عبد الله برغيش
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

فما كان من الحاج علي إلا أن يخفف عنه ألمه وحزنه ويقول له: نحن نريدك لمهمات جهادية قادمة وخاصة لإعادة تشكيل المجموعة الجديدة، حيث انضم إلى مجموعة المجاهد عبد الله المجاهدان محمد طوباسي والمجاهد شادي العموري لتبدأ

هذه المجموعة الجديدة عملها عبر زراعة عبوة ناسفة لإحدى الدوريات الصهيونية التي تحرس سيارة النفايات الصهيونية في منطقة الطرم في بلدة يعبد بمحافظة جنين، لتوقع هذه العملية إصابات وأضرارًا جسيمة لتزداد عمليات سرايا القدس في الضفة الغربية، مما أدى إلى قيام الحكومة الصهيونية باتخاذ قرار باجتياح مخيم جنين من أجل القضاء على العمليات الاستشهادية وليكون شهر مارس (آذار) من العام 2002م يومًا من أيام المقاومة والجهاد ضد العدو الصهيوني، فتصدى أبطال سرايا القدس ومعهم باقي المجاهدين من كافة الفصائل الفلسطينية لهذا الاجتياح إلى أن اتفقت السلطة الفلسطينية مع العدو الصهيوني على انسحابه من محيط مخيم جنين مقابل خروج المسلحين من مخيم جنين باتجاه مدينة جنين، وما هي إلا ساعات حتى انسحب العدو الصهيوني.

وعاد المجاهدون إلى عاصمة الاستشهاديين مخيم جنين لمواصلة العمليات العسكرية والاستشهادية حيث نجحت سرايا القدس بإرسال العديد من الاستشهاديين إلى قلب العدو الصهيوني وكذلك فعلت كتائب القسام، مما جعل شارون رئيس حكومة الإجرام الصهيوني يقرر اجتياح الضفة الغربية عبر عملية أسماها السور الواقي، وفي هذه الأثناء كان المجاهد عبد الله الوحش قد اتفق مع المجاهد سيف قنديل من مخيم جنين على تنفيذ عملية استشهادية مزدوجة في قلب الكيان الصهيوني، وأشرف على تمويلها وتجهيزهما الحاج علي الصفوري، وحاولا الخروج من مدينة جنين إلى موقع تنفيذ العملية فوجدا أن مدينة جنين محاصرة حصارًا شديدًا لا يمكن اختراقه، فقررا البقاء في مخيم جنين إلى جانب المجاهدين، ومن كل الفصائل للدفاع عن المخيم وأهل المخيم في هذا الاجتياح، حيث بدأت الاستعدادات الاستراتيجية والتكتيكية واللوجستية ومن كافة الفصائل لمواجهة العدو الصهيوني، وقرعت طبول الحرب وبدأت سماعات المساجد بالهتاف والتكبير وشحذ الهمم، والتحريض والمناداة إلى النفير العام، فنفر كل فصيل برجاله، وتم توزيع المجاهدين على محاور مخيم جنين من كافة الجهات الأربع لتبدأ المعركة مع العدو الصهيوني الذي بدأ يتقدم باتجاه محاور مخيم جنين ومن كل الجهات، ومستعينًا بدباباته وآلياته العسكرية وجرافاته وطائرات الأباتشي التي لم تتوقف عن قصفها عبر الصواريخ للمنازل ولأماكن تواجد المجاهدين واشتدت المعركة وحمي الوطيس.

ملحمة جنين

وبدأ عدد الشهداء يرتفع، والجرحى في ازدياد مستمر دون علاج وبدأت بعض المواقع تتساقط شيئًا فشيئًا بسبب القصف الصهيوني لها عبر الطائرات، واستبسل المجاهدون في حارة الدمج ليشكلوا أسطورة في المواجهة والتصدي لهذا العدو الصهيوني، فكانت تدور الاشتباكات بين المجاهدين والجيش الصهيوني من مسافات قصيرة، وتحديدًا من مسافة صفر فاضطر الجيش الصهيوني لتكثيف غاراته وقصفه لحارة الدمج وتم إحضار جرافات كبيرة جدًا لهدم المنازل على رؤوس ساكنيها للوصول إلى المجاهدين الذين تمكنوا من الانتقال إلى منطقة حارة الحواشين

في وسط مخيم جنين، لينقسم المجاهدون إلى مجموعتين إحداهما استطاعت التحصن في منزل عائلة قتادة، وكان ضمن المجاهدين عبد الله الوحش وأشرف أبو الهيجاء وعماد النشرتي وعلام القنيري، والمجوعة الأخرى كانت في بيت الحاج عماد الطالب، وكان من المجاهدين المتواجدين بها الجنرال محمود طوالبة وعبد الرحيم فرج وشادي النوباني والمجاهد القسامي إياد أبو الليل، فكان لابد من الحراسة أمام مدخل المنزل في بيت قتادة لمنع محاولة الجيش الصهيوني التقدم من تلك المنطقة، فقرر المجاهد عبد الله الوحش إلى جانب أخيه المجاهد أشرف أبو الهيجاء أن يرابطا أمام المنزل.

في تلك الليلة، في الساعة العاشرة إذا بمجموعة من الجنود الصهاينة يتقدمون باتجاههما ويدخلون إلى أحد الأزقة القريبة محاولين الدخول إلى منزل أبو سمير القريب منهما فخرج عليهم المجاهد أشرف أبو الهيجاء، وهو يعلو بصوته الله أكبر! الله أكبر! الله مولانا ولا مولى لهم، وبدأ يطلق النار، واشتبك معهم وجهًا لوجه وتقدم باتجاههم ليوقع أكبر عدد ممكن من الإصابات ليصاب بنيرانهم ويسقط على الأرض، فقرر المجاهدون عبد الله الوحش وإخوانه بالإضافة إلى المجاهدين محمود طوالبة ومن معه القيام باشتباك آخر مع الجنود الصهاينة من أجل محاولة سحب المجاهد أشرف من وسط الزقاق إلى داخل المنزل، ونجحت هذه الخطة المحكمة ليتفاجأ المجاهد عبد الله ومن معه باستشهاد المجاهد أشرف أبو الهيجاء، وبدأ المجاهد محمود طوالبة ينادي على المجاهد عبد الله لمعرفة مصير المجاهد أشرف، والذي كان من أعز الأصدقاء لمحمود طوالبة ليعلم أنه قد استشهد فبكاه المجاهد محمود وبكى من معه على فراق أخيهم المجاهد أشرف، وحزنوا كثيرًا عليه وانطبق عليهم الحديث الشريف عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ـصلى الله عليه وسلمـ، قال: "لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَين، وأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الأَثْرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ تَعَالَى"، والسر في هذا البكاء هو الخشية من الله عز وجل فلا خوف ولا وجل ولا رجاء إلا بالله، قال الشاعر:

وليس الذي يجري من العين ماؤها
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَذُوبُ وَتَقْطُرُ

وحين ساد الهدوء الحذر في تلك الليلة إذا بصوت انفجار قوي يهز المنطقة، ويتبعه انفجار آخر وكانت الأصوات تأتي من جهة البيت الذي يتواجد فيه المجاهدون محمود طوالبة وإخوانه، لتهدأ الأصوات بعدها، فبدأ المجاهد عبد الله وإخوانه بالمناداة على المجاهدين طوالبة ومن معه لمعرفة ماذا حدث في منطقتهم، وكان وقت بزوغ الفجر قد بدأ، ولكن دون أن يجيب أحد فاعتقد المجاهدون أن محمود طوالبة ومن معه قد غادروا المكان إلى منطقة أخرى، فاعتقد العدو الصهيوني أن قصفهم العنيف في تلك المنطقة أدى إلى قتل المجاهدين أو إلى انسحابهم من المكان، فتقدم عدد من الجنود عبر زقاق ضيق بالقرب من تواجد عبد الله الوحش وإخوانه ليبدأ الاشتباك المسلح مع الجنود الصهاينة ومن مسافة قصيرة وتمكن أحد المجاهدين من إلقاء زجاجات حارقة على الجنود الصهاينة

وأصابهم بشكل مباشر ليعلوا صوت صراخهم وبكائهم واستغاثتهم، وبعضهم تجمد في مكانه فلم يستطع الدفاع عن نفسه من شدة الخوف لتحضر إليهم فرق لإسنادهم، وفتحوا نيرانهم القوية باتجاه المجاهدين ليصاب المجاهد عماد النشرتي بشظايا، بالإضافة إلى قطع يد المجاهد الحاج عماد الطالب بسبب انفجار أحد الأكواع في يده، عندما حاول رميه على الجنود الصهاينة.

فكان من الضروري أن ينسحب المجاهد عبد الله وإخوانه من المجاهدين من المكان المتواجدين فيه في منزل قتادة إلى مكان آخر في حارة الحواشين، ليجدوا هناك عشرات من المجاهدين المتحصنين لطبيعة تلاصق البيوت ببعضها البعض ووجود العديد من الأزقة الضيقة والتي من خلالها تعطيهم المزيد من التفوق في خوض الاشتباكات ونصب الكمائن للجنود الصهاينة، ولكن هذه المرة قرر العدو الصهيوني استخدام الجرافات الكبيرة لهدم هذه المنازل وخاصة في حارة الدمج والجهة الشرقية من المخيم، لتتمكن من التقدم باتجاه حارة الحواشين، وهذا الأمر جعل العائلات والأهالي وكبار السن والنساء والأطفال يخرجون من البيوت إلى أماكن تواجد الجيش الصهيوني، لتفتيشهم ونقلهم إلى مكان آخر، وحاول العديد من الجرحى استغلال ذلك والخروج مع الأهالي ليتمكنوا من الوصول إلى مستشفى جنين لتلقي العلاج، وبعضهم نجح في ذلك والبعض الآخر تم اعتقاله، فقرر المجاهد عبد الله ومن معه التوجه إلى منزل الشيخ إسماعيل في وسط حارة الحواشين.

وكانت الجرافات تتقدم رويدًا رويدًا إلى حارة الحواشين للإحاطة بالمجاهدين المسلحين ليرتقي المجاهد طه الزبيدي شهيدًا في اليوم الثامن من الاجتياح بعد اشتباكه المسلح والعنيف مع الجنود الصهاينة، واشتد القصف الصهيوني العنيف على المجاهدين في ليلة اليوم الثامن، فقرر ما تبقى من المجاهدين في حارة الحواشين بأن يقسموا أنفسهم إلى مجموعات وتوزيعها على المنازل والأزقة ليسهل عليهم عملية التنقل بين المنازل، ويسهل عليهم عملية التواصل بين المجاهدين، وما أن بدأ بزوغ الفجر، وتحديدًا في صباح اليوم التاسع، حتى تقدمت قوة صهيونية يزيد عددها عن 25 جنديًا صهيونيًا باتجاه الزقاق الذي يتحصن حوله المجاهدون، والذين أخذوا أماكنهم استعدادًا لنصب الكمين لهؤلاء الجنود، وما أن وصل أكثر من نصف الجنود إلى وسط الزقاق، وأصبحوا بين منازل آل بربورة وعائلة أبو زينة وعائلة مصباح حتى كان يحيط بهم المجاهدون من كل مكان، وصاحوا معًا: الله أكبر! فتجمدت قلوب الجنود الصهاينة، وبدأ المجاهدون بإطلاق النار باتجاههم، وكانوا يرونهم يتجندلون أمامهم ويبكون ويصرخون ويستغيثون ويطلبون من المجاهدين عدم قتلهم، ولم تخرج منهم رصاصة واحدة إلا من رصاص القوة المساندة لهم أي بقية الجنود، فأوقع بهم المجاهدون أكثر من 13 صهيونيًا قتيلًا، وارتقى إلى العلا الشهداء محمد الفايد وأخوه أمجد الفايد ونضال النوباني الذي استطاع أن يسحب ثلاث جثث للجنود الصهاينة، إلى داخل منزل عائلة بربورة من أجل المساومة عليهم فيما بعد، وقام المجاهدون بالاستيلاء على أسلحتهم وذخيرتهم إلى

أن جاءت التعزيزات الصهيونية إلى المكان وفتحوا نيران أسلحتهم بكثافة على المجاهدين مما اضطرهم إلى الانسحاب إلى أسفل حارة الحواشين، ليجتمعوا في منزل أبو عمر الطوب، فكان هناك عشرات المجاهدين المحاصرين حيث إن جرافات الاحتلال كانت تتقدم باتجاههم وتجرف كل شيء أمامها، فما كان من بعضهم إلا أن يسلموا أنفسهم للعدو الصهيوني حيث لم يعد جدوى من المقاومة في ظل وجود الجرافات الضخمة، واتفق من تبقى من المجاهدين ممن رفضوا الاستسلام إلى تقسيم أنفسهم إلى مجموعات صغيرة، لتأخذ كل مجموعة لها مكانًا آمنًا، وانطلقت المجموعات من منزل أبو عمر الطوب إلى أماكن مختلفة، وما أن خرجت إحدى المجموعات حتى أصيب المجاهد وائل أبو السباع في عنقه، واعتقد المجاهدون أنه قد استشهد وتحركت مجموعة المجاهد عبد الله الوحش ومن معه سعيد طوباسي وزكريا الزبيدي وعبد الهادي العمري وعبد الرحيم البدوي ومصطفى الوزة وعماد النشرتي وعبد الأمين وغيرهم من المجاهدين بصعوبة بالغة، إلى أن تمكنوا من دخول أحد المنازل شبه المدمر.

تصادف دخولهم مع خروج آخر جندي صهيوني كان يتواجد به، وكان قد تمركز الجنود الصهاينة بالبيت القريب منهم، فشاء الله أن يكون هذا البيت الذي تواجد به المجاهدون هو منزل حسن أبو طبيخ أن يكون آمنًا حيث تواجد به كمية كبيرة من الطعام والشراب، وتم العثور على كمية كبيرة من البيجلة (القسماط) من مخلفات الجنود الصهاينة التي واجهوا صعوبة في تناولها حيث ما أن بدأ المجاهدون تناول البيجلة حتى بدأ صوت البيجلة ومضغها تخرج أصوات، فخاف المجاهدون أن يسمعهم جنود الاحتلال المتواجدون بالقرب منهم، فقرروا أن يتم أكل البيجلة بدون إخراج صوت وليس بشكل جماعي، بحيث من يريد تناولها عليه أن يغطي نفسه بأحد الحرامات والأغطية ويضعها على رأسه ويبدأ مضغها بدون أصوات حرصًا على أمنهم المهدد بأي لحظة من اكتشاف أمرهم ليمكثوا في هذا المنزل ما يقارب ستة أيام ليتفاجؤوا باليوم الرابع أن كمية الطعام بدأت تنفد ولابد من الحصول على كمية جديدة، فتذكروا أنهم شاهدوا كميات من الطعام في منزل أبو عمر الطوب القريب منهم، فما كان من المجاهد عبد الله الوحش ومعه بعض الإخوة المجاهدين إلا التسلل بشكل حذر جدًا نحو منزل أبو عمر الطوب، ولما وصلوا إليه إذا بصوت يخرج منه، وعندها علم المجاهدين أن هذا صوت المجاهد وائل أبو السباع الذي كان قد أصيب بطلق ناري في عنقه وظن كل المجاهدين بل كانوا متأكدين أنه قد استشهد فيا سبحان الله!

ذهب المجاهد عبد الله ومن معه للعثور على طعام، فإذا بهم يعثرون على المجاهد الشهيد الحي وائل أبو السباع ليعود المجاهدون محملين بالطعام، وبالمجاهد المصاب الذي تم وضعه على إحدى الفرشات وتم نقله إلى المكان الآمن في منزل حسن أبو طبيخ، من أجل الاعتناء والاهتمام به، وهنا تقدم المجاهد سعيد طوباسي الذي كان يعمل في مستشفى جنين كمعقم للأدوات الطبية في غرف

العمليات، فكان يشاهد كيف يقوم الأطباء بالعلاج لمثل حالة المجاهد وائل أبو السباع، وبدأ يقدم ما يمكن من مساعدة ليكتب له النجاة من الموت بفضل الله _تعالى_، ثم بفضل المجاهدين ثم بفضل معالجة المجاهد سعيد طوباسي له لتعيش هذه الفئة المؤمنة المجاهدة أيامًا صعبة جدًا، وظروفًا نفسية قاهرة لاسيما عندما كان يذهب أحد المجاهدين المتواجدين معهم في نفس المنزل، وهو المجاهد علي القنيري لرؤية جثمان أخيه الشهيد علام الموجود في أحد الأماكن القريبة منهم، فكان في كل يوم يتسلل بحذر شديد ليصل إلى المكان الذي يتواجد فيه أخوه الشهيد علام ليقرأ الفاتحة على روحه ويلقي نظرات الوداع الأخيرة عليه دون أن يتمكن من مواراته التراب، كان يرى جثمانه وهو يتحلل شيئًا فشيئًا أمام ناظريه، فما كان منه إلا التضرع إلى الله بأن يرحم أخاه ويغفر له ويسكنه فسيح جناته التي وعد بها عباده المجاهدين، فحين تحل النكبة وتستحكم البلية وتتكسر النصال على النصال وتربط حبال الخطوب عُقدها وتكون ظلمات بعضها فوق بعض عندها المجاهد عبد الله الوحش يتيقن أن نورًا عظيمًا يبدد دياجير هذه الظلمات يشرق من ثناياه هتاف: يا الله يا الله يا الله!

وما هي إلا لحظات حتى قرر المجاهدون بعد يومهم السادس في ذلك المنزل أن يخرجوا من المنزل إلى أماكن أخرى أكثر أمنًا وقدرة على التواصل مع الناس، وما أن خرجوا حتى وجدوا أنهم كانوا كأصحاب الكهف لا يعلمون أن الحصار قد رفع عن مخيم جنين، وأن الأهالي بدأوا يعودون إلى مخيم جنين، وكانت الطواقم الطبية ووسائل الإعلام تنتشر في كل مكان، ليبدأ المجاهد عبد الله الوحش في مساعدة الطواقم الطبية في العثور على جثامين الشهداء، وما أن توجهوا إلى منزل الحاج عماد الذي يقع بالقرب من الانفجارات الضخمة في تلك الليلة الصعبة حتى وجدوا به جثامين الشهداء محمود طوالبة وعبد الرحيم فرج وشادي النوباني، وعلم حينها المجاهد عبد الله أن صوت الانفجارات التي سمعها في حينه كانت تستهدف هؤلاء المجاهدين الأبطال حيث وجد جثمان الشهيد محمود طوالبة قد تفتت إلى أشلاء وقربه جثمان الشهيد شادي النوباني حيث تداخلت أشلاؤهما ببعضها البعض فكما اجتمعا معًا في الدنيا وجاهدا معًا أراد الله _عز وجل_ أن يدفنا معًا في قبر واحد حيث تم دفنهما في نفس القبر إلى جوار أخيهما الشهيد عبد الرحيم فرج،

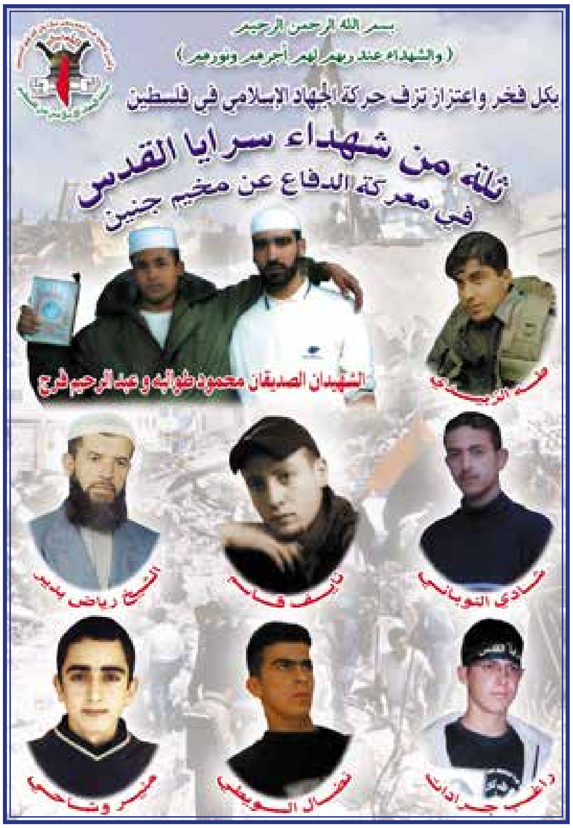

وبدأوا يبحثون عن المجاهد الرابع الذي كان معهم وهو المجاهد القسامي إياد أبو الليل، فوجدوه على قيد الحياة؛ إذ اختبأ في أحد الأماكن الآمنة مما تبقى من ذلك المنزل، وكان جسده قد تعرض للحروق المؤلمة نتيجة قوة النيران، التي خرجت من انفجار شنطة المتفجرات التي كان المجاهد محمود طوالبة يأخذها معه أينما ذهب، وكانت أيامًا قاسية على المجاهد إياد الذي لم يجد لا العلاج ولا الطعام ولا الشراب مما جعله يحتفظ ببوله ليشرب منه بين الحين والآخر للبقاء على قيد الحياة إلى أن مكن الله له المجاهد عبد الله والمجاهدين والطواقم الطبية ليبدأو بعلاجه فأي جهاد هذا وأي قتال هذا وأي عزيمة هذه التي يمتلكها المجاهد الفلسطيني في مواجهة أعتى وأقوى دولة في العالم في ظل الانهزام والتراجع والتخاذل العربي؟! فكانت معركة مخيم جنين تدور في ظل انعدام المروءة والشهامة من حكام العرب والمسلمين، فنظرة واحدة منك أيها العربي والمسلم إلى مواضع الصراع الفلسطيني الصهيوني ونزف الدماء في مخيم جنين تظهر لك بوضوح أن كل مذبحة توجه إلى صدر الشعب الفلسطيني، وكل مؤامرة وخيانة وكل تنازل وكل منكر يحاك ضد الفلسطينيين وكل شتات يتوحد عليهم؛ أن نزف دمائهم مستمر حتى هذه اللحظة، فأصبح الشر والعدو الصهيوني كالشاة التائهة في الليلة المطيرة الشاتية، وصرنا كالأيتام على موائد اللئام، فأين أنت أيها العربي والمسلم والوطني والثوري؟! والأهم أين أنتم يا دعاة الإنسانية والديمقراطية في هذا العالم الذي لا يرى أمامه سوى الأقوياء؟!

ويستمر المجاهد عبد الله الوحش وباقي المجاهدين وأهالي مخيم جنين والطواقم الطبية في البحث عن جثامين الشهداء ليخرجوا جثمان الشهيد القائد رياض بدير الذي يعتبر شيخ المجاهدين، وهو من سكان مدينة طولكرم الذي باع سيارته وصيغة زوجته واشترى سلاحًا من نوع (M16) وحضر إلى مخيم جنين ليقاتل إلى جانب المجاهدين كتفًا بكتف ليكتب الله _عز وجل_ له الشهادة كما أراد فوجدوه جالسًا على كرسي مصابًا برجليه ويمسك بسلاحه بيده، وباليد الأخرى مصحفه فما كان من المجاهد عبد الله إلا أن يقول كما قال الشاعر سميح القاسم: "ماذا عساني أن أفعل بكل هذه الجثث؟ الجثث المنتظرة تحت أنقاض جسدي؟ ماذا أفعل بلائحة الاتهام المحفورة عميقًا على الجلود المكوية بالسجائر على خرائب المدارس والأغنيات على أطلال الطفولة المصعوقة وعلى أغصان الزيتون المدنسة برائحة ثيابكم وبنادقكم على السيقان والأيدي المبتورة بسيوف أساطيركم، وماذا أفعل بدمي الصارخ في المخيم امتشقوا أقلامكم الذهبية، ودونوا في مذكراتكم تسعة وتسعين قتيلًا حصاد غضبي وانتقامي..". وكأن الشاعر سميح القاسم بكلماته هذه عبر عن مشهد رؤيته جثمان الشهيد أشرف أبو الهيجاء الذي وجدوه محروقًا، وكأن الجنود الصهاينة مثلوا بجثمانه ردًا على حرق جنودهم بزجاجات المولوتوف الحارقة، وما أن انتهى المجاهد عبد الله من واجبه المقدس حتى ذهب لرؤية والدته وأخواته وإخوانه المشردين عن منزلهم لتعرضه للحرق على يد الجيش الصهيوني، فوجدهم يقيمون في جنين في منزل خالته، ليعانق المجاهد والدته وكأنه لم يرها منذ

سنين وسنين، فكان عناقًا مصحوبًا بالبكاء ولاسيما أنها كانت تظن أن ولدها عبد الله قد استشهد ودفن بين ركام مخيم جنين، فحمدت وشكرت الله على بقائه حيًا، ولما اطمأن المجاهد عبد الله على والدته وزوجة أبيه وإخوته سارع إلى جانب المجاهدين عبد الهادي العمري والمجاهد القسامي عماد النشتري في محاولتهما الرد السريع على مجزرة مخيم جنين،

الشهيد المجاهد/ عبد الهادي العمري
استشهد بتاريخ 06/ 12/ 2002م

فجهزوا سيارتهم وسلاحهم وذخيرتهم وتوجهوا إلى قرية برطعة لتنفيذ عملية إطلاق نار تستهدف قوة صهيونية هناك، ولما وصلوا إلى المكان وجدوا بانتظارهم قوات كبيرة من الجيش الصهيوني، وتمت ملاحقتهم في منطقة الطيبة، وتمكنوا من الوصول إلى منطقة وعرة ليتركوا وراءهم السيارة ويحملوا أسلحتهم ويسيران مشيًا على الأقدام لمسافة طويلة ليصلوا إلى إحدى الأراضي الزراعية ليختبئوا هناك بين رزم كبيرة من القش، ولما هدأت الأوضاع وتوقفت الملاحقة لهم عادوا إلى مخيم جنين وسط خيبة أمل لعدم تمكنهم من الرد على جريمة.

مواصلة للجهاد بعد ملحمة جنين

بدأ المجاهد عبد الله مشواره الجديد كأحد أبرز القادة العسكريين لسرايا القدس في مخيم جنين، حيث تمكن عبر القائد العام لسرايا القدس نعمان طحاينة من الحصول على خط للتواصل مع قيادة الحركة في الخارج ليتمكن بفضل ذلك من شراء كمية كبيرة من السلاح والذخيرة لتزويد المجاهدين الذين تم تجنيدهم بعد اجتياح مخيم جنين لإعادة نشاط وقوة وضعية سرايا القدس في مخيم جنين، فكان المجاهد عبد الله إلى جانب إخوانه المجاهدين سعيد طوباسي ومحمد طوباسي وشادي العموري وإبراهيم السعدي وأخيه عبد الكريم وغيرهم من الأبطال حريصين على تسيير المجاهدين وهم يحملون أسلحتهم وذخيرتهم وبدلاتهم العسكرية بين الناس ليعلموا أن ما حدث في مخيم جنين ليس نهاية المعركة وليس نهاية الانتفاضة، بل إن ما حدث سيكون وقود المرحلة الجديدة من المواجهة مع هذا العدو الصهيوني وأن سرايا القدس باقية ومتجذرة في الأرض، فهي شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وبدأ إقبال المجاهدين من الشباب على سرايا القدس يريدون العمل معهم في مقاومة الاحتلال الصهيوني، وبدأ المجاهد عبد الله إلى جانب المجاهدين بخوض الاشتباكات المسلحة شبه اليومية مع الجيش الصهيوني الذي كان يعتقد بعد الاجتياح لمخيم جنين

أن بمقدوره الدخول والخروج كيفما شاء، فخاب أملهم ورجاؤهم، فجاءهم المجاهد عبد الله الوحش وأبطال سرايا القدس بطاقة من الصمود والإصرار والعزيمة وما لا قدرة لهم بها، فتمكن من تعزيز التواصل والتنسيق بين قرى محافظة جنين حيث تعمقت علاقته مع المجاهدين إبراهيم عباهرة ووراد عباهرة اللذين كانا يعملان مع الحاج علي الصفوري سابقًا، وزودهم بعد تجنيده للمجاهد صافي حوشية ابن بلدة اليامون في مدينة جنين القسام بعبوتين جانبيتين بالإضافة إلى تزويدهما بالسلاح من نوع (M16) وكلاشنكوف بالإضافة إلى سيارة خاصة ليتمكنا من الانتقال بواسطتها من مكان لآخر ليكون لهذه المجموعة الفضل في مواجهة العدو الصهيوني في تلك المنطقة عبر تفجير العبوات الناسفة بالآليات الصهيونية وعبر الاشتباكات العنيفة، وكان في كل يوم يزداد عدد الإصابات في صفوف العدو الصهيوني بفضل من الله، ثم بفضل سواعد المجاهدين وتعززت علاقات المجاهد عبد الله بمجاهدي كتائب القسام وبمجاهدي كتائب الأقصى، وخاضوا معا وسويًا الاشتباك تلو الاشتباك في مخيم جنين ومدينة جنين وقرى مدينة جنين، وفي أحد الاشتباكات القوية التي خاضها المجاهد عبد الله إلى جانبه أخيه المجاهد محمد العط تعرضا إلى إطلاق نار كثيف من قبل الجيش الصهيوني مما أدى إلى إصابة المجاهد عبد الله واستشهاد أخيه المجاهد محمد العط وكأنه كتب على المجاهد عبد الله أن يفقد إخوانه المجاهدين الذين أحبهم كما أحب نفسه ليشتد عليه الحال، وخاصة بعد اجتياح مدينة جنين بسبب عملية كركور ليتم هدم منزل الشهيد عبد الله بعد أن عثر الجنود الصهاينة على متفجرات ورايات سوداء للجهاد الإسلامي في منزله، الذي كان قد تعرض في السابق للحرق. وبدأ المجاهد عبد الله يشعر بضيق الحال والمكان ليتوجه إلى بلدة قباطية ملتمسًا الأمن والأمان فيها، وليكون إلى جانب المجاهدين حمزة أبو الرب ومحمد نصري أبو الرب وأبطال كتائب الأقصى كمال أبو وعر ومحمد أبو الرب الملقب بالتَّيِّع.

ولكن دائمًا تأتي الرياح بما لا يشتهي المجاهد عبد الله حيث ما أن يدخلوا منزلًا حتى يفاجئهم العدو الصهيوني بمهاجمتهم ليضيق عليهم الحال والمكان مرة أخرى، فعبثًا أن يستريح المجاهد أو أن يشعر بطعم الراحة في ظل عدو مجرم يكرس جهده وقوته في مواجهة الفلسطينيين، فاجتمع إلى جانب المجاهد سعيد طوباسي ليقرر إما البقاء في بلدة قباطية أو الخروج منها، فكان المجاهد سعيد طوباسي قد أخذ قراره بالخروج من قباطية إلى قرية العرقة بمحافظة جنين، وكان الشاباك الصهيوني قد نصب له الكمين هناك، وتم اعتقاله في 01/ 11/ 2002م، بينما قرر المجاهد عبد الله الوحش البقاء في قباطية إلى جانب المجاهدين هناك وانضم إليه علاء الصباغ وزكريا الزبيدي والعديد من المجاهدين ليمكثوا هناك نحو عشرة أيام، وكانوا أحيانًا يترددون على بلدة الزبابدة القريبة من بلدة قباطية، وما أن سمع المجاهدون نبأ استشهاد قائد سرايا القدس في جنين المجاهد إياد صوالحة حتى قرر المجاهد عبد الله الخروج من بلدة قباطية والتوجه إلى مشفى جنين لرؤية جثمان الشهيد إياد صوالحة ليقدم التحية العسكرية لهذا القائد الشجاع

الذي قاوم الجنود المحاصرين له في حي السيباط في جنين بكل بسالة، ووجد المجاهد عبد الله العديد من المجاهدين هناك ممن يريدون وداع الشهيد إياد في تاريخ 09/ 11/ 2002م.

قرر المجاهد عبد الله أن يرد على هذا الاغتيال عبر عملية استشهادية حيث بشنطة متفجرات إلى المجاهد حمزة أبو الرب ليقوم بإيصال الدائرة الكهربائية لها من أجل أن يستخدمها الاستشهادي في العملية، وقدَّر الله أن تكون مدينة الخليل هي السباقة ولها الشرف في الرد على جريمة اغتيال القائد إياد صوالحة عبر عملية هي من أهم العمليات في فلسطين، وهي عملية وادي النصارى في 15/ 11/ 2002م فقرر المجاهد عبد الله وقف العملية التي كان يخطط لها، ولاسيما أن الرد قد وقع وحتى أن غزة هاشم وسراياها المظفرة قد ردت على هذه الجريمة عبر قتل جنديين صهيونيين، وعلى أثر ذلك أقدم العدو الصهيوني على اجتياح الضفة الغربية، وتم اعتقال واغتيال العديد من قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية، وتم اغتيال المجاهد إبراهيم السعدي ليلحق بأخيه عبد الكريم السعدي ليكون شهر نوفمبر (تشرين ثاني) هو الأصعب في حياة المجاهد عبد الله ولاسيما أن المجاهد إياد قد استشهد ورفيق درب المجاهد عبد الله (سعيد) قد تم اعتقاله، لتعود به الذاكرة إلى تلك الأيام التي استطاع فيها مع المجاهد سعيد طوباسي وصديقهما العزيز عبد الهادي العمري تجنيد شابين من قرية دير أبو ضعيف بمحافظة جنين، هما المجاهد محمود زكارنة وخالد زكارنة،

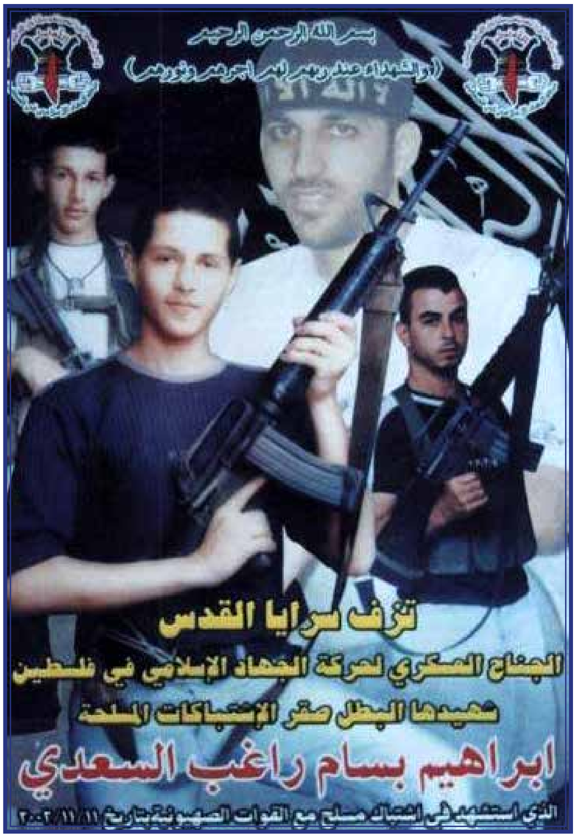

فقدم لهما المجاهدين سعيد وعبد الله وعبد الهادي السلاح والذخيرة وعبوة ناسفة من أجل زرعها في المنطقة الشرقية من دير أبو ضعيف، وتم تدريبهما وتعليمهما كيفية زراعة العبوة الناسفة وكيفية تفجيرها، ولنشاط المجاهدين المكثف تم اعتقالهم بعد فترة من العمل الجهادي في قرية دير أبو ضعيف، ولكن تبقى بنظر المجاهد عبد الله الوحش أن أجمل أيام الجهاد والمقاومة كان عندما جاء المجاهد سعيد طوباسي واجتمع مع عبد الله وعبد الهادي العمري من أجل التخطيط لزرع عبوة ناسفة كبيرة على شارع حيفا جنين القريب من قرية تعنك في جنين التي تقع بالقرب من معسكر سالم الصهيوني، فكان الهدف هو الكابتن جمال ضابط في الشاباك الصهيوني ومسؤول عن منطقة جنين ويعتبر هذا

الضابط من أكثر الضباط الصهاينة الذي استطاعوا اعتقال قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية بالإضافة إلى تمكنه من تصفية العديد من المجاهدين، فكان لابد من وضع حد لهذا المجرم ونجح المجاهد سعيد بتجهيز العبوة الناسفة بالإضافة إلى إحضار السلاح من نوع (M16) ليتوجه المجاهدون عبد الله وعبد الهادي وسعيد طوباسي إلى بلدة سيلة الحارثية بمحافظة جنين، وتم زرع العبوة في المكان المطلوب لتفجير مركبة الضابط الصهيوني الكابتن جمال الذي من المفروض أن يخرج بذلك الوقت من معسكر سالم لتفقد وضع الدوريات الصهيونية التي يتم تسييرها في شوارع مدينة جنين، وانتظر المجاهدون بين أشجار الزيتون حضور موكب هذا الضابط إلا أنه لم يخرج في تلك الليلة من شهر سبتمبر (أيلول) من العام 2002م، فاضطر المجاهدون إلى تفكيك العبوة وأخذها معهم إلى مكان آخر، وتوجهوا لتناول الطعام في بلدة سيلة الحارثية بعد يوم طويل من التعب والمشقة والانتظار ليجدوا أن المجاهد راشد العمري قد أحضر لهم الطعام والشراب، وقرروا الخروج من بلدة سيلة الحارثية عبر طريق فرعي، وإذا بهم قد تفاجؤوا بوجود عدد من الجنود الصهاينة يقفون إلى جانب آلياتهم العسكرية حيث كانوا قد وضعوا حاجزًا عسكريًا بين قرية عانين وبلدة سيلة الحارثية وبلدة اليامون.

فنزل المجاهدون من سيارتهم وساروا مشيًا على أقدامهم وهم يحملون أسلحتهم صوب المكان الذي يتواجد به الجنود الصهاينة، وبدأ المجاهدون يطلقون النار باتجاههم، وأطلقوا عليهم أكثر من ستة مخازن من الرصاص، وما أن استطاع المجاهدون الانسحاب من الموقع حتى شاهدوا سيارات الإسعاف الصهيونية تهرع إلى ذلك المكان لنقل المصابين، وأعلنت سرايا القدس مسؤوليتها عن هذا الاشتباك، لتبدأ مطاردة ساخنة للمجاهدين، وحاول الجيش الصهيوني محاصرة المجاهد سعيد طوباسي في مدينة جنين في منزل عائلة الغول، وكان في العادة يتردد هناك لقضاء حاجاته من استحمام أو تناول الطعام أو الراحة لفترة من الزمن، وصادف ذلك اليوم وجود المجاهد عبد الله بالقرب من المكان إلى جانب عدد من المجاهدين من كتائب شهداء الأقصى، وفي مقدمتهم علاء الصباغ فشاهدوا جنود الاحتلال الصهيوني، وهم يخرجون من آلياتهم العسكرية بكل جرأة وكأنهم يسيرون في شوارع "تل أبيب" معتقدين أنه لن يتعرض لهم أحد بعد الضربات القوية والموجعة التي تكبدها المجاهدون في جنين من اغتيال واعتقال.

اعتقاله والحكم عليه

جاء رد المجاهد عبد الله وإخوانه في سرايا القدس وكتائب شهداء الأقصى بأننا هنا ولن نسمح لكم أن تحظوا بالأمن والأمان على أرضنا التي سالت عليها دماء الشهداء في مخيم جنين وقراها بدءًا من عزالدين القسام، وليس انتهاءً بإياد صوالحة، وبدأ المجاهدون بإطلاق النار بشكل مكثف على الجنود الصهاينة، وأوقعوا بهم الإصابات والأضرار الجسيمة في مركباتهم، ولما توقف المجاهد عبد الله عن مراجعة شريط الأحداث الماضية التي جمعته بالمجاهدين الأبطال سعيد وإياد وعبد الهادي

وجد نفسه في شوق كبير إلى رؤية والدته في صباح يوم رمضاني حيث توجه في 22/ 11/ 2002م إلى منزل عائلة أسامة التركمان، وكانت عائلة عبد الله الوحش تعيش في هذا المنزل بعد هدم منزلهم، وما أن دخل إلى المنزل وسلم على والدته وأهله حتى جاءته شقيقته الشهيدة بشرى وأخبرته أن هناك عددًا من الجنود الصهاينة حول المنزل، فقرر عدم الاستسلام وأنه سيدافع عن نفسه بالمسدس الأخير الذي يحمله وبالقنبلة اليدوية.

وبدأ الجيش الصهيوني يحيط بالمكان وأحضر جرافة كبيرة لهدم المنزل، وبدأ ضباط الجيش بالمناداة على سكان المنزل بالخروج، فودع المجاهد عبد الله والدته وأهله وأخرجهم من المنزل، وحاول أن يخرج من أحد الأبواب الخارجية للبيت فوجد عددًا من الجنود هناك، فألقى عليهم القنبلة اليدوية، ولكنها لم تنفجر، ثم أطلق الرصاص من مسدسه، فعلم أن مقاومته للجنود الصهاينة لا جدوى منها في ظل وجود الجرافة الكبيرة التي بدأت بهدم أجزاء من المنزل، فتم اعتقال المجاهد البطل عبد الله الوحش بعد أن استشهد أحد الأطفال في المكان وإصابة اثنين من المواطنين بالإضافة إلى إصابة كويفا باترلي وهي متطوعة إيرلندية في حقوق الإنسان كانت تحاول حماية الأطفال من نيران الجيش الصهيوني، وكذلك قُتل غيان هوك وهو مسئول بريطاني تابع للأمم المتحدة يترأس برنامج إعادة إعمار المنازل في جنين، وذلك برصاصة مباشرة في الظهر، كما تم هدم ثلاثة شقق سكنية.

وما أن أصبح المجاهد عبد الله في قبضة الجنود الصهاينة حتى جاءه قائد منطقة جنين الضابط الكابتن جمال ليدور الحديث بينهما، وأكد الكابتن جمال للمجاهد أنه كان يريد أن يرى المجاهد عبد الله مقتولًا وليس معتقلًا، ليبدأ مرحلة نضالية جهادية جديدة داخل سجون الاحتلال ليحكم عليه بالسجن لمدة 23 عامًا ولتعيش عائلته أسوأ أيام حياتها في ظل وفاة الأب وفي ظل غياب رجل البيت عبد الله، وليس هذا فحسب بل تم اعتقال أخويه عبد العزيز ذلك البطل الذي كان فتىً قويًا في فترة اعتقال المجاهد إياد حردان لدى السلطة الفلسطينية في مقر المقاطعة في جنين،

الأسير المجاهد/ عبد الله برغيش (يسار) برفقة
والدته الصابرة وشقيقه الأسير خلال زيارتها لهم في السجن

وكان يذهب مع صديقه الشهيد عبد الكريم السعدي لإرسال الطعام والشراب إلى المجاهد إياد في سجنه في مقر المقاطعة في جنين، وما أن كبر حتى انتمى إلى صفوف سرايا القدس ليكون إلى جانب أخيه الأكبر عبد الله الوحش في الانتفاضة، وليكتب له أن يكون أسيرًا في سجون الاحتلال الصهيوني إلى جانب أخيه عبد الله، وأمضى ما يقارب سبع سنوات متقطعة في السجون، ولم يكتف الاحتلال بذلك، بل

أراد أن يجمع الإخوة عبد الله وعبد العزيز وعبد الرحمن وعبد القادر الذي حكم عامين في سجن واحد، حتى يقول لعائلة الوحش بأن الاحتلال الصهيوني لن يتوقف عن تدمير هذه العائلة المجاهدة لا لشيء سوى أنها فلسطينية رفضت الخضوع والاستسلام لهذا العدو الصهيوني وليستمر مسلسل الإجرام بحق هذه العائلة المجاهدة، وفي أحد الأيام، وتحديدًا في 21/ 04/ 2007م أقدم الجيش الصهيوني على اقتحام منزل العائلة في مخيم جنين بحثًا عن المطلوبين وإخوة المجاهد عبد الله، وبعد اشتباك عنيف في المكان مع المجاهدين،

والدة الأسير المجاهد/ عبد الله برغيش
على موعد مع الحرية لأبنائها الأسرى

قام العدو الصهيوني بإطلاق النار بكثافة على منزل العائلة مما أدى إلى استشهاد شقيقة المجاهد عبد الله الوحش بشرى التي كانت في عمر الورود لتكون هذه العائلة وبتضحياتها وتضحيات أبنائها عبد الله وعبد العزيز وعبد الرحمن واستشهاد بشرى وهدم منزلهم شوكة في حلق المحتل الصهيوني وأسطورة للمقاومة والتضحية والفداء.

فما كان من المجاهد عبد الله إلا الصبر والصمود والإصرار على مواجهة هذا المحتل بواسطة أسلحة جديدة؛ وفي مقدمتها العلم، حيث استطاع الحصول على شهادة التوجيهي، وهو الآن في المراحل النهائية للحصول على البكالوريوس من جامعة القدس المفتوحة تخصص اجتماعيات ولازال على يقين تام بأنه سيأتي اليوم الذي يتحرر فيه هو وأخوه عبد الرحمن من السجن والمحكوم 18 عامًا ليجمع شمل العائلة من جديد بعد طول غياب.

الأسير المجاهد

محمد كامل خليل عمران

أسد مدينة خليل الرحمن

تاريخ الميلاد: 1982/10/20م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: قرية سنجر – محافظة الخليل

عدد أفراد العائلة: 10

تاريخ الاعتقال: 2002/12/09م

الحكم: 13 مؤبداً

نقف اليوم لنكتب عن مجاهد فارس من فرسان سرايا القدس في مدينة الخليل، عَلِم أن الحق لا يُصادر وأن الحرية لا تُسجن، وأن النور لا يُحبس، وأن نسائم الإيمان والهداية ولو كانت مصحوبة بالجراح والمكاره فإنها أعذب ألف مرة من كل ما تعارف عليه الناس من لذائذ الجسد، ولهذا فإن فارسنا البطل قد نشأ مع جيل مفعم بالإيمان، جيل يحمل الراية من جديد، وهذا الجيل يخرج من بين فرث ودم دواءً شافيًا للمستضعفين، ويهتف دومًا: أرأيت النخيل يحني جسمه، نحن يا قدس خلقنا كالنخيل شامخين مطالبين بالحق ولا نلين، ويمضون في ثقة لما هم عليه من الحق لا تغرهم اليافطات البراقة الخادعة التي تحمل في الحقيقة الذل والعار والهزيمة، فأدرك فارسنا البطل محمد كامل عمران هذه المعادلة، وعلم حينها أنه لابد لليل من نهاية، ولابد للظلم من خاتمة، ولابد للفجر من أن يسطع بالنور المبين، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: 5].

الميلاد والنشأة

ففي تلك الأرض المباركة من تراب فلسطين، وفي كنف المسجد الأقصى المبارك، في مدينة نبي

الله إبراهيم عليه السلام، ولد المجاهد محمد كامل عمران في تلك المدينة التي كانت ولا زالت وستبقى شوكة في حلق الاحتلال الصهيوني، وعصية على كهول الاستيطان، أو التعايش معه، فهي أرض لا تلين وتأبى الذل والهوان، وفي هذه المدينة وفي سنجر الصمود وُلد هذا المجاهد وبها نشأ وترعرع في ظل أسرة فقيرة، فعاش معاناة أبناء شعبه ومآسيهم، وكان يرى في نفسه وفي عيون أطفال الخليل صور الحزن، وتساءل عن مصدر هذا الحزن، فعلم أنه الاحتلال الصهيوني مصدر كل الشرور والمصائب التي حلت على أمتنا، ونظر حينها المجاهد محمد إلى وضع عائلته فوجد أن أوضاعها أصبحت مأساوية، ولاسيما بعد انفصال والده عن والدته وقيامه بالزواج من امرأة أخرى، كان حينها لابد من خروج أخيه الأكبر من المدرسة ليعيل والدته وإخوته، وانضم إليه أخوه الأصغر منه سنًا، واسمه رائد لإكمال ما بدأه الأخ الأكبر، ولما رأى المجاهد محمد مشهد خروج أخويه الأكبر منه سنًا من المدرسة والبدء بالعمل الشاق من أجل أن تعيش والدته وإخوته بعزة وكرامة ولا يسألون الناس إلحافًا؛ قرر هو الآخر حينها ترك مقاعد الدراسة وهو في المرحلة الأساسية، ورغم اعتراض والدته وإخوانه وأخواته على ذلك، إلا أنه لم يكن ليقبل على نفسه أن يرى عائلته بحاجة ماسة إلى المال ولا يقدم لهم شيئًا، وأصر حينها بعد أن ترك الدراسة على التوجه إلى سوق العمل، فبدأ يبحث في كل مكان عن الأعمال التي تلائم سنه مثل تنظيف الأراضي الزراعية، كما عمل أيضًا في أحد مصانع الحلويات في الخليل، ثم في مرحلة متقدمة عمل في مجال البناء للحصول على مبالغ مالية كبيرة، ومع ذلك بدأ يبحث عن مهنة دائمة، فكان أمامه فرصة لتعلم مهنة الألمونيوم؛ ليكون مردوده المالي جيدًا، وكل ذلك من أجل مساعدة والدته التي بذلت جهدًا مضاعفًا في تربية أبنائها، والنهضة بهم دينيًا وأخلاقيًا وتربويًا، بالإضافة إلى أنها قد حرصت كثيرًا على توفير المال من أجل مستقبل أولادها وبناتها.

من رحم المعاناة يولد الأبطال

ومن هذه الظروف ومن تلك المعاناة، ومن هذه الشدة خرج المجاهد محمد ليكون أكثر صبرًا وأكثر جلدًا وإصرارًا على مواجهة التحديات مهما كانت، سواء أكانت تواجه العائلة أو تواجه الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الصهيوني ولاسيما أن المجاهد محمد كان وما زال يتذكر تلك الأيام العظيمة، أيام الانتفاضة الأولى على الرغم من أنه كان صغيرًا في ذلك الوقت، ومع ذلك تعلم من مدرسة الانتفاضة كيف سيكون شجاعًا مقدامًا قويًا، ويصبح رجلًا شهمًا، ونما وكبر على حب الجهاد والنضال وعاهد الله _عز وجل_ على الانتقام من بني صهيوني على ما اقترفوه بحق الشعب الفلسطيني على مر السنين، وما أن وعى على الدنيا وتفتحت مداركه حتى رأى مشاهد مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف في العام 1994م ورأى دماء المصلين الفلسطينيين منتشرة في كل مكان، فعلم حينها أن هذا العدو لا يمكن أن يفهم سوى لغة واحدة، وهي لغة الدم الذي هو قانون المرحلة، وما هي إلا فترة من الزمن وإذا بالسلطة الفلسطينية تبسط سلطتها على المدن في الضفة الغربية تنفيذًا لاتفاقية أوسلو الموقعة في العام 1993م.

آمال لم تتحقق

إلا أن تطلعات وآمال أهالي مدينة الخليل الذين كانوا يتمنون ويتطلعون إلى رؤية السلطة الفلسطينية وهي تدافع عن سكان مدينة الخليل وتقف إلى جانبهم في مواجهة قطعان المستوطنين حيث يعيش أكثر المستوطنين خطرًا وسط مدينة الخليل، وعددهم يصل إلى أربعمائة مستوطن صهيوني، ويفرضون حظرًا على 120 ألف فلسطيني في البلدة القديمة بمدينة الخليل، ولذا فإن أغلبية المستوطنين هناك توجهاتهم إيديولوجية عنصرية وكثير منهم جاء إلى فلسطين المحتلة من الدول الغربية، وتعتبر مستوطنة "كريات أربع" من أهم المستوطنات الصهيونية في مدينة الخليل، وقد عاثوا في مدينة الخليل فسادًا ودمارًا وهلاكًا، إلا أن شيئًا من تلك الأماني الجماهيرية لم يتحقق، مما أدى إلى حالة من اليأس والإحباط لدى عامة الناس في خليل الرحمن، وقرر حينها المجاهد محمد الاهتمام بنفسه وبعائلته والابتعاد عن كل ما له علاقة بالسلطة الفلسطينية، ففتحت له الدنيا أبوابها وأغدقت عليه من المال حيث وجد عملًا مميزًا في إحدى شركات الأخشاب، وكان هذا حالة غالبية أبناء الشعب الذين تعرضوا إلى إحباط شديد من أداء السلطة الفلسطينية، فقد كان الجميع يأمل ويتمنى بأن الأيام القادمة ستكون أيام عز وكرامة ومقاومة، وأن الشعب الذي خرج وفرح بمجيء السلطة الفلسطينية وبنى توقعات وآمالًا كثيرة عليها قد خاب ظنه حيث كانت الفترة الواقعة ما بين توقيع اتفاق أوسلو في العام 1993م وحتى بدء المفاوضات الفلسطينية الصهيونية في قمة كامب ديفيد هي سبع سنوات عجاف، ليس بالنسبة إلى حركة الجهاد الإسلامي وحدها فقط، بل لسائر التنظيمات الفلسطينية، وللقضية الفلسطينية بشكل عام، حيث في صيف العام 2000م كانت الولاية الثانية للرئيس الأمريكي بيل كلينتون تقترب من نهايتها وكان إيهود باراك في عجلة من أمره من أجل التوصل إلى اتفاقية سلام شامل تؤدي إلى إنهاء الصراع الفلسطيني الصهيوني، ولذلك حث بيل كلينتون على عقد مؤتمر للسلام في كامب ديفيد، وجاءت هذه القناعة للصهيوني باراك بعد أن أخذ قراراه بالانسحاب من الجنوب اللبناني، حيث تم الانسحاب في 22 و23 مايو (أيار) من العام 2000م، وبلا خسائر تُذكر رغم أنه كانت هناك توقعات بوجود خسائر، ولهذا تم عرض هذا الانسحاب للجمهور الصهيوني كعملية ناجحة ومع ذلك رأى حينها الجيش الصهيوني بأن هذا الانسحاب هو خطأ قاتل، وتراجع مذعور قد فرضه باراك على هذا الجيش الصهيوني.

انتفاضة الأقصى والسياسة الصهيونية الجديدة

ومنذ العام 2000م فصاعدًا سيترك الانسحاب من جنوب لبنان آثارًا بعيدة المدى على معنويات الجيش الصهيوني، وتفكيره الاستراتيجي ونمط تفكيره وعملياته، حيث أعلن موفاز وجنرالاته حينها أن الانسحاب من لبنان أضعف قدرة "إسرائيل" على الردع، بينما صور حزب الله الانسحاب على أنه انتصار بطولي للمقاومة في

لبنان، وعندها اعتقد الكثيرون من الصهاينة بأن انتصار حزب الله سيسهم كثيرًا في تقوية إحساس الفلسطينيين بأنهم يستطيعون إخراج الصهاينة من الضفة الغربية بطريقة مشابهة، ومنذ ذلك الوقت كان تأثير الحاجة إلى استعادة قوة الردع الصهيوني في عيون الفلسطينيين واستعادة مكانة الجيش الصهيوني في عيون الرأي العام كبيرًا على سياسة الجيش الصهيوني باتجاه الفلسطينيين، ولهذا فإن الجيش الصهيوني بدأ في الاستعداد لاحتمال استئناف الصراع، وفي تدبيره أن المجابهة القادمة ستكون أكثر ضراوة من الانتفاضة الأولى حيث اقتصرت أسلحة الفلسطينيين فيها على الحجارة بصورة أساسية.

ولهذا توصل مخططو الجيش الصهيوني إلى خلاصة مفادها أن الفلسطينيين قد فسروا السياسة المترددة وغياب الرد الحاسم في الأيام الأولى للانتفاضة الأولى كعلامة ضعف من جانب العدو الصهيوني،وهذا برأي الصهاينة قد شجع الفلسطينيين على الاستمرار في الانتفاضة، ولهذا السبب بالذات فقد وضع الجيش الصهيوني ردًا أكثر حسمًا وشمولية لقمع أي انتفاضة قادمة وهي في مهدها، وكما يقول الكاتب الصهيوني يورام بيري في كتابه (جنرالات في مجلس الوزراء): "هذا الرد مبني على مسلمة بسيطة وهي أن عرضًا عنيفًا وفوريًا للقوة بمجرد اندلاع موجة العنف سيجعل المنتفضين الثمن الباهظ الذي سيدفعونه إذا استمروا في الأعمال العدائية"، وكانت الفرضية هي أن ردًا كهذا سيؤدي إلى تبريد حماستهم ولذلك فقد أعد الجيش الصهيوني واستنادًا إلى دروس الانتفاضة الأولى (1987م- 1994م) وأحداث النفق (1996م) إستراتيجية جديدة لإدارة حرب منخفضة الكثافة باسم حقل الأشواك، ويعمل الجيش الصهيوني بموجبها إذا انهارت المفاوضات وتوقفت عملية السلام.

وما هي إلا أسابيع حتى تم الإعلان عن انتهاء وفشل المفاوضات الفلسطينية الصهيونية الحالية في قمة كامب ديفيد، واندلعت حينها انتفاضة فلسطينية جديدة تم تسميتها بانتفاضة الأقصى المبارك، وكان ذلك بتاريخ 28/ 09/ 2000م، وجسد حينها العدو الصهيوني ما قام بالتحضير له في حال اندلاع أي مواجهة مع الفلسطينيين بالرد العنيف استنادًا إلى خطة الطوارئ الجاهزة لديهم، رغم أنه عندما اندلعت الانتفاضة كانت عبارة عن هبة شعبية على غرار الانتفاضة الأولى، ولكن بعد شهرين من اندلاع الانتفاضة بدأ الجيش الصهيوني يطبق خططه الإجرامية لردع المنتفضين الفلسطينيين،وقاموا بالرد على الأحداث بسرعة إلى حد بدا معه وكأن الجيش الصهيوني يتذرع بأدنى سبب لإطلاق النار على المتظاهرين، وقد أدى استخدام النيران بكثافة من جانب الجيش الصهيوني في الأسابيع الأولى للانتفاضة إلى استشهاد العشرات من الفلسطينيين في حين أصيب عدد قليل من الصهاينة بجراح، فكانت النسبة هي 15 إصابة في صفوف الفلسطينيين مقابل كل إصابة صهيونية، وكان الجيش الصهيوني راضيًا عن النتائج الإجمالية، حتى إن موفاز شعر بالفخر عندما تلقى مكالمة هاتفية من مسؤول جهاز الأمن الوقائي في

قطاع غزة محمد دحلان يعبر فيها عن قلقه ويسأل لماذا نحن الذين نُقتل ولستم أنتم؟ واتضح لاحقًا أن الجيش الصهيوني في الأيام الأولى للانتفاضة قد أطلق صواريخ من أنواع مختلفة وما لا يقل عن مليون طلقة من الرصاص.

التحول نحو عسكرة انتفاضة الأقصى

وهذا الأمر جعل جميع الأجنحة العسكرية الفلسطينية تصمم على عسكرة الانتفاضة الفلسطينية عبر العمليات العسكرية ضد قطعان المستوطنين، وعبر العمليات الاستشهادية التي هزت انفجاراتها الأرض المحتلة عام 1948م، ولذلك قرر حينها المجاهد البطل محمد عمران عدم الاستمرار في المشاركة في انتفاضة الأقصى عبر الطرق السلمية والجماهيرية، وتوجه حينها إلى صديقه المجاهد جهاد عبيدو والذي كان أحد أعضاء سرايا القدس في مدينة الخليل، وبدأ يحاوره على ضرورة العمل الجدي والعسكري ضد المحتل الصهيوني والذي أجرم ضد أطفال ونساء وشيوخ فلسطين،

مشهد للجنود الصهاينة وهم ينكلون بجثمان الشهيد المجاهد/ شاكر حسونة (مدينة الخليل)

وما هي إلا فترة من الزمن حتى قام المجاهد جهاد عبيدو بتنظيم المجاهد محمد عمران إلى صفوف سرايا القدس، وقررا حينها الانتقام لدماء الشهداء وخاصة دم الشهيد شاكر حسونة الصديق الصدوق للمجاهد محمد عمران.

بدأ المجاهد محمد يعمل في صفوف سرايا القدس إلى جانب الأبطال نور جابر وجهاد عبيدو وجبارة الرازم وغيرهم من القادة الأبطال،وشارك في تنفيذ العديد من عمليات إطلاق النار ضد قطعان المستوطنين وضد المواقع العسكرية الصهيونية، ولاسيما أنه قد تم تدريب المجاهد محمد عمران على استخدام السلاح وآلية إطلاق النار بشكل احترافي على يد المجاهدين نور جابر وجهاد عبيدو وجبارة الرازم، ولذلك أصبح من أهم المجاهدين الذين ينفذون الاشتباكات المسلحة على الطرق الالتفافية في مدينة الخليل، ونتيجة لاشتداد الاشتباكات المسلحة والعمليات الاستشهادية التي تنفذها المقاومة الفلسطينية ومن كافة الفصائل قام حينها الجيش الصهيوني بالحرص على توسيع العمليات العسكرية ضد المقاومة الفلسطينية وكل ما هو فلسطيني بما فيها السلطة الفلسطينية، وبدأ بدخول المناطق الفلسطينية الخاضعة لسيطرة السلطة، وإن كان ذلك عمليات محدودة النطاق ولفترات قصيرة، وتزامن هذا الأمر مع انتشار مفهوم الحرب على الإرهاب والذي تقف وراءه أمريكا ولاسيما بعد 11 سبتمبر (أيلول) من العام 2001م، حيث شعر حينها المجرم شارون والجيش الصهيوني برمته بأن الحرب على الإرهاب قد حسنت موقف الحكومة

الصهيونية في الساحة الدولية وخاصة في أمريكا، وبهذا تكون قد ازدادت حرية الحركة الممنوحة للجيش الصهيوني في الميدان، وبدأ الجيش يعمل على استهداف قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية عبر مسلسل الاغتيالات، بالإضافة إلى قيامه بإضعاف رئيس السلطة الفلسطينية (ياسر عرفات) وأجهزته الأمنية، وليس هذا فحسب بل بادروا وسارعوا بإنهاء التهدئة التي وافقت عليها الفصائل الفلسطينية عبر السلطة، والتي لم تصمد سوى أيام معدودة، حيث أقدم جهاز "الشاباك" الصهيوني على اغتيال قائد كتائب شهداء الأقصى في مدينة طولكرم الشهيد رائد الكرمي، مما جعل سرايا القدس تبذل أقصى جهدها في جعل العدو يتجرع الألم والذل والمهانة عبر العمليات الاستشهادية التي نفذتها في داخل الأراضي المحتلة عام 1948م بدءًا من عملية الخضيرة في 25/ 05/ 2001م التي نفذها الاستشهاديان علاء صباح وأسامة أبو الهيجا، وكذلك عملية بنيامينا في 16/ 07/ 2001م التي نفذها الاستشهادي نضال أبو شادوف، وعملية الخضيرة الثانية في 28/ 10/ 2001م التي نفذها الاستشهاديان يوسف سويطات ونضال الجبالي، وكذلك عملية التلة الفرنسية والتي نفذها المجاهد الاستشهادي حاتم شويكي بتاريخ 04/ 11/ 2001م، وعملية العفولة الاستشهادية المزدوجة التي نفذها المجاهدان مصطفى أبو سرية وعبد الكريم أبو ناعسة بتاريخ 27/ 11/ 2001م، وغيرها من مسلسل العمليات النوعية والتي هزت حينها المدن الفلسطينية المحتلة، وأصبحت حينها سرايا القدس من أهم الأجنحة العسكرية في الضفة الغربية. وانتهى العام 2001م وقد قامت المقاومة الفلسطينية بتنفيذ أكثر من 35 عملية عسكرية سواء بإطلاق النار أو عبر العمليات الاستشهادية وكانت حصيلة الشهداء حتى تاريخ 28/ 09/ 2001م 679 شهيدًا وحوالي 30000 جريح، وأما قتلى العدو الصهيوني فقد بلغوا حتى ذلك التاريخ 169 قتيلًا صهيونيًا وآلاف الجرحى بالإضافة إلى خسائر اقتصادية بلغت نحو ثلاثة مليارات دولار.

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون!

وهذا الأمر جعل المجاهدين من أبناء حركتي حماس والجهاد الإسلامي يفتتحون العام 2002م بسلسلة من العمليات الاستشهادية والنوعية، والتي أظهرت مدى التطور العسكري لسرايا القدس وكتائب القسام في الضفة الغربية، ليؤكدا للعالم بأن 2002م أي العام الثاني للانتفاضة يعيد التأكيد على أن فلسطين هي قطب الرحى ونقطة المركز الذي من حوله تقاس المواقف والسياسات والعقائد، وأن مخزون المقاومة لدى شعوب الأمتين العربية والإسلامية هو كبير جدًا،ولكن هو بحاجة إلى إعادة اكتشاف من جديد، وهذا يثبت ما نادت به حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بأن فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية، وبذلك نجحت سرايا القدس في الضفة الغربية بتوجيه ضربات موجعة جدا للعدو الصهيوني عبر سلسلة عمليات قوية ضربت العمق الصهيوني، وضربت أيضًا التجمعات الاستيطانية وأصبح هناك تنافس إيجابي بين أفراد سرايا القدس في الضفة الغربية بكافة مدنها (جنين، الخليل، طولكرم، بيت لحم ونابلس) حول من يثخن الجراح أكثر بالعدو الصهيوني.

فكان شهر مارس (آذار) من العام 2002م هو شهر سرايا القدس بامتياز، ومنها عملية العفولة ووادي عارة وأيضًا عملية أم الروس في خليل الرحمن، وكذلك قامت كتائب القسام بعدة عمليات مزلزلة كان ذروتها في مساء عيد الفصح الصهيوني في نهاية شهر آذار من العام 2002م في فندق بارك بـ"نتانيا" والتي أدت إلى مقتل أكثر من 30 صهونيًا.

عملية السور الواقي

بدأ العام 2002م في مناخ غير طبيعي صبغته زيادة العمليات الاستشهادية التي نفذتها سرايا القدس وكتائب القسام حيث بدأت الانتفاضة تفعل فعلها وانهارت معنويات الصهاينة، ولاسيما أن عملية وادي عارة والتي نفذها الاستشهادي رأفت أبو دياك من سرايا القدس في 20/ 03/ 2002م أدت لمقتل ثمانية صهاينة وإصابة العشرات، وكذلك عملية فندق البارك والتي نفذها الاستشهادي من كتائب القسام عبد الباسط عودة والتي أدت لمقتل 29 من الصهاينة وإصابة العشرات، وكان عدد قتلى الصهاينة في شهر 3 من العام 2002م نتيجة العمليات الاستشهادية قد بلغ 127 قتيلًا صهيونيًا، ولهذا كان الهدف الأساسي للعدو من عملية الدرع الواقي هو إعادة إحياء قدرة الجيش الصهيوني على الردع والتي تضررت إلى حد كبير، ولهذا بدأ الجيش الصهيوني باجتياح الضفة الغربية، وأدى وصول الجيش الصهيوني إلى مناطق السلطة واحتلاله للضفة الغربية إلى موجة احتجاج عالمية، ولاسيما عندما ارتكب الجيش الصهيوني المجازر وخاصة مجزرة مخيم جنين، والتي تم فيها هدم بيوت المخيم على ساكنيها وأدى ذلك إلى استشهاد العشرات واعتقال قادة وكوادر المقاومة الفلسطينية، مما جعل وسائل الإعلام العالمية تتحدث عن فظاعة ما ارتكبه الجيش بحق الشعب الفلسطيني من إجرام، ولهذا كان المجاهد محمد عمران يُصرّ على قادة سرايا القدس بأن يكون هناك عمل جهادي وعسكري متميز من كافة الأجنحة العسكرية للرد على جرائم هذا المحتل، وبالفعل حاول حينها المجاهد نور جابر إرسال أحد الاستشهاديين لينفذ عملية استشهادية عبر إطلاق النار على مستوطنة "كريات أربع" إلا أن ظروفًا خاصة منعت نجاح هذه العملية.

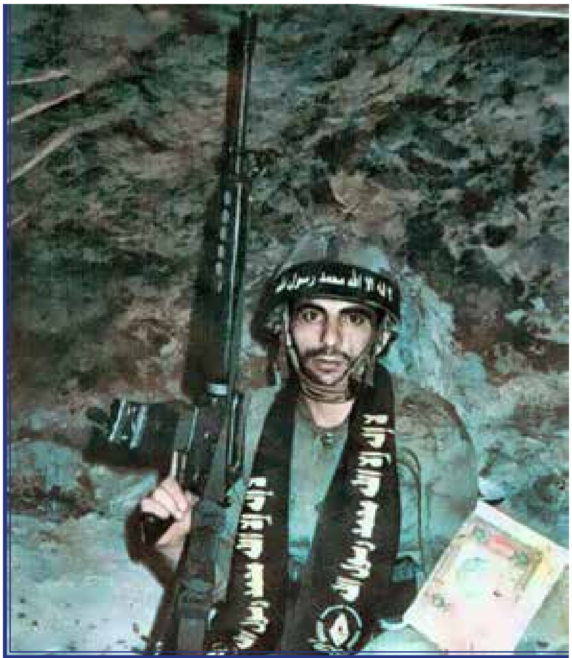

الأسير القائد/ نور جابر
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 06/ 05/ 2003م

وعلى الرغم من ذلك تمكن المجاهد نور جابر وبصحبة أحد الاستشهاديين وهو دياب المحتسب من خوض اشتباك مسلح عنيف في محيط مستوطنة "كريات أربع" واشتبكا مع العدو الصهيوني وجهًا إلى وجه، هؤلاء الصهاينة الذين كانوا يحمون

قطعان المستوطنين في مستوطنة "كريات أربع" وفي منطقة وادي النصارى، وقد تمكنا من الانسحاب من الموقع بصعوبة بالغة؛ ونتيجة لاعتقال العدو الصهيوني المجاهدين جبارة الرازم وجهاد عبيدو كان لزامًا على المجاهدين محمد عمران ونور جابر البقاء معًا وجنبًا إلى جنب في مواجهة العدو الصهيوني، واتسم التعاون بينهم بالسرية التامة فلم يكن حينها يعلم أحد بعمل المجاهد محمد عمران في سرايا القدس مما جعل جميع أعماله العسكرية تلقى نجاحًا كبيرًا، وبدأ المجاهدان محمد عمران ونور جابر بالتخطيط لتنفيذ عملية استشهادية نوعية ضد العدو الصهيوني وكان أمامهما هدفان الأول في ملعب كرة السلة في مستوطنة "كريات أربع" أو في منطقة وادي النصارى الذي أسماه العدو فيما بعد بزقاق الموت، وتم عقد اجتماع في شهر أيلول من العام 2002م في منطقة تسمى "مربعة سبتة" بالقرب من عين عرب ضم المجاهدين محمد سدر والذي يعتبر أهم وأبرز قادة سرايا القدس في مدينة الخليل والمجاهد نور جابر والذي يعتبر من القادة البارزين في سرايا القدس بمدينة الخليل بالإضافة للمجاهد الكبير محمد عمران، واستمر هذا الاجتماع أربع ساعات متواصلة، وكانت هذه المرة الأولى التي يتحدث فيها المجاهد محمد عمران مع المجاهد محمد سدر وجهًا إلى وجه، والذي وجده قائدًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ويحب أن يستمع للآخرين ويأخذ آراءهم ويناقش أدق التفاصيل، ورأى أيضًا المجاهد محمد عمران بأن القائد محمد سدر يتمتع بشخصية سحرية لا يمكن لإنسان أن يتحدث معه إلا ويقتنع بآرائه وأفكاره، ووجد لديه روحًا قتالية لم يجدها بأحد من قبل، وقد أسفر الاجتماع الذي جرى بين المجاهدين محمد سدر ونور جابر ومحمد عمران وبعد مشاورات مكثفة استمرت لمدة أربع ساعات متواصلة بأن العملية القادمة ستكون في منطقة وادي النصارى.

إستراتيجية ورؤية قائد السرايا

كان من قناعات المجاهد محمد سدر بأن المجاهد المطارد عليه ألا يختبئ فحسب، بل عليه أن يواجه العدو الصهيوني ليل نهار كما يواجه العدو الصهيوني الشعب الفلسطيني ليل نهار، ولهذا كان يصر على ضرورة تجنيد أكبر عدد ممكن من المجاهدين لصفوف سرايا القدس، وأن يتم نقل الخبرة العسكرية بأنواعها إليهم بهدف استمرار العمل العسكري إلى أطول فترة ممكنة، وهكذا كان المهندس محمد سدر الذي درس الهندسة في بوليتكنك فلسطين وأصبح من أهم أبطال الجماعة الإسلامية ـ الإطار الطلابي للجهاد الإسلامي ـ في داخل الجامعة، وتم اعتقاله الأول في العام 1999م ليخرج بعدها من سجون الاحتلال أكثر إصرارًا على مواجهة العدو الصهيوني عسكريًا رغم قلة الإمكانيات المادية في ذلك الوقت، حيث من اللحظة الأولى لخروجه من السجن استطاع شراء سلاح من ماله الخاص، وتم تكليفه حينها ببدء تشكيل خلية عسكرية لسرايا القدس، وكان ذلك بشكل سري جدًا ولاسيما أنه بنفس الوقت كان مكلفًا بأن يكون المسئول الميداني لحركة الجهاد الإسلامي في مدينة الخليل، ومن خلال ذلك التكليف استطاع تجنيد العديد من أبناء الجهاد الإسلامي في صفوف سرايا القدس،

فكانت المجموعة الأولى له في قرية بيت عوا في خليل الرحمن والتي ضمت كلًا من المجاهدين عيسى سويطي ونجيب سويطي ونافذ سويطي وباجس سويطي، ثم تطور الأمر وأصبح المجاهدان أسامة شريتح وأسامة اسعيد من أهم مساعديه في سرايا القدس حيث إن المجاهد أسامة اسعيد برفقة الشهيد محمد سدر استطاعا قتل أحد الصهاينة في مدينة الخليل عبر عملية إطلاق نار على مستوطنة "خارصينا" في الخليل، ومما يذكر أن المجاهد محمد سدر ومعه المجاهد عبد الرحيم التلاحمة وآخرون استطاعوا الاشتباك وجهًا إلى وجه مع دورية صهيونية بالقرب من معسكر المجنونة في بلدة دورا، وحاول المجاهدون حينها فتح باب الدورية الصهيونية المصفحة لشجاعتهم وبسالتهم اللامحدودة في المواجهة، وكان إلى جانب المجاهد محمد سدر في تأسيس مجموعات سرايا القدس في الخليل كل من المجاهد سامي شاور، والمجاهد أحمد سرور.

ضريبة الجهاد

الدور المميز والقائد للمجاهد محمد سدر جعله يتعرض لعدة محاولات للاغتيال أشهرها في العام 2001م حين تم قصف سيارته بصاروخين من قبل طائرات الأباتشي حيث جاء الصاروخ الأول أمام السيارة فسارع حينها المجاهد محمد بالهرب من السيارة، وأما الصاروخ الثاني فقد أصاب السيارة مباشرة مما أدى إلى استشهاد الطفل ابن أخت الشهيد محمد سدر وإصابة زوج أخته بجراح، وقد تعرض حينها المجاهد محمد سدر إلى تضرر كبير في السمع، وتم اعتقاله لدى أجهزة الأمن الفلسطينية ليخرج بعدها ويعيش في إحدى المغارات في خليل الرحمن، ويعيش لمدة ثمانية أشهر متواصلة على طعام من المعلبات فقط.

الاستعداد للعملية

تم الاتفاق بين قادة سرايا القدس أن تكون العملية القادمة في وادي النصارى عبر إطلاق النار، ولذلك استطاع المجاهد محمد سدر تجنيد الاستشهاديين أكرم عبد المحسن الهانيني (20 عامًا) من سكان مدينة الخليل، والمجاهد الثاني ولاء هاشم داود سرور (21 عامًا) من عين سارة في خليل الرحمن، وهما طالبان في جامعة بوليتكنك فلسطين في قسم الهندسة، بالإضافة إلى المجاهد ذياب محمد عبد المعطي المحتسب (22 عامًا) وهو من سكان وادي العزم في خليل الرحمن، ويعتبر من أهم القناصة في سرايا القدس في خليل الرحمن، وقد خضع الاستشهاديون الثلاثة إلى مرحلة

تدريب على استخدام السلاح والقنص بواسطة سلاح من نوع (M16)، بالإضافة للمسدسات حتى يكونوا على جهوزية عالية جدًا في حال تم تنفيذ العملية، وتم تزويد الاستشهاديين بالسلاح بحيث تم تزويد كل استشهادي بقطعة سلاح من نوع (M16) بالإضافة لعدد من القنابل اليدوية وثمانية مخازن للرصاص، عدا عن كمية كبيرة من الرصاص النفل، وأصبح الاستشهاديون جاهزين للعملية، واستطاع المجاهد محمد سدر حينها تصوير الاستشهاديين الثلاثة في أحد المنازل في منطقة الجلدة، وكان حاضرًا أثناء تصويرهم المجاهدان نور جابر وعبد الرحيم التلاحمة، وقبل العملية بثلاثة أسابيع جاء المجاهد نور جابر إلى المجاهد محمد عمران، وقال له إنه لابد من تنفيذ العملية يوم الجمعة القادم وكان الموعد في آخر شهر 10 من العام 2002م، إلا أن المجاهد محمد عمران طلب تأجيل الموعد إلى موعد آخر حيث كان لديه التزامات عمل مع إحدى الشركات في الخليل،

وكان قد أعطاهم وعدًا وعهدًا عندما تم توظيفه بعدم التغيب عن العمل إلا بعد أن يعطيهم خبرًا بذلك بفترة من الزمن حتى يتمكنوا من إحضار بديل عنه، وفي نفس الوقت كان المجاهد محمد عمران قد اتفق مع المجاهد نور جابر بضرورة إعلامه بأي شيء قبل موعده بفترة من الزمن حتى يكون مستعدًا لذلك، عندها طرح المجاهد نور جابر تأجيل العملية لمدة أسبوع آخر إلا أن تطور خطيرًا حدث بعد أسبوع من ذلك الحدث وهو اغتيال القائد العام لسرايا القدس في مدينة جنين وهو المجاهد إياد صوالحة بتاريخ 09/11/2002م مما أدى إلى تعجيل العملية الاستشهادية حين طالبت قيادة الحركة سرايا القدس بالرد على هذه الجريمة النكراء، ولذلك أخذ المجاهدون محمد سدر ونور جابر ومحمد عمران القرار بأن يكون يوم 15/11/2002م هو يوم تنفيذ العملية، وهو يوم الجمعة الموافق العاشر من شهر رمضان.

التخطيط النهائي للعملية

بعد الجلسة التي عقدت بين المجاهدين محمد سدر ومحمد عمران ونور جابر في أواخر شهر أيلول من العام 2002م تقرر بعد نقاش طويل أن تكون العملية في منطقة وادي النصارى، تلك المنطقة المعروفة بالنسبة للمجاهد محمد عمران كما يعرف كف يده، لمعرفته بأدق التفاصيل في تلك المنطقة، ويعرف تحركات المستوطنين من وإلى مستوطنة "كريات أربع"، ومن وإلى الحرم الإبراهيمي الشريف، وكذلك فإن المجاهد نور جابر الذي يعتبر من سكان تلك المنطقة ويعلم كل أسرارها وخفاياها، ولذلك كان لهما الفضل الكبير في إنجاح هذه العملية، ولذلك قاما بدراسة كيف

يتم تحرك المستوطنين، فوجدا أن تحركهم كالتالي: يكون المستوطنون عادة مجتمعين في يوم الجمعة في مستوطنة "كريات أربع" وعندما يريدون النزول إلى منطقة الحرم الإبراهيمي فإن الجنود الصهاينة يقومون بالسير قبلهم، ويبدؤون بتمشيط المكان والشارع المؤدي إلى الحرم، وما أن يصل الجنود إلى منطقة الحرم الإبراهيمي حتى تبدأ مجموعة من المستوطنين تنزل من مستوطنة "كريات أربع" مصحوبين بالجنود الصهاينة، وما أن تصل هذه المجموعة إلى منطقة الحرم حتى تبدأ المجموعة الثانية التي وراءها بالنزول من المستوطنة إلى منطقة الحرم، وهكذا استطاع المجاهدان نور جابر ومحمد عمران الحصول على تفاصيل تحركات المستوطنين، وفي أي يوم وفي أي ساعة وفي أي دقيقة، وكانت المنطقة كلها تحت رقابتهما باستمرار، حتى إنهما تمكنا من معرفة أين يتم وضع النقاط العسكرية، ومتى يتم تغيير الشفتات بين الجنود الصهاينة، وفي أي يوم، ولذلك أصبحت العملية جاهزة للتنفيذ.

ففي يوم 14/ 11/ 2002م تحدث المجاهد نور جابر مع المجاهد محمد عمران، واتفقا على أن يقوم المجاهد محمد عمران بإيصال الاستشهاديين إلى منطقة تنفيذ العملية في وادي النصارى، وقال المجاهد نور جابر للمجاهد محمد عمران إنه سيأتي إليه يوم الجمعة الموافق 15/ 11/ 2002م في تمام الساعة الرابعة والنصف عصرًا، ويقله في سيارته من أجل إيصال الاستشهاديين.

رسم توضيحي لعملية الخليل النوعية التي نفذها مجاهدو (سرايا القدس)

بدء تنفيذ مراحل العملية الاستشهادية (زقاق الموت)

في تمام الساعة الرابعة والنصف من يوم الجمعة 15/ 11/ 2002م التقى المجاهدان نور جابر ومحمد عمران عند أول طريق بلدة دورا وبالقرب من محطة بنزين (التحرير)، وكان حينها المجاهد نور يقود سيارة من نوع سوبارو زرقاء اللون، ومظللة من الداخل بالستائر الزرقاء حتى لا يتم كشف من بداخلها،وتحرك المجاهدان بالسيارة إلى منطقة الجلدة في الخليل حيث كان الاستشهاديون الثلاثة متواجدين في أحد المنازل في منطقة الجلدة بصحبة المجاهد محمد سدر، وقد توقف المجاهد نور جابر بالسيارة في منطقة قريبة من الجلدة في وادي التفاح، وطلب من المجاهد محمد عمران الانتظار هناك إلى حين ذهاب المجاهد نور إلى الجلدة لإحضار الاستشهاديين الثلاثة، وما هي إلا نصف ساعة حتى عاد المجاهد نور ومعه الاستشهاديون ذياب وأكرم وولاء، وحينها طلب المجاهد محمد عمران من المجاهد نور جابر النزول من السيارة ليقوم المجاهد محمد بدوره في إيصال الاستشهاديين كما كان مقررًا، فتفاجأ حينها أن المجاهد نور قد قرر الذهاب إلى جانب المجاهد محمد عمران لإيصال الاستشهاديين إلى موقع العملية، فصعد حينها المجاهد محمد عمران إلى داخل السيارة، وكان المجاهد نور حينها قد تنكر بزي رجل بدوي يضع حطة على رأسه، وقام المجاهد محمد عمران بطرح السلام على الاستشهاديين ذياب وأكرم وولاء والذين كانت معنوياتهم تناطح عنان السماء، ومتشوقين جدًا إلى تنفيذ العملية، وكان المجاهد محمد قد جهز نفسه لهذا اليوم مرتديًا ملابس خاصة بالإضافة إلى قيامه بحلق لحيته، ثم وضع على رأسه طاقية للإخفاء حتى لا يشك أحد به أثناء عملية التوصيل، وبدأت هنا مهمة الوحدة الخاصة في سرايا القدس المكونة من المجاهدين محمد عمران ونور جابر بالسير بالسيارة نحو موقع العملية، وسارا بالسيارة من شارع جبل أبو رمان في النصف الثاني من جبل الشريف، وفي أثناء الطريق رفع أذان المغرب، وكان المجاهدون صائمون يومهم العاشر من شهر رمضان المبارك، فتم إيقاف السيارة أمام أحد المحلات التجارية لشراء العصير والطعام بالإضافة إلى عدد من ربطات الخبز، حيث كان من ضمن الخطة أنه عندما ينزل الاستشهاديون من السيارة يكون كل استشهادي يحمل ربطتين من الخبز بالإضافة إلى سلاحه المفكك والموضوع في كيس وذلك تفاديًا للوقوع في دائرة الشك أو الشبهات، وعندها أفطر جميع المجاهدين باستثناء الاستشهادي ولاء سرور الذي أصر على أن يبقى صائمًا حتى يفطر في جنة الرحمن مع الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين، ومن ثم توجه الأبطال لمنطقة وادي الهرية، إلى منطقة أم الدالية ومنها إلى منطقة الفحص، وكل ذلك لكي يتمكنوا من الوصول إلى منطقة مستوطنة "كريات أربع"، ثم عادوا مرة أخرى إلى منطقة أم الدالية، وساروا حينها في طريق خاص للوصول إلى منطقة نزلة الديك، ووجدوا هناك سواتر ترابية قد أغلقت الطريق، ولذلك توقفوا حينها عن السير، وشعروا بأن العملية سوف تلغى، وما أن سمع الاستشهاديون هذا الأمر حتى بدأوا

يتذمرون، ويقولون بأنهم سيستمرون في تنفيذهم للعملية، وأقسموا بالله حينها بأنهم لن يعودوا وأنهم عازمون على مواصلة الطريق حتى يتم تنفيذ العملية كما كان مقررًا، ووسط هذا الإصرار وهذه الإرادة وهذا اليقين الإيماني الراسخ قال لهم المجاهد محمد عمران، بل أقسم لهم إنه سيبذل كل جهده في إنجاح هذه العملية، وإنه سيوصلهم إلى مكان العملية حتى لو كلفه ذلك حياته، وبالفعل قرر حينها المجاهدان نور جابر ومحمد عمران العودة إلى منطقة أم الدالية مرة أخرى، وكان هناك طريق ترابي وعر يسلكه الناس وسائقو السيارات عندما يكون هناك إغلاق للشوارع والطرق الرئيسية، وبعد جهد كبير جدًا، وفي ظل المعيقات الصعبة تمكنوا من الوصول إلى الطريق المؤدي إلى الهدف، وأثناء الطريق كان المجاهدون يتلون آيات من القرآن الكريم وكان الاستشهادي ذياب المحتسب يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]، وقال حينها للمجاهد محمد عمران: "يا محمد إن أردت أن لا يراك العدو فعليك أن تتلوا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾، ولكن بشرط أن تكون مؤمنًا إيمانًا راسخًا بذلك، بل تصل إلى مرحلة اليقين بهذا الأمر فعندها لن يراك العدو الصهيوني".

وبدأ المجاهدون يرددون ذلك بكل صدق، وما هي إلا فترة بسيطة حتى بدأوا بالسير، وما وجدوا حينها أمامهم أية دورية صهيونية رغم وجود منع للتجوال من قبل الجيش الصهيوني في تلك المنطقة، حيث وصلوا إلى منطقة تؤدي إلى جبل جوهر عند مدرسة طارق بن زياد، وبعدها توجهوا إلى منطقة جبل جوهر، وتم وضع سيارتهم مقابل منازل عائلة زلوم والتي لها شركة مشهورة هناك، وفي تلك النقطة انتهى دور المجاهد نور جابر في عملية التوصيل، وبقي منتظرًا في داخل السيارة بينما نزل المجاهد محمد عمران ومعه الاستشهاديون الثلاثة أكرم وذياب وولاء من السيارة، وقرر المجاهد محمد عمران إيصالهم إلى المنطقة التي يجب تنفيذ العملية فيها ولاسيما أن المجاهد ولاء لا يعرف تضاريس المنطقة، بينما المجاهدان أكرم وذياب يعرفانها جيدًا،وبدأ الأبطال بالسير مشيًا على الأقدام، وساروا مسافة تقدر بخمسة دقائق وكان كل مجاهد منهم يحمل ربطتين من الخبز بالإضافة إلى سلاحه وذخيرته وقنابله الموضوعة في كيس يحمله على ظهره،وذلك لإبعاد أي شبهات عنه، وما أن وصلوا إلى منطقة وادي النصارى وإلى منطقة الزقاق، حتى توقف المجاهدون هناك، وقام المجاهد أكرم الهانيني والمجاهد ذياب المحتسب بأخذ مواقعهما في تلك المنطقة، وبدأ كل مجاهد منهما بتركيب قطعة سلاحه وتجهيز نفسه للعملية، وما أن تأكد المجاهد محمد عمران من جهوزيتهما حتى قام بتوديعهما وهو يوصيهما بأن يأخذا الحيطة والحذر الشديد، وأن يقبلا على الشهادة فرحين مسرورين؛ لأنهما سيكونان في هذه الليلة في جنة عرضها السموات والأرض، وأوصاهما أن يبلغا الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم السلام ويقولا له بأن شعب فلسطين شعب مظلوم، ولكنه آمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمد نبيًا ورسولا، وأن بها مجاهدين لا يزالون يحملون الراية،

ويقاتلون أعداء الله، ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وأوصاهما أن يسلما على صديقه الشهيد شاكر حسونة، وعلى الشهيدين أسعد أبو تركي وعبد الباسط أبو اسنينة، وعانقهما العناق الأخير وسط الدموع التي قد انهمرت من عينيه رغمًا عنه.

واستمر بالسير ومعه الاستشهادي ولاء سرور الذي كان لا يزال صائمًا، ويرفض الإفطار إلا في الجنة، واستمر في السير مسافة تقدر بعشر دقائق أو أكثر قليلًا، ثم وصلا إلى أرض مزروعة بأشجار الزيتون، وتقع هذه الأرض أسفل الشارع بمتر ونصف، واستمرا بالسير حتى رأيا من بعيد الأضواء من أمام مدخل مستوطنة "كريات أربع"، ورأيا أيضًا أحد الجيبات العسكرية الصهيونية في المكان، وكان الطريق عبارة عن طريق باتجاه واحد، وهناك توقف المجاهدان عن السير وطلب حينها المجاهد محمد عمران من الاستشهادي ولاء سرور أن يكمل السير وحده، ولاسيما أنه استطاع أن يرى الطريق المؤدي إلى مدخل مستوطنة "كريات أربع" حيث طلب منه المجاهد محمد عمران أن يسير عبر الأرض المزروعة بالزيتون والتي تقع أسفل الشارع، وهناك عليه أن يتجهز للعملية، وأن يأخذ استعداده الأخير لتنفيذها بعد أن يستقبل الإشارة وهي عبارة عن صوت إطلاق النار، والذي ربما سيبدؤه المجاهدان أكرم وذياب، وربما هو من سيبدأ بإطلاق النار، وكان الوقت حينها قبل صلاة العشاء بنحو نصف ساعة، وقام المجاهد محمد عمران بوداع الاستشهادي ولاء سرور، ثم غادر المكان وعاد سيرًا على الأقدام إلى النقطة التي ينتظر بها المجاهد نور جابر، وما أن وصل إلى المجاهد نور حتى سارعا وغادرا المنطقة، وقام المجاهد نور بإبلاغ المجاهد ذياب الشويكي بأن يأخذ الحيطة والحذر الشديد ولاسيما أنه يتواجد بالقرب من منطقة العملية، ولما قام المجاهد نور بإيصال المجاهد محمد عمران إلى منزله، وبعد بضع دقائق بدأت العملية البطولية، وبدأ صوت الرصاص يدوي في سماء مدينة الخليل، وبدأ المجاهدون بإطلاق النار على الجنود الصهاينة في ذلك الزقاق، في زقاق الموت،وكانت مهمة المجاهد الاستشهادي ولاء سرور أن يبذل كل جهد ممكن من أجل استدراج العدو الصهيوني والجيبات العسكرية الصهيونية باتجاه منطقة الزقاق، والتي طريقها باتجاه واحد، وكل ذلك من أجل مفاجأتهم بما أعده لهم أبطال سرايا القدس هناك.

إعلام العدو يصف العملية

وهنا نورد ما تحدث به الإعلام الصهيوني عن هذه العملية تحت عنوان "وحيدًا في الزقاق أمام ملك الموت" في جريدة "يديعوت أحرونوت"، حيث يقول الراوي: "كانت هذه إحدى المعارك المخيفة في الانتفاضة، وفي ليلة مظلمة قتل فيها أربعة عشر جنديًا صهيونيًا، ومن بينهم قائد منطقة الخليل وبرتبة عميد وهو درور فاينبرغ، وقد فتحت عليهم أبواب جهنم، واستمر إطلاق النار لساعات دون توقف، فلم يكن واضحًا ماذا يحدث، فالجثث متكدسة فوق بعضها البعض، ولم يجرؤ أحد على الدخول إلى منطقة العملية التي حدثت في زقاق الموت، وهو عبارة عن مدخل ضيق، واستمرت المعركة لساعات في مواجهة اثنين من (المخربين)، وقد اتجهت قوات كبيرة من

الجيش إلى المكان، والقليل منهم خاطروا بأنفسهم في المواجهة مع (المخربين)، وفي التحقيق الذي أجراه الجيش في الحادث تبين أنه بعد أن سقط قائد المنطقة تصدعت القوة التي كانت في المهمة، ويضيف أحد الرواة للعملية من الجنود أن ما مَرّ علي في الخليل في تلك الليلة في يوم الجمعة 15/ 11/ 2002م لم يكن شبيه له في حياتي، فعندما ابتدأ إطلاق النار مساء ككل أي يوم عادي، انتهى المصلون من استعداداتهم، وبدأ يزداد عدد الجنود الذي يحمون المصلين من الجوانب، وبدأوا يجتمعون في الزقاق القريب والحد الفاصل، ونتيجة لإطلاق النار جاءت الأوامر بإخلاء المنطقة، والمخرب الذي كان يختبئ أمام المدخل الجنوبي لمستوطنة "كريات أربع" بدأ بإطلاق النار باتجاه المستوطنين في المدخل، وبعد ذلك قتل على يد الجيش الصهيوني، أما صديقا المخرب الذي قتل فقد أخذا وضع الاستعداد تحت غطاء الظلام في نهاية الزقاق، وفتحا نيران رشاشاتهم باتجاه الجيب العسكري والجنود"، هذا ما أورده العدو في التحقيق الخاص حول العملية.

واستمر المجاهدون بإطلاق النار باتجاه كل جندي صهيوني يتحرك في الزقاق، فلم يعد يستطيع الجنود التقدم أو التراجع، وكأنهم تجمدوا في المكان، ولم يكن بوسعهم سوى استقبال طلقات النار من فوهة بنادق أبطال سرايا القدس حيث كانت هذه العملية عبارة عن معركة مواجهة عسكرية بين ثلاثة مجاهدين لا يملكون إلا الأسلحة الخفيفة وبين قوات الجيش الصهيوني المدربة والمسلحة والتي كانت تتلقى التعزيزات تلو التعزيزات.

الجهاد تتبنى العملية والعملية لا تزال مستمرة

وفي هذه الأثناء كان قد توجه المجاهد نور جابر إلى المنزل الذي كان يتواجد فيه المجاهد محمد سدر، وتابعا تفاصيل العملية أولًا بأول، واتصل القائد المجاهد محمد سدر حينها بالأمين العام الدكتور رمضان عبد الله شلّح، وطلب منه أن يتبنى العملية والتي لا تزال مستمرة وفي حال الاشتباك، وخرج حينها الأمين العام على قناة الجزيرة ليؤكد أن العملية لا تزال مستمرة، وأن مجاهدي سرايا القدس هم من ينفذون هذه العملية، وأنهم لا يزالون يلتحمون مع العدو في الميدان، وكانت هذه العملية من أهم العمليات والمعارك الحقيقية في تاريخ الشعب الفلسطيني،

صور القتلى في عملية زقاق الموت
تتصدر الصحف الصهيونية

ولاسيما أنه قد تم قتل الكولونيل درور فاينبرغ قائد لواء الجنوب في الجيش الصهيوني، وهو أكبر قائد عسكري صهيوني يسقط في مواجهة مع المجاهدين الفلسطينيين.

فهؤلاء المجاهدون الثلاثة من أبطال سرايا القدس قد تقدموا الصفوف دفاعًا عن فلسطين وكرامتها وعزتها، فتقدم الاستشهادي ولاء سرور وحمل الراية وبدأ المعركة بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39]، تقدم نحو المدخل الجنوبي لمستوطنة "كريات أربع"، ليقاتل العدو قتال الأبطال، قتال الشجعان فما أن سمع أخواه المجاهدان أكرم الهانيني وذياب المحتسب حتى سارعا إلى توجيه رصاصهما نحو صدور الجنود الصهاينة، ونجح المجاهد ولاء الذي كان قد حمل الراية باستدراج الجنود الصهاينة إلى منطقة الزقاق، وعندها تم الإحاطة به من كل مكان فاستشهد، وصعدت روحه إلى بارئها، لتحمله ملائكة الرحمة على أجنحتها لتدخله الجنة من باب الريان، فكان له ما تمنى، فرفض الإفطار من يومه الرمضاني ليفطر في جنة الرحمن فصدق فيه قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]، ولكن لا يمكن للراية أن تسقط فكيف لا يلتقطها المجاهد أكرم الهانيني وقد وصلت فوهة مدافع الدبابات الصهيونية إلى رأس كل طفل ومقاتل وامرأة في فلسطين، إلى عنق المقاومة الوطنية والإسلامية؟ فحين تسقط القذائف والصواريخ فوق كل شباك وسقف وحائط ومدرسة ومستشفى وبناية سكنية، فوق كل شارع ومتراس، ولا تغلق عاصمة عربية واحدة سفارة "إسرائيل" ولا نقول سفارة أمريكا، ولا تطلب حتى استدعاء حاجب سفير في واشنطن و"تل أبيب"، ولا نقول إغلاق بئر النفط الذي هو ملء بطن قاذفات القنابل الأمريكية الصهيونية، فلم يتركوا شيئًا في فلسطين إلا قامت الطائرات الصهيونية المحملة بأطنان المتفجرات بقصفه، حتى إنهم باتوا يقصفون قبور الشهداء لا لشيء سوى أن قبور الشهداء قد دخلت المعركة ضد العدو الصهيوني، وهي في الخطوط الأمامية ومنذ اللحظة الأولى قد دخلوا معركة القتال بالسلاح الأبيض لأحجار قبورهم.

وبعد كل هذا هل يمكن لسرايا القدس أن تقبل بسقوط الراية؟ لا وألف لا، ولذلك تقدم الأسد الهصور المجاهد أكرم الهانيني وحمل الراية وأصبحت المعركة حامية الوطيس، وما أن يخرج صهيوني رأسه من جحره حتى يجد الرصاصة من المجاهد أكرم له بالمرصاد فيسقط قتيلًا أو جريحًا، وشعر حينها المجاهد أكرم أنه قد طال انتظاره وشوقه إلى الجنة كيف لا وشعاره ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84]؟ فكانت حينها الساعة العاشرة والنصف، فاستشهد لتزفه الملائكة إلى الحور العين في جنة عرضها السموات والأرض، وسلم الراية لأخيه المجاهد ذياب المحتسب الذي يعتبر من أهم القناصة في صفوف سرايا القدس، ويذكر عنه أن رصاصته لا تُخطئ، فكيف لها أن تُخطئ وهو دائمًا يردد قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، فأدرك حينها أن أخويه ولاء وأكرم قد سبقاه إلى الجنة، وأدرك أنه

لابد من اللحاق بهما، فإذا به يستشهد في الساعة الحادية عشرة ليلًا، بعد أربع ساعات متواصلة من الاشتباك المستمر، لتصعد روحه وسط فرح وسرور وبهجة وفي ظل شوق كبير إلى صاحبيه أكرم وولاء؛ ليخبرهما بما حدث بعد استشهادهما، لينطبق عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن عن أنس قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَشْتَاقُ الإِخْوَانُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَسِيرُ سَرِيرُ ذَا إِلَى سَرِيرِ ذَا، أَوْ سَرِيرُ ذَا إِلَى سَرِيرِ ذَا، حَتَّى يَجْتَمِعَا،فَيَتَّكِئُ ذَا وَيَتَّكِئُ ذَا،يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ مَتَى غَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا، فَيَقُولُ صَاحِبُهُ: نَعَمْ، يَوْمَ كُنَّا فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، فَدَعَوْنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَغَفَرَ لَنَا".

فهنيئا لكم الشهادة أيها الأبطال؛ فقد ذهبتم ولكنكم لستم وحدكم تزفكم عيون الأطفال واليتامى والأرامل، فما أجمل موتكم أيها القادة! ما أجمل هذا الإبداع في الموت! صحيح أنه صعب علينا، لكننا نعدكم أننا لن نبكي بعد اليوم سوى من فرح، وعندما يلوح بالأفق الرصاص نستبشر بفجر جديد، وأن الأيام القادمة هي للمجاهدين الأبطال؛ لأنهم هم المدججون بالغضب والانفجار المسكنون بجدل المرحلة بالفرح والشهادة، فيا أبطال زقاق الموت، يا أبطال سرايا القدس، أنتم الذين لم تلتفتوا للدنيا وزخارفها وزينتها، قد خرجتم ترددون ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: 84]، حملتم أرواحكم على أكفكم، لا تلتفتون إلى الوراء، وفي أعينكم الحزم والعزم والإصرار، فها هم أبطال سرايا القدس الذين زلزلوا الأرض من تحت أقدام بني صهيون، وخلخلوا قواعدهم الأمنية والعسكرية، فأثبتت حينها سرايا القدس مقدرتها على ردع العدو، فدمك يا إياد صوالحة لم يذهب هدرًا، فقد انتفضت خليل الرحمن، ورأس برأس وليست كل الرؤوس سواء.

رهن الاعتقال الصهيوني

وعلى أثر ذلك أقدم الجيش الصهيوني على إغلاق مدينة الخليل، وبدأ بالبحث عن قادة وكوادر سرايا القدس، وتم اعتقال العشرات من المجاهدين والهدف هو الوصول إلى طرف خيط يؤدي إلى اعتقال المجاهدين محمد عمران، محمد سدر، ونور جابر، وبعد أقل من شهر من تاريخ العملية وتحديدًا في 09/ 12/ 2002م نجح "الشاباك" الصهيوني عبر عملائه وبمساعدة الوحدات الخاصة في مراقبة تحركات المجاهد محمد عمران. وعندما كان المجاهد محمد عمران في سيارة على مفرق بلدة دورا، تم نصب كمين محكم له، وتم اعتقاله في ذلك اليوم، وتم التحقيق معه بشكل ميداني، ومن ثم تم نقله من مركز توقيف إلى آخر ليجد نفسه في مركز تحقيق سجن عسقلان المركزي، ليبدأ في مرحلة عصيبة وقاسية جدًا، تعرض خلالها لأبشع الأساليب القمعية والوحشية، وما هي إلا عدة أشهر فإذا به يخرج من فترة التحقيق إلى داخل سجون العدو، ليستقبله قادة وكوادر الجهاد الإسلامي وسط اعتزاز وافتخار بهذا البطل الذي أذاق العدو مرارة الألم وجعله يبكي دمًا على ما اقترفه بحق الشعب الفلسطيني، وجاء موعد المحكمة الظالمة، وحكم القاضي على المجاهد الكبير محمد عمران

بثلاثة عشر مؤبدًا، واستقبل المجاهد محمد الخبر ولسانه يقول للقاضي ما قاله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه: 72]، وكانت عائلة المجاهد محمد عمران جالسة في قاعة المحكمة،

والد الأسير المجاهد/ محمد عمران
على موعد مع الحرية لابنه الأسير

وما كان منهم إلا الصبر والاحتساب ورفع معنويات ابنهم المجاهد محمد الذي قال حينها للقاضي الصهيوني: "أيها القاضي! إننا شعب نحب السلام، ونعيش من أجل السلام، ولكن نريد السلام العادل الذي يعيد لنا كل حقوقنا، وأما أنتم أيها الصهاينة، فأنتم سرطان، قد هدمتم البيوت وقتلتم الأطفال، وسرقتم الأرض، وأن ما قمت به هو شيء قليل مما تستحقون".

داخل الأسر

وبدأت حينها مرحلة جديدة للمجاهد محمد في سجون العدو ليقف إلى جانب إخوانه في العام 2004م، بإضراب مفتوح عن الطعام، والذي استمر لمدة تسعة عشر يومًا، رفضًا لسياسة العدو الصهيوني في استهدافها لمقومات صمود الأسرى والأسيرات، وكانت تلك الأيام أيام عز وكرامة وجهاد في سبيل الله، وأدرك حينها المجاهد محمد أن الجهاد في سبيل الله لا يقتصر فقط على حمل السلاح والقتال في الميدان، وإنما هنالك الكثير من المجالات وإن كانت الإمكانيات شبه مستحيلة، فكانت أجمل الأيام فيما مضت تلك الأيام التي يقوم بها الأسرى في مواجهة غطرسة وعنجهية مصلحة السجون، وفي نفس الوقت كانت أصعب الأيام التي عاشها في سجون الاحتلال عام 2005م عندما علم أن والدته مريضة جدًا، وأنها تعاني من مرض السرطان، وعندها دعا الله عز وجل أن يمكنه من رؤية والدته، ويقبلها ويودعها قبل وفاتها، فكانت لا تخلو لحظة من حياته إلا ويدعو الله بذلك، فإذا بدعوته تُستجاب، وتم السماح لوالدته بزيارته وإحضارها عن طريق الصليب الأحمر، عبر سيارة الإسعاف ومعها مرافقة وهي شقيقته، فشاء الله أن تتحقق هذه الزيارة، وأن تكون زيارة خاصة، بمعنى أنه يحق للأسير محمد عمران الاجتماع مع والدته في غرفة واحدة بلا حواجز تذكر، فلما رأى والدته تدخل عليه في غرفة الزيارة قبّل رأسها ويديها وبكى بكاءً شديدًا، وانقلب مشهد الزيارة إلى حالة من الحزن والألم، ولاسيما أن المجاهد محمد بدأ يشعر أن والدته مفارقة الحياة خلال أيام، وبدأت والدته ترضى عليه وتحمد الله أنها قد رأته قبل وفاتها، وطلبت منه أن يحرص على أن يبقى إلى جانب إخوانه وأخواته وأن يكونوا متحدين، وبدأت توصيه على نفسه، ولم يكن حينها المجاهد محمد ليتمالك نفسه، فقال لها: "لا تقلقي يا أماه فإن هذه هي دموع الفرح لرؤيتك"، وما أن انتهت الزيارة حتى شعر حينها أن قلبه

صديقه ليكتب الله لأخيه رائد الحرية في العام 2014م، ولا يزال يؤمن المجاهد محمد بأن الله ـ عز وجل ـ قد أخذ على نفسه نصر المؤمنين والمجاهدين والمستضعفين، كما أن سنوات السجن الطويلة لم تفت في عضده، ولا يزال شامخًا في سجون العدو الصهيوني، ينتظر سواعد المجاهدين الذين أخذوا على عاتقهم تحريره وتحرير كل الأسرى والمعتقلين.

الأسير المجاهد/ محمد عمران
في سجن "ريمون" الصهيوني (2018م)

قد خرج من جسده، وأن هذه النظرة هي النظرة الأخيرة، وهي نظرة الفراق والوداع، وما هي إلا أربعة أيام بعد الزيارة وبتاريخ 22/ 05/ 2005م حتى استقبل خبر وفاة والدته ليقول حينها: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، فصبر وصلى ركعتين، ودعا لها الله بالرحمة والمغفرة، هكذا هو حال كل الأسرى والمعتقلين على مر السنين، وما هي إلا سنوات وإذا بالمجاهد محمد عمران يلتقي مع أخيه الأكبر رائد الذي تم اعتقاله في العام 2009م، وحُكم عليه أربع سنوات ونصف بتهمة الانتماء لحركة فتح، وعاش معه سنة كاملة خففت عنه فراق والدته، ولم يكن رائد فقط شقيق المجاهد محمد، بل كان

الأسير المجاهد
إيهاب زياد عبد الفتاح الشرفا

ابن أسرة مجاهدة

تاريخ الميلاد: 1981/03/08م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: ضاحية شويكة – محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 18

تاريخ الاعتقال: 2002/12/11م

الحكم: مؤبد

نقف اليوم أمام بطل عظيم من أبطال سرايا القدس، ممن يتصفون بالجرأة والشجاعة وحب الإقدام ويتمتعون بالمصداقية العالية، ويمتلكون ثقة كبيرة ولديهم كاريزما قلَّ نظيرها، فما أن تتعامل معه وتختلط به حتى تجد فيه الرجولة الحقيقية والعقل الواعي المتزن، والأخلاق العالية؛ فله المقدرة على فهم الواقع السياسي بنظره ثاقبة وبعيدًا عن السطحية والانفعال أو التعصب الأعمى للرأي، كل تلك الصفات أهلته أن يصبح من أهم كوادر سرايا القدس في مدينة طولكرم، ليكون هذا الاسم إيهاب زياد الشرفا محفورًا في عقول وصدور الناس في طولكرم لما تركه من بصمة جهادية في مسيرة العمل الجهادي بالمدينة.

الميلاد والنشأة

وُلد المجاهد إيهاب في ضاحية شويكة بمحافظة طولكرم في ظل عائلة تتصف بالوطنية والنضال، فما أن بلغ من العمر ست سنوات حتى فاجأ شعبنا الفلسطيني الاحتلال الصهيوني بل فاجأ العالم كله باندلاع انتفاضته الأولى في أواخر عام 1987م، والتي أُطلق عليها انتفاضة الحجارة.

كان المجاهد البطل إيهاب شاهدًا على

أحداث الانتفاضة الأولى ولاسيما أنه نشأ وترعرع في ظل عائلته المناضلة، فكان لأعمامه وأخواله الدور الطبيعي والنضالي في مواجهه المحتل الصهيوني، وقد سطروا بتضحياتهم صفحات مضيئة من صفحات البذل والفداء والصمود. فخاله عثمان محمود بسيسي كان ينتمي لحركه فتح، وتعرض للاعتقال في مطلع الثمانينيات وحكم عليه بالسجن لمدة 25 عامًا أمضى منها خمسة أعوام، وأُطلق سراحه في صفقة تبادل الأسرى في العام 1985م بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة (أحمد جبريل) وبين الكيان الصهيوني أُفرج بموجبها عن 1150 أسيرًا من ذوي الأحكام العالية، وخاله أيضًا عمر محمود بسيسي تعرض للاعتقال في الانتفاضة الأولى على خلفية الانتماء لحركة فتح ومقاومة الاحتلال الصهيوني، وأمضى في الاعتقال خمسة أعوام. وما أن اندلعت انتفاضة الأقصى (2000م) حتى انضم إلى سرايا القدس، وأما عمه سعيد الشرفا فقد كان ينتمي إلى مجموعات الفهد الأسود التابعة لحركه فتح وأمضى في سجون الاحتلال تسع سنوات، وعمه الآخر فارس أمضى في السجن عامين على خلفية الانتماء لحركة حماس.

مجموعة من قيادة حركة الجهاد الإسلامي
في زيارة اجتماعية لعائلة الأسير المجاهد/ إيهاب الشرفا

فهذه البيئة الوطنية والنضالية وهذه التضحيات كانت جزءًا أصيلًا في تشكيل كينونته، فعمل المجاهد إيهاب على الاستفادة من تجارب أقربائه الثورية وانتفض ضد الاحتلال الصهيوني رغم صغر سنه، وكان له دور مهم في التصدي لقوات الاحتلال الصهيوني في الانتفاضة الأولى من خلال رشق الجنود الصهاينة بالحجارة، أولئك الجنود الذين كانوا يلاحقون ويبحثون عن المناضلين، ومن ضمنهم عمه سعيد وخاصة في دوار منزلهم، ويقومون بحملة بحث وتفتيش واسعة شملت بيتهم الذي عاثوا فيه فسادًا. ومما زاد من عنفوانه وكسر حاجز الخوف لديه، ما تعرض له الشهيد أكرم خويلد من ضاحية شويكة الذي كان ينتمي لحركة فتح حيث أطلق عليه جنود الاحتلال النار بكثافة عندما كان يهم بإلقاء زجاجة حارقة على الجنود، فسقط حينها على الأرض وهو ينزف دمًا، فكانت هذه الدماء التي روت الأرض الطاهرة في ذلك اليوم هي التي أعطته زخمًا ثوريًا وجهاديًا في فعله الخلاق في مواجهة العدو الصهيوني وجعلته أكثر تحديًا وإصرارًا على الجهاد في سبيل الله؛ ليعيش المجاهد إيهاب ذلك واقعًا عندما اندلعت انتفاضة الأقصى في العام 2000م.

جهاده في انتفاضة الأقصى وانتماؤه للسرايا

ولأنه من عشاق الأرض التي يسري حبها في عروقه مثل الدم لم يتردد عن أداء واجبه الوطني منذ اندلاع شرارة انتفاضة الأقصى، وبمجرد أن عرض عليه خاله المجاهد عمر بسيسي الانضمام إلى صفوف سرايا القدس لم يتردد لحظة واحدة، وكيف

يتردد وهو ينتظر هذه الفرصة على أحر من الجمر؟!

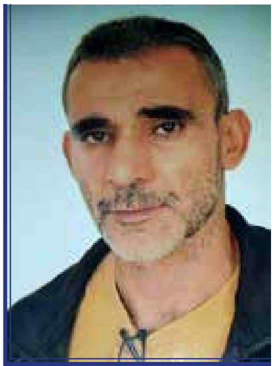
الأسير القائد/ عمر بسيسي محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 11/ 12/ 2002م

وانضم إليهما المجاهد سامي فتيلي وهو ابن خالة المجاهد إيهاب. وتم في ذلك الوقت تكليف المجاهدين إيهاب وسامي بتفجير عبوة ناسفة بدورية صهيونية على الطريق الرئيسي الواصل لمعسكر "بثان" قرب قرية بئر السكة في الأراضي المحتلة عام 1948م، وتم إصابة الدورية بشكل مباشر ورد الجنود الصهاينة على المجاهدين بزخات من الرصاص وبشكل مكثف وعشوائي إلا أنهما عادا بسلام.

وفي نفس العام 2001م، تم رصد هدف آخر على الشارع الرئيسي الواصل إلى قرية الجاروشية شمال طولكرم، وقد قام المجاهدان إيهاب وسامي بزرع عبوتين ناسفتين على جانب الطريق، وأثناء مرور مجنزرة صهيونية، تم تفجير العبوتين في آن واحد مما أدى إلى إعطاب المجنزرة وإصابتها بأضرار مادية جسيمة، وذلك في منتصف الليل وتم إطلاق النار عليهما بكثافة إلا أنهما لم يصابا بفضل الله بأذى، وعادا إلى مواقعهما بسلام وأعلنت سرايا القدس عن العملية، وعندها تم إبلاغ قائد المجموعة وهو خالهما عمر بسيسي الذي كان مسؤولًا عن إمدادهما بالعبوات الناسفة والسلاح من دون أن يعرفا من هو المسؤول عن خالهما عمر أو مصدر العبوات أو كيف يتم التواصل مع قائد السرايا في طولكرم، وذلك لضمان أمنهما وسلامة العمل وأمن قادتهما، فمن أسرار النجاح للعمل السرية، فالحفاظ على سرية العمل يصحبه تحقيق نجاح بشكل كبير، ويمكّن المجموعات العسكرية من استمرارية أعمالها الجهادية لفترة زمنية طويلة.

العمليات التي شارك فيها

وفي أواخر العام 2001م قام المجاهدان إيهاب وسامي باشتباك مسلح بسلاح من نوع (M16) في مكان قريب من قرية بئر السكة ضد دورية صهيونية واستمر الاشتباك حوالي نصف ساعة بواسطة إطلاق النار بين الأبطال وبين الدورية الصهيونية، حيث دفع الجيش الصهيوني حينها بتعزيزات عسكرية كبيرة من الدوريات والدبابات والمجنزرات وأيضًا الطائرات، مما جعل المجاهدين ينسحبان بسلام من المكان باتجاه مكان أبعد وأكثر أمنًا وتم إبلاغ المجاهد عمر بسيسي بتفاصيل العملية، وأعلنت سرايا القدس مسئوليتها عن هذه العملية.

وفي بداية العام 2002م قام المجاهدان إيهاب وسامي بزراعة عبوة ناسفة في ضاحية شويكة في الطريق الواصل بين شويكة وقرية دير الغصون، وكان الهدف هو عبارة عن دورية عسكرية صهيونية، وحين وصولها تم تفجير العبوة الناسفة، وتم إصابة الدورية الصهيونية بأضرار مادية ورد الجنود الصهاينة بإطلاق النار، ودار الاشتباك المسلح بين المجاهدين وبين الجنود الصهاينة، وكان هذا درسًا للعدو الصهيوني ليحسب ألف حساب عند القيام بالسير في

شوارع وأزقة وحارات وقرى مدينة طولكرم، وتم إبلاغ القائد عمر بسيسي عن تفاصيل هذه العملية البطولية، وتم إعلان سرايا القدس عنها.

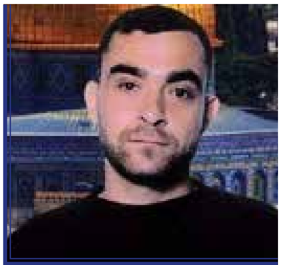
الأسير المجاهد/ سامي فتيلي محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 11/ 12/ 2002م

واستمر نشاط هذه المجموعة وبشكل سري جدًا مما أربك الجيش الصهيوني في عدم مقدرته للوصول إلى طرف خيط لاعتقال أبطالها، وبعد هذه العملية تقريبًا بشهر تم رصد هدف، وهي دورية عسكرية صهيونية في الشارع الشرقي من ضاحية شويكة، وزرع عبوة ناسفة لها وتم تفجيرها في جيب عسكري تمت إصابته بشكل مباشر، وتم إعطاب الجيب العسكري ورد الجنود الصهاينة على المجاهدين إيهاب وسامي بإطلاق نار كثيف، وتم انسحابهم بسلام وتم إبلاغ القائد عمر بسيسي بتفاصيل العملية لتعلن سرايا القدس مسئوليتها عن العملية.

وفي بداية العام 2002 قام المجاهدان إيهاب وسامي برصد هدف عسكري في منطقة المسقوفة شرق ضاحية شويكة، وتم زرع عبوة ناسفة جانبية لدورية عسكرية صهيونية، وتم تفجير العبوة وإصابتها بشكل مباشر، وقام الجنود الصهاينة بالرد على المجاهدين بإطلاق النار، وحضرت سيارات الإسعاف الصهيونية للمكان وانسحب المجاهدان بسلام.

وفي نفس العام قام المجاهدان إيهاب وسامي برصد دورية عسكرية في الجزء الشرقي من ضاحية شويكة بالقرب من مدرسة البنين وكان الهدف هو إطلاق صاروخ "لاو" أحضره القائد عمر بسيسي للمجاهدين لإطلاقه على الدورية الصهيونية وقد حاولا أكثر من مرة إطلاق الصاروخ عن قرب من الدورية دون جدوى، وتم انسحاب المجاهدين بسلام، وتم إبلاغ القائد عمر بسيسي بالتفاصيل عن ذلك، فقام بدوره بعد فترة زمنية بالإيعاز لهما بعدم إطلاق الصاروخ، ولاسيما أنه تم إيصال الصواريخ إلى المجاهدين بشكل مقصود من قبل العدو الصهيوني، وتم تفخيخها للإيقاع بالمجاهدين.

ثم قام المجاهدان إيهاب وسامي برصد مجنزرة صهيونية في ضاحية شويكة بطريق فرعي وتم زرع عبوة ناسفة وتعليقها على أحد الأشجار من أجل إصابة الجنود الصهاينة الذين يقفون فوق المجنزرة وبشكل مباشر، ولكن لخلل ما في العبوة الناسفة لم تنفجر، ولو قدر الله ونجحت العملية لأدت لمقتل جنود صهاينة ولكن قدَّر الله وما شاء فعل، واستطاع حينها المجاهدان الانسحاب من المكان بسلام.

ثم بعد شهر من هذه العملية وبعد رصد مجنزرة صهيونية في الشارع الشرقي من ضاحية شويكة تم زرع عبوة ناسفة لها في سيارة متوقفة من أجل تحقيق إصابات مؤكدة في الجنود، وتم بالفعل تفجير العبوة الناسفة وإصابة المجنزرة بشكل مباشر وإعطابها وإصابتها بأضرار مادية، ثم إطلاق النار من سلاح كلاشينكوف و(M16) باتجاه المجنزرة التي اشتعلت النيران فيها ووردت دبابة صهيونية قريبة من المكان بإطلاق النار على المجاهدين، وحضرت

إلى مكان العملية قوات كبيرة من الجيش الصهيوني مدعومة بالطائرات العسكرية، وعندها تمكن المجاهدان من الانسحاب من المكان بأمن وسلام.

أهم عملية شارك فيها

والأهم في كل عمليات زراعة العبوات كانت تلك العملية التي وقعت في بداية شهر ديسمبر (كانون أول) من عام 2002م، حيث تم رصد دورية عسكرية على جانب الشارع الشرقي من ضاحية شويكة، وقام المجاهدان إيهاب وسامي بزرع عبوة ناسفة موجهة وكانت الخطة أن تكون العملية مزدوجة العمل بحيث يتم تفجير العبوة الناسفة، ويتبعها إطلاق نار أثناء مرور الدورية العسكرية، وبحدود الساعة العاشرة ليلًا، وفي تاريخ 08/ 12/ 2002م، قام المجاهد إيهاب بتفجير العبوة بالدورية وإصابتها، ثم أطلق المجاهدان النار بكثافة من سلاح (M16) وكلاشينكوف، مما أدى حسب إعلام العدو إلى تدمير الدورية الصهيونية وإصابة ثلاثة جنود صهاينة بجراح بما فيهم ضابط الدورية حيث بترت قدماه، وأصيب جنديان إصابة متوسطة، وقد سُمِع صراخ الجنود الصهاينة في المكان، وسرعان ما حضرت قوات كبيرة من الجيش الصهيوني، بالإضافة إلى الطواقم الطبية الصهيونية، معززين بالدبابات المدعومة بالطائرات المروحية التي بدأت بإطلاق النار بكثافة، وتم الإعلان عن ضاحية شويكة منطقة مغلقة حتى اليوم التالي، وتم انسحاب المجاهدين بسلام وتمت حملات التفتيش في المنطقة للبحث عنهما، وأُبلغ القائد عمر بسيسي بتفاصيل العملية، فأبلغ المسؤول عنه الذي قام بدوره بالإعلان عنها باسم سرايا القدس، ومن ضمنها أثناء برنامج حصاد اليوم وكذلك في قناة أبو ظبي بالإضافة إلى الإعلان عنها عبر ميكروفونات المساجد باسم مجموعة الشهيد القائد أسعد دقة، وكانت الإذاعة الصهيونية قد أجرت لقاءً مع الجنود الصهاينة وشبهت العملية بنموذج عمليات حزب الله اللبناني، وتبين فيما بعد أن من أعلن عن هذه العملية هو الأسير المجاهد أنور عليان.

الاعتقال والحكم بالمؤبد

بتاريخ 11/ 12/ 2002م، اقتحمت قوات معززة بالدبابات ومدعومة بالطائرات الصهيونية منزل المجاهد عمر بسيسي ومنزل المجاهد سامي فتيلي ومعه المجاهد إيهاب في المنزل، وتم اعتقال المجاهدين الثلاثة، والاعتداء عليهم بالضرب المبرح وتخريب بيوتهم، والتحقيق معهم ميدانيًا، ثم نقلوا إلى مركز تحقيق الجلمة، واستمر التحقيق معهم حوالي شهرين ونصف، فكان اعتقالهم بناء على معلومات حصلت عليها المخابرات الصهيونية عن نشاطاتهم الجهادية والعسكرية، ولكن بعد عامين من العمل السري الناجح دون أن يعلم عنهم أحد، حتى إن الخلايا العسكرية الأخرى التابعة لسرايا القدس في محافظة طولكرم تفاجأوا بهذه الخلية السرية، وبعد انتهاء التحقيق أعلن الشاباك الصهيوني عن اعتقال أخطر خلية لسرايا القدس في منطقة طولكرم، وتبين فيما بعد أن من مول هذه الخلية هو المجاهد أنور عليان، وحكم على المجاهدين عمر وإيهاب وسامي بالسجن المؤبد.

الأسير المجاهد/ أنور عليان
محكوم 23 عامًا، واعتقل بتاريخ 04/ 04/ 2003م

مرحلة السجن

بعد الانتهاء من التحقيق تم نقل المجاهدين الثلاثة عمر بسيسي وسامي فتيلي وإيهاب الشرفا إلى السجون، وبدؤوا مرحلة جديدة من حياتهم، فالمجاهد إيهاب لم يدخر جهدًا إلا وبذله في سبيل الارتقاء بنفسه بشكل أفضل، فبدأ بالدراسة في الجامعة العبرية بتخصص العلوم السياسية وما أن أنهى سنوات الدراسة حتى قامت إدارة السجون بحرمان الأسرى والمعتقلين من التعليم بذريعة قانون "شاليط"، وتمكن فيما بعد من الحصول على شهادة البكالوريوس في علم التاريخ من جامعة الأقصى، وحاليًا يدرس في جامعة القدس المفتوحة في تخصص الاجتماعيات، وقد حصل أيضًا على دورات ثقافية بالإضافة إلى تكريس نشاطه في خدمة الأسرى والمعتقلين وتم تكليفه من قبل إخوانه الأسرى بالعديد من المهمات التنظيمية في داخل السجن، وبنفس الوقت لم يبخل عليهم بالوقوف إلى جانبهم في خوض الإضرابات المفتوحة عن الطعام ومنها إضراب العام 2004م، وكذلك إضراب الكرامة في العام 2012م، بالإضافة إلى المشاركة في العديد من الخطوات التصعيدية ضد مصلحة السجون الصهيونية، وتمكن من الاجتماع بمعظم أفراد خليته في داخل السجن؛ ليعيدوا ذكرى تلك الأيام الجهادية والإيمانية، وكما تم اللقاء مع المجاهد القائد أنور عليان الذي كان دوره في هذه المجموعة التواصل مع قائدها المجاهد عمر بسيسي وتقديم الدعم المالي والعسكري للخلية، والإعلان بعد تنفيذ أي عملية يقومون بها دون مشاركته في التخطيط أو التنفيذ أو علمه المسبق بها، ولا يزال مجاهدنا البطل إيهاب الشرفا على أمل بالحرية والانعتاق من سجون الاحتلال الصهيوني.

الأسير المجاهد
منيف محمد محمود أبو عطوان

ابن الأرض الوفي

تاريخ الميلاد: 1971/10/25م

الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه ابنتان

مكان السكن: قرية الطبقة – محافظة الخليل

عدد أفراد العائلة: 16

تاريخ الاعتقال: 2002/12/29م

الحكم: 5مؤبدات و40 عاماً

إنه لشرف عظيم لنا أن نكتب تاريخ مجاهد عشق الجهاد في سبيل الله، فاختار البندقية وجاهد بدون ادعاء وقدم دون أن يأخذ وعاش من أجل الوطن ومن أجل أن يبقى حرًا.

فمجاهدنا هو منيف محمد أبو عطوان (أبو قيسارية) الذي ولد في قرية الطبقة بمحافظة الخليل، نشأ وترعرع على أرضها ورفض الرحيل عنها؛ لأنها أرض أجداده وآبائه الذين كانوا يعيشون حياة الفلاحين البسطاء ويعتمدون على الزراعة وتربية المواشي، وفي ظل عائلة وطنية شغوفة بحب الوطن، وما أن بلغ سن التمييز في طفولته حتى رأى ظلم الاحتلال الصهيوني وممارساته من اعتقال وتشريد وهدم للمنازل، لم يكن للمجاهد منيف أن يحيا حياة طفل طبيعي كأي طفل في هذا العالم، فلم يكن يلعب ويلهو في قرية الطبقة كما يحلو له بلا منغصات من قبل الاحتلال؛ لذا فإن كل من رآه وجد فيه شيئًا يقول بأن لهذا الطفل شأنًا كبيرًا حينما يكبر، وهذه المحطة في صغره كانت هي الدافع والمحرك لشخصيته القوية والتي جاءت نتيجة لأجواء عائلته المليئة بالألم والحزن والهم من كثرة مداهمات الجيش الصهيوني لمنازل العائلة بحثًا عن ابن عم المجاهد منيف القائد والفدائي

باجس أبو عطوان الذي تمكن وبمساعدة الفدائيين في مطلع السبعينات من تنفيذ العديد من العمليات العسكرية ضد العدو الصهيوني؛ لتكون بمثابة الشمعة التي أضاءت طريق المجاهد منيف أبو عطوان فيما بعد، وما هي إلا فترة من الزمن حتى استشهد البطل باجس ليكون وقع هذا الخبر صعبًا على المجاهد منيف، وليزداد صعوبة أكثر عندما تم اعتقال والد المجاهد منيف وعمه على أيدي الجيش الصهيوني، ولم يكتف الاحتلال بذلك، بل قام باعتقال شقيق المجاهد منيف الأكبر الذي حل مكان والده أثناء اعتقاله، ورغم الألم والمعاناة وحالة الفقر والضياع التي تسبب بها هذا العدو الصهيوني لهذه العائلة المناضلة إلا أن ذلك لم يفت من عضد المجاهد منيف فما هان وما استكان وبقي صامدًا في وجه الريح مواجهًا لها، ليتربى على سيرة أبطال عظام_ابن عمه وأبيه وعمه وأخيه، مدركًا أن هذا المحتل لا يفهم معنى الإنسانية، ولا يفرق بين طفل وشيخ وفتاة وامرأة، فكلهم إرهابيون مجرمون بنظر هذا العدو، فمارس ضد شعبنا كل أساليب البطش، واستمرأ المذابح والمجازر بحقه على مر السنين.

وعلم مجاهدنا منيف أن هذا المحتل لا يفهم سوى لغة واحدة هي لغة الدم ولغة المقاومة، ليكون على موعد مع هذا المحتل الصهيوني المتمثل باندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في نهاية العام 1987م.

المشاركة في الانتفاضة

ما أن انتشر خبر ارتقاء الشهداء في قطاع غزة العزة حتى عم الغضب كل ساحات الوطن المحتل، وبادر مجاهدنا منيف الذي كان يدرس في المرحلة الثانوية بتحشيد الطلاب، وتقسيمهم إلى مجموعات للمشاركة في أحداث الانتفاضة الفلسطينية في ميادينها المختلفة سواء عبر توزيع المناشير الداعية إلى مواجهة العدو الصهيوني، أو عبر كتابة الشعارات، أو عبر ضرب الحجارة والزجاجات الحارقة؛ ليسطع نجم هذا البطل مما جعل الشاباك الصهيوني يُسير عملاءه لمتابعة ومراقبة هذا البطل، ليتم اعتقاله في العام 1990م والحكم عليه ستة شهور، وأطلق عليه أسرى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الرجل العنيد الصلب نتيجة لصموده في أقبية التحقيق رغم قساوتها وفظاعتها، ولم يعترف لأن الاعتراف عنده خيانة.

الأسير القائد/ منيف أبو عطوان
برفقة والديه الكرام خلال زيارتهم له في السجن

وما أن خرج من السجن حتى وجد أن هذه الانتفاضة الفلسطينية والتي ألهبت مشاعر وعواطف الملايين من أحرار وشعوب العالم قد قهرت هذا العدو الذي كان يظن بأن القضية الفلسطينية قد دفنت بحربي 1948م و1967م. لكن كل هذه الكبرياء والعظمة لهذه الانتفاضة تبددت وحل مكانها قبول منظمة التحرير الفلسطينية بالمفاوضات

مع العدو الصهيوني والتي كان نتيجتها التوقيع على اتفاق أوسلو في العام 1993م، وجاءت هذه الاتفاقية كي تسحب البساط وطنيًا وأخلاقيًا وإنسانيًا من تحت أقدام كل من ينادي بضرورة استمرار الجهاد والمقاومة والكفاح المسلح من أجل تحرير الوطن، وأن الخيار الوحيد والمسموح به هو خيار التسوية.

النضال في ظل أوسلو

بدأ المجاهد منيف أبو عطوان مرحلة جديدة في ظل وجود السلطة الفلسطينية، والتي جاءت كتجسيد لاتفاق أوسلو الظالم والذي جرَّم المقاومة الفلسطينية باسم المصلحة الوطنية وباسم العقلانية، وفي ظل هذه المستجدات السياسية بدأ المجاهد منيف يتحول فكريًا من الجبهة الشعبية إلى الاتجاه الإسلامي حيث الرفض القاطع لأوسلو وعدم التفريط بأي شبر من فلسطين، وما كان منه إلا الانتماء إلى حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، والتي رأى بها الخيار الأصوب والأمل لهذه الشعب الذبيح، ولاحقًا قرر المجاهد منيف الانضمام إلى صفوف الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي (قسم) حيث كان قد تأثر إلى حد كبير بالشهيد البطل عصام براهمة (قائد مجموعات عشاق الشهادة بالضفة الغربية)، والذي تم اغتياله في قرية عنزة في جنين في العام 1992م، وكذلك تأثر باستشهاد القائد الكبير هاني عابد في قطاع غزة في العام 1994م، وبدأ المجاهد منيف يبحث عن مجاهدي (قسم) للتعرف عليهم والعمل معهم، وكان ذلك في البداية مسألة صعبة حيث إن أبناء (قسم) يعملون بشكل سري جدًا، ولا يظهرون للعلن، ونتيجة لبحثه المكثف تم كشف أمره واعتقل في العام 1995م ليخرج إلى الحرية في العام 1996م ليجد أن السلطة الفلسطينية قد أحكمت سطوتها وسلطتها على مناطق سكانية عديدة في الضفة الغربية، وأن حجم التنسيق الأمني مع العدو الصهيوني كان في أوج قوته، وكان في المقابل رد مزلزل من حركتي حماس والجهاد الإسلامي على ذلك عبر عدة عمليات استشهادية نوعية أربكت العدو الصهيوني؛

الشيخ القائد/ خضر عدنان
في زيارة اجتماعية لعائلة الأسير القائد/ منيف أبو عطوان

ليكثف اعتقالاته لقادة وكوادر المقاومة من أبناء حماس والجهاد الإسلامي، وتم اعتقال المجاهد منيف من جديد لدى قوات الاحتلال الصهيوني ليخضع هذه المرة إلى تحقيق شديد مورس فيه بحقه مختلف أساليب التعذيب، ولكنه كما عرفه أصدقاؤه وأحباؤه وأبناء شعبه صمد صمودًا أسطوريًا، ولم يتمكن الشاباك الصهيوني من إدانته بشيء، فتم إخلاء سبيله ليأخذ قراره بأن يكون جنديًا يقظًا في تحركاته وأفعاله لاسيما أن أجهزة السلطة الفلسطينية أصبحت قوية وتتمكن من متابعة وملاحقة المجاهدين بكل سهولة.

حياة جديدة في حب الوطن

واتخذ قراره بأن يتزوج ويؤسس أسرة جديدة، وبدأ يعمل في مهنته في مجال السيارات، وبدأت الفرحة تدخل على بيته شيئًا فشيئًا حيث رزقه الله بابنة أسماها (قيسارية)، وهذا الاسم المميز له دلالاته فهو اسم لمدينة فلسطينية محتلة في العام 1948م ويسكنها كبار ضباط الجيش الصهيوني حيث أراد المجاهد منيف من هذا الاسم إيصال رسالة مفادها أن قيسارية تعيش في قلوبنا وعقولنا، وستبقى عربية فلسطينية وللأبد، ولذلك فإن زواج المجاهد منيف واهتمامه بعائلته وعمله لم ينسه الوطن وهمومه، فكيف له أن ينسى مدن فلسطين وقد قرأ شعر الدكتور فتحي الشقاقي عنها عندما قال:

تلفظني الفاء..

تلفظني اللام..

تلفظني السين..

تلفظني الطاء..

تلفظني الياء..

تلفظني النون..

تلفظني كل حروفك يا فلسطين..

تلفظني كل حروفك يا وطني المغبون

إن كنت غفرت

أو كنت نسيت

مواصلة الجهاد في انتفاضة الأقصى

ازداد المجاهد منيف تمسكًا بنهج المقاومة والجهاد في مواجهة العدو الصهيوني الذي حاول تصفية القضية الفلسطينية من خلال إشراك منظمة التحرير الفلسطينية بالعملية السلمية والتي كان حصادها بعد سبع سنوات عجاف أن اندلعت انتفاضة الأقصى بتاريخ 28/ 09/ 2000م، لتؤكد أن مسار التسوية هو مسار واهم، وأن أعمالهم ما هي إلا سراب يحسبه الظمآن حرية، وبدأت الانتفاضة تتحول شيئًا فشيئًا نحو العسكرة لتكون سرايا القدس هي من أوائل الأجنحة العسكرية التي نفذت العمليات الاستشهادية في داخل الكيان الصهيوني، وكان للمجاهد منيف أبو عطوان باع كبير في العمل الجهادي والعسكري في سرايا القدس في بلدة دورا حيث شكل مجموعة عسكرية لها جنبًا إلى جنب مع رفيق دربه المجاهد القائد الشهيد ماجد أبو دوش،

الشهيد القائد/ أحمد (ماجد) أبو دوش
استشهد بتاريخ 16/ 09/ 2003م

وحرص أن يكون لبلدة دورا خطها الخاص للتواصل مع قيادة الحركة في الخارج، وجاءت الموافقة على أن يكون لبلدة دورا دورها في العمل العسكري وبشكل مستقل عن مدينة الخليل، مع إبقاء عملية التنسيق قائمة إضافة إلى تبادل الخبرات العسكرية بين مدينة الخليل وبلدة دورا.

بدأ المجاهد منيف أبو عطوان وماجد أبو دوش بتنظيم المجاهدين في بلدة دورا في صفوف سرايا القدس، فتم تجنيد المجاهد فؤاد الربعي، وتم تدريب هذه المجموعة على استخدام السلاح وإطلاق النار، وهذا السلاح في أحيان كثيرة كان يقوم المجاهدان منيف وماجد بشرائه بنفسيهما، وبدأت أعمال هذه المجموعة تزداد شيئًا فشيئًا، وكان لها صولات وجولات على الطرق الالتفافية عبر اشتباكات مسلحة عنيفة حتى ضاق المستوطنون ذرعًا مما يحدث لهم، وبعضهم قرر الرحيل عن المستوطنات في بلدة دورا باتجاه الأراضي المحتلة عام 1948م، وبسبب النشاط المميز تم إرسال الدعم المالي من الخارج للحفاظ على بقاء هذه الخلية إلى أطول فترة ممكنة، وتمكن المجاهد منيف من استئجار أحد المنازل في قرية تفوح بالقرب من بلدة دورا لتكون نقطة تجمع والتقاء بين قادة وكوادر سرايا القدس في دورا والخليل؛ لتعزيز سبل التواصل والتخطيط والإعداد للعمليات العسكرية الجهادية حيث كان المجاهد محمد سدر أحد أبرز قادة سرايا القدس يتردد على هذا المنزل للالتقاء بقيادة سرايا القدس في دورا، مما جعل من سرايا القدس موحدة في خليل الرحمن التي ما أن سمعت بنبأ استشهاد القائد حمزة أبو الرب في مدينة جنين بتاريخ 26/ 12/ 2002م والذي كان يعتبر من أهم القادة العسكريين للجهاد الإسلامي في مدينة جنين حتى انتفضت،

وقررت سرايا القدس فيها الرد على هذه الجريمة بحق قائدها، واجتمع المجاهدان منيف وماجد لدراسة آلية وكيفية الرد على هذه الجريمة بعملية نوعية تزلزل أركان العدو الصهيوني، وتكون له درسًا قويًا حين يفكر مرة أخرى باغتيال قادة سرايا القدس، ووقع الاختيار على المجاهدين المهندسين محمد شاهين وأحمد الفقيه من أبطال الجهاد الإسلامي اللذين كانا يدرسان في جامعة بوليتكنيك فلسطين، وهما من أهم كوادر الجماعة الإسلامية في الجامعة، وهي الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في داخل الجامعات، وكانا طالبين مثقفين ومتفوقين في دراستهما الجامعية، ولكن عندما تنادي فلسطين أبطالها ورجالها فإن

أبطال الجهاد الإسلامي يلبون نداءها، وهذا يؤكد أن نظرة العدو الصهيوني للاستشهاديين هي نظرة خاطئة؛ حيث كان دومًا يقول للصهاينة بأن هؤلاء الاستشهاديين هم من المرضى النفسيين ومن فقراء الناس ومن بسطاء الشعب الفلسطيني، فتفاجأ هذا العدو عندما علم أن هؤلاء الاستشهاديين هم من طلبة البكالوريوس في الجامعة، ومن الشباب المثقف والواعي جدًا لتاريخ القضية الفلسطينية، وأنهم أصروا على الحصول على الشهادة في سبيل الله قبل الحصول على شهادتهم الجامعية، فكان لهم ما أرادوا حيث كان قد تم تدريب المجاهدين أحمد الفقيه ومحمد شاهين على استخدام السلاح وإطلاق النار في منطقة وادي سور في بلدة دورا في منطقة جبلية ومكتظة بالأشجار بحيث لا يراهم أحد من الناس للحفاظ على أمنهم وسريتهم؛ لضمان نجاح العملية المراد القيام بها في مستوطنة "عتنائيل" في بلدة دورا، وقد استمر التدريب لفترات طويلة حيث كان المجاهد منيف يحضر المجاهد ماجد أبو دوش والاستشهاديين أحمد ومحمد بسيارته إلى منطقة التدريب عند المغرب، وحرص المجاهد منيف أن يبقى بعيدًا عنهما لمراقبة التحركات من حولهما حتى لا يقعا في كمين للعدو الصهيوني، وما أن أتقن المجاهدان أحمد ومحمد التدريب على استخدام السلاح حتى تم تصويرهما بشريط فيديو وصور فوتوغرافية وهما يرتديان الملابس العسكرية، واتخذ المجاهدان ماجد أبو دوش ومنيف أبو عطوان القرار بأن يكون يوم 27/ 12/ 2002م هو يوم موعد العملية، وأنه لابد من إنهاء كافة الاستعدادات لذلك، واستطاع المجاهد منيف شراء أجهزة خلوية جديدة، وبالإضافة إلى ذلك اشترى سيارة من نوع متسوبيشي، بينما قام المجاهد ماجد أبو دوش بالإيعاز للمجاهد عرفات الزير بإرشاد المجاهد الاستشهادي أحمد الفقيه على آلية اقتحام المستوطنة لاسيما أنه يملك مخططًا تفصيليًا لطريقة اقتحام مستوطنة "عتنائيل" بصفتها ملاصقة لقرية رابود التي يسكن فيها، لذلك كان يعلم كل صغيرة وكبيرة كما يقال، وبدأ المجاهدان أحمد ومحمد بالاستعداد للعملية، وبطريقة غير مباشرة استطاعا توديع أهلهما وأحبتهما وأصدقاءهما، وقررا أن يأخذا صورة تجمع بينهما لإهدائها بعد استشهادهما لأحبتهما، وأصبحت الاستعدادات للعملية جاهزة بالكامل، وتم أخذ القرار بالخروج لتنفيذ العملية بعد صلاة الجمعة في 27/ 12/ 2002م،

وخرج المجاهدون الأبطال الرجال الرجال منيف أبو عطوان وماجد أبو دوش ومحمد شاهين وأحمد الفقيه نحو مستوطنة "عتنائيل" الصهيونية حيث استقل المجاهد منيف أبو عطوان سيارة الميتسوبيشي ليسير أمام المجاهد ماجد أبو دوش الذي يتواجد معه في سيارته الاستشهاديان أحمد ومحمد، وهم

يحملان أسلحتهما وذخيرتهما والقنابل اليدوية، وما أن بدأوا بالتحرك حتى تم استخدام الأجهزة الخلوية الجديدة بين المجاهد منيف وبين المجاهد ماجد ليضمن المجاهدون أن هذه المكالمات غير مراقبة من قبل العدو الصهيوني، وحدث معهما أثناء الطريق العديد من المعوقات، ومنها أن إحدى عجلات سيارة المجاهد منيف أصابها العطل (بنشر) مما جعلهم يتوقفون عن المسير، ودار الحديث حول تأجيل هذه العملية إلا أن الله أراد شيئًا آخر، وتم استدعاء أحد أصدقاء المجاهد منيف ليحضر له سيارة المجاهد منيف من أمام منزله في قرية الطبقة دون إعلامه لماذا سيحضر السيارة للمجاهد منيف، وعندها قرر المجاهدان منيف وماجد السير نحو مستوطنة "عتنائيل" متجاوزين كل العقبات والحواجز الصهيونية عبر طرق فرعية والتفافية، وتمكنوا بفضل الله من الوصول إلى منطقة رابود المقابلة لمستوطنة "عتنائيل"، ونزل المجاهد ماجد أبو دوش من السيارة ومعه الاستشهاديان محمد وأحمد وقاما بتبديل ملابسهما بملابس تشبه ملابس المستوطنين، وهنا غادر المجاهد منيف الموقع باتجاه بلدة دورا ليلحق به المجاهد ماجد أبو دوش بعد نصف ساعة حتى يتم ضمان أن الطريق خالٍ من الدوريات الصهيونية، وكان قد اقترب حينها موعد الغروب، وكانت الخطة تقتضي أن يدخل أحد المجاهدين إلى داخل المعهد الديني أو مكان تعبد الصهاينة في مستوطنة "عتنائيل" بينما يقوم المجاهد الآخر بالاشتباك مع الجنود الصهاينة من الذين يحرسون المستوطنة عند مدخلها السفلي، وما أن حل الليل حتى تعانق المجاهدان عناق التعاهد على النصر أو الشهادة لتقرر روحاهما كيفية سير هذه العملية، فسارا باتجاه الهدف الصهيوني في المستوطنة فكانت الأرض ترتعش وكسرا قيود المستوطنة ودخلا إليها دخول الفاتحين، وتوجه المجاهد محمد شاهين باتجاه المعهد الديني واشتبك مع الحارس فأرداه قتيلًا، ودخل إلى قلب المعهد الديني، وبدأ بإطلاق النار نحو الصهاينة؛ ليسقط الواحد وراء الآخر، ومع كل صيحة الله أكبر ترتعد فرائص الصهاينة، وما أن سمع أخوه المجاهد أحمد الفقيه صوت الرصاص حتى بدأت معركته مع الجنود الصهاينة بزخات من الرصاص التي تنهمر عليهم كالمطر الشديد، وبدأ الاتصال الروحي بين المجاهدين أحمد ومحمد، أحمد يطلب من محمد أن يرمي القنابل اليدوية صوب قطعان المستوطنين لإيقاع أكبر عدد ممكن منهم قتلى وجرحى، ويطلب محمد من أحمد الفقيه بألا يبقى مكانه، وأن عليه تغيير مكانه قبل أن يحاط بالجنود فيسمع نداءه، ويبدأ يصول ويجول في المستوطنة يبحث عن المستوطنين الجبناء، ويرتقي إلى العلا المجاهد محمد شهيدًا ليشعر بذلك المجاهد أحمد ويقسم بالله على أن يلحق بأخيه المجاهد محمد، ويتقدم باتجاه العدو الصهيوني ويمطرهم بالرصاص، ويعجز الصهاينة عن إصابته أو اعتقاله، فتم استدعاء الطائرة لتوجه صواريخها باتجاهه لتصيبه أحد الصواريخ الحاقدة ليبر بقسمه؛ ولتعانق روحه روح المجاهد محمد، والمجاهدان منيف وماجد يسمعان صوت الرصاص ويتابعان خبر العملية عبر جهاز التلفاز على القنوات الصهيونية التي أعلنت في البداية مقتل 15 صهيونيًا ليتراجع إلى عشرة، ثم إلى ثمانية، ثم إلى خمسة وإصابة العشرات بجراح خطيرة، وخرج الأمين العام الدكتور

رمضان شلّح (أبو عبد الله) على قناة الجزيرة ليؤكد أن سرايا القدس هي المسئولة عن هذه العملية،

صور القتلى في عملية اقتحام مستوطنة "عتنائيل"
تتصدر الصحف الصهيونية

وأنها تأتي ردًا على المجازر التي ارتكبتها الحكومة الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، وآخرها اغتيال القائد حمزة أبو الرب في مدينة جنين، وأن المنفذين هما محمد شاهين وأحمد الفقيه، أبطال الريف الفلسطيني في بلدة دورا، فكان يوم 27/ 12/ 2002م يومًا مشهودًا في خليل الرحمن حيث ازدادت سرايا القدس قوة وعظمة وخاصة في بلدة دورا، ونام المجاهد منيف أبو عطوان في ذلك اليوم نومًا هادئًا، وكأنه استطاع بهذه العملية أن يشفي صدره برؤية الصهاينة مجندلين، وبدأ يعيد ذاكرته ليعود إلى أيام الصبا عندما استشهد ابن عمه باجس وعندما تم اعتقال أبيه وعمه وأخيه. وعادت به الذكرى إلى تلك الأيام التي جمعته بالمجاهد محمد سدر وعبد الرحيم التلاحمة الذي أطلق عليه الاحتلال رامبو الخليل لقدرته على القنص من مسافة بعيدة، وتذكر كيف أنه بالعمل الجماعي لسرايا القدس يمكن أن تتحقق الإنجازات والانتصارات، وأنه على ابن سرايا القدس أن يتعلم الجندية قبل أن يكون قائدًا، فكان المجاهد منيف ما أن يُطلب منه شيء حتى يبذل قصارى جهده لتحقيق ذلك الشيء، ففي إحدى المرات اجتمع المجاهدون محمد سدر وماجد أبو دوش وعبد الرحيم التلاحمة ومنيف أبو عطوان في ذلك المنزل في قرية تفوح لتدارس الأوضاع في مدينة الخليل، وطلب المجاهد محمد سدر من المجاهد منيف مساعدته في شراء سيارة، فاشترى له سيارة من نوع سوبارو زرقاء اللون وقام بتغطيتها بسواتر زرقاء من أجل أن يستخدمها المجاهدان محمد سدر وعبد الرحيم التلاحمة في تدريب الاستشهاديين على إطلاق النار، وفي أحد الأيام طلب المجاهد محمد سدر من المجاهد منيف أن يرسل له هذه السيارة الزرقاء لأنه بحاجة إليها، وبعد يومين وتحديدًا في 15/ 11/ 2002م، في ذلك اليوم الذي تم فيه تنفيذ عملية وادي النصارى،

وبعد الإفطار من يوم رمضان اتصل المجاهد محمد سدر بالمجاهدين ماجد أبو دوش ومنيف أبو عطوان ليذهبا إلى أخذ السيارة الزرقاء الموجودة في الحسبة الحديثة في الخليل في منطقة تسمى سبتة، وما أن وصل المجاهدان منيف وماجد إلى ذلك الموقع وسارا في تلك السيارة الزرقاء حتى سمعا أصوات

الرصاص في منطقة وادي النصارى، فعرفا حينها أن هذه السيارة استخدمها المجاهد محمد سدر من أجل تدريب الاستشهاديين لعملية وادي النصارى، وكان الاتفاق معهما أن يتم حرق هذه السيارة إلا أن المجاهد منيف أصر على الإبقاء عليها لكثرة استخدامها في العمل العسكري لتبقى كذكرى في المستقبل، حيث إن مهنة المجاهد منيف هي السيارات وتجليسها ودهانها، وله خبرة كبيرة فيها حيث من يريد سيارة كان عليه أن يتوجه للمجاهد منيف، وهذا الأمر سَهّل على المجاهد ماجد أبو دوش أن يطلب من المجاهد منيف مساعدته في إحضار سيارة بلوحات صهيونية صفراء من أجل استخدامها في عملية خطف جندي صهيوني في منطقة بئر السبع، وبالفعل جهز المجاهد منيف السيارة واشترى السلاح المناسب من نوع (MB5) و(M16) ومسدس ومادة خاصة لعملية التنويم، وعندما قرر المجاهدون موعد العملية تم الاتصال على المجاهد منيف لإحضار السلاح والسيارة، وكان غماز السيارة مكسورًا فرفض المجاهد محمد أبو راس الذي كان سيشارك في عملية الخطف إلى جانب المجاهد ماجد أبو دوش أن يصعد في السيارة؛ لأن غمازها مكسور، وهنا قرر المجاهدون تأجيل هذه العملية لموعد آخر، وكان ذلك قبل عملية "عتنائيل" بأقل من شهرين.

اعتقاله والحكم عليه

وما أن استيقظ المجاهد منيف من نومه في ذلك الصباح الجهادي المنتصر صباح العاديات ضبحًا حتى بدأ بالاتصال على المجاهد ماجد أبو دوش من أجل تعزيز العمل وتوسيع نشاط سرايا القدس في بلدة دورا والقرى المجاورة لها، ولاسيما بعد النصر الذي حققوه في عملية "عتنائيل"، وفي هذه الأثناء كانت قد وصلت معلومة للشاباك الصهيوني أن من يقف وراء هذه العملية هما المجاهدان منيف وماجد فجن جنونه، وبدأ الشاباك يبحث عن المجاهد منيف وفي يوم 29/ 12/ 2002م وبعد العملية بيومين تم نصب كمين محكم للمجاهد منيف أثناء سيره في أحد شوارع بلدة دورا بصحبة المجاهدين عبد الله مسالمة وفؤاد الربعي، وتم محاصرته من كل مكان، واستخدم العدو الصهيوني في ذلك الدبابات والمجنزرات وحتى أن طائرات الاستطلاع كانت في سماء دورا، وحاول العدو الصهيوني صدم سيارة المجاهد منيف بإحدى الدبابات، ولكنهم أرادوه حيًا من أجل معرفة أين ومتى ستقع العملية القادمة التي تخطط لها سرايا القدس في خليل الرحمن،

الأسير القائد/ منيف أبو عطوان
برفقة زوجته الصابرة خلال زيارتها له في السجن

وخضع لتحقيق عسكري رهيب في زنازين عسقلان ومورس بحقه أشد أنواع العذاب لإرغامه على الاعتراف، ولكنه بفضل من الله وبإرادته الفولاذية وصموده الأسطوري تمكن من الصمود والتحمل، مما جعل قادة الشاباك الصهيوني يحاورونه حول الجهاد الإسلامي ومنطلقاته وأفكاره ليفهموا طبيعة هذا التنظيم الذي أذلهم وأهانهم في الضفة الغربية، فأجابهم المجاهد منيف إجابة الواثق بالله، ثم بنفسه بأن حركة الجهاد الإسلامي هي حركة مجاهدة وربانية كالشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وأنه كلما نزف شهيد من دمه وارتوت الأرض منه خرج شبل وفتاة يحملان همّ فلسطين، كل فلسطين؛ ليسيرا على خطا القادة والكوادر في سرايا القدس في فلسطين في مواجهة المحتل الصهيوني، واستفزهم المجاهد منيف أكثر وأكثر عندما ذكرهم بذلك الضابط الصهيوني الذي كان يخدم في مدينة الخليل، وقال أمام الإعلام متبجحًا بأنه لا خوف من حركة الجهاد الإسلامي في مدينة الخليل، فهم تنظيم صغير وضعيف، ولا يستطيع المواجهة، فجاءكم الرد أيها الصهاينة بعملية هي أم العمليات وهي عملية وادي النصارى، وبهذا الكلام استطاع المجاهد منيف صفع وجه المحتل الصهيوني الذي ظن يومًا بأنه لن تقوم قائمة لسرايا القدس بعد اغتيال قادتها وكوادرها في خليل الرحمن، كما صرح بذلك الجنرال الصهيوني شاؤول موفاز، فجاءهم المجاهد محمود حمدان ابن مدينة الخليل من قرية الطبقة واقتحم إحدى المستوطنات الصهيونية المحيطة ببلدة دورا بتاريخ 26/ 09/ 2003م وقتل ثلاثة مستوطنين؛ لتعانق روحه روح الشهداء الأكرم منا جميعًا، كيف لا وقد ذهب المجاهد محمود حمدان إلى أمهات شهداء "عتنائيل"، إلى والدتي الاستشهاديين محمد شاهين وأحمد الفقيه لمواساتها باستشهاد ابنيهما، فطلبتا منه طلبًا وهو أن يحضر لهما صور ابنيهما الفوتوغرافية والفيديو وبدلاتهما العسكرية التي تصورا فيها، وأعطاهم عهدًا ووعدًا أن يفعل ذلك إلا أن يد الغدر الصهيوني قامت باعتقاله بعد يومين من عملية "عتنائيل" فلم يتمكن من ذلك إلا أن هذه الأمانة الكبيرة التي حملها وأصر على تحقيقها، أمانة الوعد المقطوع لعائلات وأمهات الشهداء.

الوفاء بالوعد

وما أن مضى العام الأول على استشهاد المجاهدين أحمد الفقيه ومحمد شاهين حتى استطاع المجاهد منيف إيصال الصور الفوتوغرافية والبدلات العسكرية لأمهات الشهداء الأبطال أحمد ومحمد ليؤكد لهم وللعالم بأن سرايا القدس وقادتها عندما يعدون بشيء فإنهم يوفون بذلك مهما كلف الأمر من معاناة وتضحيات، وبذلك يُسجل المجاهد منيف بأعماله صفحات من العزة والكرامة والوفاء والشموخ وترك إرثًا جهاديًا، لا يزال الشعب الفلسطيني شاكرًا له ولبطولاته وتضحياته إلى الأبد.

الأسير المجاهد

محمود عطية حسن كليبي

المجاهد الأسطوري

تاريخ الميلاد: 1982/01/29م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: ضاحية شويكة – محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 13

تاريخ الاعتقال: 2003/02/14م

الحكم: مؤبد و30 عاماً

نتحدث عن مجاهد كبير من هؤلاء الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وانضموا إلى سرايا القدس، فهم رجال قد رسموا وخططوا وأعدوا العُدة للانتصار، وكان النجاح حليفهم، ورغم العقبات الكبيرة التي واجهتهم إلا أنهم تمكنوا من تجاوز الصعاب؛ لأنهم ممن طلب العلا ومن يطلب المعالي بصدق تسهُل عليه التكاليف وتهن عليه الالتزامات، ولذلك أدرك المجاهد البطل محمود عطية كليبي أن هذه الدنيا فيها قصيرة جدًا، فلم يضيعها في التوافه من الأمور.

وُلد هذا المجاهد في ضاحية شويكة في مدينة طولكرم لعائلة فلسطينية مسلمة مؤمنة لاجئة، وقد حطَّ بها الركاب وكثرة الترحال في مدينة طولكرم بعد أن تم تهجيرها من أرضها الواقعة في الأراضي المحتلة عام 1948م في منطقة اسمها وادي الحوارث إلى الغرب من مدينة الخضيرة المحتلة، ليسكنوا ـ بعد محطة الترحال والتنقل في حياة اللجوء التي فرضها الاحتلال الصهيوني عليهم بقوة السلاح والعربدة ـ في أحد المخيمات وهو مخيم طولكرم، فعاشوا وقاسوا مرارة الألم والمعاناة والعذاب ومع ذلك فإن كلمة لاجئ زرعت فيهم معني حب الوطن والحنين إلى ذلك الفردوس المفقود.

من آثار قرية وادي الحوارث المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

ما بعد التهجير من بلدة وادي الحوارث

وما أن تحسنت أحوالهم المادية حتى استقر بهم المقام في ضاحية شويكة في طولكرم، وتعتمد هذه العائلة الكريمة في حياتها على الزراعة، فلديهم مزارع في ضاحية شويكة وأيضًا في قرية ذنابة، وما كانوا ليحصلوا عليها إلا بعد معاناة والدهم في الغربة حيث طاف الدول والبلدان بحثًا عن رزقه ورزق عائلته، فاشتغل في كل المجالات في دول غربية عدة منها ألمانيا وفرنسا إلا أن تلك الحياة التي عاشها في الغربة لم تكن سوى فترة من الزمن جعلته يشعر بالحنين لوطنه السليب، وقد أنجز والد المجاهد محمود كليبي حق العودة بطريقته الخاصة منذ أن قرر العودة من الغربة للوطن وأعلن حينها أنه لا يريد الموت في مكان آخر، فهو لم يعد إلى فلسطين ليموت بل ليسهم في تمسك الشعب الفلسطيني بحق العودة والمشاركة في صورة الذاكرة العامة، وبناء تصور أجمل للمستقبل ليتمكن من الصمود ومواجهة ومقاومة الاحتلال. لذلك عاد ليغرس فيها شجرة المعرفة فكان هو الشجرة، فقد ولد لاجئًا وعاد وهو لاجئ ليبقى في فلسطين وإلى الأبد، ومنذ لحظة عودته الأولى بدأ بالعمل في مجال زراعة الأرض المروية بعذابات اللاجئين والفقراء والمساكين والمستضعفين، فَعَلَّمَ أبناءه معنى الأرض وحُب الأرض والتمسك بها، ففتح الله عليهم بالرزق الوفير مما جعل الأبناء يكملون مشوارهم التعليمي، فمنهم من حصل على شهادة الدكتوراه، ومنهم من أنهى البكالوريوس في الاجتماعيات، ومنهم من تخرج من مصر كضابط في الاتصالات البحرية، وحتى إن أخواته حصلن على فرصة التعليم الجامعي في مجال التمريض.

الحياة في جو الوطنية والجهاد

في تلك الظروف وفي تلك البيئة ولد ونشأ وترعرع مجاهدنا البطل محمود الذي كان ترتيبه الرابع بين إخوانه، وفي بداية حياته اتسم بصفة لازمته فيما بعد بأنه كثير الإزعاج للأهل، ولاسيما أنه يعتبر من جيل الانتفاضة الأولى، جيل أطفال الحجارة الذين تمكنوا من رسم الوطن في عقول كل أحرار وشرفاء العالم عبر صمودهم في وجه المحتل مستخدمين أسلحتهم الفتاكة وهو الحجر والمقلاع والعلم الفلسطيني وشعار الله أكبر. فهذا هو السلاح الذي تم به مواجهة أقوى جيش في الشرق الأوسط، فكان مجاهدنا البطل يشارك في أحداث الانتفاضة جنبًا إلى جنب مع أطفالها وفتيانها وشبابها. ورغم خوف الأهل على ابنهم محمود وأن جيرانهم عادة يخبرون والد محمود بأنه يشارك في الأحداث، ورغم التهديد والترغيب من الأهل إلا أن المجاهد محمود كان لا يخضع إلا لصوت الانتفاضة وصوت التكبير وصوت

الجماهير. وتعلق حينها بحب الأبطال القادمين والمطاردين الذين كانوا في العادة ينامون ويسهرون في مزرعتهم في سهل شويكة، فكانت مزرعتهم محط اجتماع المطاردين وكبار السن الذين كانوا يجتمعون حول كانون النار، ويبدأوا بالحديث عن بطولاتهم وذكرياتهم أيام البلاد ما قبل التهجير وخاصة ذلك الرجل الكبير الذي كان يتحف المستمعين بأحاديثه الشيقة وهو (الختيار أبو حلمي)، وكذلك أبو غالب وأبو تيسير وأبو محمد البدوي فكان يجتمع في تلك المزرعة الوطنية نسيج اجتماعي ووطني يمثل وحدة الشعب الفلسطيني. كان منهم الفلاح واللاجئ والبدوي وكانوا عائلة واحدة، فكان لهذا الاجتماع ولتلك الحكايات وقعها وأثرها في صياغة شخصية المجاهد محمود الوطنية والثورية مما جعله من عشاق الوطن وترابه، فما تعلمه من الحياة أكثر مما تعلمه في المدارس التي كانت في العادة يتم إغلاقها بقرار من الحاكم العسكري الصهيوني لمدينة طولكرم بذرائع واهية، فكان الأطفال يصرون على التعلم في داخل المساجد والبيوت التي تحولت حينها إلى مدارس.

واستطاع أن يتغلب على كل المعيقات وأن يهتم بدراسته ليكون مستواه جيد جدًا، وحاول حين كبر ووصل إلى مرحلة الثانوية أن يوائم ما بين الدراسة وما بين المسجد، وكان قد التزم في ذلك الوقت وبشكل رسمي في الحركة الإسلامية الطلابية، وله نشاطات ضمن مجلة الحائط إضافة إلى توزيع النشرات الثقافية والدينية وإقامة صلاة الضحى في المدرسة، وأما خارج المدرسة فكان يصر على إحياء ليالي رمضان في المساجد والاعتكاف بها والاستماع إلى جلسات العلم والندوات والمشاركة في الرحلات مع شباب المسجد إلى أماكن تعريفية بالوطن والأجمل منها إلى هناك، إلى المسجد الأقصى الذي كان يشكل للمجاهد محمود كل شيء في حياته، فأصبح من الشباب المسلم ومن الرعاة النشيطين الذين لا يهدأ لهم بال ولا يعرفون الكلل والملل، فتعلق قلبه بالمساجد وحافظ على الصلاة جماعة، وكان يصوم النافلة، ويبدي شجاعة فائقة في مواجهة المحتل وتمكن من معرفة جوهر وطبيعة العدو الصهيوني عبر مطالعته للكتب المتوفرة في مكتبة منزله، وعكف على قراءة مجلة "البيادر" الدورية و"فلسطين المسلمة" وقرأ كتبًا للشيخ عبد الله عزام وكتاب "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" لروجيه جارودي، وكتبًا عديدة منها "القيادة العامة وعمليات خالد أكر" ومجلات عن شهداء الانتفاضة وعمليات المقاومة سواء لكتائب القسام أو لحركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري (قسم)، ونتيجة لنشاطه الإسلامي والدعوي تعرض للاعتقال لدى الأجهزة الأمنية الفلسطينية، فتم مداهمة منزله في الساعة الثالثة فجرًا لاتهامه بالقيام بأعمال معادية للعدو الصهيوني حيث كانت قد تبلورت لديه فكرة تشكيل مجموعة عسكرية أثناء تواجده مع شباب المسجد والحركة الإسلامية.

وكان لديه العديد من النشاطات الفردية المتواضعة، فتمكن بجهود ذاتية من تصنيع الدفاش، وهو أشبه بالمسدس الحقيقي، وهو عبارة عن ماسورة وسيخ حديد، واشترى له عدة رصاصات لاستخدامه فيما بعد. ولا يزال يذكر مجاهدنا ذلك

اليوم الذي كان يتواجد به في مزرعتهم حيث صلى العشاء ومن ثم صلى ركعتي الشهادة، وقام بتجهيز زجاجتين حارقتين وتسلل بين الأشجار ليلًا وتوجه إلى مكان ملاصق إلى مقر الارتباط العسكري الذي يتواجد به عشرات الجنود الصهاينة، وتقدم نحو الهدف بقلب مؤمن وبشجاعة لا توصف واضعًا أمام عينيه أن يحرق الأرض من تحت أقدام الصهاينة وأشعل الزجاجة الأولى وقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]. ثم أشعل الزجاجة الثانية واتبعها بالأولى مصحوبة بقول الله أكبر، فاندلعت النيران في محيط مقر الجنود الصهاينة، وبدأ الجنود بالصراخ وعمت حالة الخوف والذعر والرعب في صفوفهم وانتشرت القوات الصهيونية وأفراد الأجهزة الأمنية الفلسطينية في المكان بحثًا عن الفاعل الذي تمكن من الانسحاب من المكان. ولم يجد مكانًا يلجأ إليه فوجد روحه ترشده إلى المسجد القديم، وكان هناك صديقه المجاهد الشهيد محمود مرمش، وعندها بدأ بالتفكير وبشكل جدي في تشكيل مجموعة عسكرية ونجح في ذلك عبر انضمام المجاهدين نمر خليل وأنس الحصري وفادي أبو شاهين لهذه المجموعة، وبدأت هذه المجموعة بجمع المال من مصروفهم الشخصي، وتمكنوا من شراء مواد حارقة وطلقات نارية وبذلوا جهدهم في تصنيع قطعة سلاح بدائية، وتم التخطيط للهدف، وهو جيب عسكري صهيوني يمر مع دورية صهيونية. وكانت الخطة تنص على أن يقوم المجاهدون نمر وفادي وأنس بقذف ثلاث زجاجات حارقة على الدورية الصهيونية ومن ثم يقوم المجاهد محمود كليبي بالتغطية عبر إطلاق النار على الدورية الصهيونية، وعندها ينسحب المجاهدون كل إلى الموقع الذي اختاره في السابق، وتمت هذه العملية بنجاح وتم انسحابهم وفق ما تم التخطيط له إلا أنهم عندما قاموا بعملية الانسحاب كانوا مكشوفين لبعض الشباب في تلك المنطقة وتعرفوا على أحدهم، وعندما بدأت عملية تمشيط المنطقة أمنيًا تم استجواب هؤلاء الشباب فاعترفوا على ذلك المجاهد الذي ميزوا هويته وشخصوه لأجهزة الأمن الفلسطينية.

اعتقال أجهزة الأمن الفلسطينية له مع رفيقه

قامت أجهزة الأمن الفلسطينية باعتقال كافة أفراد المجموعة وهذا ما يفسر مداهمة منزل المجاهد محمود في الثالثة فجرًا، وبدأت رحلة العذاب من مرحلة الشبح إلى مرحلة شبح الموزة إلى الضرب والشتائم والاستفزازات، والأنكى من ذلك تم وضعهم في زنازين من أيام الاحتلال الصهيوني أشبه بمكان لتجميع القاذورات، وأرادوا معرفة التنظيم الذي ينتمون إليه، فهل هم ينتمون إلى حماس أم إلى الجهاد الإسلامي؟! وأحيانًا كان يتم اتهامهم بالعمالة للعدو الصهيوني، وأنهم يسعون لزعزعة الأمن والاستقرار وتخريب العملية السلمية، وبعد فترة نُقل المجاهد محمود من سجن طولكرم إلى سجن رام الله، ولم يعلم أحد بعملية نقله إلى رام الله لدواعٍ أمنية وتم وضعه في زنزانة صغيرة لا يوجد بها حمام ولا ماء ولا يوجد لها فتحة للتهوية، فكانت عبارة عن خزانة ضيقة بالكاد تتسع لشخص واحد، وكانت مظلمة لا

يمكن أن يميز المعتقل ليله من نهاره وتم منع زيارة المحامي له. وحتى أبسط الحقوق الإنسانية لم يحظ بها، ولم يقدم للمحاكمة وفق القانون الفلسطيني، وما أن تم الإعلان عن فشل المفاوضات الفلسطينية الصهيونية في قمة كامب ديفيد حتى أصدر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات أمرًا بالإفراج عنه وعن بقية المعتقلين السياسيين لتتحقق قناعات المجاهد محمود منذ صغره عبر وعيه وإدراكه بطبيعة الصراع بأن العملية السلمية ما هي إلا وَهْمٌ على وَهْمٍ ولا تخدم إلا الأمن الصهيوني.

ونتيجة لاعتقاله في العام 1999م حُرم من إكمال دراسة التوجيهي فعاد من جديد لصفوف الدراسة وعادت معه نشاطاته الطلابية بالإضافة إلى تكثيف زياراته إلى المسجد الأقصى الذي ما أن رآه المجاهد محمود وهو محاط بالجنود الصهاينة من كل مكان حتى قرر حينها القيام بعملية طعن. وفكر حينها أن ينفذ عملية كبيرة ونوعية، وبدأ بالبحث عمن يقدم له المساعدة في ذلك، وبشكل خاص للانضمام إلى مجموعة عسكرية لكتائب القسام فكان حينها محسوبًا على حركة حماس بدون انضمامه بشكل رسمي.

التقاؤه بالمجاهد أنور عليان

وفي إحدى زيارات المجاهد محمود إلى المسجد الأقصى التقى حينها بالمجاهد أنور عليان وكانا معًا في طريقهما إلى القدس. وكما يُقال يعرف الرجال بالسفر فبدأ المجاهدان يتحدثان حول الأوضاع الفلسطينية وكل مجاهد يطرح فكرته ورأيه ووجهة نظره وتوصلا حينها إلى صيغة مشتركة بينهما تدعو إلى ضرورة العمل الجهادي العسكري وأن يكون لهما دور كبير في ذلك، وبعد هذا اللقاء بالمجاهد أنور، حصلت لقاءات أخرى كثيرة. وكانا يلتقيان في المساجد والمهرجانات الإسلامية والأعراس الإسلامية. وبعدها التقيا مع المجاهد خالد الرايق (أبو صقر) وانضم إليهما، فشاركهما أفكارهما، وكانوا جميعهم يتلهفون إلى العمل الجهادي العسكري ويبحثون عمن يقدم لهم الدعم المطلوب، فشكلوا مجموعة بتمويل خاص بحيث ساهم حينها المجاهد محمود كليبي بتوفير مصروفه الشخصي أثناء دراسته في المرحلة النهائية في الثانوية العامة،

الشهيد المجاهد/ خالد الرايق
استشهد بتاريخ 23/ 10/ 2007م

وكذلك فعل المجاهد خالد الرايق حيث كان يعمل بعد الدراسة في المدرسة الشرعية، وأما المجاهد أنور فكان أفضلهم وضعًا حيث كان يعمل في أحد المصانع وله مدخول جيد، وجمعوا ما لديهم واشتروا أدوات قتالية، منها سنجات صينية ورشاش

مسيل للدموع، وذلك بهدف حماية أنفسهم والسعي وراء الحصول على السلاح عبر خطف السلاح من الجنود الصهاينة، ولتجسيد هذه الفكرة وبشكل عملي تمكن المجاهد محمود من التوجه مع المجاهد خالد إلى مدينة "نتانيا" المحتلة، وكان المجاهد خالد حينها قد رصد موقعًا في منطقة "بيت اسحاق" بهدف اقتحام البيت والبحث عن قطعة سلاح فيه، ولما وصلا الموقع ودخلا المنزل وجداه محاطًا بعدد من كلاب الحراسة غير المربوطة، لذلك تم إلغاء العملية. وبعدها تمكن المجاهدون من التعرف على أحد قادة الجهاد الإسلامي الذي قام بدوره بتعريفهم على قائد سرايا القدس في طولكرم المجاهد أسعد دقة الذي كان معتقلًا لدى السلطة الفلسطينية، وحصل حينها عبر اتفاق بينه وبين السلطة بموجبه يمكنه التحرك والدخول والخروج من المقاطعة متى شاء، واجتمع به المجاهدون هناك وتحدثوا معه عما يريدون وسمع منهم الكثير وزودهم بنشرات وإرشادات عن طبيعة العمل السري، وتزامن ذلك مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية عام 2000م حيث شارك بها المجاهدون منذ الأيام الأولى رغم أنهم قبلها لم يتوقفوا عن العمل ضد المحتل الصهيوني، وكانوا يتوجهون نحو نقاط التماس مع الاحتلال الصهيوني وكانت مجموعتهم تضم محمود كليبي وخالد الرايق وأنور عليان ومبين ظاهر، وقاموا بإشعال الإطارات رغم اعتراض السلطة الفلسطينية التي كانت تلاحقهم دومًا، وما هي إلا أيام حتى اندلعت المظاهرات الكبيرة في طولكرم وانضمت الجماهير إلى مواجهة الاحتلال.

نشاط مجموعته في الانتفاضة الثانية

وبدأوا حينها بالتفكير بالحصول على السلاح، وكانت حينها الموارد شحيحة، فكانت أحداث الانتفاضة في بداياتها، وكان المجاهد أنور قد اشترى مسدسًا وحاولوا استخدامه في إحدى العمليات في منطقة شويكة، وبعدها ذهب المجاهد محمود والمجاهد أنور إلى مدينة الطيبة المحتلة بحثًا عن قطعة سلاح، ولكن هذه العملية فشلت، وذهب بعد ذلك بتوجيه من القائد أسعد دقة مع المجاهد خالد الرايق إلى مدينة نابلس وتمكنا من الحصول على كميات من الرصاص بالإضافة إلى بعض قذائف الهاون، وكانت هذه المهام في بداية الأشهر الأولى من الانتفاضة وفي بداية مرحلة تشكيل الخلايا العسكرية عبر المجاهدين أنور حمران وإياد حردان وأسعد دقة ونعمان طحاينة وغيرهم من المجاهدين بدءًا من مدينة جنين وطولكرم ونابلس، وبدأ بعدها تدفق الدعم المالي من الحركة مما سهل عملية شراء السلاح، وتم توجيه النصائح والإرشادات من قبل القائد العام لسرايا القدس المجاهد أسعد دقة حيث عمل على توجيههم بضرورة الحفاظ على السرية في العمل، والمعرفة على قدر الحاجة وعدم التعرف على المجموعات الأخرى، وبدأ حينها المجاهدون في التدريب على حمل السلاح وتفكيكه وإعادة تركيبه، بالإضافة إلى التعرف على أنواع السلاح وقواعد الاشتباك، وتم إرسال المجاهد خالد الرايق لإحضار كمية كبيرة من الرصاص من مدينة نابلس، وأثناء عودته أوقفه حاجز صهيوني وتم اعتقاله بعد العثور على الذخيرة

الحية وقذائف الهاون، فكان لابد حينها من أخذ الحيطة والحذر حيث لم يعد يستطيع المجاهد محمود النوم في منزله الكائن في ضاحية شويكة في منطقة تُصّنف أنها (C).

عملية باقة الشرقية

حيث قامت هذه المجموعة الجهادية برصد هدف صهيوني عبارة عن حافلة للمستوطنين ودورية مرافقة لها على شارع قرية باقة الشرقية، وتم رصد هذا الهدف لعدة مرات عبر المجاهد (مبين ظاهر) الذي أخبر المجاهد محمود بهذا الأمر، وعندها أبلغ المجاهد محمود القائد العام أسعد دقة

الشهيد القائد/ أسعد دقة
استشهد بتاريخ 12/ 09/ 2001م

به وبكل تفاصيله، وأنهم بحاجة إلى عبوة ناسفة بالإضافة إلى قطعتي سلاح وسيارة لنقلهم، وبالفعل زودهم القائد أسعد بالعبوة الناسفة وحصلوا عليها من نقطة ميتة، وقام المجاهدون بنقلها إلى داخل قرية باقة الشرقية وإلى منطقة تكون قريبة جدًا من مكان العملية، وتم تخبئتها في داخل أحد قبور الصوفية إلى حين استكمال باقي المهمة وإحضار السلاح والسيارة وما هي إلا أيام حتى قام المجاهد محمود كليبي بشراء السيارة والحصول على السلاح، وتم تحديد موعد الخروج إلى العملية بعد صلاة الفجر من مخيم نور شمس بالسيارة التي اشتراها المجاهد محمود. وكان السائق حينها المجاهد فلاح مشارقة الذي انضم إلى الخلية بعد اعتقال المجاهد خالد الرايق، وانطلق المجاهدون نحو قرية باقة حيث ينتظرهم هناك المجاهد مبين ظاهر، وتم إحضار العبوة الناسفة ووضعها في أحد براميل الزبالة، والذهاب بها إلى موقع العملية. وهناك وضع المجاهدون العبوة في داخل برميل الزبالة، ووضعوه على جانب الطريق وأخرجوا منه سلك التفجير، ووضعوا كمية كبيرة من الشظايا حول العبوة في داخل البرميل، وانتظروا، وبدأ كل مجاهد يأخذ مكانه بحيث تكون مهمة المجاهدين محمود ومبين إطلاق النار بعد تفجير العبوة والأخ المجاهد فلاح هو المسئول عن تفجيرها، إلا أنه في اللحظات الأخيرة حدث أمر ما، جعل المجاهد محمود كليبي يقوم بتغيير الخطة بحيث يقوم هو بتفجير العبوة والمجاهد فلاح هو الذي يطلق النار، وكان مجاهد آخر داخل السيارة ولما اقترب الهدف منها قام المجاهد محمود بتفجير العبوة الناسفة وانقلبت

الدوريـة الصهيونيـة واشـتعلت بهـا النـيران، وبـدأ المجاهـدان مبين وفلاح بإطلاق النار وسط التكبير والتهليل، وأسفرت العملية عن وقوع إصابات في صفوف الجنود وإحداث أضرار جسيمة في الدورية، وتمكن المجاهدون من الانسحاب من الموقع، وكانت السيارة تسير بهم بسرعة كبيرة، ولما وصلوا إلى بلدة علار إذا بهم يصطدمون بسيارة أخرى، وعندها استطاعوا ركوب سيارة ثانية وانطلقوا بها نحو جبال بلدة بلعا في طولكرم، وبدأوا يسيرون عبر الجبال مشيًا على الأقدام، وكان حينها المجاهد فلاح مشارقة صائمًا، وبدت عليهم علامات التعب الشديد وتفرقوا بعدها حيث ذهب كل مجاهد إلى مكانه، بينما المجاهدان محمود ومبين توجها إلى المسجد القديم في طولكرم، وفي الصباح من اليوم التالي تم إعلان سرايا القدس عن هذه العملية فأعلنت وسائل الإعلام الصهيونية عن وقوع هذه العملية، واستطاع العدو الصهيوني اعتقال المجاهد مبين ظاهر بعد يومين منها، ولذلك أخذ المجاهدون الاحتياطات الأمنية والحذر الشديد، وكانت حينها عائلة المجاهد محمود قد بدأت تشعر أن ابنها قد تغيرت تصرفاته، وأنه قد ابتعد عن المنزل، وأحيانًا ينام خارج البيت، فمورست عليه ضغوطات كبيرة جدًا مما جعله يوافقهم الرأي بالعودة للمنزل وإعادة تقديم امتحانات التوجيهي، وما هي إلا يومان وفي حوالي الساعة الثالثة فجرًا اقتحم الجيش الصهيوني ضاحية شويكة، وعندما علم محمد (شقيق المجاهد محمود) بذلك أخبر شقيقه، وتمكن قبل أن يطوق الجيش الصهيوني منزله من الخروج من المنزل عبر الباب الخلفي الذي يطل على حديقة وسور غير مرتفع، واستطاع حينها أن يزحف ببطء للوصول إلى ذلك السور، وما كاد يختفي عن نظر الجنود الصهاينة حتى أطلقوا عليه رصاصهم الإجرامي فأصابه أحد الجنود بملابسه، فسلمه الله من اعتقال أو قتل محقق. وبعد عناء ومشقة وتنقل ما بين الصخور وأشواك الصبر تمكن من الوصول إلى مكان آمن في حدود سيطرة السلطة الفلسطينية، ودارت الاشتباكات حينها بين كتائب شهداء الأقصى ومعهم قوات الأمن الوطني مع الجيش الصهيوني الذي كان حينها يضع عائلة المجاهد محمود كليبي دروعًا بشرية علمًا أنه بعد مشقة كبيرة تمكن من الوصول إلى منطقة الميرلاند، وشاهده حينها بعض الشباب ينزف دمًا وكان قد أصيب بشظايا الرصاص والزجاج، وبدت عليه آثار الزحف بين الصخور، وتم إسعافه وأخذه إلى المشفى وما أن خرج منه حتى احتضنه مخيم طولكرم وحظي بعناية واهتمام المجاهدين نمر خليل وسمير المرجان.

مرحلة المطاردة

بعد عملية (باقة الشرقية) استمر المجاهد محمود بالقيام بنشاطات عسكرية، وغالبيتها كانت ضمن حدود معينة وبحذر شديد، ولكن بعد محاولة اعتقاله واغتياله بدت الأمور واضحة، فلم يعد ينام في بيته وأصبح معروفًا لدى الجميع، ولذلك اجتمع مع القائد العام أسعد دقة في أحد البيوت في مخيم نور شمس، وكان المجاهد أنور عليان هو من استأجر هذا المنزل، وبدا المجاهد محمود شديد الإعجاب والتقدير بالقائد العام أسعد

دقة ذلك القائد المجاهد صاحب الخصال الطيبة والهمة والعزيمة، فكان صوامًا قوامًا دائم الذكر لله عز وجل، قارئًا لكتاب الله ومتدبرًا لمعانيه، قليل الكلام، يمتاز بالصبر ولديه حكمة وفكر ورؤية، كان دائم التعليم والنصح لكافة المجموعات تحت قاعدة العمل السري والمعرفة على قدر الحاجة، فلا يزال يذكر المجاهد محمود كليبي ذلك اليوم الذي توجه به إلى القائد أسعد دقة وزوده بخريطة لهدف صهيوني وشرح له كافة التفاصيل، وهنا وبحسب القاعدة الأمنية ينتهي دور المجاهد محمود إلا أن حب الفضول جعله فيما بعد يسأل القائد أسعد عمن نفذ العملية؟ هل هو القائد أسعد أم غيره؟ وما نتيجة هذه العملية؟ وعندها غضب القائد أسعد وقام بمعاتبة المجاهد على هذا السؤال وقال له: "عليك دومًا أن تفهم القاعدة الأمنية، وهي أن المعرفة على قدر الحاجة"، فلم يكن هذا القائد ليترك إخوانه بلا نصيحة أو تعليم أو تدريب.

عملية مستوطنة "بيت حيفر"

ولا يزال يذكر المجاهد محمود ذلك اليوم في 05/ 04/ 2001م والذي تم فيه اغتيال القائد العام لسرايا القدس في جنين المجاهد إياد حردان، وحينها كان القائد أسعد دقة في مقاطعة السلطة في طولكرم، معتقلًا هناك ضمن ظروف وشروط معينة فتلقى المجاهد محمود اتصالًا من هذا القائد حول ضرورة لقائه في مكان ما، وطلب منه قطعة السلاح التي بحوزته وتم اللقاء في مسجد الفردوس ما بين صلاة العصر والمغرب، وكان القائد أسعد يومها صائمًا وأفطر على العصير والبفلة، ثم توجه لوداع أخيه وصاحبه ورفيق دربه القائد الشهيد إياد حردان في بلدة عرابة في جنين.

وفي شهر نيسان من العام 2001م بدأت مرحلة جديدة من العمل حيث واصلت المجموعة عملها مع المجاهد أنور عليان وهذه المجموعة مكونة من المجاهد محمود كليبي والشيخ فلاح مشارقة،

الشهيد القائد/ فلاح مشارقة
استشهد بتاريخ 23/ 09/ 2004م

وانضم إليهم المجاهد فادي نايفة المعروف بفادي أبو ربيعة، وأرادوا تنفيذ عملية رصد لأحد الأهداف، وهو عبارة عن دورية صهيونية بالقرب من مستوطنة "بيت حيفر"، واختبأ المجاهدون بين الأشجار وقاموا بتوزيع أنفسهم على شكل مثلث، وما أن حضرت الدورية الصهيونية حتى بدأ

المجاهـدون بإطـلاق النـار باتجاههـا، وكان الاشـتباك المسـلح مـن مسـافة قصـيرة جدًا حتـى إن المجاهديـن اسـتطاعوا سـماع الجنـود الصهاينـة وهـم يصرخـون إيـما إيـما (بالعبريـة يعنـي أمـي أمـي) لشـدة الاشـتباك المسـلح، وفي هـذه الأثنـاء قـام المجاهـد أنـور عليـان بالتغطيـة عـلى المجاهديـن ليتمكنـوا مـن الانسـحاب بسـلام مـن الموقـع. واسـتمر عمـل هـذه المجموعـة عـبر قيامهـم بعـدة عمليـات إطـلاق نـار عـلى الطـرق الالتفافيـة، وأيضًـا تمكنـوا مـن تفجـير العبوات الناسـفة في مناطـق في طولكـرم منهـا فرعـون وشـوفة وعنـاب وكفـر اللبـد وشـويكة.

العملية الاستشهادية الأولى لسرايا القدس في طولكرم

بتاريـخ 09/ 09/ 2001م نفـذت سـرايا القـدس في مدينـة طولكـرم عمليـة استشـهادية في مدينـة "نتانيـا" المحتلـة في مفـترق بيـت ليـد الصهيـوني، وقـد نفذهـا الاستشـهادي البطـل عبـد الفتـاح راشـد وأدت إلى وقـوع العديـد مـن الإصابـات في صفـوف الصهاينـة، وأشرف عـلى هـذه العمليـة المجاهـدون أسـعد دقـة وإيـاد صوالحـة والمجاهـد زيـد بسـيسي والـذي كان لـه دور في إعـداد المـواد المتفجـرة جنبًـا إلى جنـب مـع المجاهـد إيـاد صوالحـة، ومـا هـي إلا ثلاثـة أيـام حتى قامت الوحـدات الخاصة الصهيونية معـززة بأعـداد كبـيرة مـن الجيـش الصهيـوني باقتحـام بلـدة عرابـة ومحاصرة المنـزل الـذي يتواجـد بـه القائـد الكبـير أسـعد دقـة، واندلعـت الاشـتباكات العنيفـة مـع العـدو الصهيـوني وارتقـى في يـوم 12/ 09/ 2001م الشـهداء الأبطـال القائـد العـام لسرايـا القـدس في

طولكـرم المجاهـد أسـعد دقـة والقـادة في سرايـا القدس في جنـين الشـهيد وائـل عسـاف وسـفيان عارضـة وشـقيقته بلقيس.

وكان ذلـك اليـوم عـلى المجاهديـن يومًـا حزينًـا كئيبًـا حيـث غادرهـم القائـد أسـعد دقـة إلى جـوار ربـه وقـد أنـار دروبهـم نـورًا وصـدق الله فصدقـه الله، فـما كان حينهـا مـن المجاهـد محمـود كليبـي إلا أن يرثـي قائـده ومعلمـه قائـلًا: "أيهـا الشـهيد القائـد البطـل أسـعد دقـة أبـو عبـد الرحمـن لقـد زرعـت فينـا حـب الجهـاد في سـبيل الله وحـب فلسـطين، وعلمتنـا كيـف الطريـق لتحريـر فلسـطين، فواصلنـا طريقـك ونحـن

على دربك نسير، ولن نحيد عن نهجكم ودربكم مهما كان الألم ومهما كانت التضحيات".

فلا يزال يذكر المجاهد محمود كليبي يوم أن كانت بلدة عرابة محاصرة من كل الجهات وتمكن حينها المجاهد جاسر رداد من إحضار جثمان الشهيد القائد أسعد دقة لكي يوارى الثرى الطيب ولكي تراه أمه المجاهدة الصابرة المحتسبة، واستقبلته حينها بالزغاريد وزفته عريسًا للحور العين، وعندها تقدم المجاهد محمود كليبي من جثمان الشهيد القائد أسعد دقة ولم يجف دمه بعد واحتضنه بقوة وامتلأ قميصه الأبيض بدم قائده الزكي. وبدأ الاستعداد والتحضير للجنازة وخرجت طولكرم عن بكرة أبيها وكل الفصائل الوطنية والإسلامية للجنازة. كلهم جاؤوا لوداع هذا القائد الأسطورة، واصطف جنوده من حوله يحملون نعش قائدهم معاهدين روحه بمواصلة درب الجهاد والاستشهاد.

وبعد استشهاد القائد تجمع أبطال سرايا القدس في مدينة طولكرم ومن قراها ومخيماتها لاختيار قائدهم الجديد، وسلموا الراية لقائدهم الجديد المجاهد الكبير زيد بسيسي، واجتمع من حوله القادة والكوادر والأبطال، وبدأ بترتيب وإعادة الهيكلة لسرايا القدس في طولكرم من جديد، وكان حوله المجاهدون جاسر رداد ومحمود كليبي وأحمد فني وباسل عجاج وبهاء الشبراوي وفادي البهتي وأنور عليان وأحمد بسيسي وعمار قزموز ومعتصم حماد ومحمود عبد القادر ونمر خليل والقائمة تطول.

وبدأ الجيش الصهيوني في تلك الفترة بالتموضع في نقاط معينة على محاور المدن الفلسطينية، فهب المجاهد زيد بسيسي ومعه المجاهدون محمود كليبي وبهاء الشبراوي وأحمد بسيسي وأنور عليان للاشتباك مع الجيش الصهيوني في أماكن تواجده في نقاط التماس في طولكرم، وبدأ الجيش الصهيوني يتسلل شيئًا فشيئًا إلى أماكن قريبة من المناطق المأهولة بالسكان، وتقدم نحو مخيم نور شمس، وكان مجاهدو سرايا القدس في مقدمة الأبطال الذين منعوا تقدم العدو الصهيوني عبر خوض الاشتباكات المسلحة معه، وكان هؤلاء الأبطال محمود كليبي وفادي البهتي وبهاء الشبراوي وعمار قزموز وأحمد بسيسي، ولذلك حاول الجيش الصهيوني نصب كمين لخلية سرايا القدس التي أذاقته الويل، وعندما حاول المجاهد أنور عليان

الأسير المجاهد/ أنور عليان
محكوم 23 عامًا، واعتقل بتاريخ 04/ 04/ 2003م

زراعة عبوة ناسفة ومعه المجاهد عمار قزموز، وكانت حينها وحدة من القناصة الصهيونية متمركزة في المكان، وما أن اقترب منها المجاهد أنور عليان حتى تعرض لإصابة في كتفه، وعلى الفور قام المجاهد بهاء الشبراوي بالتغطية عليهم حتى يتمكنوا من الانسحاب، وهذا المحور في نور شمس من أخطر المحاور في الاشتباكات المسلحة حتى إن المجاهد الكبير الشهيد رياض بدير تعرض لإصابة في فخذه عندما كانت هناك محاولة من قبل العدو الصهيوني لاغتيال أحد أهم قادة كتائب شهداء الأقصى في طولكرم رائد الكرمي إلا أنها كانت محاولة فاشلة وتعرض فقط لإصابات طفيفة، وقرر حينها المجاهد محمود كليبي الذهاب إلى مدينة نابلس للالتقاء بأبناء الجهاد الإسلامي، وتمكن حينها من التعرف على قادة كتائب شهداء الأقصى ومنهم محمود الطيطي وناصر عويس ومؤيد الجمل والبزرة. وهنالك التقى مع الشهيد رائد الكرمي الذي ذهب للعلاج في نابلس، وتعرف أيضًا على أبناء كتائب القسام، ومنهم سنان أبو عايش، وبعد إنهاء جولته التعريفية وشراء الأسلحة والذخيرة عاد بصحبة الشهيد رائد الكرمي إلى طولكرم.

محاولة وقف الانتفاضة

بدأت جهود حثيثة لوقف الانتفاضة من قبل الأمريكان والأوروبيين وخاصة من قبل المبعوث الأمريكي أنتوني زيني، وبدأ الحديث عن تهدئة ووقف العمليات الاستشهادية، وبدأت السلطة تقوم بدورها المعهود ونفذت اعتقالات في صفوف المجاهدين، ولديهم قائمة بأسماء عديدة من سرايا القدس وكتائب القسام وكتائب شهداء الأقصى وضعتها أمريكا، وبدأت السلطة بتسيير دوريات من كافة أجهزتها الأمنية بحثًا عن المطاردين، وبدأوا بمداهمة المنازل التي يتواجد بها المجاهدون حيث داهموا منزلًا في الحي الجنوبي لطولكرم كان يتواجد فيه القادة المجاهدون زيد بسيسي وإياد صوالحة وفادي البهتي،

الشهيد القائد/ فادي بهتي
استشهد بتاريخ 26/ 06/ 2004م

وكانوا حينها يعدون ويحضرون لعملية استشهادية ينفذها ثلاثة استشهاديين، وهم المجاهدون رومل عطوان ووائل عرفة وشادي ياسين، وقد تمكن المجاهدون زيد وإياد وفادي من الخروج من المنزل قبل وصول الأمن الفلسطيني لهم. والتقى بهم المجاهدون محمود كليبي ومحمود عبد القادر في

أحد المنازل الذي يتواجد به أبطال كتائب شهداء الأقصى رائد الكرمي ومحمد أبو ربيعة. وفي اليوم التالي انسحب القائد زيد بسيسي إلى قريته رامين والمجاهد فادي إلى مدينة نابلس، والمجاهد القائد إياد صوالحة إلى مدينة جنين. وبقي المجاهدان محمود كليبي ومحمود عبد القادر في ضيافة القائد الفتحاوي محمد أبو ربيعة، وبقي معهم في البيت لمدة أسبوع إلى أن جاء محمد أبو ربيعة وتحدث مع المجاهد محمود كليبي عن ملاحقة الأجهزة الأمنية للمجاهدين وأن الأجهزة الأمنية تريد الحديث مع المجاهد محمود كليبي، وبعد لقائه بأجهزة السلطة يعود مع محمد أبو ربيعة إلى أحد البيوت المستأجرة لأبو ربيعة وكان الشرط عدم حضور الأجهزة الأمنية أثناء اللقاء بأسلحتهم، وكذلك عدم ذهاب المجاهد محمود كليبي بسلاحه، وهنا دار الحديث والنقاش مع محمد أبو ربيعة حول إمكانية حدوث الغدر من قبل السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية، فأجابه محمد بأنه لا يمكن أن يحصل هذا الأمر والمسألة كلها ربع ساعة وتنتهي. وهنا الخطأ الكبير الذي وقع به المجاهد محمود حيث لم يتصل على قائده زيد بسيسي لإخباره بما يحدث ويأخذ إذنه في ذلك بصفته قائد سرايا القدس في طولكرم، وذهب مع محمد أبو ربيعة إلى أحد البيوت الذي يتواجد به عشرة من ضباط الأمن والمخابرات في السلطة الفلسطينية، وبدأوا بالحديث عن صعوبة الموقف وما آلت إليه الأحداث وأنهم في صدد تهدئة الأوضاع ووقف العمليات، وأن هناك ضغوطًا قوية وصعبة تمارس عليهم من قبل المبعوث الأمريكي أنتوني زيني، وقد قدم لهم قائمة بأسماء المطلوبين ومنهم المجاهد محمود كليبي واتضحت الصورة أكثر عندما قالوا للمجاهد محمود بأنهم يريدون وضعه في بيت كي يثبتوا للأمريكان أنه في قبضة السلطة الفلسطينية، وأن هذه عبارة عن مرحلة وسوف تمضي، وهنا جرى حديث خاص وبعيد عن الضباط بين المجاهد محمود وأبو ربيعة حول أن الاتفاق لم يكن كذلك وأنه تعرض إلى كمين وفخ الأجهزة الأمنية، واشتد النقاش وأقسم أبو ربيعة للمجاهد محمود أنه تعرض للغدر من السلطة كما حدث له، وهنا أدرك المجاهد محمود صعوبة الأمر وبدأ يفاوض الضباط حول البيت الذي سيجلس فيه وحول مكانه وامتلاكه لسلاحه وللبلفون وظروف حياته...إلخ. وأثناء وجوده في المطبخ في ذلك البيت رأى من خلال الشباك أن الكهرباء قُطعت وأبلغه محمد أبو ربيعة بالنزول عبر الدرج وأن ينزل أول واحد فيهم، ثم يقوم بالهروب وهم سيلحقون به، وبالفعل تمكن من الهرب عبر الشارع الذي لم يكن به منعطفات جانبية وإنما كان باتجاه واحد ولما وصل إلى نهايته إذا بالقوة التنفيذية لجهاز المخابرات في السلطة تقوم بمحاصرته، وبعد عراك معهم تم إلقاء القبض عليه، ونقله إلى مقر المقاطعة في طولكرم، وهنا قام قائد منطقة طولكرم بالاتصال بالعقيد توفيق الطيراوي رئيس المخابرات الفلسطينية وأخبره أن محمود الكليبي في قبضة السلطة الفلسطينية، وتم إدخاله إلى داخل السجن هناك ليتفاجأ بوجود الشيخ الجليل الشهيد رياض بدير (أبو العبد) وقد تم الغدر به كما حدث مع المجاهد محمود كليبي، وكان حينها الشيخ رياض يحمل جهازه الجوال، وقاموا بالاتصال على القائد

الكبير في كتائب شهداء الأقصى رائد الكرمي والقائد منصور شريك وأخبروهما بما حدث،

الشهيد القائد/ رياض بدير
استشهد بتاريخ 11/ 04/ 2002م

وخرجت مسيرة حاشدة أمام مقر المقاطعة وهدد القائد رائد الكرمي بخرق التهدئة إن لم يتم الافراج عن المجاهدين رياض ومحمود ولكن دون جدوى، واشتدت الحملات الأمنية الفلسطينية، وتم اعتقال الأبطال محمود عبد القادر وأنور عليان ونمر خليل وسمير مرجان وجاسر رداد وبسام الشافعي والمجاهد أحمد بسيس الذي كان في مقر آخر، وأثناء وجودهم في المعتقل جاءهم خبر اعتقال القادة زيد بسيسي بعد إصابته برجله وزايد سليمان وكان ذلك في 09/ 12/ 2001م.

ورغم صعوبة أحوال المجاهدين في سجن السلطة إلا أن الشيخ الجليل رياض بدير أصر أن يعطي المجاهدين بعض الجلسات الثقافية والدينية والعلمية، كيف لا وهو يعتبر شيخًا وقائدًا سياسيًا وخطيبًا وأستاذ مدرسة وإنسانًا جمع بين العلم والعمل، وأصر على حمل السلاح لمواجهة العدو الصهيوني، وكان دائمًا يقول: "ما فائدة الفكرة الجهادية بدون عمل؟"، فأراد تطبيق كل ما آمن به على أرض الواقع، ويذكر المجاهد محمود عندما ذهب لزيارة الشيخ أبو العبد في بيته أنه أجلسه على إحدى الكنبات وقال له: "هذه الكنبة كان يجلس عليها الأمين العام الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي رحمه الله"، وأثناء وجود المجاهدين في مقر المقاطعة جاءهم خبر اغتيال قائد كتائب شهداء الأقصى في طولكرم عبر اغتياله بعبوة ناسفة، وهنا تم الإعلان عن انتهاء التهدئة مع العدو الصهيوني وقرر رفاق الشهيد رائد الأبطال محمود الطيطي ومجموعته الإعداد لعملية انتقامية ردًا على اغتيال الشهيد رائد الكرمي، وقد نفذ هذه العملية الاستشهادية الاستشهادي الفتحاوي عبد السلام حسونة وتم تنفيذها في أحد الفنادق الصهيونية وأدت لمقتل ثلاثة عشر صهيونيًا، فجاء حينها الرد الصهيوني على العملية بقصف المقاطعة في طولكرم والتي يحتجز بها المجاهدون محمود كليبي والشيخ رياض وباقي المجاهدين، وما يجب ذكره هنا أن المجاهد محمود كليبي قد رأى في المنام قبل استشهاد رائد الكرمي أن المقاطعة ستدمر بالكامل، ولكنه هو والمجاهدين سينجون من هذا الدمار، وحدث بذلك أخويه أنور عليان ومحمود عبد القادر وأنه بعدها سيهرب ويذهب إلى بيت صديقه مهند أبو صلاح، فيا سبحان الله! فقد تحققت

هذه الرؤيا بالكامل حيث قامت الأجهزة الأمنية بإخلاء مقراتها وجميع عناصرها حتى السجناء المدنيين وحتى العملاء ولم يبق سوى المجاهدين، وبدأت طائرات (F16) بقصف المقاطعة بأربعة صواريخ، وتدمرت أغلب مقراتها وبدأت تنهار عليهم الحجارة والتراب، وأصيب الشيخ رياض أثناء القصف، وكان المشهد صعبًا ومروعًا ومخيفًا لقصف الطائرات بالضربة الأولى. كان المجاهدون يتعرضون للشظايا والغبار ورائحة الانفجار وكل شيء يصبح مظلـمًا وينتظر كل مجاهد حينها الموت بأي لحظة، فاختبأ المجاهد محمود حينها تحت السرير دون فائدة، وخرج من تحت السرير وبدأ يبحث عن الماء ولم يجد، وبدأ المجاهدون بالتكبير والدعاء وبدأ يطمئن كل مجاهد على الآخر. ومع كل قصف من شدته يجد المجاهدون أنفسهم قد ارتفعوا عن الأرض وسقطوا مرة أخرى ثم يرفعهم القصف ويلقي بهم، مشاهد عظيمة أشبه بأهوال يوم القيامة، وانتهى القصف وأصبحت المقاطعة شبه هامدة وبدأ تكبيرات المجاهدين واستغاثتهم تصل إلى الجماهير الفلسطينية التي حضرت إلى مقر المقاطعة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ويذكر هنا المجاهد محمود أن من ضمن الذين حضروا للإنقاذ أخويه محمد ويوسف، وحينما أخذ أخوه يوسف يحمل الصخور ويُلقي بها بقوة على الشباك لعلها تنكسر لإخراج أخيه وهو يكبر ويقول: "لبيك يا أخي كليب يا لثاراتك!". ويذكر أيضًا الشهيد خضر طالب وهادي الهمشري ومجموعة أخرى تمكنوا من السيطرة آنذاك على مدير السجن وأجبروه على فتح غرفة السجن، وخرج حينها المجاهدون من تحت الركام والأنقاض وذهب الإخوة نمر خليل والشيخ رياض وسمير المرجان إلى المشفى وانطلق المجاهد محمود حافي القدمين وذهب إلى بيت صديقه مهند أبو صلاح الذي رآه في المنام، وبدأت والدة صديقه الحاجة الطيبة الرائعة بالاعتناء به وتضميد جراحه وإطعامه وما أن استراح حتى عادت الطائرات مرة أخرى وقصفت ما تبقى من المقاطعة، وانتقل بعدها المجاهد محمود إلى مكان آمن وفي اليوم التالي التقى مع القادة الشهداء محمود الطيطي والقائد منصور شريم ونهاد صبيح وهم من أهم قادة كتائب شهداء الأقصى، وانتقلوا معًا إلى محافظة طوباس وباتوا ليلتهم هناك، وفي اليوم التالي تمكنوا من الوصول إلى مدينة نابلس واستضافهم القائد الكبير الفتحاوي الأصيل ناصر عويش في بيته، وعندها تمكن المجاهد محمود كليبي من التواصل مع قادة سرايا القدس في نابلس المجاهدين أبو همام وأبو حمزة وعمار أبو بكر ورامي أبو بكر، ومهند أبو عيشة وفادي البهتة.

مواصلة الدرب

وبعد الاغتيالات والاعتقالات التي وقعت في صفوف سرايا القدس تمت تزكية مجاهد آخر بعد القائد زيد بسيسي ليتسلم قيادتها في طولكرم، وتمت إعادة هيكلة الخلايا وتجنيد أعضاء جدد، وكان لسرايا القدس في ذلك الوقت قوة عسكرية لا يستهان بها في قرية صيدا، ومن أبرز القادة المجاهد جاسر رداد والمجاهد باسل خلوف والمجاهدين أنور عبد الغني وشفيق عبد الغني ورائد عجاج وأحمد فتحي عجاج، وبعد تنفيذ المجاهدين باسل

وأحمد عملية عسكرية أدت إلى مقتل جندي صهيوني وإصابة آخر بتاريخ 29/ 11/ 2001م أُعتقل على أثرها المجاهدان جاسر وباسل، وأُغتيل المجاهد أنور عبد الغني.

ولذلك كان هناك حوار ونقاش جدي حول دمج الخطوط بين طولكرم ونابلس بالإضافة إلى بعض القرى، وتم العمل بهذا الاتجاه وتطوير عملية تصنيع المتفجرات وتجنيد الخلايا الجديدة من مدينة نابلس، وتم التركيز كثيرًا على ضرورة أن يكون هناك قادة وكوادر وأعضاء لسرايا القدس من مدينة نابلس لتقديم المساعدات اللوجستية وتسهيل عمليات التحرك والتنقل واستئجار المنازل، وبُذلت في الماضي جهود كبيرة جدًا للمجاهدين زيد بسيسي وربيع أبو الرب في إحياء العمل العسكري في هذه المدينة، وكان تركيز المجاهدين في مدينة نابلس على تجهيز العمليات الاستشهادية بحيث يكون لكل مجاهد ولكل خلية دور منوط بها، أي العمل حسب التخصص من أجل إنجاح العمل.

اجتياح السور الواقي

علم المجاهدون أن العدو الصهيوني يعد العدة لاجتياح الضفة الغربية وكان حينها المجاهد محمود كليبي في طولكرم، وتمكن من الالتقاء بالمجاهد معتصم حماد الذي كان لديه خبرة كبيرة جدًا في عملية تصنيع المتفجرات، وطلب من المجاهد محمود بعض المواد الأساسية التي تدخل في عملية التصنيع، وتمكن عبرها من صناعة العبوات الناسفة والقنابل اليدوية، وتم عقد اجتماع في ذلك

الشهيد القائد/ معتصم مخلوف
استشهد بتاريخ 14/ 03/ 2002م

الوقت ضم المجاهدين محمود كليبي وأنور عليان ومحمود عبد القادر وأحمد بسيسي وآخرين كي يتم أخذ القرار المناسب في البقاء داخل مخيم طولكرم ومواجهة الجيش الصهيوني أو بالخروج منه، فكان هناك قرار بالتواجد بالمخيم والإعداد والاستعداد للمواجهة جنبًا إلى جنب مع أبطال كتائب القسام وكتائب شهداء الأقصى وكتائب أبو علي مصطفى وأيضًا كان إلى جانبهم بعض رجال الأمن الوطني الفلسطيني والانضباط العسكري.

وما أن اقتحم الجيش الصهيوني المنطقة حتى اندلعت الاشتباكات من كافة المحاور واستخدم الجيش الصهيوني دباباته وآلياته العسكرية بالإضافة إلى جرافاته الضخمة جدًا، وارتقى إلى العلا عشرات

الشهداء بالإضافة إلى عدد كبير من الإصابات، وتمكن المجاهدون من قتل ثلاثة جنود صهاينة، وبعد مرور ما يقارب أربعة إلى خمسة أيام تمكن الجيش الصهيوني من دخول المخيم، وتمت محاصرة المقاتلين وكان عددهم ثمانية عشر مقاتلًا من كافة الفصائل، ولم يتمكنوا من الخروج من البيت المحاصر إلا بعد يوم وليلة حيث تمكنوا من فك الحصار بعد أن أصيب عدد من الشباب أثناء محاولتهم فك الحصار عنهم، وقاموا بفتح ثغرات بين الجدران ومن بيت لآخر إلى أن وصلوا إلى مناطق داخل المخيم تم تمشيطها من قبل الجيش الصهيوني وجلسوا في أحد المنازل لليوم التالي حين تقدمت مجموعة من النساء من حرائر فلسطين الشريفات العفيفات المجاهدات من مخيم طولكرم وقدمت المساعدة للمحاصرين ومكنهم من الخروج بأمن وسلام، وتوجه حينها المجاهد محمود إلى مزارعهم في شويكة واجتمع بعائلته القلقة عليه، وودعها وأخذ من والده مبلغًا من المال يقدر بـ 500 شيكل ليتمكن من التغلب على الصعاب التي تواجهه حيث خرج من ضاحية شويكة إلى قرية إكتابا ومنها إلى جبال بلدة بلعا، ومن شدة التعب وجد بركسًا للدجاج دخل إليه ونام ليلته، وفي الصباح أعلن الجيش الصهيوني عن انسحابه من طولكرم، وعندها عاد المجاهد إلى المخيم للوقوف على الأوضاع ومساعدة أهاليه في محنتهم وفي شهدائهم وجرحاهم وهدم منازلهم.

ترتيبات جديدة في نابلس

وقبل خروج المجاهد محمود كليبي من مدينة طولكرم إلى مدينة نابلس للمرحلة الجديدة تأكد أن سرايا القدس في طولكرم بخير وخاصة في قرية صيدا حيث أصبح قائد سرايا القدس هناك المجاهد أحمد عجاج، وبدأوا بترتيب أوضاع سرايا القدس، وكان للمجاهدين إياد صوالحة ومعتصم حماد فضل كبير على المجاهد محمود كليبي وكافة المجاهدين في إعادة ترميم وبناء قوة سرايا القدس الجديدة، وعندها انتقل المجاهد محمود إلى مدينة نابلس واجتمع مع الإخوة هناك أبو همام ورامي أبو بكر وفادي البهتة وأبو هادي وأحمد بسيسي، وتم تفعيل وتنشيط العمل العسكري في مدينة نابلس وقراها ومخيماتها، وتم تجنيد خلية عسكرية في نابلس من المجاهدين أحمد جود الله، وعلاء خضرية، وسامح الشنيك، وهذه الخلية تم تزويدها بالعتاد والسلاح والمال، وكان لديهم دور فاعل وصولات وجولات في الكمائن وخوض الاشتباكات المسلحة وإلقاء القنابل اليدوية.

عملية عمارة أبو صالحة

وآخر عملية كانت لهذه المجموعة العملية التي نفذها المجاهد أحمد جود الله ضد قوة عسكرية صهيونية كانت تحاصر عمارة أبو صالحة في نابلس بتاريخ 30/ 09/ 2002م وتمكن هذا المجاهد الرباني أحمد جود الله من التسلل عبر الأزقة،

الشهيد المجاهد/ أحمد جود الله
استشهد بتاريخ 27/ 10/ 2002م

استشـهادية في إحـدى المسـتوطنات في محيـط مدينـة نابلس هي مسـتوطنة "ألـون موريـه"، وتم التحضـير لهذه العمليـة ومراقبة المسـتوطنة ورصدهـا عبر الناظـور وبادر أحـد أبطـال كتائب القسـام وهـو المجاهد أمين المنزلاوي بتقديـم المسـاعدة لصديقه محمـود كليبي، وكان حينها قد طلـب المجاهـد محمـود من المجاهـد فـادي البهتـة تصنيع عبـوة ناسـفة تعمـل عـبر التايمـر بالإضافـة إلى ثـلاث قنابـل يدويـة، وتـم تزويـد الاستشـهادي بقطعـة سـلاح مـن نـوع كلاشـينكوف وخمسـة مخـازن مـن الذخـيرة الحيـة، وكانـت الخطـة التـي وضعهـا المجاهـد محمـود أن يقـوم الاستشـهادي بوضـع العبـوة ويشـغلها في مكـان ما داخـل المسـتوطنة ومـن ثـم يقـوم بإطـلاق النـار عـلى أي تجمـع صهيـوني، ثـم يقـوم باسـتخدام القنابـل اليدويـة، وتـم تزويـده بالتعليـمات حـول المكان الـذي يمكـن مـن خلالـه الانسـحاب مـن الموقـع، وانطلـق المجاهـدون إلى مخيـم عسـكر الجديـد وعـلى أحـد التـلال المشرفـة عـلى المسـتوطنة اسـتلم المجاهـد أمين المنـزلاوي الاستشـهادي وقـام بإيصالـه إلى نقطـة قريبـة مـن المسـتوطنة، وانسـحب المجاهـد أمـين مـن المـكان وهنـا انتظـر المجاهـد محمـود كليبـي مـا يقـارب مـدة السـاعتين حـدوث العمليـة وإذا بطائـرات الــ (F16) تبـدأ بـضرب القنابـل الضوئيـة في المنطقـة، وتـضيء سـماء مدينـة نابلـس علـمًا أنه بنفـس هذه اللحظـة كانـت عمليـة المجاهـد أحمـد جـود الله في نابلـس، وانتظـر المجاهـد محمـود أي خـبر حـول العمليـة أو معرفة مصـير المجاهـد أمـين المنـزلاوي، وانتظـر حتـى صبـاح اليـوم التـالي وحتـى الظهـيرة ولم يحـدث شيء، وتبـين فيـما بعـد أن المجاهـد أمـين كان قـد أوصـل الاستشـهادي إلى موقـع قـرب المسـتوطنة، وعندمـا حـاول الاستشـهادي دخـول المسـتوطنة بـدأت طائـرات (F16) بإطـلاق القنابـل المضيئـة وقـام الجنـود الصهاينـة بالاشـتباك مـع الاستشـهادي وأطلقـوا عليـه العديـد مـن القذائـف ممـا جعلـه ينسـحب مـن موقـع العمليـة إلى بيتـه بعـد أن خبـأ السـلاح والعتـاد في أحـد الأماكـن وفي اليـوم التـالي عـاد الاستشـهادي، وأعـاد السـلاح والعتـاد للمجاهـد محمود وأبـدى للمجاهـد عـدم رغبتـه بعـد الذي حصـل في تنفيذ العمليـة، وبعـد فـترة طويلـة استشـهد هـذا الاستشـهادي البطـل وهـو يـضرب الحجـارة مـن فـوق منزلـه باتجـاه قـوات الجيـش الصهيـوني.

الانتقال إلى بلاطة

ومـع ذلـك كان المجاهـد محمـود شـعلة في العمل لا تنطفـئ حيـث توجـه في اليـوم التـالي ومعـه الشـيخ أمـين المنـزلاوي إلى مخيـم بلاطـة، والتقيـا بالإخـوة أمـير ذوقـان مـن قـادة حركـة فتـح وأخيـه عـرابي ذوقـان في منزلهـا في مخيـم بلاطـة ونجحـوا في شراء قطعـة سـلاح مـن نـوع (M16)، وأبـدى حينهـا المجاهـد عـرابي ذوقـان اسـتعداده للعمـل في صفـوف حركـة الجهـاد الإسـلامي، وكان لـه جهـود كبـيرة وعديـدة في تقويـة الجهـاد الإسـلامي في مخيـم بلاطـة مـن ناحيـة اجتماعيـة وسياسـية. وقـد قـام المجاهـد عـرابي بتعريـف المجاهـد محمـود كليبـي عـلى البطـل فهـد صوالحـة مـن مخيـم بلاطـة، وكان حينهـا يعمـل مـع (جماعـة النذيـر) المقربـة مـن حركـة فتـح ويتزعمهـا المجاهـد الكبـير الشـهيد عـلي العجـوري الـذي أبـلى بـلاءً حسـنًا، وتـم اغتيالـه فيـما بعـد في قريـة جبـع في مدينـة جنـين، وعندمـا اجتمـع المجاهـد محمـود مـع المجاهـد فهـد عـرض عليـه العمـل مـع حركـة الجهـاد الإسـلامي ضمـن صفـوف سرايـا القـدس وأبـدى اسـتعداده لذلـك. وكان حينهـا المجاهد فهـد الـذراع الأيمـن للشـهيد عـلي العجـوري ويمتلـك الخـبرة الكبـيرة في تركيـب العبـوات الناسـفة والدوائـر الكهربائيـة، وتمكـن فيـما بعـد مـن التعـرف عـلى قـادة

سرايا القدس ومنهم أبو همام ومهند أبو عيشة ورامي أبو بكر.

وقرر المجاهد محمود في هذه الفترة العودة إلى مدينة طولكرم والتقى بالخلايا والمجموعات العسكرية لسرايا القدس وكذلك التقى بأحد أهم قادة سرايا القدس المجاهد إياد صوالحة الملقب أبو شقارة وبعد أن تمكن الشاباك الصهيوني من الوصول للقائد في سرايا القدس المجاهد معتصم مخلوف (حماد) عبر قصفه في أحد مزارع عنبتا حيث استشهد على الفور بتاريخ 14/ 03/ 2002م ومعه المجاهد الشهيد ماهر بلبيسي إذ إن الشاباك الصهيوني كان قد اتهم الشهيد القائد معتصم بالوقوف وراء عملية الاستشهادي مراد أبو العسل.

عملية اختراق الشاباك الصهيوني المعقدة

تمكن المجاهدان إياد صوالحة ومعتصم مخلوف (حماد) من اختراق الشاباك الصهيوني واستدراجهم لأحد الضباط، وذلك عن طريق الاستشهادي مراد أبو العسل والذي كان على علاقة جيدة مع القائد معتصم حماد، وبدأت القصة عندما حاول جهاز الشاباك الصهيوني ربط البطل مراد أبو العسل ليكون عميلاً لصالح الشاباك الصهيوني،

الإستشهادي/ مراد أبو العسل
استشهد بتاريخ
30/ 01/ 2002م

وهنا حدَّث المجاهد البطل مراد بما حدث معه المجاهدين معتصم حماد وإياد صوالحة، فبدأ التفكير بشكل جدي في التخطيط المحكم لاستدراج ضباط الشاباك الصهيوني وتنفيذ عملية ضدهم، حيث بدأ المجاهدان إياد ومعتصم بتزويد البطل مراد أبو العسل بعدة معلومات صحيحة وتسليم بعض الأماكن والمواد التي تدخل في صناعة المتفجرات، واقتنع بالفعل ضباط الشاباك الصهيوني بأن البطل مراد بدأ يعمل لصالحهم، وهنا وقع رجال الشاباك في مصيدة سرايا القدس وبدأوا يطلبون منه المزيد من المعلومات وأنهم طلبوا منه ممارسة الفواحش والرذيلة ليكون ممسكًا بأيديهم في حال تراجعه عن هذه المهمة، فطلب المجاهد البطل مراد أبو العسل من المجاهدين إياد صوالحة ومعتصم حماد الاستعجال في تجهيزه للعملية ولاسيما أنه لا يريد ممارسة الرذيلة والفواحش، فكان لابد من الاستعجال في إنهاء العملية، وهنا كان لاحظ المجاهدان إياد ومعتصم أنه عندما ذهب مراد أبو العسل لمقابلة ضباط الشاباك الصهيوني في إحدى كبوتسات مدينة "نتانيا" المحتلة فإن مساره لا يتجه إلى حاجز "نتانيا"، حيث كانت تأتي سيارة من نوع باص ويخرج منها اثنان يفحصان المجاهد مراد بأيديهما ويفحصان وسطه وكل جسمه، ومن ثم يضعان عصبة على عينيه ويدخلانه إلى السيارة للمقابلة والحصول على المعلومات، وتكررت هذه الحالة وفي كل مرة يجرون عليه نفس الأسلوب في التفتيش، ولذلك بعد كل هذه المعلومات الدقيقة قرر المجاهدان إياد ومعتصم تصنيع عبوة ناسفة عبارة عن اصبعين من مادة (T.N.T) حصلا عليها من قذائف المورتر وجهزاها بشكل ممتاز ولا يلفت النظر، وتم تثبيت العبوة في أسفل البطن وداخل ملابسه الداخلية، وانطلق المجاهد مراد نحو الهدف عازمًا على تنفيذ العملية الاستشهادية وقتل أكبر عدد ممكن من ضباط الشاباك الصهيوني، وكانت

الخطة الموضوعة هو أنه يتم تفجير نفسه بضباط الشاباك عندما يتم الاجتماع بهم وتبادل المعلومات إلا أنه ما أن وصل إلى نقطة اللقاء وجاءت السيارة لتنقله حتى صعد داخل سيارة المخابرات الصهيونية وفجّر نفسه في داخلها، ووقع انفجار ضخم هز المكان بشهادة من رآه. وكان يوم العملية بتاريخ 30/ 01/ 2002م يومًا لا ينسى ولاسيما أنه يوم انتصار التخطيط العسكري والأمني لسرايا القدس على التقدم العقلي والتقني والأمني للشاباك الصهيوني. ولهذا قرر جهاز الشاباك اغتيال القائد الكبير معتصم حماد في 14/ 03/ 2002م، وبقي حينها القائد المجاهد إياد صوالحة وحيدًا في طولكرم بعد استشهاد صاحبه وأخيه ورفيق دربه الشهيد معتصم، وهنا تمكن المجاهد محمود كليبي من الالتقاء مع القائد إياد صوالحة الذي كان دائم التنقل ما بين جنين ونابلس وطولكرم، وكان له دور كبير في تعليم المجاهد محمود عملية تصنيع المتفجرات وتطويرها، وتطور الأمر حينها إلى التخطيط لعملية استشهادية داخل الكيان الصهيوني، وأوكل المجاهد محمود كليبي مهمة الاستطلاع ورصد الهدف الصهيوني للمجاهد محمد حسين أبو ساري كونه لديه الخبرة الكبيرة في معرفة المواقع الصهيونية وتمكنه من اللغة العبرية، وكان في الماضي يعمل هناك، ووضع كافة التفاصيل التي حصل عليها أبو ساري أمام المجاهد محمود كليبي، وأخبر القائد إياد صوالحة بذلك. وبهذه الفترة حدثت أمور وأحداث أمنية صعبة أدت إلى تأجيل العملية إلى موعد آخر، وفي هذه الأثناء وقعت عملية لكتائب القسام في فندق البارك نفذها الاستشهادي عبد الباسط عودة مما أدى إلى اجتياح الضفة.

الاجتياح الكبير في شهر نيسان عام 2002

وهذا الاجتياح الثاني لمدينة طولكرم وبعد عملية الاستشهادي من كتائب القسام عبد الباسط عودة بتاريخ 27/ 03/ 2002م كان القرار لمجاهدي سرايا القدس بعدم المواجهة كما حدث في الاجتياح الماضي، والانسحاب من طولكرم إلى الجبال والقرى، فذهب المجاهد محمود كليبي ومعه مجموعة من سرايا القدس إلى قرية صيدا، بينما كان قرار المجاهد القائد إياد صوالحة الذهاب إلى مدينة جنين. وخرج المجاهد محمود وباقي المجاهدين إلى أحد الكهوف في الجبال يقع ما بين بلدة كفر راعي وبلدة يعبد وقرية صيدا، وتم تجهيز هذا الكهف بكل مستلزماته من فراش وطعام وشراب، ومن المجاهدين إضافة للمجاهد محمود المجاهدون أحمد الفني وزاهر الأشقر وشفيق عبد الغني وأسامة الأشقر وأحمد بسيسي وأنور عليان. كان حول الكهف أشجار كثيفة وبئر للماء يستطيع المجاهدون الشرب منها والاغتسال في مأمن من عيون العدو الصهيوني وعملائه حتى إنهم وضعوا صورًا كبيرة للأمين العام الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي والشهيد أسعد دقة والشهيد أنور عبد الغني في مدخل الكهف، ومن النكات أنه في إحدى المرات طلب المجاهد أحمد بسيسي الذي يعتبر صاحب العقلية الأمنية من المجاهدين إحضار حمار ميت ووضعه أمام الكهف للتمويه على أنه لا يوجد به أحد، وهنا ضحك المجاهدون على هذا الأمر، وبدأت التعليقات على المجاهد أحمد بسيسي، فكيف يستطيع المجاهدون حمل الحمار وهو ميت وهم

موجودون في أعالي الجبال؟ وكيف سيتحملون رائحته الكريهة؟ وغيرها من التعليقات.

إلا أن رياح الأمن والأمان لم تأتِ بما اشتهى المجاهدون في كهفهم؛ إذ بدأ الجيش الصهيوني يصل إلى مشارف قرية صيدا، وإلى مناطق أخرى في بلدة كفر راعي، وشعر المجاهدون أن الجنود الصهاينة يقتربون منهم حيث إن المجاهد شفيق عبد الغني أصيب في كتفه عندما رصده الجنود الصهاينة بالقرب من موقعهم، ولهذا قرر المجاهدان محمود كليبي وأحمد بسيسي الانسحاب من المكان ومحاولة الدخول إلى طولكرم كون الصهاينة قد أنهوا مهمتهم فيها، وتوجه المجاهدان محمود وأحمد عبر الجبال ووصلوا إلى جبال بلدة بلعا وناموا تلك الليلة في بلدة بلعا، ومن ثم واصلوا سيرهم إلى قرية عنبتا، وحضر إليهم المجاهد فؤاد برهوش من قرية كفر اللبد وأدخلهم إلى القرية، ومن ثم عبر الجبال وصلوا بسلام إلى طولكرم، والتقى حينها المجاهد محمود كليبي بوالدته في أحد بيوت طولكرم، وبعد أيام انسحب الجيش الصهيوني من مدينة طولكرم، وأبقى على مناطق محددة.

العودة للعمليات

وعندها بدأ التحضير للعملية التي تم تأجيلها ورصد هدفها المجاهد محمود حسين أبو ساري، وتم تجنيد الاستشهادي محمد الرفاعي لتنفيذها، وتم تجهيز شنطة متفجرات تحتوي على ستة كيلو غرامات من مادة اليوريا خُلطت بكمية محددة من مادة (T.N.T)، واستلم المجاهد محمود حينها الاستشهادي محمد، وكان على عجل من أمره وانطلق مسرعًا من مدينة نابلس إلى طولكرم، وتم تصوير الاستشهادي محمد وناموا ليلتهم في مخيم طولكرم، وفي اليوم التالي ودع المجاهد محمود الاستشهادي، وأوكل مهمة توصيله إلى موقع العملية إلى المجاهد محمد حسين أبو ساري. كان موقع العملية عبارة عن نادي ليلي، وسلم حينها المجاهد محمد مبلغًا من المال وأوصاه بأخذ الحيطة والحذر وأن يبذل كل جهده من أجل إيصاله إلى المكان المحدد. وغادر المجاهد محمود مدينة طولكرم ومعه شريط الفيديو والوصية، وخرج المجاهد محمود من طولكرم بواسطة سيارتين للعودة إلى نابلس حيث كان مع المجاهد محمود المجاهد رائد عبد الجليل الذي جند الاستشهادي محمد الرفاعي. كان هدف المجاهد محمود من الخروج بسرعة من طولكرم بعد إنهاء مهمة تسليم الاستشهادي للمجاهد محمد حسين أبو ساري والذي سيوصله إلى الهدف، وذلك حتى لا يشعر الشاباك الصهيوني أن المجاهد محمود وباقي المجاهدين متواجدون في طولكرم، وتسير المهمة بكل سهولة ويسر.

الأسير المجاهد/ محمد حسين
محكوم 26 عاماً، واعتقل بتاريخ 05/ 08/ 2002م

وهنا تقدم المجاهدون بسيارتين؛ السيارة الأولى تقوم بفتح الطريق أمام السيارة الثانية التي يتواجد بها المجاهد محمود كليبي، وأثناء الطريق تعطلت السيارة الثانية، واستمروا بالسير بسيارتهم الأولى

ووصلوا إلى بلدة جبع في مدينة جنين حتى يواصلوا الطريق إلى قرية بيت أمرين، وأثناء الطريق تفاجأ المجاهد محمود بوجود دورية صهيونية في إحدى النقاط العسكرية التي يضعون بها أحيانًا حاجزًا صهيونيًا، وتوقف سائق السيارة على جانب الطريق، وقال له المجاهد محمود إما أن تواصل الطريق وإما أن تعود إلى حيث انطلقنا، وبدأت بهذه الأثناء الدورية الصهيونية بالاقتراب منهم، ولم تكن أي قطعة سلاح مع المجاهد محمود، فوضع شريط الفيديو ووصية الاستشهادي في ملابسه وخرج من السيارة مسرعًا نحو الأشجار القريبة، وما أن رأته الدورية الصهيونية حتى بدأت بإطلاق النار عليه، ووصل إلى شجرة تين كبيرة وبجانبها حفرة صغيرة فخبأ محفظته وجهاز البلفون، وتحت أحد الحجارة وضع شريط الفيديو والوصية، وبدأت الدورية بتمشيط الشارع والمنطقة، وعاود الرجوع إلى الشارع ليركب إحدى السيارات ويخرج من المنطقة، وما أن هم بذلك حتى عادت الدورية الصهيونية مرة أخرى، فقام المجاهد محمود بخلع قميصه لتغيير ملامحه، واتجه نحو الأشجار ووصل إلى مبنى قيد الإنشاء، وعند هذا المبنى شخص يقوم برش سقف المنزل بالماء، وطلب منه المساعدة، وكان لديه سيارة، ولكنه رفض تقديم المساعدة وشرح تفاصيل رفضه للمجاهد محمود فقال له إن لديه أخًا نفذ عملية استشهادية ردًا على اغتيال الشهيد رائد الكرمي، وعلم حينها المجاهد محمود أن هذا الشخص هو أخ الاستشهادي عبد السلام حسونة الذي كان الجيش الصهيوني قد هدم منزلهم، ومع ذلك لم ييأس البطل المجاهد محمود صاحب الإرادة القوية والفولاذية واستمر بالزحف باتجاه الشارع من الجهة الأخرى، ومنها إلى وادٍ يؤدي إلى قرية بيت إمرين، واستقر به الحال تحت شجر السرو في القرية، فإذا برجل طيب كان يركب حماره هو وابنه في طريقهما إلى أرضهما لفلاحتها، وأبلغه المجاهد محمود أنه بحاجة إلى مساعدة ويريد الدخول إلى منطقة سكنية في بيت أمرين، وفي هذه اللحظات جاءت تعزيزات صهيونية إلى المنطقة، وقام الرجل الطيب بالنزول عن حماره وركب المجاهد محمود على الحمار، والرجل ركب خلف ابنه على الحمار الخاص به، وانطلقوا بين الجبال، وشعر المجاهد محمود أنه حصلت ثقة بينه وبين الرجل وابنه، فأخبره بمكان الشريط والمحفظة والبلفون، فقال له الرجل: "إن شاء الله خير"، وعرف عن نفسه أنه أبو عرفات من قرية بيت أمرين، وأنه سيحاول إحضار الأغراض للمجاهد محمود، وأرشده إلى الطريق وقال له إنه بعد جبلين يوجد سكان من البدو، وتستطيع أن تسألهم عن الطريق وحينها إما أن تذهب إلى قرية طلوزة أو إلى عصيرة الشمالية. وبدأ بالسير وحده بين الجبال، وما أن قطع الجبلين حتى وصل إلى البدو، وعندما حاول النزول عن الجبل كان منحدرًا صعبًا وخطرًا، وشاهد وجود الأغنام وهي تشرب من براميل للماء، وتقدم إلى هناك وشرب الماء من المكان الذي شربت منه الغنم لشدة عطشه، ثم شرب مرة أخرى حتى ارتوى ولاحظ وجود طريق سهلية ولم يسأل أحدًا من البدو عن الطريق حرصًا على أمنه، واستمر بالسير حتى وصل إلى جبال عصيرة الشمالية وبدأ يأكل من أشجار التين، ووصل إلى الشارع الرئيسي لقرية عصيرة ما بين المغرب والعشاء مع أن بداية القصة بدأت الساعة التاسعة صباحًا، وتأكد حينها

من مكان وجوده في قرية عصيرة بعد رؤيته لإحدى اللوحات المكتوب عليها "عصيرة الشمالية ترحب بكم"، وتقدم نحو أحد البيوت الذي تقف أمامه تاكسي أجرة، وشاهد حينها رجل وزوجته، ففرح، وقال في نفسه جاء الفرج، وطلب المساعدة من الرجل إلا أنه لم يتعاط معه وزجره ونهره، وقال له إن الدنيا مسكرة ولا يستطيع مساعدته، فطلب منه شربة ماء، فأحضرت زوجته كأس الماء، وقرر العودة إلى ذلك الشارع الرئيس، وهنا لحق به ابن ذلك الرجل وأعطاه كرت تلفون، وذهب لاستخدامه وبحث عن غرفة التلفون فوجدها بالقرب منه وبجانب إحدى البقالات، وبدأ في محاولة تذكر أرقام المجاهدين ولم يتذكر حينها إلا رقم المجاهد أحمد بسيسي، وضرب رقم المجاهد أحمد بسيسي فإذا بالكرت قد نفد رصيده، فلم يكن به سوى وحدة واحدة، ولم يتمكن من الاتصال بالمجاهد أحمد، وكانت ملابسه ممزقة ومغبرة. وبدأ يسير في الشارع حزينًا، بلا مأوى ولا طعام ولا شراب ولا مساعدة ولا مساندة وبانقطاع تام عن الدنيا، فحين يصرخ المجاهد من قسوة الظلم ولا يسمع سوى صدى صوته ويتأوه من شدة الألم ولا يجد غير رجع الأنين وتنهمر من عينيه العبرات من وقع القهر فعليه أن يعلم حينها بأنه يمتلك سهامًا نافذة يغفل عنها الظالمون، ولا يغفل عنها رب المستضعفين، وتنطلق من قوس دعائه لحظة أن يصدح بهتاف الخالدين يا رب! يا رب! يا رب!

فلم يكن ليعلم المجاهد محمود ماذا حصل مع المجاهد محمد أبو ساري وهل حصلت العملية أم لا؟ وما هو مصير رائد عبد الجليل الذي كان معه في السيارة والذي لا يستطيع الهرب بسبب الإصابة في قدميه، واستطاع حينها المجاهد محمود إيقاف أحد الجيبات وبه شاب، وطلب منه المساعدة في نقله إلى مدينة نابلس، فقال له إن هذا الجيب مسروق وأن الدنيا ليل ولا يمكن مساعدته، فطلب منه إجراء مكالمة مع المجاهد أحمد بسيسي، وهنا نجح بذلك وعلم منه أن رائد عبد الجليل وسائق السيارة بخير، وهما موجودان في بلدة قباطية بضيافة البطلين الفتحاويين كمال أبو وعر ومحمد أبو الرب، وعلم أيضًا أن معظم الناس كانوا يتوقعون استشهاد المجاهد محمود ولاسيما أنه عندما تم إطلاق النار عليه وقع على الأرض ورأى المجاهد رائد عبد الجليل هذا المشهد، فما كان منه إلا أن يذرف الدمع حمدًا وشكرًا لله عز وجل. وأرشده المجاهد أحمد إلى صديق له في عصيرة اسمه ثائر ياسين، وتم استقباله بإيعاز من المجاهد أحمد بسيسي، وتم الاعتناء به حيث اغتسل ولبس ملابس جديدة وتناول طعام العشاء، وسألوه إن كان من أحضره قد علم أنه مطارد أم لا؟ وبعد ساعة أبلغوه أنه يجب أن يغادر المنزل، وحاول حينها الذهاب إلى قرية ياصيد إلا أن معظم القرى التي حول بيت أمرين محاصرة والجيش الصهيوني منتشر في كل مكان، وعندها خرج ثائر ياسين وصديقه مع المجاهد محمود كليبي ومعهما الطعام والشراب والملابس الدافئة وناما في الجبال، فنام المجاهد محمود نومًا عميقًا وبقي ثائر ياسين وصديقه يسهران على أمنه، ولما أصبحت الساعة الثالثة والنصف فجرًا إذا بهما يوقظان المجاهد محمود ويخبرونه أن الجيش الصهيوني قد اقتحم عصيرة الشمالية وأنهم داهموا منزل ثائر ياسين ودمروا محتوياته بحثًا عن المجاهد محمود كليبي، ولم

يكـن الجيـش الصهيـوني يعلـم أن مـن كان في السـيارة هـو محمـود وبعـد أن انتـشر خـبر استشـهاد محمـود، ثـم العـودة عـن ذلـك علـم الجيـش حينهـا أن مـن كان في السيارة هـو المجاهـد محمـود كليبـي. وبـدأوا بالبحـث عنـه في كل مـكان، وانتقـل ومعـه ثائـر ياسـين وصديقـه إلى وادي بـه الكثـير مـن الأشـجار الكثيفـة، وانطلـق حينهـا ثائـر ياسـين إلى بيت أقربائـه وبقـي معـه صديـق ثائـر، وبعـد فـترة تركـه وغـادر مؤكـدًا أنـه سـيعود وبقـي المجاهـد محمـود وحـده عنـد الشـجرة خوفًـا مـن وصـول الجيـش الصهيـوني إليـه، وعـاد إليـه صديـق ثائـر وأخـبره بـما حـدث حـول اعتقـال إخـوة ووالـد ثائـر ياسـين وأن الجيـش الصهيـوني قـد انسـحب مـن البلـدة، وتركـه مـرة أخـرى ليحـضر سـيارة لنقلـه إلى نابلس وتأخـر كثـيرًا، وعندهـا قـرر أن يواصـل سـيره ووصـل إلى أحـد البيـوت في سـاعات الصبـاح الأولى بعـد الفجـر، وشـاهد امـرأة تخبـز عـلى الفرنيَّـة وأمـام بيتهـم سـيارة فألقـى عليهـا المجاهـد محمـود السـلام وطلـب منهـا أن يتحـدث مـع صاحـب السـيارة، وتـم إدخالـه إلى المنـزل وتنـاول مـع سـكانه طعـام الإفطـار وأخبرهـم بقصتـه وأنـه مقطـوع ويجـب أن يذهـب إلى نابلس، فأخـبره صاحـب البيـت بـأن لديـه أخًـا يعمـل سـائق تاكـسي عـلى خـط عصـيرة نابلـس، وطلـب مـن أخيـه الحضـور وصعـد معـه المجاهـد محمـود في سـيارته واتجهـا نحـو مدينـة نابلـس ولمـا وصـلا مشـارفها وجـدا آليـات عسـكرية صهيونيـة تقـف عـلى مدخلهـا، فقـررا الذهـاب إلى مدينـة جنـين، ولمـا وصـلا إلى بلـدة قباطيـة أخـذ الجـوال مـن سـائق التاكـسي واتصـل عـلى المجاهـد رائـد عبـد الجليـل المتواجـد في قباطيـة عنـد القائـد الفتحـاوي كـمال أبـو وعـر، وطلـب منـه الحضـور إليـه ليدفـع لسـائق التاكـسي الأجـرة، وانتظـرا قليـلًا حتـى قـال لـه سـائق التاكـسي بأنـه لا يريـد أجـرة السـيارة وأنـه قـد سـامحه بالمبلـغ. ودخـل حينهـا المجاهـد محمـود عـلى أحـد البيـوت مـن عائلـة سـباعنة الكـرام، وأجـرى اتصـالًا مـع كـمال أبـو وعـر وأرشـده إلى مكانهـم، ومـا أن اجتمـع بـه حتـى علـم نبـأ اعتقـال المجاهـد محمـد أبـو سـاري، ولكـن الاستشـهادي وشـنطة المتفجـرات بخـير فتواصـل حينهـا مـع المجاهـد أحمـد أبـو سـاري شـقيق المجاهـد محمـد وطلـب منـه إرسـال الاستشـهادي محمـد الرفاعـي إلى قباطيـة وأن يُبقـي عنـده الشـنطة. وهنـا وافـق أحمـد أبـو سـاري عـلى ذلـك واسـتعد أن يعمـل في صفـوف سرايـا القـدس وأن يكمـل مشـوار أخيـه المجاهـد محمـد، ولمـا وصـلا أحمـد أبـو سـاري ومحمـد الرفاعـي إلى بلـدة قباطيـة بـدأ الاستشـهادي محمـد يحـدث المجاهـد محمـود حـول اعتقـال المجاهـد محمـد أبـو سـاري فأثنـاء ذهابهـم إلى موقـع العمليـة أوقفتهـم دوريـة صهيونيـة، وطلبـوا مـن الـركاب هوياتهـم ومـا أن رأوا هويـة المجاهـد محمـد حسـين أبـو سـاري حتـى تـم اعتقالـه وعـادت السـيارة إلى طولكـرم، وبداخلهـا الاستشـهادي والشـنطة فـأي قـدر هـذا؟! وهنـا بـدأ الجيـش الصهيـوني وأجهـزة الأمـن الفلسـطينية بالبحـث عـن الاستشـهادي محمـد الرفاعـي الـذي أبلغـت عائلتـه السـلطة حـول اختفائـه، وبـدأت عمليـات البحـث عنـه في مخيـم عسـكر وبلاطـة وقـد أصر حينهـا الاستشـهادي عـلى تنفيـذ العمليـة، وأصر المجاهـد محمـود كليبـي عـلى عـودة المجاهديـن محمـد الرفاعـي ورائـد عبـد الجليـل إلى نابلـس، وفي صبـاح اليـوم التـالي انفصـل المجاهـدون عـن بعضهـم بعضًـا حيـث كان المجاهـدان رائـد ومحمـد ومجاهـد آخـر في بيـت والمجاهـد محمـود كليبـي وكـمال أبـو وعـر ومحمـد أبـو الـرب الملقـب بـ(التيـع) في بيـت آخـر. وتـم رصـد المكالمـات بـين المجاهديـن ومحـاصرة

بلدة قباطية في الساعة الثالثة فجرًا، وطلب حينها من المجاهدين عدم مغادرة قباطية إلا أن سائق السيارة في الصباح حضر إليهم وركب معه المجاهدان رائد ومحمد ووصلا إلى مشارف نابلس، وفوجئا بوجود حاجز صهيوني وعندها تم اعتقال المجاهدين، وفي ذلك الوقت أظلمت الدنيا في وجه المجاهد محمود وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وصار في حالة يُرثى لها حيث تم اعتقال محمد حسين أبو ساري الذي كان يعتمد عليه بأمور كثيرة وكان دليله لإيصال العمليات الاستشهادية واختيار المواقع والأهداف الصهيونية. وتم اعتقال المجاهد رائد عبد الجليل الذي كانت مساعدته للمجاهد محمود منقطعة النظير، وهو ابن مدينة نابلس (جبل النار) الذي آواهم ونصرهم بالإضافة إلى الاستشهادي محمد الرفاعي الذي قام بتزوير هويته حتى يبدو أن عمره فوق 18 عامًا من أجل السماح له بتنفيذ عملية استشهادية، وقام أبطال قباطية الصمود كمال أبو وعر ومحمد أبو الرب (التيّع) وآخرون بمساعدته للوصول إلى نابلس، فتنقل المجاهد محمود مرارًا وتكرارًا من بلدة قباطية إلى بلدة جبع إلى قرية عصيرة الشمالية إلى الأغوار ومن الجبال حتى وصل إلى مخيم بلاطة، وكانت نابلس مقسمة إلى جزأين ونام ليلته في مخيم بلاطة، وفي صباح اليوم التالي جاءه المجاهدان أحمد جود الله وسامح الشنيك وأوصلاه إلى البلدة القديمة، والتقى هناك أبو همام وأحمد بسيسي ورامي أبو بكر ومهند أبو عيشة وفادي البهتة، ولما أصبح وضعه مستقرًا قام بالتواصل مع منسق المحامين في حركة الجهاد الإسلامي لكي يتابع موضوع اعتقال المجاهدين الثلاثة محمد أبو ساري ومحمد الرفاعي ورائد عبد الجليل، ثم ذهب إلى بيت المجاهد رائد عبد الجليل وجلس مع أهله الكرام وأبلغهم بما حصل مع المجاهد رائد، ثم قرر أن يشتري ثلاثة أكياس من الملابس لكي يقوم الصليب الأحمر بإيصالها إلى مكان وجودهم في السجن، وذهب فيما بعد إلى مخيم عسكر ووضع مبلغًا من المال بقيمة 1500 ش في داخل مكتوب وكتب عليه "مقدم من حركة الجهاد الإسلامي" وقدمه لعائلة الاستشهادي محمد الرفاعي حتى يعلموا أن ابنهم من حركة الجهاد الإسلامي، وتطورت العلاقات فيما بعد بين المجاهد محمود وبين عائلة المجاهد محمد الرفاعي، وكان ينام في بيتهم وأحيانًا على سرير الأسير محمد الرفاعي، وأسمعوه شريط الفيديو لمحمد وهو يتلو وصيته، وأصبح فيما بعد حضور لحركة الجهاد الإسلامي في مخيم عسكر وفي مخيم بلاطة نتيجة الأخلاق العالية التي يتمتع بها مجاهدو سرايا القدس مما خلق نوعًا من الثقة بين السرايا وبين العائلات.

المرحلة الجديدة في نابلس وعسكر وبلاطة

تم إنشاء خلايا عسكرية في بلاطة ومخيم عسكر، وشراء بعض أنواع الأسلحة ومن ضمنها (قاذف لاو)، وتم التحضير لعملية عسكرية عبر استهدافهم لدورية صهيونية داخل مدينة نابلس في شارع رفيديا، رُصدت الدورية ليلًا، وكان المجاهد محمود كليبي ورامي أبو بكر ومهند أبو عيشة قد وزعوا أنفسهم على النحو التالي: المجاهد رامي أبو بكر هو الذي سيطلق القذيفة على الدورية، والمجاهد محمود والمجاهد مهند أبو عيشة سيطلقان النار عليها، ومن ثم اقتحامها، وأما أبو همام فسيقوم بتصوير الحدث، وانتظر المجاهدون كل

في موقعه وكان المطر منهمرًا، ومع كافة الاستعداد والتجهيزات إلا أن الدورية الصهيونية لم تحضر كما كان متوقعًا، فتم إلغاء العملية، واستبدالها بعملية أخرى أصر المجاهد رامي أبو بكر على تنفيذها بضرب منطقة التجميع لقوات الاحتلال في مبنى قصر الرئاسة في منطقة جنيد الذي احتلوه، وكان يضم مكاتب ودوريات وآليات ودبابات،

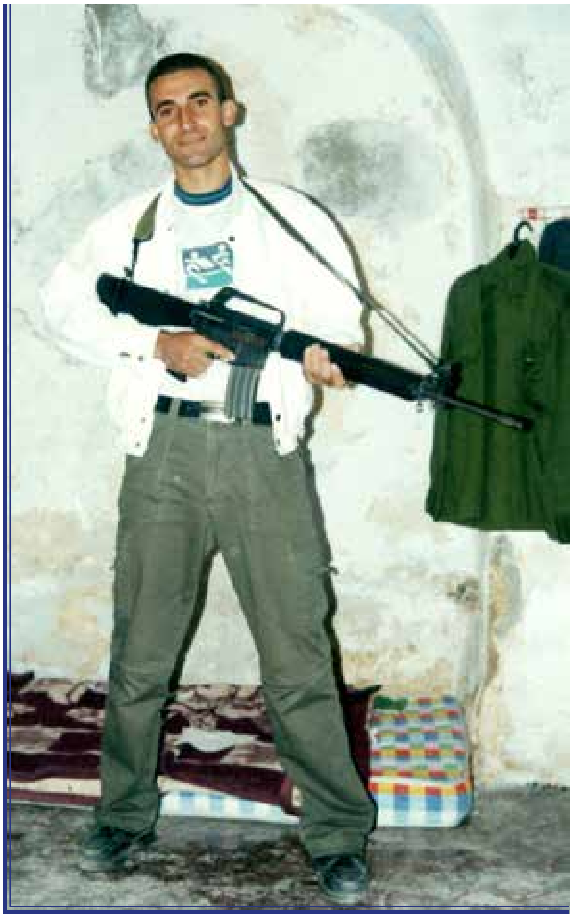

الشهيد المجاهد/ رامي أبو بكر
استشهد بتاريخ 13/ 01/ 2003م

وأصر المجاهد رامي أبو بكر على هذه العملية، وأرسل المجاهد محمود معه المجاهد فؤاد برهوش وكان بحوزتهما القاذف وقطعتان من السلاح وسيارة لنقلهما، وانطلقا من بعد صلاة المغرب نحو الهدف لتنفيذ العملية من مكان يكون فيه المجاهد رامي وفؤاد في مكان مرتفع، ويكون من تحتهم المبنى، وكانت ساحة المبنى يتواجد بها أعداد كبيرة من الجنود، وحضر إلى ذلك الموقع في وقت العملية صهريج وقود، وعندما استعد المجاهدان لتنفيذ العملية وبدأ المجاهد رامي يضغط على زر التشغيل لصاروخ اللاو، وحاول أكثر من مرة فلم ينجح، وقام بسحب الأقسام بالصاروخ إلا أن جارور الأقسام لم يعد إلى مكانه، فما أن ضغط المجاهد رامي على زر التشغيل إذا بالصاروخ ينفجر به ويحول جسده الطاهر إلى أشلاء متناثرة في كل مكان، وأصيب المجاهد فؤاد في وجهه وصدره وتوجه مسرعًا إلى مكان تواجد المجاهدين محمود كليبي وأبو همام وباقي المجاهدين وكانت الدماء تنزف من كل أنحاء جسده وألقى بنفسه على المجاهد محمود وقال له: "لقد استشهد أخي رامي"، وكان يبكي كثيرًا، فحمله المجاهدون وأرسلوه للمشفى لتلقي العلاج، ومن ثم وضع في شقة آمنة، وأغلقت حينها قوات الاحتلال الصهيوني المنطقة وعلقت وسائل الإعلام الصهيونية على هذه العملية قائلة إنه لو تمت هذه العملية لوقعت كارثة حقيقية في صفوف الجنود الصهاينة لكونهم يتجمعون في الساحة بالإضافة إلى وجود الصهريج في المكان، وبعد عدة أيام قاموا بإخلاء المبنى لسقوطه من الناحية الأمنية لطبيعة وجوده في منطقة منخفضة وتطل قرب جبال جنيد، وكان لابد من قيام قادة وكوادر سرايا القدس بالتحقيق في هذا الحادث، وتم وضع عدة فرضيات وسيناريوهات لاستشهاد المجاهد رامي، منها أن القاذف بالأصل مفخخ وأن الاحتلال قد زود تجار السلاح بصواريخ اللاو وهي مفخخة حتى تنفجر في قادة وكوادر المقاومة حيث

أن القيادي في سرايا القدس الشهيد خالد زكارنة حدث معه نفس حادث المجاهد رامي، وتم وضع فرضية أخرى منها أن المجاهد رامي عندما سحب الأقسام للصاروخ كان من المفروض أن تعود إلى ما كانت عليه وأنه قام بإطلاق الصاروخ قبل عودة الأقسام ولذلك حدث الانفجار في الصاروخ، إلا أنه في نهاية الأمر تم ترجيح أن الصاروخ مفخخ.

الإعداد لعملية التصنيع

قام المجاهد محمود كليبي بشراء كمية كبيرة من المواد الخام من مادة النيتريك والكبريتيك والأستون وأيضًا اشترى جهازًا للتقطير، بالإضافة إلى السماد والأواني الزجاجية الخاصة لذلك، وتم إنشاء معمل لتصنيع المتفجرات في مدينة نابلس، وإجراء بعض التجارب على هذه المواد، واستدعاء بعض المجاهدين من أماكن مختلفة ليحصلوا على دورات تدريبية في عملية التصنيع حيث تم نقل المجاهد زاهر الأشقر من مدينة طولكرم إلى نابلس لتعليم تصنيع المتفجرات، وكذلك فعل المجاهد فؤاد برهوش وأرسل قائد سرايا القدس في بلدة قباطية في جنين مجاهدًا آخر إلى نابلس لنفس الهدف.

وبدأ المجاهد محمود كليبي في تعزيز التعاون والتنسيق بين المناطق، والتقى بالقائد الكبير إياد صوالحة في جنين وعرفه على المجاهد محمد أبو طبيخ وعلى المجاهد طارق عز الدين وعرض حينها على المجاهد إياد فكرة تنفيذ عملية في منطقة برقة على الخط الالتفافي الذي تمر من خلاله حافلات صهيونية تقل المستوطنين، فيتم تفخيخ جيب يقوده الاستشهادي ويدخل بين الباصات ويفجر نفسه إلا ان أمورًا أمنية تطورت في ذلك الوقت منعت حدوث هذه العملية.

الشهيد القائد/ إياد صوالحة
استشهد بتاريخ 09/ 11/ 2002م

وكان هنالك لقاء آخر جمع بين المجاهدين محمود وإياد بحضرة القائد والمعلم نعمان طحاينة في أحد مساجد جنين، وانتقل بعدها المجاهد إياد إلى إحدى الشقق وناموا لمدة ليلتين بهذه الشقة وفي اليوم التالي قاموا بتصنيع المتفجرات من نوع مادة اليوريا لمدة أسبوع. وفي أحد الليالي وبعد تناول العشاء أشار إليه المجاهد إياد بضرورة أن يكون للمجاهد محمود خط تواصل مع القيادة في الخارج بشكل مستقل إلا أنه رفض ذلك؛ لأنه كان على اتفاق تم في نابلس مع المجاهدين أبو همام وأبو حمزة حيث كان لديهم مشروع توحيد الخطوط، ولكن كان للمجاهد إياد رأي آخر حول ضرورة أكثر من خط للتواصل من أجل تحقيق المنافسة الإيجابية في العمل الجهادي، وفي أحد الأيام اتصل به المجاهد إياد وقال له إن الأوضاع الأمنية صعبة ويوجد طائرات استطلاع في سماء جنين، ولذلك يجب الخروج من شقتهم

في جنين نحو مكان آمن، وبالفعل توجه المجاهدان بسيارتهما نحو مشفى جنين وجلسا داخل السيارة، وسمعا صوت إطلاق النار والقذائف وصوت الآليات، فخرجا من السيارة ودخلا إلى المشفى والتقيا هناك بالشيخ شريف طحاينة وتنقلا من بيت إلى آخر حتى وصلا إلى أحد البيوت الآمنة وانتظرا حتى ساعات الظهيرة، وانسحب الجيش الصهيوني من جنين، ولما أن عادا إلى شقتهما إذا بها قد تعرضت للقصف بعدة صواريخ من كل الجهات فما كان أمامهما سوى الذهاب إلى البلدة القديمة في جنين واستقبلهما القائد المعلم نعمان طحاينة، ثم انتقل المجاهد محمود إلى بلدة الزبابدة والتقى بشباب هناك كانوا يدرسون في الجامعة الأمريكية حيث درسوا معًا اللغة الإنجليزية، وخاصة المجاهد عبد القادر الدعمة الذي استشهد فيما بعد وحصل تعاون فيما بينهم في موضوع تصنيع المتفجرات.

واستمرت مرحلة التصنيع واستخدام المواد في العمليات ضد المحتل الصهيوني، وتمكن المجاهد فهد صوالحة من إعداد عبوة ناسفة ومعه المجاهدان الآخران ونقلها للمجاهد خليل مرشود أحد أهم قادة كتائب شهداء الأقصى في مخيم بلاطة، وتم تزويده بالسلاح وكان قد رصد هدفًا صهيونيًا عند شارع الحسبة، وتم بالفعل تفجير العبوة بالدورية كما أدى إلى إعطابها.

وبدأ أبطال ومجاهدو سرايا القدس ينشطون في مواجهة العدو الصهيوني عبر الاشتباكات المسلحة وعبر زراعة العبوات الناسفة حيث إن المجاهد البطل سامح الشنيك الجريء الذي كان يلاحق آليات الاحتلال الصهيوني ويرميها بالقنابل اليدوية، والمجاهدين الفارسين أحمد جود الله وعلاء خضرية اللذين كانا يسهران الليل بانتظار اصطياد الجنود الصهاينة الراجلين من دورياتهم، وكان يشاركهما ملاك سرايا القدس البطل المجاهد أمين بشارات، وهناك دور بارز للمجاهدين مهند أبو عيشة وأحمد بسيسي وفهد صوالحة؛ إذ كان المجاهد فهد من أهم المجاهدين في نابلس لخبرته وحنكته العسكرية.

استشهاد المجاهدين أحمد وعلاء

وبينما كان المجاهدان أحمد جود الله وعلاء خضرية في حي رأس العين في نابلس وفي داخل أحد صالونات الحلاقة جاءت سيارة بداخلها عدد من الوحدات الخاصة الصهيونية وأطلقت النار باتجاه المجاهدين واستشهدا على الفور بتاريخ 27/ 10/ 2002م،

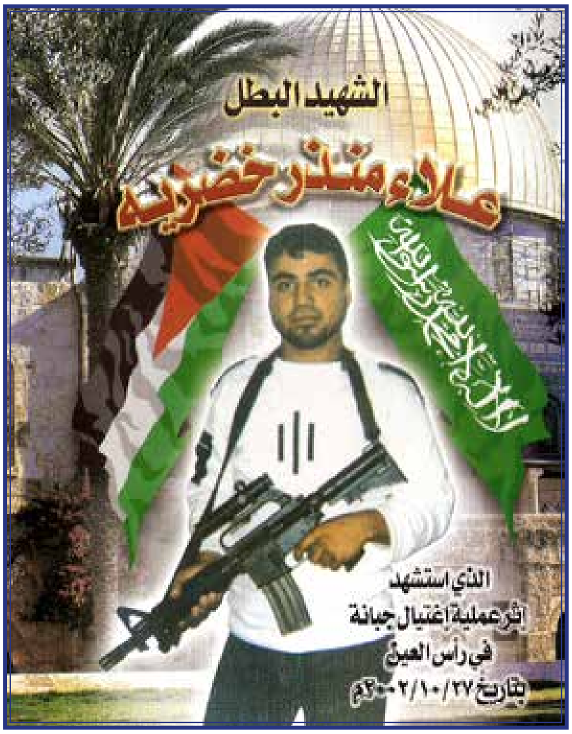

وأجهزوا مرة أخرى على الشهيد أحمد وهو بداخل سيارة الإسعاف ليتأكدوا من مقتله، فخرج قادة

وكوادر سرايا القدس مشيعين الشهداء الأبرار، وفي اليوم الثالث للعزاء تم إقامة مهرجان حاشد في مدينة نابلس وألقى كلمة الجهاد الإسلامي الشيخ الجليل يوسف العارف (أبو مالك) رحمه الله، وكان حضوره وإلقاؤه لكلمة الجهاد حدثًا كبيرًا ووقعًا خاص في قلوب المجاهدين ونفوس الناس، وقام بإلقاء كلمة السرايا المجاهد أحمد بسيسي وتحدث فيها عن مناقب الشهداء الأبرار، حيث كانت عائلة المجاهد أحمد جود الله عائلة مميزة جدًا، وفي أحد الأيام طلبت والدة الشهيد أحمد جود الله مقابلة المجاهد محمود كليبي لكونه رفيق درب ابنها الشهيد أحمد، وقالت لابنها عبد الله بأن يحضر لها (الطهبوب) والطهبوب هو لقب المجاهد محمود كليبي والذي أطلقه عليه المجاهد إياد صوالحة، وبالفعل اجتمع المجاهد محمود بعائلة أحمد جود الله في منزلهم وتوطدت العلاقة معهم، ولشدة حب أم أحمد لولدها الشهيد اختارها الله شهيدة عندما خرجت من نابلس لتفتح الطريق للاستشهادي الحمساوي أيمن الحناوي حيث استشهدت واستشهد الاستشهادي معها، وتم اعتقال ابنها عبد الله.

عبوات وعمليات

أما في طولكرم فقام المجاهدون فهد صوالحة وأحمد أبو ساري وفؤاد برهوش بتحضير عدة عبوات ناسفة، وتم استخدام إحداها في دورية صهيونية عسكرية قام بتنفيذها المجاهد عمر أبو عمشة في ضاحية شويكة، وكانت العبوة موصولة بهاتف جوال وفجّرت العبوة في الدورية إلا أن الإصابة لها لم تكن مباشرة. وحتى بلدة طمون في جنين تم تزويدها بعبوة ناسفة أشرف على تفجيرها المجاهد الشهيد أمين بشارات، وتطور الأمر فيما بعد لتجهيز شنطة متفجرات ناسفة تعمل عن طريق الهاتف، وكان الهدف محل (بلياردو) في منطقة "نتانيا" وقام المجاهد شادي قرعان بإيصال العبوة، وتم تعليمه كيفية ربطها بالسلك وما أن يصل إلى الموقع يجري اتصال بالمجاهد محمود ويعطي الإشارة للتفجير بعد أن ينسحب من المكان، وبعد أن استقبل المجاهد محمود الإشارة قام بمحاولة تفجير العبوة إلا أنها لم تنفجر حيث على ما يبدو حدث انقطاع في التيار الكهربائي للعبوة، مما جعل وحدات المتفجرات الصهيونية تقوم بتفكيك هذه العبوات، وأعلن الجيش الصهيوني اكتشاف عبوة ناسفة في مدينة "نتانيا"، وتم تفكيكها وتزن خمسة عشر كيلو غرامًا، وازداد حينها الطلب على العبوات الناسفة في معظم المناطق، ونجح المجاهد محمود بإيصال عدة عبوات غازية إلى قرية صيدا واستلمها منه المجاهد زاهر الأشقر ورائد عجاج.

التحضير لعملية مزدوجة في حيفا

بدأ التحضير لعملية مزدوجة في مدينة حيفا المحتلة حيث علم المجاهد محمود أن هناك شابًا اسمه إياد حرب من سكان مخيم بلاطة يريد مقابلته، وهذا الشاب تربطه بالمجاهد محمود علاقة صداقة طيبة حيث كان يتردد عند أقاربه في طولكرم، وهو قريب المجاهد نمر خليل، وطلب منه أن يساعده في تنفيذ عملية استشهادية، فجاء رد المجاهد محمود حينها بالرفض، لكون المجاهد إياد له أخ شهيد هو خليل استشهد في بداية الانتفاضة، وأن عائلة حرب قدمت الكثير من الأسرى والشهداء إلا أن المجاهد إياد أصر على تنفيذ العملية مشيرًا إلى أنه إذا رفض المجاهد محمود فإنه سينفذ العملية لوحده بواسطة

السكين، وبدأ يطلب من المجاهدين التدخل لإقناع المجاهد محمود بالموافقة بحجة أن المجاهد محمود قد مكنه الله من مسئولية سرايا القدس ولديه الخبرة والإمكانية وليس من حقه أن يمنع أحدًا من الجهاد والاستشهاد، وشرح الله صدر المجاهد محمود حينها وبنفس الوقت قام المجاهد فهد صوالحة بتجنيد الاستشهادي مصطفى حنني من بلدة بيت فوريك، ونعم الشابان، ويقول المجاهد محمود إنه لم ير مثلهما في سعادتهما وفرحهما باستعدادهما للعملية، فكانا قمرين مؤمنين واعيين مدركين لطبيعة الصراع الفلسطيني الصهيوني، تركا في قلب المجاهد محمود ذكرى وما أجملها من ذكرى، وبدأ المجاهدون بتجهيز حزام ناسف وشنطة متفجرات وبعد إعدادها بطريقة مهنية عالية، قام المجاهد مهند أبو عيشة بتصويرهما في إحدى الشقق وهما يقرآن وصيتهما،

الاستشهاديان/ مصطفى حنني (يمين) وإياد حرب
استشهدا معاً بتاريخ 07/ 11/ 2002م

وكانا مبتسمين ويتحدثان بدون تلعثم يذكر، ويحملان السلاح وقذائف الهاون، ولا يزال يتذكر المجاهد محمود عندما كان المجاهد مهند أبو عيشة يصور الاستشهاديين، كان الاستشهادي إياد حرب يغامز المجاهد محمود أثناء التصوير وكذلك المجاهد مصطفى، مذكرين المجاهد محمود يوم أن رفض إنزالهما لعملية استشهادية، وبعد التصوير قام المجاهد محمود بإعطاء الاستشهاديين مبلغًا من المال وذهبا إلى صالون الحلاقة واشتريا ملابس جديدة، ثم عادا إلى المنزل الذي يتواجد فيه المجاهدون وعندها قاما بتسليم حاجاتهما وأماناتهما ومحفظاتهما للمجاهد محمود الذي سلمها للمجاهد فهد صوالحة ليوصلهما إلى الدليل لكي يوصلهما إلى حيفا، وكانت التعليمات إن حصل أي خطر أو إشكالية فورًا يتم إلغاء العملية، مع العلم أن المجاهد إياد أبلغ المجاهد محمود أنه لن يعود في أي حال من الأحوال، وانطلقا مع المجاهد فهد الذي ذهب ليتابع مع المجاهد الذي سيوصل الاستشهاديين إلى حيفا، ووصل البطلان الاستشهاديان إلى منطقة قريبة من حدود الخط الأخضر قرب قرية كفر قاسم وانتظرا هناك إلا أن الذي سيوصلهما تأخر عن الموعد وذلك لعدة أسباب حسب ما أفاد به المجاهد فهد حيث إن الذي سيوصل البطلين كان قد أوقفته الشرطة الصهيونية، وهنا قام المجاهد فهد بنقل هذه التفاصيل إلى المجاهد محمود وأعطى حينها تعليماته للمجاهد فهد بأن يتواصل مع الاستشهاديين وأن يعودا إلى نابلس، وذلك بعد أن يقوما بإخفاء المتفجرات في مكان ما، وأن يعودا بشكل طبيعي، لكنهما رفضا هذه التعليمات، وعادا والمتفجرات على جسديهما، أحدهما يحمل الحزام الناسف والآخر يحمل شنطة المتفجرات، وعندما وصلا إلى منطقة تُسمَّى جيت الواصلة بين قلقيلية ونابلس صادفتهما دورية صهيونية طيارة (ليس حاجزًا دائمًا) على المفرق، وعندما أشارت الدورية لهما بالتوقف خرج الاستشهادي إياد حرب راكضًا إليهم وفجر نفسه بالدورية، ثم لحق به الاستشهادي

مصطفى حنني وفجر أيضًا نفسه بها، وفي هذه الأثناء تواجد المجاهد محمود في البلدة القديمة بعد صلاة العشاء منتظرًا معلومة أو خبرًا عن عودة الاستشهاديين لاسيما أن الاتصال معهما قد انقطع، فإذا بخبر هذه العملية على القنوات الصهيونية يظهر الآليات العسكرية وسيارات الإسعاف والشريط اللاصق وكانوا يتحدثون عن قوة الانفجار ولاسيما أن العملية مزدوجة، وعندما سمع المجاهد محمود هذا الخبر ذرف الدموع وكان في حالة عصيبة، فقد تذكر كلماتهما وابتساماتهما وغمزاتهما، وكان في حالة انهيار تام وبدأ حينها المجاهدون من حوله أبو همام ومهند أبو عيشة وأحمد بسيسي يهدؤونه ويصبرونه.

ترتيبات جديدة

وفي اليوم التالي تواصل المجاهدون مع قيادة الحركة في الخارج وأبلغوها بما حدث بالتفاصيل وأن هذه العملية التي وقعت في 07/ 11/ 2002م مسئولة عنها سرايا القدس، وأرسل المجاهد محمود أمانات وأغراض وأشرطة الفيديو الاستشهاديين لعائليتيهما. وكان لابد بعد كل تلك الأحداث من عقد اجتماع لدراسة الأحوال الأمنية والتنظيمية، وتم نقاش مسألة فصل الخطين عن بعضهما أي إعادة كل مدينة لوحدها كما السابق أي طولكرم ونابلس، وتم الاتفاق بين كافة المجاهدين على ذلك.

وبدأ حينها المجاهد محمود بترتيب أموره وأغراضه هو والمجاهد فهد صوالحة الذي تمكن من وداع أهله وأمه في مخيم بلاطة، وكان ذلك قبل العيد بأيام، ومن ثم توجها إلى طولكرم بعد أن أغلقا أجهزة البلفونات، ووصل المجاهد محمود إلى شويكة وسلم على أهله وعلى والدته،

الأسير المجاهد/ فهد صوالحي
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 14/ 02/ 2003م

ومن ثم توجه إلى المجاهدين في قرية صيدا وسلمهم قطعة سلاح من نوع كلاشينكوف كان قد اشتراها من نابلس مع قطعة أخرى، والتقى حينها بالمجاهد زاهر الأشقر وتحدث معه عن ترتيب الأمور في طولكرم، واتفقا على إنشاء معمل لتصنيع الصواريخ، ومن ثم غادر المجاهد محمود إلى طولكرم وكان لديهم في ذلك الوقت شقة لتصنيع المتفجرات يُشرف عليها المجاهد فؤاد برهوش، وبدأ المجاهد محمود يجري اتصالاته مع معظم المجاهدين الذين يعرفهم سابقًا حيث تواصل مع المجاهد أحمد أبو ساري وسلمه قطعة سلاح من نوع كلاشينكوف، وتم استئجار شقة للمجاهدين محمود وفهد صوالحة، وبدأ الإعداد والتحضير لعملية جديدة عبر سيارة مفخخة عن طريق التايمر، وبدأوا بالإعداد والتحضير لصناعة حزامين ناسفين، وكان هذا المشروع في بدايته الأولى وكانوا على تنسيق دائم مع المجاهد إبراهيم سلامة من بلدة جبع في جنين، وما أن حل المساء حتى وجد المجاهدون أنفسهم محاصرين من كل مكان، والجيش الصهيوني أغلق مدينة طولكرم ومخيمها

وتـم محاصرة العـمارة التـي يتواجـد بهـا المجاهـدون وكانـوا في الطابـق الثالـث وكانـت الوحـدات الخاصـة الصهيونيـة تحـاول اقتحـام العـمارة وشـقة المجاهديـن، واسـتعد المجاهـدون لهـذا الاقتحـام رغـم أنهـم لا يملكـون الذخـيرة الكافيـة ولا المتفجـرات كـون الشـقة جديـدة وكـون مشروعهـم الجديـد في بداياتـه، وانتظـر حينهـا المجاهـدون لمـدة سـاعتين أو ثـلاث، ولم يتـم الاقتحـام وقـام الجيـش الصهيـوني بضربهـم بالقذائـف، وتـم إدخـال الجرافـة الصهيونيـة إلى الطابـق الأرضي، وفي هـذه الأثنـاء قـام الإخـوة المجاهـدون أحمـد أبـو سـاري ونمـر خليـل وسـعيد البنـا ومجاهـدون آخـرون مـن كتائـب القسـام محاولـين فـك حصارهـم دون جـدوى، وكانـت العائـلات لا تـزال داخـل شـققها في العـمارة والتـي تتكـون مـن ثمانيـة طوابـق، وعندهـا لم يكـن عنـد المجاهديـن إلا خيـار واحـد وهـو النـزول مـن الشـقة والحفـاظ عـلى حيـاة العائـلات والأطفـال في داخـل العـمارة وتـم اعتقالهـم بتاريـخ 14/ 02/ 2003م والتحقيـق معهـم ميدانيًـا، وتقييدهـم ووضـع العصبـة عـلى عيونهـم، ومـن ثـم تـم نقـل المجاهـد محمـود كليبـي إلى تحقيـق الجلمـة بينـما تـم نقـل المجاهـد فهـد صوالحـة إلى تحقيـق بيتـاح تكفـا، وأمضى حينهـا المجاهـد محمـود أكثـر مـن ثلاثـة أشـهر في التحقيـق ليبـدأ بعدهـا مشـواره الجهـادي الجديـد في سـجون العـدو الصهيـوني، وليحكـم عليـه بالمؤبـد إضافـة إلى ثلاثـين عامًـا، ورغـم ذلـك لم يفـت السـجن في عضـد هـذا المجاهـد الكبـير فعلـم أن الإنسـان يجـب أن يبقـى دائـمًا شـعاره كـما قـال تعـالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]. ولذلـك حـرص عـلى الإقبـال عـلى العلـم وأهـل العلـم، وتمكـن مـن الحصـول عـلى شـهادة البكالوريـوس في علـم التاريـخ بالإضافـة إلى حصولـه عـلى شـهادات عديـدة في دورات علميـة وثقافيـة ودينيـة في السـيرة والعقيـدة والفقـه والحركيـات بالإضافـة إلى دورة في التنميـة البشريـة بمعـدل 65 سـاعة وقواعـد اللغـة العربيـة بمعـدل 70 سـاعة، بالإضافـة إلى تمكنـه مـن اللغـة العبريـة بكافـة مسـتوياتها الأربـع بمسـتوى جيـد جـدًا، ودورة في العلاقـات الدوليـة والعلـوم السياسـية والصهيونيـة، ولا يـزال حتـى هـذه اللحظـة يـصر عـلى الحصـول عـلى بكالوريـوس آخـر مـن جامعـة القـدس المفتوحـة في تخصـص الاجتماعيـات، ومـع كل تلـك الانجـازات العلميـة والثقافيـة لم يكـن ليبخـل عـلى إخوانـه في خوضـه معهـم الخطـوات التصعيديـة ضـد مصلحـة السـجون فشـارك في إضراب العـام 2004م ومعظـم الإضرابـات الأخـرى،

STATE OF PALESTINE
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA
CERTIFICATE
دولة فلسطين
شهادة

وتعـرض للعـزل الانفـرادي نتيجـة اتهامـه إلى جانـب أبنـاء غرفتـه في سـجن جلبـوع بمحاولـة حفـر نفـق مـن أسـفل الغرفـة للهـروب مـن السـجن، فـكان ولا يـزال يحظـى بمحبـة معظـم الأسرى والمعتقلـين مـن كل الفصائـل الفلسـطينية لدماثـة أخلاقـه العاليـة وأدبـه القـرآني المحمـدي ولتفانيـه في خدمـة إخوانـه في حركـة الجهـاد الإسـلامي في سـجون الاحتـلال ليتبـوأ العديـد مـن المناصـب التنظيميـة داخـل السـجون إلا إن إيمانـه بـالله ـعز وجلـ جعلـه عـلى قناعـة راسـخة أن فجـر الحريـة قـادم وأنـه سـيجتمع مـع عائلتـه عـما قريـب إن شـاء الله.

الأسير المجاهد

أنور عمر حمدان عليان

المجاهد الذي عرف قيمة الوعي والتنظيم

تاريخ الميلاد: 1976/12/27م

الحالة الاجتماعية: متزوج وله ولدان توأم

مكان السكن: مخيم نور شمس – محافظة طولكرم

عدد أفراد العائلة: 12

تاريخ الاعتقال: 2003/04/04م

الحكم: 23 عاماً

نحن أمام رجل ذي همة عالية، عشق فلسطين فكانت انشغاله الأول، وقاتل على جبهة الإيمان والوعي قبل الثورة، وترك بصمات مشرقة في مسيرة الجهاد الإسلامي، وكان له دور بارز في بناء هيكلية الحركة في منطقة طولكرم ومعه العديد من القادة والكوادر التي وصلت إلى قمة مجدها، ولا تزال حزينة كئيبة بفقدها لأبطال الجهاد الإسلامي من الذين قال الله فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]. رجلنا هو المجاهد القائد أنور عمر حمدان عليان.

مولده وجذور عائلته

وُلد الأسير القائد أنور عمر حمدان عليان في مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم بتاريخ 27/ 12/ 1976م من عائلة طُردت وهُجِّرت قسرًا من قريتي الريحانية وأم الزينات قضاء حيفا، بعد أن احتلتها العصابات الصهيونية أثر النكبة الفلسطينية عام 1948م، فوالده ينحدر من قرية الريحانية التي تبعد عن مدينة حيفا 25 كيلو مترًا، وتنهض في قمة في منطقة كثيرة التلال والجاثمة على أنقاضها مستعمرتا "رمات هشوفيط" و"عين هعيمك". ووالدته التي تربطها صلة قربى بوالده تنحدر من قرية أم الزينات

التي تبعد عن حيفا 20.5 كيلو مترًا، وتنتصب على جرف صخري في الجزء الجنوبي الشرقي من جبل الكرمل، وتشرف على بلاد الروحاء، والجاثمة على أنقاضها مستعمرة "ألياكيم"، وقد احتلت عصابة الهاغاناة القريتين عقب سقوط حيفا في 22 أبريل (نيسان) 1948م، في سياق عملية "بيعور حميتس" (التطهير في عيد الفصح)، بعد معارك ضارية تحولت فيها منازل القريتين إلى أنقاض يتبعثر ركامها في أرجاء الموقع بسبب اتباع سياسة الأرض المحروقة وأيديولوجيا الهدم وثقافة الركام مما اضطر السكان إلى مغادرة بيوتهم للنجاة بأنفسهم وأطفالهم ولجوئهم إلى مخيم جنزور لإيواء اللاجئين بصورة مؤقتة بالقرب من مثلث الشهداء في جنين، عاشوا فيه وسط الجوع والمهانة وذاقوا عذاب الغربة وذل اللجوء قبل أن ينتقلوا إلى مخيم نور شمس ويستقروا فيه، ومازالت هناك شواهد عمرانية وأثرية تحكي قصة الأرض والقريتين وأخرى بشرية شاهدة على المجازر رغم محاولة إخفاء آثار الجريمة لكيان متعطش للدم جاء بالقتل والتهجير والدمار.

عيون الماء في قرية الريحانية المُهَجَّرة في نكبة العام 1948م

عائلته نموذج للوحدة الإسلامية

ينتمي المجاهد أنور لعائلة مجاهدة ضربت أروع الأمثلة في الصبر والتضحية والجهاد والدفاع عن الوجود الفلسطيني، فلم تبخل على دينها ووطنها بعطائها المتواصل على مراحل الانتفاضات المتلاحقة حتى أضحى جهاد أبنائها منارًا للأجيال القادمة، فابنها أحمد الذي شارك بشكل سري في العمل المقاوم إلى جانب أنور في انتفاضة ثورة المساجد عام 1987م، منذ اندلاع شرارتها الأولى نفذ عملية استشهادية في مدينة "نتانيا" بتاريخ 04/ 03/ 2001م، في انتفاضة الأقصى فصرع خمسة مستوطنين وجرح 73 منهم في حالات خطرة، وقد تبنت العملية كتائب القسام والتي جاءت في إطار العهدة العشرية التي أعلنت عنها الكتائب للرد على المجازر الصهيونية، وكان الشهيد أحمد مؤذنًا في مسجد أبو عبيدة، ومنشدًا في فرقة الأنصار الإسلامية ومقرئًا للقرآن الكريم حيث كان يمتلك صوتًا شجيًا قلَّ نظيره، فصال وجال في أنحاء الوطن لإحياء الحفلات والمهرجانات الدينية والوطنية منذ الانتفاضة الأولى، وقد ترعرع أحمد وأنور في المساجد منذ نعومة أظفارهما، وكانت روح الجهاد تسري في شرايينهما، كما أن المجاهد أنور تعرض للمطاردة من قبل الاحتلال في انتفاضة الأقصى لأكثر من عامين لدوره البارز في سرايا القدس ومقاومة الاحتلال. وأصيب مرتين بجراح إحداهما في محاولة اغتيال فاشلة، مما جعل الاحتلال يفرغ حقده اللامحدود على هذه العائلة التي أذاقت العدو مرارة الموت الزؤام بهدم منزلهم عام 2002م. وبذلك شكلت

تلك العائلة أحد أكبر رموز المعاناة الفلسطينية وأصبحت نموذجًا لعزة الإنسان وكرامته وسنتناول كل ذلك بالتفصيل لاحقًا.

لمخيم نور شمس أثر بالغ في صقل شخصية أنور الثورية

مخيم نور شمس ذو تنوع طبوغرافي بين الوادي والجبل والسهل، ويبعد عن مدينة طولكرم مسافة ثلاثة كيلو مترًا إلى الشرق، وكان له أثر بالغ في صقل شخصية المجاهد أنور كونه أحد قلاع الجهاد، ومصنع المناضلين والثوار منذ إنشائه وعلى مراحل الانتفاضات المتلاحقة، فمنه تخرج كثير من قادة شعبنا ومجاهديه، وكان له الشرف في خوض معركة يوم الأرض الخالد في 30/ 03/ 1976م على أثر مصادرة الاحتلال أكثر من 21 ألف دونم من أراضي عرابة البطوف وسخنين ودير حنا وعرب السواعد ضمن مشروع تهويد الجليل في أرضنا المحتلة عام 1948م، فقدم الشهيد رأفت الزهيري أثناء مشاركته في الهبة الجماهيرية بمدينة الطيبة في المثلث للدفاع عن الوجود الفلسطيني في الداخل بتاريخ 30/ 03/ 1976م، وفي بداية الثمانينات ارتقى إلى علياء المجد والخلود الشهيد نجيب أبو شعلة أثناء مقاومته الاحتلال.

وفي الانتفاضة الأولى عام 1987 كان لمخيم نور شمس دور بارز في مقاومة الاحتلال منذ اللحظة الأولى التي انفجر فيها بركان الغضب الفلسطيني فقدم عددًا من الشهداء ومئات الجرحى والأسرى.

وفي انتفاضة الأقصى المباركة عام 2000م، ضرب المخيم أروع الأمثلة في الوحدة والتضحية والصمود، بل كان الملهم والمحرك للجهاد والنضال الفلسطيني لإدراكهم بأن المخيمات هي أصل الحكاية وجوهر الصراع وأحد أكبر الشواهد الحقيقية على نكبة الشعب الفلسطيني، وكان لذلك أثر بالغ في التثوير، واحتلت سرايا القدس موقعًا متقدمًا في المقاومة إلى جانب كتائب القسام وكتائب شهداء الأقصى.

وبلغ قمة العطاء في العملية الاستشهادية التي نفذها الاستشهادي القسامي أحمد عمر عليان في مدينة "نتانيا" بتاريخ 04/ 03/ 2001م، وعملية السيارة المفخخة التي انفجرت عن بعد في مدينة "نتانيا" الصهيونية في العام 2001م، وأسفرت عن إصابة العشرات من المستوطنين، والمسئول عن إيصالها الأسيران العضوان في سرايا القدس عمار ياسر قزموز المحكوم 23 عامًا، وبهاء الشبراوي المحكوم (35 عامًا)، والعمليات النوعية والجريئة التي تنوعت بين تفجير العبوات الناسفة وإطلاق النار في مختلف منطقة طولكرم، والمسئول عنها القائد في سرايا القدس أنور عليان، وعمليات الشهيد القائد في سرايا القدس أشرف البردويل الذي استشهد في 07/ 06/ 2001م، التي تنوعت بين

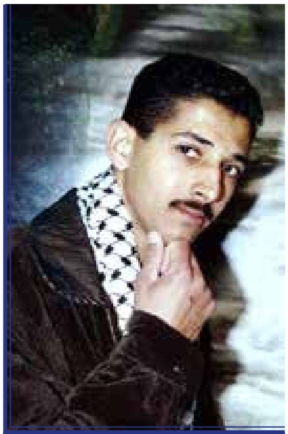
الاستشهادي / عمر عليان
استشهد بتاريخ
04/ 03/ 2001م

إطلاق النار وتفجير العبوات الناسفة، ودوره البارز في عملية السيارة المفخخة التي أرسلها المجاهدان عمار قزموز وبهاء الشبراوي في "نتانيا"، وقد أصاب العدو في مقتل في عدد من عملياته البطولية.

وكذلك الدور الذي قام به الأسير المحكوم بالمؤبد أديب أبو الرب لإيصال الاستشهادي عبد السلام حسونة للرد على اغتيال قائد شهداء الأقصى في طولكرم رائد الكرمي، وهذا غيض من فيض ونقطة في بحر من جهاد ونضالات مخيم نور شمس في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني.

فقد قدم مخيم نور شمس العديد من الشهداء قديمًا وحديثًا، ومنهم الشهيد نجيب أبو شعلة في بداية الثمانينات، ثم شهداء انتفاضة الحجارة ومنهم: (ناصر أحمد الجندي، جهاد حسين زغرد، عبد القادر يوسف شبراوي، تيسير جمعة أبو غليون، إياد نمر الصباح، ناصر علي أبو عيشة، أبو طه أبو سمن، الحاج مصطفى عبد الله الأشقر).

ملامح شخصيته القيادية

ربما لا تعرف الأجيال الصاعدة بصماته المشرقة التي تركها في مسيرة الجهاد الإسلامي، والجهد العظيم الذي بذله من أجل نهضتها في كافة المجالات السياسية والاجتماعية والعسكرية؛ فقد تميز بشخصية فذة لا تعرف النكوص ولا الملل ولا التراجع، وجمع بمقدرة عالية بين القائد السياسي والعسكري، وقد برزت لديه حالة وعي بضرورة إحداث نهضة عامة في الحركة، تنضبط فيها البنية الهرمية للقيادة والقاعدة في إطار منظم وتسلسل حسب الكفاءة والتخصص، ولم يكن همه قيادة الحركة بقدر ما يهمه وحدتها وسلامتها واستنهاض طاقاتها وإيجاد بيئة اجتماعية حاضنة لها؛ إذ كان يفهم طبيعة الصراع مع العدو الصهيوني تاريخيًا ودينيًا وسياسيًا وواقعيًا، ويدرك حقيقة متطلبات كل مرحلة، فقلما تجد إنسانًا يتمتع بهذه القدرات الهائلة لمواجهة التحديات ويمتلك قوة الإرادة والإدارة الحكيمة التي تعرف كيف تدير الصراع، وكيف تواصل الجهاد، ويتمتع بشعلة من النشاط وكتلة ضخمة من الطاقة ومصداقية عالية. حتى أصبح يردد دومًا مقولته الشهيرة: "لن ننتصر أمام العدو الصهيوني إلا إذا وضعنا استراتيجية كاملة وشاملة ومنظمة واضحة في آلياتها وأهدافها".

لذلك كان هدفًا للاعتقال من قبل جهازي المخابرات والوقائي التابعين للسلطة الفلسطينية في أواخر عام 2001م، وهو المعتقل السياسي الوحيد من مخيم نور شمس في سجون السلطة إلى جانب المعتقلين السياسيين الشهيد القائد رياض بدير والأسير القائد محمود كليبي والأسير القائد نمر مسكاوي وهما من مخيم طولكرم ومحمود عبد القادر من قرية رامين بطولكرم، وقد نجوا جميعًا بأعجوبة من قصف طائرات (F16) في مقاطعة طولكرم بداية عام 2002م.

أهم مراحل تشكيل شخصيته الجهادية

أولًا: مرحلة الطفولة

منذ أن كان طفلًا شاهد مفتاح منزل أسرة جده التي طُردت وهُجِّرت قسرًا على يد العصابات الصهيونية، وسمع من والديه عن بيتهم الوادع

الجميل وأراضيهم الشاسعة في قريتي أم الزينات والريحانية قضاء حيفا التي سلبت منهم ظلمًا وعدوانًا، فولد لديه إحساس بروح الثائر والانتقام منتظرًا الفرصة السانحة لذلك، وورث من والديه مفاتيح بيوتهم المهجرة التي لم تصدأ أملًا في أن يعود إليها يومًا من الأيام فاتحًا بعزة وكبرياء وشموخ.

ثانيًا: انتفاضة الحجارة 1987م

منذ اليوم الأول الذي انفجر فيه بركان الغضب الفلسطيني الذي أشعل فتيله عملية دهس العمال الفلسطينيين الأربعة بمقطورة يقودها أحد المستوطنين مساء يوم الثلاثاء 08/ 12/ 1987م وعلى أثرها امتد لهيب الانتفاضة من مخيم جباليا إلى أنحاء فلسطين؛ ليتوحد الدم والكفاح الفلسطيني على امتداد الوطن، وما أن وصلت شرارتها إلى مخيم نور شمس حتى انضم المجاهد أنور وشقيقه الاستشهادي أحمد للمقاومة من قلب المساجد التي نشآ وترعرعا فيها، وتصديا لجنود الاحتلال وقطعان مستوطنيه ببسالة والتحما مع العدو المدجج بالسلاح مسلحين بالإيمان والإرادة والحجارة شبلين، لكنهما بملايين ممن يعتبرون أنفسهم رجالًا غرتهم الحياة الدنيا فركنوا لها. يتحديان عنجهية وجبروت الاحتلال الصهيوني مؤمنين بحق العودة التي تجذرت في وعيهما ووجدانهما، فأفشلا بذلك مقولة بن غوريون أحد قادة ومؤسسي الحركة الصهيونية: "كبارهم يموتون وصغارهم ينسون". ولسان حالهما يقول لـ"بن غوريون" بعد عقود من الزمن من هلاكه بأن رهانك على نسياننا حق العودة إلى قرانا ومدننا التي هُجِّر منها أجدادنا وآباؤنا قسرًا لن يتحقق.

ثالثًا: عهد أوسلو

تميز المجاهد أنور بوعي سياسي؛ إذ اعتبر أن السلام مع العدو الصهيوني مجرد سراب واستحالة تحقيقه مع عدو كولونيالي إحلالي، ولم ولن تتحقق حرية أي شعب رزخ تحت الاحتلال على مدار التاريخ إلا بالكفاح، وانطلاقًا من مبادئه الأصيلة التي لم يلوثها الزمن، رفض المشاركة في الاحتفالات التي نظمت في الضفة الغربية وقطاع غزة ابتهاجًا باتفاق أوسلو ووضع خلالها البعض أغصان الزيتون على دوريات الاحتلال ونثروا الورود، فكان ذلك يومًا أسود في حياة المجاهد أنور، لكنه كان على قناعة بما آمن به، وأن المواجهة حتمية مع الاحتلال ولابد من الاستعداد لهذه المواجهة، وتوصل إلى فكرة إبداعية وخلاقة بالالتحاق بدورة عسكرية في أجهزة السلطة يكتسب من خلالها مهارات فنون القتال وحرب الشوارع، وقد تحقق حلمه بالانضمام إلى قوات الشرطة الخاصة، واجتاز دورة عسكرية في أريحا ورام الله لمدة سبعة شهور تحت لظى أشعة الشمس الحارقة، وما أن أتم الدورة العسكرية حتى قدم استقالته مباشرة، وتم رفضها، وبعد إلحاح شديد تم الموافقة على استقالته، وقد نال ما تمناه وحقق الهدف المرجو الذي كان يضمره في نفسه، ولم يعلم بسره إلا الله.

رابعًا: عام 1997م ذكرى ميلاده الجهادي

بينما هو جالس في محراب المسجد بعد صلاة العصر، بدأ يبحث في مكتبة المسجد عن كتاب ينسجم مع أفكاره ورؤيته، وكأن شيئًا ألهمه بقراءة

كتاب "المشروع الإسلامي المعاصر ومركزية القضية الفلسطينية، لماذا وكيف؟" الذي ألفه الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي رحمه الله (الأمين العام والمؤسس لحركة الجهاد الإسلامي)، وقد نال إعجابه وتأثر بما فيه من أفكار، عندئذ بدأ يبحث عن وسيلة للانضمام إلى حركة الجهاد الإسلامي التي آمن بفكرها، فلجأ إلى مسؤول الحركة السياسي في منطقة طولكرم الأخ المجاهد عبد الناصر صويص وطلب منه الانتماء للحركة، وبعد قرابة الأسبوعين من البحث والتحري عن سيرته وحسن سلوكه رد إليه الجواب الأخ المجاهد عبد الناصر بالإيجاب، ومن تلك اللحظة انتمى لحركة الجهاد الإسلامي، وتتلمذ على يد المجاهد القائد عبد الناصر صويص الذي أُبعد إلى مرج الزهور في العام 1992م، والذي قضى في السجن سنوات طويلة من عمره، وهو من الرعيل الأول للحركة، ثم تعرف على الشهيد القائد رياض بدير الذي شكل مرجعية روحية وفكرية للمجاهد أنور.

الشهيد القائد/ رياض بدير
استشهد بتاريخ
11/ 04/ 2002م

خامسًا: مرحلة التحشيد لحركة الجهاد الإسلامي

في روح مفعمة بالنشاط والحيوية، بدأ المجاهد أنور بالتحشيد للحركة وتجنيد الأعضاء لها وزرع بذرة الجهاد في نفوس منتسبيها استعدادًا للمواجهة الحتمية مع الاحتلال وخاصة بعد ظهور ملامح فشل اتفاق أوسلو وعقم المفاوضات مع العدو الصهيوني، وبدأ نشاطه بالترويج لفكر الجهاد الإسلامي وتوزيع أشرطة الأناشيد الإسلامية والوطنية التي تمجد شهداء الجهاد الإسلامي، والكتب والمجلات وخاصة مجلة "الاستقلال" ثم "المجاهد"، ومجلة "البتول" النسوية على المساجد وطلاب المدارس والأصدقاء، وكان أول المنضمين لصفوف الحركة الشهيد القائد خالد رايق محمد حسين من مخيم نور شمس والأسير القائد محمود عطية كليبي من مخيم طولكرم.

وقد كان التجنيد للحركة ضمن خطة بشروط وضوابط ومحددات لكل عضو جديد ينتمي للحركة، ومنها التركيز على رواد المساجد وطلاب العلم المتفوقين في الدراسة والتقرب إليهم والاهتمام بهم ومتابعة شؤونهم حتى أصبح كالمغناطيس يجذب إليه من حوله، وبدأت شوكة الحركة تقوى شيئًا فشيئًا. ومن الشروط التي وضعها القائد أنور لانتساب أي عضو للحركة:

أ. أن يكون ذا سيرة حسنة.

ب. الالتزام بصلاة الجماعة في المسجد.

ت. الاقتناع بفكر الحركة بعد تزويده بالكتب الفكرية.

ث. تجنب التصرفات العشوائية من دون الرجوع إليه، والعمل بشكل منظم ضمن برنامج محدد.

ج. حضور دروس العلم في المساجد، وأحيانًا في البيوت والجبال بعيدًا عن أنظار الناس خاصة المنتسبين الجدد الذين لم يرغب بمعرفة الناس لهم، وأن يبقى الأمر سرًا لما تتطلبه هذه المرحلة من السرية، وما أن تنتهي الجلسة حتى يتواروا عن أنظار الناس متفرقين إلى جهات متعددة حتى لا يشك أحد بأمرهم.

وقد كان للشهيد القائد الشيخ رياض بدير دور بارز في تربية وتنشئة المنتسبين الجدد للحركة، بالتنسيق مع المجاهد أنور الذي كان يرسلهم له لخلق جيل العقيدة الواعي المؤمن بفكرة الجهاد.

سادسًا: تفعيل العمل الاجتماعي

كان المجاهد أنور يدرك أهمية العمل الاجتماعي لتعزيز صمود الناس لمساندة المقاومة، فَخَلْق بيئة اجتماعية حاضنة للمقاومة يعتبر ركيزة أساسية في الحفاظ على ديمومتها وصلابتها. من أجل ذلك كثف جهوده لتقديم المعونات المادية والعينية للفقراء والمحتاجين والمرضى وطلاب الجامعات والمدارس وأثناء المناسبات، وزيارة أهالي الشهداء والأسرى بشكل دوري مصطحبًا مجموعة من الأعضاء الجدد لإعطائهم درسًا عمليًا حتى يسيروا على هذا النهج، ولم ينس تقديم المعايدات المادية حسب الإمكانيات المتوفرة لدى الحركة لأعضائها من الفتية تكريمًا لهم وتعزيزًا لثباتهم، وقد توسع في نشاطه الاجتماعي في انتفاضة الأقصى عام 2000م عندما حصل على أموال من أهل الخير خارج الوطن الذين اشترطوا عليه أن تذهب فقط لحالات إنسانية، وكان يضعهم بصورة صرف الأموال والتأكد من ذلك مما عزز لديهم الثقة بالمجاهد أنور، وبذلك بدأ التأييد الشعبي للحركة يتعزز في جميع منطقة طولكرم عامة ومخيم نور شمس خاصة.

انتفاضة الأقصى.. المواجهة المنتظرة

في 28/ 09/ 2000م انطلقت شرارة انتفاضة الأقصى المباركة على أثر الزيارة الاستفزازية التي قام بها المجرم الصهيوني شارون لباحات المسجد الأقصى المبارك، وبينما العرب والمسلمون في غفلة، معرضون عن القدس والمسجد الأقصى لم يتوان القائد أنور في الدفاع عن القدس والمسجد الأقصى؛ لأنها كانت أكبر همه ومبلغ علمه وشغله الشاغل باعتبارها فؤاد فلسطين، ولأنه كان ثوريًا حتى النخاع فقد شكلت القدس والأقصى حافزًا ومحركًا ومفجرًا لطاقاته الكامنة في معركة الدفاع عن المقدسات التي انتظرها طويلًا وأعد لها العدة، ولسان حاله يقول: "لا حياة ولا كرامة لنا وقلب الأمة وروحها وشريان حياتها تدنس"، فاتخذ قرار المواجهة مع العدو الصهيوني حتى لا تتكرر مأساة حرق المسجد الأقصى على يد الأسترالي الصهيوني دينيس مايكل في 21/ 08/ 1969م دون رد صاعق من العرب والمسلمين، حينها قالت رئيسة وزراء الكيان الصهيوني آنذاك: "لقد توقعت أن أرى في اليوم التالي حشود العرب والمسلمين تتدافع لحماية المسجد الأقصى والمقدسات والحفاظ عليها، ولكن حين رأيت تصرفهم أدركت أن "إسرائيل" في أمان".

الانتفاض والتحشيد - نمط حياته

بدأ الاحتلال بحشد جيوشه وأساطيله لمجابهة ثورة الغضب الفلسطيني والفوران الشعبي وفي المقابل يوظف المجاهد أنور جُلَّ اهتمامه في حشد الطاقات لمواجهة العنجهية الصهيوني، فقام بتنظيم المسيرات وقيادتها ودعوة الشعب الفلسطيني للمشاركة فيها وتشغيل الأغاني الثورية عبر مكبرات الصوت، وإلقاء البيانات والخطب السياسية والأشعار الوطنية حيث كان لكلماته صداها في إثارة حماس الجماهير الفلسطينية، وقد فعلت كلماته فعل الرصاص، وكان لها الأثر البالغ في تجييش المقاتلين الذين هبوا للدفاع عن قبلة المسلمين الأولى.

كما قام بتنظيم المهرجانات لتأبين الشهداء وإلقاء كلمة حركة الجهاد الإسلامي والتنسيق مع القيادة في الخارج من أجل إلقاء الدكتور رمضان شلح (الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي) كلمة له لما لذلك من أثر معنوي على أهل الشهيد وأعضاء الحركة والمقاومة الفلسطينية، كما حدث في مهرجان تأبين الشهيد القائد معتصم حماد من عنبتا، وهو مساعد الشهيد القائد إياد صوالحة والذي أُغتيل على يد القوات الصهيونية بتاريخ 14/ 03/ 2002م.

مهرجان حاشد لحركة الجهاد الإسلامي بمحافظة طولكرم
في تأبين القائد/ معتصم حماد (أرشيف 2002م)

وشملت حملة التحشيد تجنيد عشرات المقاتلين الذين توافدوا على القائد أنور للانضمام إلى صفوف الحركة منهم الأسير المجاهد رومل العطاونة من بلدة خاراس بمحافظة الخليل أثناء دراسته في جامعة خضوري بطولكرم، والشهيد خالد أبو العز من قرية زيتا بمحافظة طولكرم، والشهيد فلاح مشارقة من مخيم نور شمس، والشهيد سرحان سرحان من مخيم طولكرم الذي اغتالته القوات الصهيونية بتاريخ 04/ 10/ 2003م، وهو منفذ عملية مغتصبة "ميتسر" بتاريخ 11/ 11/ 2002م، والتي قتل فيها خمسة مستوطنين و14 جريحًا وتبنتها كتائب الأقصى قبل أن ينضم لصفوف سرايا القدس، والأسير المجاهد محمد المصري من جلجولية في الداخل الفلسطيني، والعشرات من الشهداء والأسرى الذين أصبحوا فيما بعد من كوادر وقيادات الحركة في منطقة طولكرم وفي السجون، وكذلك تفعيل نشاط كوادر الحركة القدماء كالأستاذ إبراهيم فياض وقد قضى سنوات طويلة في الأسر، وقد قام القائد أنور بعمليات فرز حسب الاختصاص والقدرة والكفاءة، في مختلف مجالات الحركة، سواء المجال العسكري أو السياسي أو الاجتماعي...إلخ.

كما عمل المجاهد أنور على إعادة إحياء وتشكيل الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي (الجماعة الإسلامية) في عدة جامعات وكليات منها جامعة القدس المفتوحة في طولكرم، وتعيين المسؤول عنها وقبل ذلك في المدارس، ولم يقف عطاؤه عند هذا الحد، بل عمل في إنشاء قواعد جماهيرية لحركة

الجهاد الإسلامي في عدة قرى لم يكن فيها وجود للحركة، وزرع فيها نواة الجهاد الأولى كما في قرى زيتا وعنبتا وكفر اللبد وغيرها.

اليد المتوضئة تتحدى مخرز الحقد الصهيوني

بعد أن أنهى القائد أنور مرحلة الإعداد والتحشيد والتجنيد لصفوف الحركة وتوزيع المهام وترتيب الجناح السياسي، انتقل إلى العمل العسكري دون أن يقطع خط التواصل مع الجناح السياسي والتنسيق والتعاون معه للحفاظ على سلامة ووحدة وأمن الحركة، وبدأ بإعداد الخلايا العسكرية وتوزيعها، وما ميز عمله العسكري هو وضع محددات وضوابط لكل خلية عسكرية منها:

1. أن لا يزيد عدد أفراد الخلية عن ثلاثة.

2. السرية التامة.

3. عدم تجنيد وحيد الأبوين للعمل العسكري.

4. علاقته المباشرة أو غير المباشرة فقط مع المسؤول المباشر عن الخلية دون معرفته لهم أو معرفتهم له (أي أعضاء الخلية)، وأحيانًا تكون العلاقة باسم وهمي.

5. رفض الفضولية في العمل.

6. تجميد عمل أي خلية في حال ثبت تكرار فشلها في العمل العسكري أكثر من أربع مرات متتالية سواء بالتخطيط أو التنفيذ أو العمل العلني مع ضمان حقوقهم من مخصصات وحماية أمنهم.

7. تمويل كل خلية بالمال والسلاح والعبوات الناسفة وكل ما يلزمها من عتاد حسب الإمكانيات المتوفرة.

8. الاعتماد الأول للخلايا الناجحة من ناحية التمويل لتعزيز صمودها وديمومة عملها.

9. إيصال العبوات الناسفة لنقاط ميتة دون أن يعرف بها أحد أو يعرفه أحد.

10. إصدار البيانات العسكرية بعد تبليغه عن أية عملية بعد تنفيذها.

وقد كان الموجه المباشر للقائد أنور هو قائد سرايا القدس في منطقة طولكرم الشهيد القائد أسعد دقة _رحمه الله_، وكان القائد أنور يشكل حلقة وصل بين الشهيد القائد أسعد دقة والشهيد القائد إياد صوالحة الذي زوده بجميع العبوات الناسفة والتي كان بدوره يضعها في نقاط ميتة، كما كان القائد أنور أحد أعضاء وحدة الأمن والحماية المباشرة عن الشهيد القائد أسعد دقة وتوفير الأمكنة له للاختفاء وغرف العمليات وإعداد اللقاءات بينه وبين قيادات وأعضاء الجناح العسكري.

وإيمانًا منه بأن هذا الزمن زمن المغارم لا المغانم رفض المجاهد أنور عروضات الحركة عليه في الداخل والخارج لتقاضي راتب (التفريغ) رغم أنه في أمس الحاجة إليه، وكان يصرف مخصصات شهرية لجميع المطاردين للاحتلال التابعين له، وقد عمل أرشيفًا ماليًا لكل مدخلات الحركة ومخرجاتها من المصروفات العسكرية.

الخلايا العسكرية وأهم أعمالها

"لا تجعلوا العدو يلتقط أنفاسه، فإن لم تواجهوا العدو فإنه سيأتيكم في قلب داركم"، تلك

مقولته الشهيرة التي كان يرددها أمام كل خلية، وقد قسم عمله العسكري إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

فترة الشهيد القائد أسعد دقة

أولًا: خلية الانتقام المباشر

وكان ضمن أعضائها القائد الأسير محمود كليبي والأسير المجاهد فادي نايفة من شويكة والشهيد القائد فلاح مشارقة، وأعمالها الجهادية:

(1) عملية باقة الشرقية

حيث قام القائد أنور بإحضار عبوة ناسفة زنة (30) كيلو جرامًا شديدة الانفجار من الشهداء إياد صوالحة ومعتصم حماد بتوجيه مباشر من القائد الشهيد أسعد دقة، وتم تسليم المجموعة سيارة مسروقة وثلاث قطع سلاح من نوع (M16) وكان يقوم بالرصد ومتابعة الهدف الشهيد القائد خالد رايق محمد حسين، من مخيم نور شمس الذي قضى في السجن أكثر من ست سنوات ونصف وتم اغتياله في 23/ 10/ 2007م، في ضاحية صباح الخير في جنين، وعضو الرصد الآخر الأسير المجاهد مبين عوني ظاهر من باقة الشرقية المحكوم ثمانية عشر عامًا.

ونفذت المجموعة العملية كما خطط لها بدقة متناهية بتفجير العبوة الناسفة في قافلة عسكرية بالقرب من بلدة باقة الشرقية بمحافظة طولكرم وإصابتها بشكل مباشر، ثم إطلاق النار على القافلة للإجهاز على الجنود وذلك بتاريخ 17/ 04/ 2001م، وبعد إتمام المهمة بنجاح أبلغ القائد أنور عن تفاصيل

الشهيد القائد/ أسعد دقة
استشهد بتاريخ 12/ 09/ 2001م

العملية لقائده الشهيد أسعد دقة الذي قام بدوره بالإعلان عنها في بيان عسكري لسرايا القدس، وقد جاءت العملية ردًا على اغتيال الشهيد القائد إياد حردان حسبما جاء في البيان.

(2) عملية شويكة

بعد الرصد والمتابعة تم تحديد الهدف، وقد قام القائد أنور بتوفير ما يلزم من السلاح وسيارة للقيام بالعملية، وشارك هو شخصيًا بالعملية إلى جانب المجاهدين الثلاثة محمود كليبي والشهيد فلاح مشارقة والأسير فادي نايفة، وقاموا بمباغتة العدو بإطلاق النار الكثيف على دورية عسكرية من نقطة صفر حين خرجوا من بين العشب والأشواك بالقرب من مستوطنة "بيت حيفر" إلى الغرب من ضاحية شويكة بمحافظة طولكرم، وسمع صراخ

الجنود في أنحاء المكان، وتم إصابة الدورية بشكل مباشر والانسحاب من المكان بسلام دون أن يستطيع العدو الرد على الهجوم الجريء، وقام المجاهد أنور بإبلاغ القائد الشهيد أسعد دقة بتفاصيل العملية.

ثانيًا: خلية كفر اللّبّد، وأعمالها الجهادية:

(1) تفجير عبوتين ناسفتين في دوريتين عسكريتين شرق وجنوب مخيم نور شمس

قام به المجاهدان الأسيران فؤاد برهوش وصهيب جبعيتي من قرية كفر اللبد بمحافظة طولكرم وتم إصابة الدوريتين بشكل مباشر، وحضرت إلى المكان سيارات الإسعاف الصهيونية وخاصة أثر تفجير العبوة في المنطقة الجنوبية من نور شمس، وقام القائد أنور بإبلاغه قائده الشهيد أسعد دقة بتفاصيل العملية التي أعلن عنها في بيان عسكري لسرايا القدس.

(2) تفجير عدد من العبوات الناسفة في أماكن متفرقة من منطقة طولكرم ضد دوريات الاحتلال

قام القائد أنور بإيصال العبوات إلى نقاط ميتة بأمر من قائده الشهيد أسعد دقة دون أن يكون له علاقة مباشرة بالعمليات أو يعرف منفذيها وقد تبنتها سرايا القدس.

المرحلة الثانية:

فترة الأسير المؤبد زيد بسيسي

في فجر يوم 12/ 09/ 2001م، قام العدو الصهيوني باغتيال قائد سرايا القدس في منطقة طولكرم الشهيد أسعد دقة في بلدة عرابة بمحافظة جنين مع الشهداء وائل عساف وسفيان عارضة وبلقيس عارضة بعد معركة ضارية استمرت عدة ساعات مع قوات الاحتلال، وقد زف تلميذه القائد أنور عليان الشهيد القائد أسعد دقة عبر مكبرات الصوت، وشُيّع في جنازة مهيبة تليق بحجم تضحياته.

وحينها مباشرة تم الإشارة بالبنان إلى القائد زيد بسيسي أحد أعمدة الجهاد الإسلامي في الضفة الغربية لإعادة الرأس إلى جسد سرايا القدس في منطقة طولكرم، وأعاد هيكلية الجناح العسكري بسرعة فائقة حيث كان يتمتع بحنكة قيادية وقدرات إبداعية خلاقة للنهوض بالحركة وإدارة المعركة مع العدو ومواجهة التحديات، فأسهم في إحياء الأمل في نفوس المجاهدين وانتشرت خلاياه في منطقة الشمال وحقق نتائج باهرة في العمل العسكري، وكانت تربط الأسير القائد أنور بالقائد العام زيد علاقة وثيقة الصلة ومميزة،

الأسير القائد/ زيد بسيسي
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 09/ 12/ 2001م

وأصبح بينهما تعاون وتنسيق مشترك، وعقب تجنيد القائد أنور عليان للأسير المجاهد رومل العطاونة أرسله إلى القائد زيد ليتولى أمر المسئولية عنه، وشاءت الأقدار أن يلتقي القائد زيد مع المجاهد رومل في السجن ليعملا معًا ضمن الهيئة العليا لحركة الجهاد الإسلامي في السجون التي يرأسها القائد زيد، فالمجاهد رومل العطاونة يتمتع بكاريزما وأخلاق رفيعة وثقافة عالية قلّ نظيرها، وكذلك القائد زيد بسيسي الذي ينتمي إلى عائلة مجاهدة قدمت الكثير من التضحيات على مراحل الانتفاضات المتلاحقة فكانت هدفًا للاحتلال، ولم يسلم أحد منها من الاعتقال بما في ذلك والدهم منذ عام 1985م وحتى الآن، والمجاهد زيد لم يكن الأول من أسرته الذي انخرط ضمن سرايا القدس؛ فأخوه الأسير القائد أحمد محكوم بالسجن 25 عامًا وهو الذي أوكل الشهيد القائد أسعد دقة المسؤولية للقائد أنور عليان لتوفير الحماية والأمن له منذ اليوم الأول لمطاردته من قبل الاحتلال، وسطر بطولات واضحة في تحدي الاحتلال، وقاد عمليات نوعية تنوعت بين العمل الاستشهادي وإطلاق النار على قطعان المستوطنين وجنود الاحتلال.

فشل العدو في اقتناص الهدف الثمين

في 30/ 08/ 2001م، قام الأسير القائد أنور بإيصال كاميرا فيديو لإحدى الخلايا العسكرية الرابضة على مشارف مخيم نور شمس الشرقية لتصوير عملية تفجير عبوة ناسفة في آلية عسكرية، وفي الطريق شعر المجاهد أنور الذي يمتلك حسًا أمنيًا قويًا بتعقبه، وفجأة لاحظ عملية إنزال قوات العدو من الجبل، وقبل أن يصوب العدو بنادقه عليه، اتصل بالمجاهد بهاء الشبراوي وأخبره عن كشف الوحدة وعملية الإنزال، وكان المجاهد بهاء يبعد عنه حوالي 500 متر، وما أن أنهى الاتصال معه حتى بادر الجنود بإطلاق النار بشكل كثيف وعشوائي على القائد أنور الذي أصيب برصاصتين في كتفه، وكان السبب في نجاته هو الله وحسه الأمني ومبادرة الأسير المجاهد بهاء الشبراوي بإطلاق النار نحو الجنود، ثم التحاق المقاومين من مختلف فصائل المقاومة بالمجاهد بهاء ومحاصرة القوات الصهيونية بإطلاق النار، فبدأت بالتقهقر واستعانت بالطائرات المروحية والدبابات، فأدى ذلك إلى استشهاد أحد المدنيين العزل بنيران الدبابات الصهيونية، وهو الشهيد داود عبد الغني من مخيم نور شمس وعشرات الجرحى منهم شيخ المجاهد أنور الشهيد القائد رياض بدير الذي كان من أوائل من هب لنجدة القائد أنور حاملًا بندقية (M16) التي اشتراها على حسابه الشخصي، وأصيب بجراح متوسطة في ساقه، ونقل إلى المستشفى وهو يرقد على السرير بجانب أنور ويعبر له عن ارتياح ضميره، فهكذا هم القادة العظام الذين يتقدمون الصفوف ولا يبالون بما ينالهم من العدو، وكان ذلك الاجتياح الأول لمنطقة طولكرم.

وبعد أيام قليلة بينما القائد أنور خارج من المستشفى بعد تلقي العلاج لاحظ سيارة مغطى زجاجها بالسواد فأحس بأمر غريب، وأبعد جانبًا إلى جانب الحائط فإذا بهم يصوبون نيران أسلحتهم نحوه، ولكن بحمد الله نجا بعناية الله له وقدرته

الفائقة على التملص والتواري عن الأنظار، وأُصيب بعض المدنيين حوله بجراح، وقد رد رجال من الشرطة الفلسطينية المتواجدين في المكان على سيارة القوات الخاصة الصهيونية التي لاذت بالفرار.

المرحلة الثالثة:

فترة الشهيد إياد صوالحة

قام الشهيد القائد إياد صوالحة بممارسة الضغوط على القائد أنور عليان لتولي قيادة سرايا القدس في منطقة طولكرم، ورفض القائد أنور ذلك وبعد إصرار من القائد إياد وافق فقط على ملء الفراغ لحين إيجاد بديل عنه، وتم تسليم القائد أنور شيفرة للتواصل مع القيادة في الخارج باسم معتصم، وقد باشر القائد أنور مباشرة بإعادة ترتيب الجناح السياسي للحركة وتعيين الأستاذ القائد إبراهيم فياض عبد الهادي من مخيم نور شمس مسؤولًا عن العمل السياسي كونه يتمتع بسيرة حسنة ومصداقية عالية وقدرة فائقة للنهوض بالحركة، وجدد بالتنسيق مع القائد أنور إحياء برنامج الحركة السياسي لإحداث نهضة شاملة في الحركة في جميع المجالات، وبعد إتمام هذه المهمة قام القائد أنور بحفر نفق تحت الأرض لاستخدامه مكانًا للاختفاء وغرفة عمليات دون أن يعلم به أحد، وكان ذلك بالتنسيق مع القائد إياد صوالحة الذي أراد الاختفاء به في الوقت المناسب له، وقد حاول ذلك أثناء إطباق الحصار عليه من قبل قوات الاحتلال قبل استشهاده، لكنه لم يتمكن من اختراق الحصار والمجيء عند القائد أنور على النفق.

استئناف العمل العسكري

أولًا: خلية زيتا (وحدة رهبان الليل)

وهي مكونة من ثلاثة مجاهدين وهم الشهداء خالد أبو العز ووائل رباح وسائد مصيعي. فالشهيد خالد قضى بالسجن أكثر من ثمانية أعوام في الانتفاضة الأولى على خلفية طعن مستوطن صهيوني بجراح خطيرة، وبعد أن خرج من السجن الذي قضى فيه الحكم الجائر الذي صدر بحقه كان أكثر عزة وشموخًا وإباءً، فلم تفتر له عزيمة أو تلين له إرادة. ومنذ اللحظة الأولى التي اندلعت فيها شرارة انتفاضة الأقصى المباركة لجأ إلى القائد أنور طالبًا منه الانضمام إلى سرايا القدس الذي بدوره قَبل عضويته، وقد قام بعملية إطلاق نار من مسدس على ضباط صهاينة قرب الجدار المحاذي لقريته فأصاب اثنين منهم، وأدى ذلك إلى استشهاده بتاريخ 30/ 10/ 2002م،

الشهيد القائد/ خالد أبو العز
استشهد بتاريخ 30/ 10/ 2002م

ولم يكـن القائـد أنـور يعلـم بتخطيـط هـذه العملية وتنفيذهـا إلا بعـد استشـهاده مما وَلَّـد حزنًـا كبـيرًا في نفـس المجاهـد أنـور عـلى استشـهاده بهـذه الطريقـة، وقـد زف القائـد أنـور الشـهيد خالـد عـبر إذاعـة المنار اللبنانيـة، وأرسـل أبنـاء الجهـاد الإسـلامي للمشـاركة في تأبينـه والقيـام بواجـب العـزاء تجـاه أهـل الشـهيد الـذي تـرك خلفـه زوجـةً وأولادًا في أمـس الحاجـة إلى مـن يعوضهـم عـما فقـدوه ويقـف إلى جانبهـم، ومـازال جثـمان الشـهيد خالـد أبـو العـز الـذي أصيـب بوابـل مـن الرصـاص محتجـزًا لـدى قـوات الاحتـلال حتـى الآن.

أمـا الشـهيدان وائـل ربـاح وسـائد مصيعـي فكان يتـولى توفـير الأمـن والحمايـة لهـم الشـهيد القائد فـلاح مشـارقة، وكان لهـما الـشرف في نيـل الشـهادة في مخيـم نـور شـمس بعـد صمـود أسـطوري أثبتـا خلالـه أن الـصراع مـع العـدو الصهيـوني صـولات وجـولات؛ فـإن خسرنـا جولـة مهمـة فإننـا نكسـب جـولات عديـدة أكـثر أهميـة، وعـلى هـذا النهـج خاضـا مواجهـات ملحميـة ومنـازلات أسـطورية في معركـة نـور شـمس وهـما محـاصران مـن دون إسـناد أو عمـق اسـتراتيجي أو دعـم لوجسـتي أثنـاء احتـدام المعركـة بينهـما وبـين القـوات الصهيونيـة المدججـة بالسـلاح الفتـاك، ورغـم عـدم تـوازن القـوى إلا أنهـما أثخنـا بالعـدو الـذي أخـذ يلملـم جراحـه بعـد أن أصيـب عـدد مـن جنـوده بجـراح، فأصابـه حالـة مـن الذعـر والخـوف والهلـع مـن جـراء شراسـة المعركـة وجسـارة وشـجاعة المجاهديـن النـادرة، وارتقـى الشـهيدان وائل وسـائد إلى العـلا عـلى إثـر إصابتهـما المبـاشرة بالقذائـف التـي أطلقـت عليهـما، واعتقـل المجاهـد تميـم سـالم مـن قريـة بزاريـا بمحافظـة نابلـس خـلال هـذه العمليـة وكـان ذلـك بتاريـخ 06/ 05/ 2004م.

وأمـا الشـهيد فـلاح مشـارقة مـن مخيـم نـور شـمس فكان يتـولى أمـر مهـام الخليـة بتكليـف مـن القائد أنـور عليـان، وعـاش مناضـلًا في مراحـل الانتفاضـات المتلاحقـة وتعـرض للمطـاردة والاعتقال عدة سنوات، فلـم ينل السـجن مـن عزيمتـه، واستشـهد لاحقًـا بتاريخ 23/ 09/ 2004م في ملحمـة أسـطورية خاضهـا مـع العـدو واسـتمرت لسـاعات طويلـة دارت رحاهـا في مخيـم نـور شـمس، وبقـي اسـمه نموذجًـا للصلابـة والتحـدي والصمـود. فطوبـى للشـهداء إلى جـوار ربهـم مـع الصديقـين والنبيـين.

ثانيًا: خلية جلجولية

هـم الرجـال الثابتـون والمنزرعـون والمتجـذرون كتجـذر أشـجار الزيتـون، المتمسـكون بأرضهـم

الضاربة في عمق التاريخ في فلسطين المحتلة عام 1948م، الأسير المجاهد محمد المصري والمحرران أيمن أبو كشك وفضل عابد. أوكل القائد أنور مهمة تدريبهم صناعة المتفجرات إلى الأسير فؤاد برهوش لإعداد مختبر في الداخل الفلسطيني المحتل، وحين إتمام المهمة أعدوا أكثر من 60 كيلو جرامًا من المواد المتفجرة، وكان المجاهد محمد المصري في المرحلة الأخيرة من الإعداد لتجهيز سيارتين مفخختين بعد رصد أهداف عسكرية وجمع معلومات استخباراتية عن المواقع بدقة متناهية، وكان التواصل مع المجاهد محمد المصري من دون استخدام وسائل الاتصال، بل الاتفاق على موعد في كل مرة في مكان يختلف عن الآخر، وكان القائد نمر خليل مسكاوي حلقة الوصل بين المجاهد محمد المصري والقائد أنور.

وكان الهدف الأساسي من هذا التفكير الخلاق إحداث نقلة نوعية في العمل العسكري لسرايا القدس، وإيجاد بديل آخر لإيصال الاستشهاديين إلى الداخل الفلسطيني بعد بناء السوار الواقي حتى يشعر العدو بأن لا قيمة للسور وما هو إلا مجرد سور كرتوني، وكان القائد أنور يسعى لإحداث ضربة استراتيجية واحدة تغير موازين القوى المختلفة لصالح المقاومة، مما حدا بالعدو حين اعتقال الخلية في اللحظات الأخيرة بعد تعقبها من قبل عملاء في الداخل إلى الاعتراف بأنها من أخطر الخلايا العسكرية منذ نشأة الكيان الصهيوني، ولو قدر لها العمل خلال أيام معدودة لأحدثت كارثة داخل الكيان. والخطة كانت كالآتي:

1. العملية الأولى تفجير سيارة مفخخة في مطعم في حيفا تم رصده، يرتاده مئات من غلاة المستوطنين، وذلك بإدخال السيارة المفخخة مع الاستشهادي داخل المطعم باختراق بوابته الزجاجية وتفجير السيارة بداخله.

2. تفجير سيارة مفخخة بالقرب من قاعدة "تسرفين" العسكرية القائمة بالقرب من مستعمرة "تسرفين" التي أسست عام 1949م على أراضي قرية صرفند العمار (صرفند الكبرى) التي تبعد مسافة خمسة كيلو مترات من الرملة وهي قريبة من مستعمرة "ريشون ليتسيون" من الغرب. والخطة تنص على تفجير استشهادي سيارته المفخخة بين مئات الجنود والضباط يوم الخميس الساعة الثالثة عصرًا، حيث يتجمعون على قارعة الطريق للتبديل بعد الإجازات وتوزيع مهامهم، وقد رصد الموقع جيدًا ولكن الخيرة فيما اختاره الله، وعلى أثر اعتقال أعضاء الخلية الثلاثة صرح آنذاك وزير الدفاع الصهيوني موفاز بأنها من أخطر الخلايا استخباراتيًا وعمليًا، ووعد باغتيال أو اعتقال المسؤول عنها المعروف لديهم، وكان يقصد بذلك القائد أنور عليان وذلك في أواخر شهر مارس (آذار) 2003م.

ثالثًا: خلية شويكة نموذج رائع للحرب السرية

رجال فن الاختفاء والمباغتة الذي قاتلوا باحترافية ومهارة عالية وتميز، فرسموا صورة متوهجة لإحدى أروع التجارب النضالية، إنهم الأسرى الأبطال عمر بسيسي وإيهاب الشرفا

وسامي فتيلي رمز الشجاعة والجرأة والإقدام، فما زالت حكايات بطولاتهم ماثلة في الأذهان تروى في السجون ويتحدث الناس عنها باحترام ووقار. كانوا رجالًا مجهولين عاشوا متوارين عن الأنظار إلا وقت الفعل الصاعق ضد دوريات العدو الراجلة والمحمولة، محطمين أسطورة الجيش الذي لا يُقهر التي هي فَرِية من صنع المحتل، ولسان حالهم يقول للعدو: "نحن كطائر الفينيق سنخرج لكم من تحت الرماد وبين الركام، سنكون مصدرًا لرعبكم وهلعكم وكوابيسكم".

آلية التواصل مع الخلية

بعد البحث والتحري عن الخلايا النائمة التي فقد الاتصال بها، بعد استشهاد القائد العام أسعد دقة، توصل القائد أنور بطريقته الخاصة إلى قائد الخلية واجتمع معه في مكان آمن، واتفق الاثنين على مواصلة الجهاد ضد العدو الصهيوني، وكان اشتراط القائد أنور عدم معرفته حيث تعامل معه باسم وهمي، وعدم معرفة أعضاء الخلية له أو معرفتهم له اسمًا وشكلًا، فكانت مهمة القائد أنور إمدادهم بالمال والسلاح والعبوات الناسفة دون معرفته بالتخطيط وتنفيذ العمليات إلا بعد حصولها بإبلاغه عن تفاصيلها وتبنيها في بيانات عسكرية.

وقد قامت الخلية بأكثر من عشر عمليات لتفجير عبوات ناسفة وإطلاق نار على دوريات الاحتلال وإصابتها بشكل مباشر، وأهمها العملية الأخيرة بتفجير عبوة ناسفة موجهة تزن 15 كيلو جرامًا في دورية عسكرية صهيونية شمال شويكة، ثم إطلاق النار على الجنود مباشرة مما أدى إلى تدمير الدورية وإصابة ثلاثة جنود، اثنان منهم بجراح خطيرة وبتر أرجلهما، وسرعان ما انتشرت الدبابات الصهيونية في أنحاء المنطقة والطائرات المروحية تحوم في السماء وهي تطلق النار بشكل هستيري كأن شبح الحرب قد خيم على المنطقة، وأبلغ قائد الخلية عمر بسيسي القائد أنور بتفاصيل العملية المزدوجة، فأعلن عنها القائد أنور في بيان عسكري باسم مجموعة الشهيد القائد أسعد دقة عبر فضائيات الجزيرة وأبو ظبي ووسائل إعلام أخرى، وكان ذلك أثناء نشرة حصاد اليوم على الجزيرة التي بدأت ببث الحدث مباشرة عبر مراسلها آنذاك الصحفي معين شديد الذي أعلن أن سرايا القدس نفذت عملية مزدوجة ونوعية، وأن الجو مشحون بالتوتر والمنطقة محاصرة من قبل الدبابات والطائرات التي تحلق في سماء المنطقة بحثًا عن صناديد سرايا القدس.

وحدث ذلك في بداية شهر 12 عام 2002م، وبعد أيام اعتقل أفراد الخلية نتيجة خلل ارتكبه أحد المجاهدين الذي أرسله القائد أنور لإرسال العتاد والمال لهم، رغم تنبيه القائد أنور له بتجنب الفضولية إلا أنه عمل على البحث عن أسمائهم، وما أن اعتقل هذا المجاهد حتى اعترف عنهم، فقامت قوات الاحتلال معززة بآليات ثقيلة باعتقالهم من منازلهم كونهم لم يكونوا مطاردين للاحتلال والاعتداء عليهم بالضرب المبرح، وحكم على أعضاء الخلية بالسجن المؤبد، ومازالوا يقبعون خلف القضبان.

إفشال القائد أنور عمليات محاولة اغتيال لأعضاء خلية شويكة قبل اعتقالها

لأن القائد أنور كان يعمل على تطوير عمل سرايا القدس وإحداث نقلة نوعية في العمل العسكري، اشترى من أحد الأشخاص مدفعي "لاو" وأرسلهما إلى الخلية، وحين محاولة مجاهدين إطلاقهما على دورية صهيونية لم ينطلقا فأبلغ قائد الخلية القائد أنور عن ذلك فتحركت مباشرة فراسته وفطنته وأمر بعدم إطلاقهما حفاظًا على سلامة المجاهدين، وقد انفجر صاروخان مفخخة مماثلة فيما بعد بالشهيد القائد خالد زكارنة والشهيد رامي أبو بكر من نابلس كان العدو قد أعدهما لاغتيال المجاهدين.

سعي القائد أنور لسد الثغرات وديمومة الجهاد

نتيجة إدراك القائد أنور لطبيعة الصراع مع العدو، وحرصه على حماية الحركة وديمومة عملها قام بتزكية أحد القادة السياسيين مع الخارج بعد اعتقال القائد السياسي الأستاذ إبراهيم فياض، وتزكية الشهيد القائد زاهر الأشقر من قرية صيدا بمحافظة طولكرم لمواصلة الجهاد مباشرة في حال اعتقال أو استشهاد القائد أنور وزوده بطنين من المواد الخاصة بتصنيع المتفجرات لكون القائد الشهيد زاهر يمتلك الخبرة في التصنيع، ولما تم اعتقال القائد أنور ظن العدو بأنه أنهى الجهاد الإسلامي في منطقة طولكرم وهذا فعلًا ما أعلنه عنه، فإذا به يصاب بالجنون حين علم بأن الحركة متماسكة ولم يحدث فراغ تنظيمي،

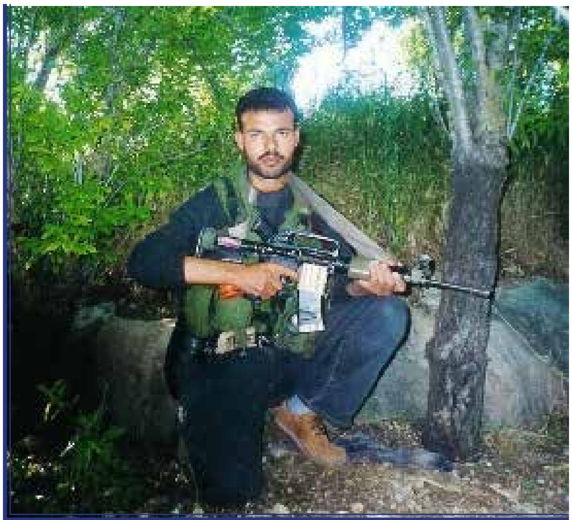

الشهيد المجاهد/ زاهر الأشقر
استشهد بتاريخ 29/ 07/ 2004م

علمًا بأن الشهيد القائد زاهر الأشقر هو من قام بتزكية الشهيد القائد لؤي السعدي لاحقًا.

انتقام الاحتلال من عائلة القائد أنور بنسف المنزل

اعتقد الاحتلال أن هدم منزل عائلة القائد أنور سينال من روحهم المعنوية ويثني المجاهد أنور عن مواصلة الجهاد، ففي منتصف الليل من عام 2002م في لحظة هدوء تام والناس نيام فإذا بهم يستيقظون على صوت الجرافات وخشخشات أجهزة الاتصال وعنف مكبرات الصوت الآمرة بالإخلاء السريع للمنزل خلال عشر دقائق كأنها لحظة قيامة ترمي إلى إحداث الرعب الصادم، وتعبر عن الحقد الدفين والانتقام اللامحدود لهذه العائلة التي أذاقت العدو مرارة الموت الزؤام، وفي لحظة زلزالية تحول المنزل وما حوله إلى كتلة من الركام، وكانوا يهدفون من ذلك هدم النفس الإنسانية وضرب

الجذر الاجتماعي للمقاومة قبل كل شيء، وكانت عملية الهدم امتدادًا لأيدولوجيا الهدم وثقافة الركام التي أطلقها مهندسها الأكبر يوسف فايتس مسؤول الصندوق القومي اليهودي والمقرب من دافيد بن غوريون أثناء النكبة الفلسطينية عام 1948م.

العمل على فتح جبهة موحدة شمال الضفة الغربية

سعى القائد أنور إلى تطوير العمل العسكري بفتح جبهة موحدة وبتنسيق وتعاون بين منطقة طولكرم ومنطقة جنين، فكان يلتقي برفقة المجاهد عمار قزموز في جنين بين القادة والمجاهدين خاصة الأسرى محمد نصري أبو الرب والأسير المؤبد أحمد دهيدي والأسير جعفر أبو حنانة، وأثناء عودتهم جميعًا إلى طولكرم للترتيب للعمل العسكري قام العدو بتعقبهم وملاحقتهم ونصب حواجز لهم على مختلف المنطقة الواصلة من جنين إلى طولكرم بما فيها الطرق الفرعية عبر الجبال، وتحليق المروحيات العسكرية وطائرات الرصد والاستطلاع في السماء بشكل مكثف، وقد نجا جميع المجاهدين بأعجوبة ووصلوا إلى طولكرم بسلام بفضل الله بعد مطاردة استمرت من ساعات المغرب حتى صباح اليوم التالي في بداية عام 2003م، جدير بالذكر أن أحد أعضاء المجموعة الشهيد سائد الفحماوي من جنين قد استشهد لاحقًا.

حملة نبش القبور واستئصال الجذور

اسم العملية التي اعتقل القائد أنور خلالها في 04/ 04/ 2003م، إذ لا ينسى سكان طولكرم ومخيمها هدير الطائرات المروحية وهي تحوم في سماء المنطقة، ولا دوي الرصاص والقنابل من كل اتجاه، ولا تحويل المنازل إلى ثكنات عسكرية تعتلي على أسطحها القناصة، ولا عنف مكبرات الصوت وهي تنادي عليهم بالخروج من سن الخامسة عشرة فما فوق والتجمع في ساحات المدرسة، ثم نقلهم بالمركبات للمناطق المجاورة وحشرهم بالعشرات في منزل واحد، أو المبيت في العراء يفترشون الأرض ويلتحفون بالسماء، لا ينسون تلك الأيام المرعبة وهم يساقون تحت أنظار الناس معصوبي الأعين، مقيدي الأرجل، لا ينسون أسطول معدات الهدم ووحدات القتال الهدامة التي تأتمر بالعقل الأيديولوجي، وتمثل القوى الدينية الأسطورية لإعادة رسم الحيز الجغرافي بعد تسويته بالأرض وسحق البشر والشجر والحجر، والكلاب المتوحشة المتدربة على نهش جسد الفلسطيني تنتشر في كل حارة وشارع التي أغلقت وأصبحت متشتتة الأوصال، لا تواصل جغرافيًا بينها.

الأسير المجاهد/ أنور عليان
برفقة والده الصابر خلال زيارته له في السجن

وقد قاموا بإحضار والدي القائد أنور للمناداة عليه بمكبرات الصوت لتسليم نفسه دون أن يضعف أو يكترث بممارستهم الضغط عليه، إنهم بجبروتهم يخشون من هذا الثائر، وبعد ثلاثة أيام من

الحصار والمواجهة ونفاذ الذخيرة تم اعتقال القائد واثنين من مرافقيه الأسير المحرر محمد خطاري والأسير المحرر يحيى طوير -رحمه الله- الذي وافته المنية في بداية عام 2018م إثر سكتة دماغية وهما من مخيم طولكرم، وكانا يرشدانه إلى الطرق أثناء محاصرة الاحتلال للتمكن من الانسحاب.

وقد فرح العدو باعتقاله معلنًا عبر محطات الإعلام بأنه تم اعتقال الهدف من العملية العسكرية، وذكر اسمه مدعيًا بأنه القائد العسكري والإداري والتنظيمي والمالي لحركة الجهاد الإسلامي في شمال الضفة الغربية، وهو موثق عبر محطة الجزيرة ومحطات أخرى أذاعت الخبر، وقد أشرف على العملية قادة من الشاباك الصهيوني، وفور اعتقاله مباشرة انسحبت قوات الاحتلال من المنطقة.

مرحلة السجن: صراع أدمغة وإرادات

لقد بدأ القائد أنور مرحلة جديدة إذ كان يدرك مسبقًا بأن طريق الحق محفوفة بالأشواك مضرجة بالدماء، ولم يكن جهاده في إطار العفوية، وهو راض بقدر الله، وبعد مكوثه ثلاثة شهور في أقبية التحقيق خرج إلى السجن وقد هيأ نفسه مسبقًا لتلك المرحلة، وتم الحكم عليه 23 عامًا بسبب التهم التي وجهت له موثقة بعشرات الاعترافات ضده.

ولم يكترث للحكم من قضاء عاقر وضمائر نائمة لقضاة يقطرون كراهية وحقدًا لكل ما هو فلسطيني، ويعملون ضمن منظومة الاحتلال هو يعلم أن لا مجال للبراءة في محاكم الاحتلال، فكل فلسطيني مدان مسبقًا.

في السجن عطاء لا ينضب وبناء للذات

مثلما كان قائدًا متميزًا قبل السجن ظل قائدًا حكيمًا ومعطاءً بلا حدود داخل السجن، دون أن يهز من قناعته بعدالة قضيته أو يتسرب اليأس إلى فؤاده أو يلوث الزمن مبادئه الأصيلة التي آمن بها منذ نعومة أظفاره، ولم يقف عطاؤه عند حد الجدران، بل كان يزداد شموخًا وعطاءً ويتألق أكثر في عطائه حتى أصبح من طلائع الطبقة المثقفة، وأفشل رهان العدو على كي واختراق وعيه ومحاولة تفريغه من محتواه الوطني والثقافي بعد أن حول السجن وقسوته إلى قيمة نضالية وثقافية من خلال حصوله على شهادة البكالوريوس في التاريخ من جامعة الأقصى، والدراسة في جامعة القدس المفتوحة تخصص اجتماعيات، والحصول على دورات متعددة في فن الخطابة والنحو واللغة العبرية والقضية الفلسطينية، وتأليفه كتيب باسم (رجال من زمن العزة) تناول فيه سيرة شهداء الجهاد الإسلامي من مخيم نور شمس وهم الشهداء أشرف البردويل وفلاح مشارقة وخالد رايق حسين (أبو صقر)، وفاءً منه وتقديرًا لأرواحهم الطاهرة.

وأراد بذلك إحداث ثورة علمية ثقافية بها يضع حجر الأساس لبناء الحركة والوطن تطبيقًا لمقولته المشهورة التي يرددها دائمًا: "الحرب بيننا وبين عدونا حامية الوطيس، والعلم هو الذي يفصل بيننا". وهو شكل من أشكال المقاومة، فهو يرى النكبة الفلسطينية متعددة الأبعاد، ومن تلك الأبعاد البعد الثقافي. من هذا المنطلق سعى لإحداث ثورة ثقافية انطلاقًا من مدرسته في الثورة والفكر والسياسة والجهاد والأخلاق، ولم يقف عطاؤه عند هذا الحد، بل امتد للعمل التنظيمي فعمل في مجالات عديدة من أمير ولجان متعددة منها الإدارية العامة والوطنية والثقافية حتى العام 2011م، ومنذ ذلك التاريخ قرر عدم الترشح لأي انتخابات تنظيمية سواء كانت فرعية أو هيئة عامة عليا، والتفرغ لبناء الذات دون أن يبخل على إخوانه في أي نشاط ثقافي ينهض في الحركة بالتعبئة والتثقيف وكتابة التعاميم الثقافية وإلقاء الخطب في المناسبات السياسية أو حفلات وداع الأسرى المحررين، فقد جمع القائد أنور بين ميزتين، وهما:

أولها: أنه كاتب وقارئ مثابر لا يعرف الملل بل يستمتع بالقراءة والكتابة.

ثانيا: قوة الصياغة باللسان وفي التعاميم الثقافية وقوة التأثير فلا يدور في متاهات وراء سراب يستهلك وقته وطاقته، ونتيجة لذلك أصبح يمتلك البصيرة ورؤية ثاقبة واضحة ومتوازنة جعلت الكثير من الأسرى يلجأ إليه في تقديم النصح والمشورة.

قصة التحدي وزواجه في السجن

ربما فاجأ الجميع بقصة زواجه في السجن بعقد قرانه على شقيقة الشهيدين القائدين في سرايا القدس أنور وشفيق عبد الغني من قرية صيدا بمحافظة طولكرم اللذين كانت تربطهما به علاقة وطيدة ومميزة، ورغم امتعاض البعض من قراره بالزواج نتيجة حكمه العالي إلا أنه أصر على موقفه، وكان يمتلك بصيرة ونظرة ثاقبة للأمور، ولم يثنه ذلك عن مواصلة سعيه لعقد القران واتخذ قراره المصيري رغم التحديات والعقبات التي واجهته؛ لأنه كان لديه هدف ورسالة سامية يريد تحقيقها بالارتباط بعائلة المجاهدين، وقد تحقق حلمه بتاريخ 24/ 08/ 2008م بإتمام عقد الزواج، وانتابته فرحة عارمة اجتاحت نفسه حين أبلغه المحامي بذلك.

سفراء الحرية

بعد أن تحقق حلمه بالارتباط بشقيقة الشهيدين القائدين في سرايا القدس شفيق وأنور عبد الغني من قرية صيدا، فهزم اليأس والاستسلام لإرادة السجان، وتمرد على الواقع وهو يعلم خبايا منطق المواجهة، ويعرف كيف يوظف قدراته وطاقاته الهائلة في صراع الأدمغة والإرادات التي يخوضها مع السجان، الذي يمتلك أعتى أشكال الدهاء، فقرر الانتقال إلى المرحلة التي تليها بخوض معركة جديدة أُطلق عليها بالثورة البيولوجية وهي امتداد لأشكال المقاومة التي لم تتوقف عن التناسل وإنجاب المجاهدين مادام هناك احتلال، وقد كان يدرك بأن المسألة الديمغرافية

والثقافية لا تقل عن معركة الصراع على الأرض التي تشكل جوهر وعصارة الفكر الصهيوني.

سفراء الحرية التوأمان (عمر، عادل)
على موعد مع الحرية لوالدهم الأسير/ أنور عليان

فهناك حرب ديمغرافية ومحاولات لتقليل نسل الفلسطينيين؛ لفرض واقع لصالح الصهاينة خشية من تزايد عدد سكان فلسطين مما قد يكون دافعًا لمزيد من المقاومة والجهاد والصمود ويؤدي إلى إفشال المشروع الصهيوني، وجاء القرار من الزوجة الوفية الصابرة ومن الأهل الصابرين بالموافقة والفرحة تغمر نفسه، وهو يلهج بالدعاء إلى الله أن ييسر أموره ويردد دعاء سيدنا زكريا عليه السلام مئة مرة في اليوم: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89]، فاستجاب الله له ووهبه توأمين (سفراء الحرية) أسماهما عمر وعادل بتاريخ 03/ 12/ 2014م مما أعطى دفعة معنوية له ولزوجته وأهلها وجدد أمله بالحرية، وشعروا بسعادة غامرة تملأ نفوسهم وبيوتهم بعد مخاض عسير من الألم والمعاناة، وقد تلاشت عنهم كل الهموم، ومما زاد من السعادة حين قرر القائد أنور وزوجته اختيار اسم الولدين على عمر وعادل، فوالد القائد أنور اسمه عمر ووالد زوجته له اسمان عادل وعوني، فاختاروا اسم عادل الذي يعرفه سكان بلدته به، ويا له من بر وإكرام للوالدين، ويا لها من زوجة وفية صابرة محتسبة.

الأسير المجاهد
أنس غالب حسن جرادات

ابن الأرض التي جاهد من أجلها

تاريخ الميلاد: 1981/12/07م

الحالة الاجتماعية: أعزب

مكان السكن: بلدة سيلة الحارثية – محافظة جنين

عدد أفراد العائلة: 19

تاريخ الاعتقال: 2003/05/11م

الحكم: 35 مؤبداً و35 عاماً

نقف اليوم وقفة عز وشموخ للحديث عن تاريخ رجل حافل بالبطولة والمجد، عن رجل له من اسمه نصيب؛ لأنه لين طيب المعشر والأنس، يحبه كل من رآه، فإذا نظرت إلى وجهه يجذبك إليه نور وضاء يترقرق كجدول ماء عذب يتسلل من شجيرات خضراء تغريك بمتابعة النظر، ورغم سني العمر وطولها لا يزال هذا الرجل في عقول ووجدان ونفوس الناس، فتتخيله الناس وهو يسير في الشوارع والحارات والأزقة، وربما ليس عجبًا أن يتخيلوا صورته وهي ترتُسم على سعف النخيل أو على صورة قمر أو جذوع الزيتون أو على خارطة الوطن. هذا الوطن المجروح الذي افتقد ذلك البطل الذي عشق التضحية في سبيل الله ووهب نفسه وما يملك لدعوة الله، فعندما تنتزعه السجون من بين أحضان الوطن يشعر الناس بقيمة ذلك البطل، وربما يصدق عليه قول الشاعر:

سَيَذْكُرُني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ
وفي اللّيلةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البدرُ

فأكثر من بدر أنت أيها البطل المجاهد أنس غالب حسن جرادات، فقد وُلد المجاهد أنس في بلدة سيلة الحارثية التي تقع في الشمال الغربي من مدينة جنين وعلى مسافة عشرة كيلو مترات منها،

وهي تنتسب إلى قبيلة حارثة التي كانت سيدة هذه الديار في الماضي، ففي هذه القرية نما المجاهد أنس جرادات في ظل عائلة تتصف بالمحافظة على القيم والأخلاق الإسلامية.

تربية والده له تربية إسلامية

وقد حرص والده الأستاذ المعلم أن يربي ولده أنس على تعاليم الإسلام، وبدأ حياته إلى جانب أبيه ملتزمًا بالصلاة في المسجد منذ صغره، يذهب مع أبيه إلى المسجد ويحرص على التواجد فيه في كل الأوقات إلى أن تعلق قلبه بالمسجد، فما كان يخرج منه حتى يعود إليه، كما تعلم القرآن وحفظ منه قصار السور لتكون للمجاهد أَنس أُنسًا في حياته ودراسته، كما درس وتعلم في مدرسته سيلة الحارثية وكان والده أحد المعلمين في المدرسة؛ ليزداد علمًا وأدبا وخلقًا، وكان في بداية دراسته من الطلبة المتفوقين، وتشكلت شخصية هذا المجاهد في ظل عائلته الملتزمة وذات العدد الكبير، حيث إن عائلته مكونة إضافة لوالده وأمه من سبعة عشر أخًا وأختًا.

علاقته بالأرض وبواكير جهاده

وفي ظل المسجد وفي ظل زراعة الأرض كان يصر والده على أبنائه بنسج علاقة مبنية على الحب بينهم وبين الأرض؛ ليشربوا منها حب الوطن والدفاع عنه، واستحوذ المجاهد أنس من بين إخوته على حب والده له، فكان دائم الخروج معه إلى زراعة الأرض التي تضم العنب والزيتون والتين والخضراوات، ولفت المجاهد أنس نظر أبيه له حيث ما أن ينظر الوالد لأنس إلا ويجده شارد الذهن صامتًا لا يتكلم إلا قليلًا، وأحيانًا يتعامل مع الأرض بعناد شديد، مما جعل الأب يدرك أن أنس لا زال طفلًا، ولابد من السماح له باللعب مع الأولاد ليعيش طفولته كما أطفال العالم، وكان دومًا يرسله للعب مع الأطفال في الحارة ليلعب معهم ألعابه المشهورة جيش "يهود وعرب"، ولعبة "الخارطة" التي سيكون لها فيما بعد دور مركزي في شخصية أنس، وكان معظم الأطفال في ذلك الوقت يحبون لعبة "يهود وعرب" رغم قساوتها أحيانًا، وكان من المفروض أن تمر هذه الطفولة وقد انشرحت الصدور بالفرحة والبهجة، وارتسمت الفرحة على وجوه الأطفال وهم يلعبون تلك الألعاب، ولكن هيهات فقد كتب على أبناء شعبنا أن يكتسوا بالأحزان وأن تغيب البسمة عن وجوههم في عالم المجهول، عالم الظلم والحرمان والطغيان، فاستبدل المجاهد أنس وبقية الأولاد بسمتهم الرقيقة بالآهات والدموع، فما كانوا يلعبون لعبتهم "يهود وعرب" حتى بات الأمر واقعًا حيًا حيث اقتربت منهم جموع من الجنود الصهاينة فاختلط تكبير الأولاد وحجارتهم أثناء لعبهم مع أصوات الرصاص، وبدأ الأولاد يعيشون هذه اللعبة على طريقة جيش الاحتلال الصهيوني، وبدأ أنس وبقية الأولاد يرشقون الجنود الصهاينة بالحجارة، فطلب الجنود الجبناء والذين ارتعدت فرائصهم واهتزت معنوياتهم أمام سلاح الحجارة تعزيزات صهيونية، مطلقين النار والقنابل المسيلة للدموع على النساء والشيوخ والأولاد والشباب؛ ليتراجع الأولاد وبقية الناس إلى أماكن أكثر بعدًا عن مرمى نيران العدو وأكثر أمنًا في الجبال وكروم العنب وأشجار الزيتون. فهل هذه هي الطفولة؟

وهل هذه هي حقوق الأطفال في العالم؟ مما جعل من المجاهد أنس أن يكون طفلًا حين يلعب وعاصفة حين يغضب، ولهذا يخيف أطفال فلسطين العدو الصهيوني حيث يُروى أن الصهيونية غولدا مائير كانت تقول ليس هناك شعب اسمه الشعب الفلسطيني، بل إن ميلاد طفل فلسطيني كان خنجرًا في خاصرتها، فهؤلاء الأولاد كبروا وكبر معهم المجاهد أنس وهم يريدون أن يكونوا أبطالًا أكثر ولا يريدون أن يكونوا ضحايا أكثر، ولا يريدون أكثر من أن يكونوا بشرًا عاديين، فكان المجاهد أنس يؤمن بأن الغد أفضل، ولكن التاريخ دائمًا كان يفاجئه بخيبة أمل جديدة، مما جعله صلبًا عنيدًا كثير الصمت والغضب، مسكونًا بالحرية إلى حد عشق الفوضى والتدمير، وهناك على جبال بلدة سيلة الحارثية حيث يقيم الوطن المهدد والمهان، حيث يتسلح النرجس الهش بالمخالب والأشواك وتعلو هناك قافية السيف على المفردات، فلعل بمقدور هذا البريق أن يضيء ليل الوعي الفلسطيني والعربي المحدق إلى الهاوية، فهذا هو المجاهد أنس، وهذا هو صوته صوت رعب يكسوه الغضب.

تركه للمدرسة واتجاهه للعمل اليدوي

ونتيجة لاشتداد الهجمة الصهيونية على طلبة العلم في بلدة سيلة الحارثية وإغلاق أبواب المدارس واقتحامها شبه اليومي، قرر المجاهد أنس الخروج من المدرسة والتوجه للعمل في مجال البناء؛ لأنه لا يعرف الهدم فأتقن مهنته أيما إتقان وهو في ريعان الشباب، ولكنه لم يكن ليسأل عن المال ولم يهتم به كثيرًا إلا ما يكفيه مصروف جيب، وما أن اشتد عوده وأصبح يافعًا وفي ريعان شبابه حتى تزينت له الدنيا بأجمل زينتها فسرقته عن العبادة، ولكن هذه الدنيا بحلاوتها وبهائها لم تستطع أن تخطف هذا الفارس عن جواده، ولم تنجح بإغوائه إلى حد كبير؛ لأن والد أنس كان قد عَلّم وأسس أنس بشكل صحيح وزرع فيه لبنات قويمة وروحية، وعلمه التفكير السليم، وكان كلما أراد أن يشتغل بالدنيا حين اجتذابها له لا يجد توفيقًا إلى ذلك فلم يعطها سوى الإهمال، وترى قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قد تجسد فيه: "يا دنيا يا دنية غري غيري طلقتك ثلاثًا لا رجعة بعدها".

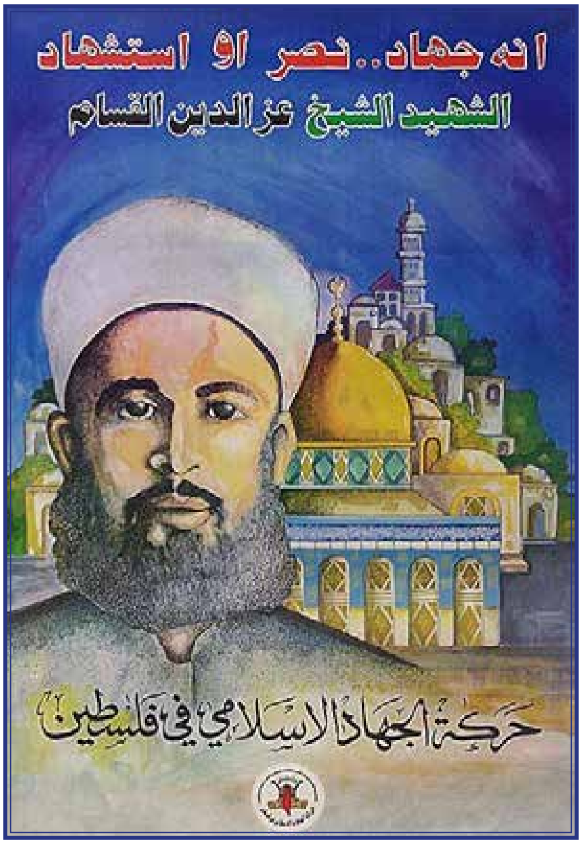

انصرف نظر المجاهد أنس إلى ما هو أهم وأجمل وأنبل من زهو الشباب؛ ليكون جنبًا إلى جنب

مع أبناء شعبه فكان من ضمن الفتيان والشباب الذين شاركوا بفعالية عالية في أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى، ولاسيما في مطلع التسعينيات من القرن الماضي رغم محاولة العائلة تجنيب المجاهد أنس الانخراط في صفوف المتظاهرين؛ حرصًا عليه وخوفًا لصغر سنه، ومع ذلك كان يتقدم الصفوف ويحض الشباب على الثبات في مواقع الاشتباك مع العدو الصهيوني، فلم يكن المجاهد أنس يعرف الجبن والخوف، ولم يكن ليركع إلا لجبار السموات والأرض، فكيف لأنس أن يركع وقد وُلد ونشأ وترعرع على حب الرجال العظام؟ حب القسام وإخوانه وسيرة أمير المجاهدين في بلدة سيلة الحارثية المجاهد الشهيد يوسف أبو دُرَّة الذي اشترك في ثورة القسام تحت قيادة الشيخ عطية أحمد عوض، وأخذوا يغيرون على القلاع اليهودية المجاورة لقضاء جنين، فلمع في معركة أم الزيتات واشترك في مهاجمة سجن عتليت فاقتحمه وحرر سجناءه وأباد حراسه اليهود، ولما انتهت الثورة رحل إلى دمشق ثم إلى عمان، وهناك أُلقي عليه القبض على يد الجنرال البريطاني غلوب، وحُكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم في 30/ 09/ 1939م، فكانت هذه السيرة العطرة لهؤلاء الأبطال بوصلة المجاهد أنس جرادات في حياته حيث كان دومًا يتألم لما أصاب الشعب الفلسطيني من ظلم وقهر وعدوان وإرهاب، فكان عزمه على رد الكرامة إلى أمته وشعبه ولاسيما أنه ابن بلدة سيلة الحارثية التي لا يمكن لها أن تنام على ضيم، فهي تتحول في كل يوم إلى كابوس يخيف الأعداء، وتتحول إلى غضب عارم تحت أقدام الصهاينة، وكانت قناعة المجاهد أنس بأن المجازر التي مورست بحق الشعب الفلسطيني لا تزيده إلا قوة وصلابة، وما أن أدرك المجاهد الحقيقة وأصبح واعيًا وناضجًا لتحمل أعباء المقاومة والتحدي لهذا العدو الصهيوني واذا بمنظمة التحرير الفلسطينية والتي كانت دومًا في صغره يستمع إلى نداءاتها وبياناتها الداعية إلى تصعيد الانتفاضة الفلسطينية قد قررت التوقيع على الاعتراف بالعدو الصهيوني عبر اتفاقية أوسلو المشؤومة، وأصبح من كان يقاوم العدو بالأمس هو صديق للعدو اليوم، فأراد الصهاينة من عملية السلام أن يدفن الشعب الفلسطيني قضيته وينسى ألمه وتضحياته وبطولاته، ويخضع لشروط العدو الصهيوني إلا أن هذا الشعب كان ولا يزال مفعمًا بالحياة وأن مقولات اليأس الرسمية ليست أكثر من رماد يواري المشتعل في صفوف الشعب الفلسطيني، حيث صارع المهزومون على فتات يظنون بأنه مغانم حروب وضعت أوزارها.

فما كان من مجاهدنا البطل أنس إلا التغاضي عن ذلك كله، فقفز فوق كل الحواجز وتمسك بدينه ووطنه، وعاد إلى العمل في مجال البناء في داخل الأراضي المحتلة من العام 1948م، والتي يعرفها ويعرف مدنها وقراها وشوارعها وكل شبر فعاش كما يعيش الآخرون في ظل السعي وراء متطلبات الحياة اليومية، واستمر الحال على ما هو عليه إلى أن وصلت المفاوضات الفلسطينية الصهيونية إلى نهايتها، ولاسيما في العام 2000م حيث اجتمع رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات مع رئيس الحكومة الصهيونية إيهود باراك في قمة كامب ديفيد الثانية

من أجل محاولة الوصول إلى اتفاق كبير، يكون فيه دولة فلسطينية على حدود الخامس من حزيران عام 1967م إلا أن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن ففشلت المفاوضات وخرج الرئيس الأمريكي بيل كلنتون آنذاك بتصريح إعلامي مفاده أن رئيس الوزراء الصهيوني إيهود باراك أبدى مرونة أكثر من الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، وكان هذا يعتبر اتهامًا خطيرًا من الرجل الذي يفترض أن يكون نزيهًا حيث ألقى اللوم على ياسر عرفات، وقال لقد أمطنا اللثام عن وجه عرفات وأنه لا يريد السلام فماذا يريدون؟ فما كان من أرئيل شارون والذي كان فوزه بالانتخابات في الكيان الصهيوني ساحقًا لكل منافسيه؛ إلا أن أكد للعالم بأن الكيان الصهيوني متعطش لقتل الشعب الفلسطيني، فأقدم المجرم الصهيوني شارون على دخول المسجد الأقصى فتصدت له جماهير شعبنا الفلسطيني، وانتفض الشعب الفلسطيني عن بكرة أبيه ليكون تاريخ 28/ 09/ 2000م هو يوم الانتفاضة الفلسطينية الثانية، انتفاضة الأقصى المباركة.

دوره في انتفاضة الأقصى

وكان المجاهد أنس جرادات من أوائل من لبى الواجب المقدس في الدفاع عن أقدس المقدسات، وهي القدس الشريف، فقد حانت الفرصة التي طالما تمناها المجاهد أنس، وبدأ يشارك في كل فعاليات ونشاطات انتفاضة الأقصى، مستعيدًا ذكريات الانتفاضة الفلسطينية عندما كان فتًى يافعًا، أيام لم يكن يسلم من العدو الصهيوني لا الطلبة ولا المدرسون ولم تكن يومها الوطنية والتضحية وجهة نظر، أيام لم يجد الطلبة كتبًا كاملة وكافية للتعليم، فرغم صغر سنهم إلا أنهم كانوا كبار النفوس، فهناك وبتلك الظروف وجد المجاهد أنس ضالته فكانت أول الطريق وأول الوعي وأولى الخطوات، ورغم صمته الشديد والمطبق لم تكن عائلته تستطيع أن تعلم حجم مشاركته الكبيرة في الانتفاضة الأولى، وكذلك الانتفاضة الثانية وخاصة في أشهرها الأولى فكان المجاهد أنس متحركًا سريع الحركة وبسرية وكتمان شديد فوقف إلى جانب شعبه في مواجهة العدو الصهيوني، وقف دفاعًا عن الشعب الفلسطيني، دفاعًا عن الأرض، دفاعًا عن العقيدة، دفاعًا عن المستضعفين، فجاءت هذه الانتفاضة الفلسطينية، انتفاضة الأقصى، تعبيرًا حقيقيًا عن إرادتهم الوطنية، وإصرارهم على إعادة الأمل والحياة الذي يحقق للشعب الفلسطيني الحرية والاستقلال.

وجد المجاهد أنس نفسه في ظل أسئلة كثيرة حول الوسائل التي من خلالها يمكن أن تخدم الهدف الفلسطيني، وأن يتجنبوا خطر استدراجهم إلى الحلبة العسكرية التي دشنها المجرم شارون الدموي؛ ليُدْرِج حربه على الشعب الفلسطيني في سياق الحرب على الإرهاب منذ أضاعت أمريكا الحدود ما بين الإرهاب وما بين المقاومة، فكان المجاهد أنس قد قرر الوقوف إلى جانب من يحمل هم الأمة كل الأمة، فوجد نفسه يتأثر بخاله المجاهد سامي جرادات في ظل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وبدأ المجاهد أنس يعمل في صفوف سرايا القدس وسط قناعة راسخة أنه لابد من عسكرة الانتفاضة الفلسطينية للجم العدو الصهيوني المتغطرس،

الأسير القائد/ أنس جرادات
خلال مشواره الجهادي في انتفاضة الأقصى

فكان للمجاهد أنس جولات وصولات في مواجهة العدو الصهيوني على الطرق الالتفافية في مدينة جنين، ونتيجة لشجاعته وإقدامه وحسه الأمني أراده قادة سرايا القدس أن يكون أحد القادة الميدانين للسرايا في مدينة جنين، فطلب منهم مهلة من أجل التفكير العميق بهذا الأمر؛ إلا أنه وجد نفسه أمام ضغط قادة وكوادر سرايا القدس قائلين له بصوت مرتفع: أيها المجاهد العنيد أطلقها نارًا في وجه الأعداء! أطلق كلمتك المشهورة ما دام على الشعب الفلسطيني باستيل ومادام هناك قضبان وسياط ودماء يا أنبل قنديل، أسمعها تهدر ملء دمي، أسمعها في الوديان على الغابات على القمم، وأسمع صرخات الأحرار وصوت الرشاش ولا تسمع لغارات الأوباش، فما كان من المجاهد أنس إلا الموافقة على ما يريدون مزمجرًا في وجه العدو الصهيوني:

عنيدٌ أنا.. كالصخور

إذا حاولوا عصرها

وقاسٍ أنا كالنسور

إذا حاولوا قهرها

وصلب أنا كالجسور

إذا أثقلوا ظهرها

وحين أثور

تعيد البراكين لي سرّها!

دوره في مواجهة عملية السور الواقي

وابتدأ مشوار المجاهد أنس جرادات جنبًا إلى جنب مع قادة وكوادر سرايا القدس في مدينة جنين، ابتداءً مع المجاهد القائد العام لسرايا القدس نعمان طحاينة والمجاهد خالد زكارنة وإياد صوالحة والعديد من كوادر سرايا القدس؛ ليكون للمجاهد أنس شأن عظيم في كبح جماح المجرم شارون المتعجرف الذي أعلن عندما تم انتخابه كرئيس للحكومة الصهيونية أمام حكومته بأنه سيقضي على الانتفاضة الفلسطينية في غضون مائة يوم؛ فوجد نفسه أمام مجاهدي سرايا القدس صاغرًا باكيًا لشدة وقوة العمليات الاستشهادية مما جعله يأخذ قرار تنفيذ عملية أسماها السور الواقي (حومات مغين)،

وهي عبارة عن سلسلة من العمليات التي قامت بها فرق ووحدات الجيش الصهيوني بتعداد جيش قوامه عشرون ألفًا لمواجهة الشعب الفلسطيني في محافظات الضفة الغربية، وتم تنفيذ هذه العمليات في الفترة الواقعة بين 29 مارس (آذار) وانتهت بيوليو (تموز) 2002م، والادعاء الصهيوني أن الهدف من هذه العملية هو تصفية القواعد "الإرهابية" الفلسطينية وإيقاف العمليات الاستشهادية، وحوصرت المقاطعة مقر السلطة الفلسطينية في رام الله حصارًا شديدًا، وتم هدم بعض مبانيها للضغط على رئيس السلطة ياسر عرفات، كما تم تنفيذ عمليات صهيونية واسعة النطاق في كل من نابلس وجنين، وكانت معارك جنين الأكثر قسوة وضراوة، فقاوم المجاهدون ببسالة، واستخدم الجيش الصهيوني طائراته لقصف مواقع استحكام الفلسطينيين، ونفذ مسلسلًا من المجازر في جنين ومخيمها، وتم تدمير أجزاء كبيرة من المخيم تدميرًا كاملًا تناقلت أحداثه وسائل الإعلام العالمية، وأدت معركة مخيم جنين إلى استشهاد أهم قادة سرايا القدس منهم الجنرال محمود طوالبة والقائد طه زبيدي وعبد الرحيم فرج، كما تم اعتقال أهم القادة العسكريين في معركة مخيم جنين وعلى رأسهم القائد الكبير ثابت مرداوي، والقائد الحاج علي الصفوري؛ ليكون المجاهد أنس جرادات بعدها على موعد مع الدم والجهاد. هذا الدم الذي يلون الأفق ويلون التاريخ ويلون الواقع ويلون الأرض، فاجتمع مع قادة سرايا القدس في جنين خالد زكارنة وإياد صوالحة ونعمان طحاينة وسامي جرادات وسعيد طوباسي وغيرهم من القادة، ليسفر هذا الاجتماع بتكليف المجاهد أنس للعمل مع المجاهد خالد زكارنة الذي كان قد تدرب على جميع فنون القتال وتصنيع المتفجرات في جنوب لبنان وعلى أيدي رجال المقاومة في لبنان ومعسكرات الحركة في الخارج، فكان لديه الخبرة الكبيرة في العمل الجهادي، وكان وراء تطور أداء سرايا القدس في مدينة جنين ولاسيما بتجهيز عمليات الاستشهاديين سامر شواهنة ورأفت أبو دياك وراغب جرادات وعبد الكريم طحاينة. واتفق المجاهد أنس مع القائد المجاهد خالد زكارنة على التجهيز لعملية استشهادية في قلب الكيان الصهيوني ردًا على مجزرة مخيم جنين، وقام المجاهد أبو مصعب بتجنيد الاستشهادي محمد حمدية وهو من سكان مدينة جنين، والأصل أنه من قطاع غزة،

وتمكن المجاهد إياد صوالحة وبمساعدة المجاهد أبو مصعب من إحضار لغم أرضي، واستخراج المادة المتفجرة من داخله وتعبئتها بواسطة أنابيب صغيرة من النحاس المفرزة، ويشرف على ذلك المجاهد إياد صوالحة، وكما أشرف على عملية تصوير المجاهد محمد حمدية، ومن ثم قام بإرسال الاستشهادي إلى المجاهد أنس جرادات ليتولى مسئولية إخراج العملية لحيز التنفيذ، واستطاع المجاهد أنس جرادات أن يوصل الاستشهادي محمد حمدية بتاريخ 20/ 05/ 2002م إلى المكان المعد لتنفيذ العملية في قلب الكيان الصهيوني، ولكن حدث أمر ما ولم يتمكن المجاهد محمد حمدية من صعود الحافلة الصهيونية مما أدى إلى استشهاده دون وقوع قتلى بصفوف الصهاينة، فكان لزامًا على القائد العام والذي خطط لهذه العملية أن يسعى جاهدًا إلى تعديل نتائج العملية بعملية أخرى ناجحة وبأسرع وقت ممكن، وأصر على تنفيذ هذه العملية بنفسه رغم المعارضة الشديدة من قبل قادة سرايا القدس، وقرر المجاهد خالد زكارنة أن يذهب لتنفيذ عملية بنفسه وبصحبة المجاهدين أنس جرادات وعبد الهادي العمري في منطقة قريبة من بلدة سيلة الحارثية على طريق تسير فيه العديد من الدوريات الصهيونية، ونجح المجاهد أنس وإخوانه في وضع عبوة ناسفة لإحدى الدوريات، وكانت الخطة تقتضي أنه عند تفجير العبوة يقوم المجاهد خالد زكارنة بإطلاق صاروخ لاو على الدورية الصهيونية لقتل من تبقى منها حيًا، ويقوم المجاهد أنس جرادات وعبد الهادي العمري بالتغطية بإطلاق النار من سلاح نوع (M16) بالإضافة إلى متابعة تنفيذ العملية، وما أن انفجرت العبوة الناسفة حتى بادر المجاهد خالد زكارنة بإطلاق صاروخ اللاو باتجاه الدورية، وهنا انفجر صاروخ اللاو بالمجاهد خالد زكارنة؛ ليتبين فيما بعد من التحقيق الذي أجراه قادة سرايا القدس أن هذا الصاروخ والذي تم شراؤه من طولكرم كان مفخخًا مما أدى إلى قطع رأس المجاهد خالد زكارنة ويده اليمنى، وباستشهاد هذا القائد والمعلم المجاهد خالد زكارنة بتاريخ 22/ 05/ 2002م تكون سرايا القدس قد خسرت مهندسًا فذًا في تصنيع الأحزمة الناسفة والعبوات والمتفجرات، فحزن مجاهدو سرايا القدس على فراق معلمهم وقائدهم ومرشدهم، فكان الشهيد خالد بالنسبة للمجاهد أنس جرادات بمثابة نموذج من الرجال الشجعان، رجال تُشكل على مدى الدهر منارات يهتدي بها السائرون في رحاب الله، فيظل زيتها يضيء ونورها يسطع للحاق بركب الأحبة محمد وحزبه، وهنا كانت الأمانة التي تركها الشهيد القائد خالد زكارنة على عاتق سرايا القدس ثقيلة جدًا، وليس من السهل حملها ولكن بفضل من الله عز وجل، ثم بصمود وإرادة وعزيمة قادة سرايا القدس وهم مثلث الرعب الفلسطيني إياد صوالحة (أبو شقارة) وأنس جرادات وسعيد طوباسي، فهيأ الله لهم أن يكون على أيديهم النصر المُشرف في عملية من أهم وأروع العمليات الاستشهادية بعد عملية بيت ليد الأسطورية، حيث بدأ مثلث الرعب الفلسطيني إياد وأنس وسعيد

الشهيد القائد/ خالد زكارنة
استشهد بتاريخ
22/ 05/ 2002م

بالتخطيط في حضرة المعلم المجاهد نعمان طحاينة من أجل ضرب العدو الصهيوني ضربة لن ينساها أبدًا، ردًا على مجزرة مخيم جنين.

دوره في عملية مجدو الاستشهادية

اقترح المجاهد إياد صوالحة أن يتم إرسال سيارة مليئة ببراميل المتفجرات يقودها استشهادي ويستهدف حافلة صهيونية تكون مكتظة بالجنود والضباط الصهاينة، وبما أن العمل في سرايا القدس عمل جماعي بدأ كل مجاهد بالقيام بما طلب منه من أجل إنجاح العملية، فاستطاع المجاهد إياد صوالحة تجنيد الاستشهادي حمزة سمودي؛

الاستشهادي/ حمزة سمودي
استشهد بتاريخ 05/ 06/ 2002م

بالإضافة إلى تصويره من أجل العملية وتحضيره نفسيًا وروحيًا، كما قام المجاهد سعيد طوباسي وبمساعدة المجاهد شادي العموري بشراء سيارة لاستخدامها في العملية، ولما انتهى المجاهدون إياد صوالحة وسعيد طوباسي وأنس جرادات من تصنيع المواد المتفجرة، قام المجاهد إياد صوالحة بتعبئة المتفجرات في براميل خاصة، بالإضافة إلى تركيب شبكة الدائرة الكهربائية مع صواعق التفجير، وأصبحت العملية في هذه اللحظات جاهزة بالكامل، ولم يبق سوى إخراج السيارة المفخخة مع الاستشهادي حمزة إلى موقع العملية. ولم يكن أحد له المقدرة والقوة والذكاء والشجاعة على القيام بمثل هذه الأمور إلا المجاهد العنيد أنس جرادات حيث إن الأجهزة الأمنية الصهيونية تنتشر في كل مداخل ومخارج مدينة جنين، ولكن بفضل من الله وبتوفيق منه، ثم بحنكة وحسن تخطيط المجاهد أنس جرادات استطاع إخراج السيارة المفخخة من مدينة جنين باتجاه الهدف.

وفي هذا الوقت كان رئيس الوزراء الصهيوني أرئيل شارون يتبجح أمام الإعلام الصهيوني بأنه استطاع القضاء على المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية، والقضاء على عش الدبابير في مخيم جنين، وأنه أخمد انتفاضة الشعب الفلسطيني كما أخمد حرب العام 1967م، حيث خلال ستة أيام كان العدو الصهيوني يحتل فلسطين بالكامل بالإضافة إلى صحراء سيناء في مصر والجولان السوري، وكان المجرم شارون بهذه الأثناء يحظى باهتمام وسائل الإعلام الصهيونية وله نسبة تأييد مرتفعة في الشارع الصهيوني، حيث كان يقول إن حرب الاستقلال _استقلال دولة الكيان_ لم تنته، وإن ما يجري هو استمرار لتلك الحرب، وعادة في الحرب تستخدم كل وسائل القتال، ويظل كل طرف يسعى لتحقيق أهدافه من خلال وسائل

القتال والعنف، وشكلت مقولته: "دعوا الجيش ينتصر" شعارًا وعنوانًا للسياسة الصهيونية في مواجهة انتفاضة الأقصى، وأصبح برنامج شارون والمؤسسة الأمنية الصهيونية هو إلحاق الهزيمة بالفلسطينيين، وفرض الاستسلام عليهم؛ ليقبلوا بالفتات وبالشروط الصهيونية للخضوع والركوع، ولكن خاب أمل ورجاء المجرم شارون وعصاباته المجرمة حيث جاءهم الإعصار الهادر المجاهد أنس جرادات بسيارة مفخخة وباستشهادي فذ لا قبل لشارون وجنوده بهما، وسار المجاهد أنس بالسيارة المفخخة عابرًا ومخترقًا كل الحواجز ومتسلحًا بالتوكل على الله عز وجل، وكأن ملائكة الرحمن قد تنزلت لتفتح لهما الطريق للوصول إلى موقع العملية في مفرق مجدو، وكان يردان المجاهد أنس والاستشهادي حمزة قول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: 9]. وما هي إلا سويعات حتى انطلق الاستشهادي حمزة بالسيارة المفخخة باتجاه حافلة صهيونية مليئة بالجنود الصهاينة ليفجر السيارة قرب الحافلة الصهيونية؛ وتعلو النيران وتتناثر أشلاء الصهاينة في كل مكان ويتصاعد الدخان الكثيف، وأصبح الباص ومن به فرنًا لصهر الحديد حتى إن أسلحتهم من نوع (M16) صُهرت لشدة النيران، كما يُذكر أنه تطايرت أجزاء من الباص المتفجر في الهواء ليسقط على خيم الأسرى والمعتقلين في سجن مجدو القريب من موقع العملية، وزلزل الأسرى الأرض بفرحهم وسرورهم لرؤية الباص الصهيوني وهو ينفجر في ساعات الصباح الباكر، لتعلو صيحات الله أكبر الله أكبر، وارتفعت معنويات الأسرى والمعتقلين حين علموا من هذه العملية أن هناك مجاهدين ما لانت لهم عزيمة وظلوا من بعدهم بحمد الله عمالقة بعقيدتهم، ويقولون للصهاينة الويل لكم من نار وغضب سرايا القدس حيث أدت العملية لمقتل 17 جنديًا صهيونيًا وإصابة العشرات بجراح مختلفة، وكانت هذه العملية تحديًا للمجرم شارون قاتل الأطفال والمتبجح أمام الإعلام، وعندما علم أن من نفذ هذه العملية هم قادة ومجاهدو سرايا القدس ومن مدينة جنين جن جنونه، وجن جنون الشاباك الصهيوني.

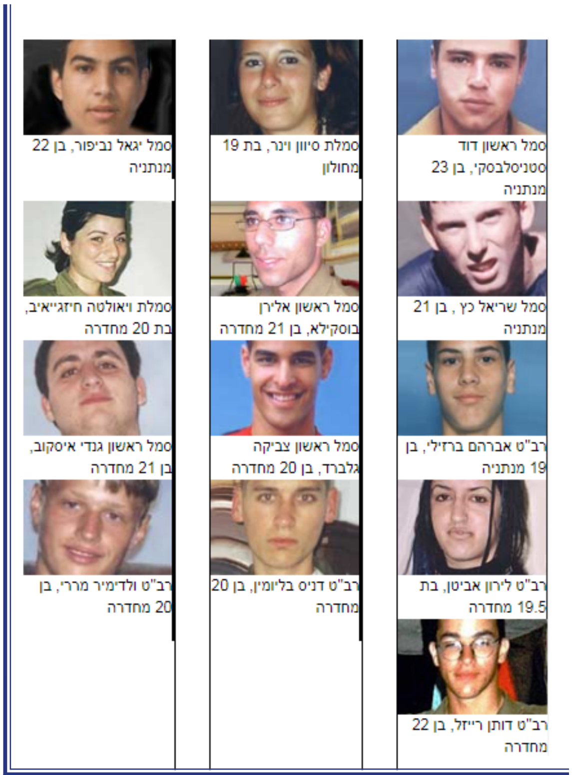

القتلى الصهاينة في عملية مجدو الاستشهادية
بتاريخ 05/ 06/ 2002م

ومن المفيد قوله أن هذه العملية والتي جاءت في تاريخ 05/ 06/ 2002م تزامنت مع الذكرى

الخامسة والثلاثين لحرب حزيران عام 1967م، تلك الذكرى المأساوية والتي وصفها الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي بأنها لم تكن لتنتهي إلا وجيش العدو الصهيوني في قلب مدينة القدس وعلى ضفاف مدينة السويس وفوق الجولان السوري؛ إذ كانت عمان تعلن سقوط القدس حيث كان المذيع ذلك اليوم يسكب في النفس الحزن واللوعة، ويصعد في القلب التشنج، فكانت الجماهير المسلمة من طنجة إلى جاكرتا ومن اسطنبول إلى لاجوس تخرج إلى المساجد صارخة ذاهلة باكية، وكانت تسأل عمن يدلها على الطريق، طريق بيت المقدس، ولكن دونما مجيب. بل هناك مجيب يا معلمنا ويا قائدنا ويا فارسنا، يا شهيد الأمة يا فتحي الشقاقي، فقد جاء تلاميذك يا أبا إبراهيم المجاهدون إياد صوالحة وسعيد طوباسي وأنس جرادات ليخرجوا من بين الأنقاض، ومن بين الركام ليستمروا في نهجك المقاوم، فهم وحدهم أبطال السرايا الذين غيبوا أوجه الهجمة الصهيونية في غبار التاريخ، فوحدهم إياد وسعيد وأنس الذين لبوا النداء ليدلوا البشرية على الطريق، طريق القدس والاستقلال والحرية والنهضة، طريق العزة والكرامة، معيدين للشعب الفلسطيني الأمل والثقة بأن علو الصهاينة إلى اندحار، وأن غزوهم إلى زوال.

يأس شارون في مواجهة السرايا

بدأ المجرم شارون يتخبط ولا يعرف ماذا يقول للصهاينة، وذُهل من شدة ما رأى وأيقن أنه يجابه مجموعة أبطال من سرايا القدس، عشقوا الموت كما يعشق الصهاينة الحياة، هذا الموت الذي صار ملح السرايا وحبرها وحديثها وماءها وهواءها، فأقدم شارون بعد هذه العملية البطولية على اجتياح جديد للضفة الغربية عبر عملية أسماها طريق الإصرار (ديرخ نحوشا)، وهي عملية قامت بها قوات منتخبة من الجيش الصهيوني في عدد من مدن وقرى الضفة الغربية في حزيران وتموز من العام 2002م، وبادعاء قرار الكيان الصهيوني بتصفية تامة للمقاومة الفلسطينية التي باتت تشكل خطرًا وجوديًا على جمهور الكيان الصهيوني، وخاصة بعد سلسلة من العمليات الاستشهادية التي نفذتها الفصائل الفلسطينية وفي مقدمتها سرايا القدس، ونفذ العدو الصهيوني سلسلة من الاقتحامات على قرى وبلدات متعددة؛ لإلقاء القبض على المطلوبين وادعى الكيان الصهيوني أنه بهذه العملية سيحبط مسبقًا أي عملية تخطط لها المقاومة الفلسطينية.

ونتيجة لذلك ارتأى المجاهدون إياد صوالحة وأنس جرادات وسعيد طوباسي أخذ قسط من الراحة، ولكن كيف لهم أن يرتاحوا ويناموا بينما قادة العدو الصهيوني لا ينامون، ويصلون الليل بالنهار، لا يفترون من أجل القضاء على الانتفاضة الفلسطينية؟ وقرر المجاهدون إياد صوالحة وأنس جرادات وسعيد طوباسي وبمباركة وتخطيط المجاهد الكبير نعمان طحاينة الرد على المجزرة التي ارتكبها العدو الصهيوني في قطاع غزة بتاريخ 23/ 07/ 2002م، والتي أدت لاستشهاد القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام الشهيد صلاح شحادة وأبنائه والعديد من الأطفال حيث تم هدم المنازل على ساكنيها عبر القصف الهمجي من قبل طائرات الـ (F16)، فكان لابد من الرد على هذا العدوان بما يتناسب وحجم

المجزرة، واتخذ قادة سرايا القدس القرار بتنفيذ عملية في قلب العدو الصهيوني بواسطة سيارة مفخخة تحمل ما يقارب 400 كغم من المتفجرات؛ ليتم تفجيرها في عمارة سكنية مكونة من عشر طبقات في مدينة الخضيرة المحتلة، وبدأت المجموعة المجاهدة تعمل بشكل جماعي كخلية نحل، وتمكن المجاهد سعيد طوباسي من إحضار سيارتين من أجل العملية، واحدة من نوع جيب، وأخرى عادية، بينما تمكن المجاهد أنس وبمساعدة أفراد مجموعته من تجهيز كمية كبيرة من المتفجرات بالإضافة إلى تمكنه من تجنيد المجاهدين مؤيد زيود وسامي زيود من بلدة سيلة الحارثية في مدينة جنين لمساعدته في إيصال السيارات المفخخة أو الاستشهاديين إلى قلب الكيان الصهيوني، واكتمل بذلك الإعداد والاستعداد لهذه العملية حيث قام المجاهد إياد صوالحة بتعبئة المواد المتفجرة بالبراميل،

الشهيد القائد/ إياد صوالحة
استشهد بتاريخ 09/ 11/ 2002م

ووضعها في داخل الجيب وقام بتركيب الدائرة الكهربائية وتوصيلها بالصواعق المتفجرة، وما أن انتهى المجاهدون إياد وسعيد وأنس من تجهيز السيارات بالمتفجرات حتى اجتمعوا بحضرة الشهيد القائد نعمان طحاينة، وبدأت ساعات العملية الأخيرة، وتعاهد الأبطال نعمان وإياد وسعيد وأنس على الثأر لدماء الأطفال والنساء والشيوخ من أبناء الشعب الفلسطيني، وبدأ المجاهدون يستحضرون الماضي ليتذكروا أحداث مجزرة مخيم جنين ونابلس وبيت لحم وغزة هاشم ليؤكدوا للاحتلال الصهيوني وجنوده بما ينوون القيام به أن جنين القسام تقول لكم أيها الصهاينة ماذا تريدون منا؟ فقد تصمت الشعوب لفترة، ولكنها لا يمكن لها أن تظل خرساء، وبدأت أرواحهم تحدث الشعب الفلسطيني قائلة لهم: يا شعبنا الموعود بالنصر، رغم الجراحات النازفة والآلام وأعراس الشهداء المتواصلة، ورغم تنكر العالم كل العالم لنا ولتضحياتنا؛ إلا أننا سننمو ونتفتح ونتجذر أكثر في أرضنا المباركة؛ لتعلوا هاماتنا لحظة بلحظة لتطال أعناق الصهاينة جميعًا، فكل المؤشرات والدلائل تؤكد صعودنا نحو الشمس وانحدارهم إلى مزبلة التاريخ.

إخفاق في تنفيذ عملية الخضيرة

انطلق المجاهد أنس جرادات بالجيب المليء بالمتفجرات بصحبة مساعديه مؤيد وسامي زيود حيث تم توكيلهم من قبل القائد نعمان طحاينة وإياد صوالحة بمهمة هي أم المهمات وهي إخراج السيارة المفخخة من قلب مدينة جنين إلى قلب الكيان الصهيوني، وانطلق المجاهدان مصحوبين

بدعاء المجاهد نعمان طحاينة الذي رفع يديه قائلًا: يا الله يا الله، إننا نتوسل إليك ليس لأجلنا فقط، بل لأجلهم أكثر، ولأجل الشعب الفلسطيني أكثر وأكثر، اللهم نسألك أن تعين الأيدي المتوضئة على تنفيذ هذه المهمة، اللهم هب لنا جميعًا القوة والإيمان! وبدأ المجاهد أنس جرادات بالتحرك وساق الجيب المفخخ، وكان يساعده المجاهد مؤيد زيود بفتح الطريق أمام المجاهد أنس جرادات بينما كان المجاهد سامي زيود ينتظر على نقطة الحدود مع الكيان الصهيوني، وفي هذه الأثناء كانت الأجهزة الأمنية الصهيونية تنتشر في كل مكان وتضع الحواجز العسكرية على مداخل ومخارج مدينة جنين، وبالرغم من ذلك تمكن المجاهد أنس جرادات من عبور بلدة سيلة الحارثية بمساعدة المجاهد مؤيد زيود متجاوزين بسيارتها مدينة جنين القسام، وتمكنا من دخول مدينة أم الفحم وكانت الساعة حوالي الثامنة مساءً، واجتمع المجاهدون أنس ومؤيد وسامي في منطقة نائية حتى الساعة الحادية عشرة ليلًا، ومرت الدقائق تلو الدقائق، وركب المجاهدون سامي ومؤيد زيود هذه المرة الجيب المفخخ، وبدأ أنس بفتح الطريق أمامهم، ويقول المجاهد أنس إنه قد أشار إليه أحد مساعديه أنهم قد عبروا الطريق وأنه تم تجاوز المناطق الحرجة الواقعة بين أم الفحم وكفر قرع بحيث أصبحت الأحراش من خلفهم، خلف المدينة فهي غابة ضخمة، وهنا بهذه الأجواء الصعبة أحس المجاهد أنس بقشعريرة تهزه ونشوة تتملكه، وحاول مغالبة دمعه دون جدوى حيث هنا كان قد استحضر قافلة الشهداء وفي مقدمتهم خالد زكارنة ومحمود طوالبة وإياد حردان وأسعد دقة وإيمان حجو وريهام أبو الورد ومحمد الدرة، وما كان منه إلا أن يقول: اللهم نسألك خير هذه العملية؛ لتكون ثأرًا لدماء هؤلاء الأطهار الشهداء الأكرم منا جميعًا! وبقي المجاهدون أنس وسامي ومؤيد يقفون على جانب الأحراش حتى الساعة الواحدة ليلًا مستعينين لتنفيذ عمليتهم بستر وعتمة الليل التي صرحت أنها ليلة سوداء وزاد سوادها لأجل سرايا القدس، وبدأ التحرك لأفراد المجموعة بقيادة المجاهد أنس الساعة الواحدة والنصف ليلًا من يوم 05/ 09/ 2002م باتجاه مدينة الخضيرة المحتلة، وتفاجأ المجاهدون باصطدامهم بحاجز عسكري قبل الشارع الرئيسي المؤدي إلى الهدف، وتمت ملاحقة المجاهدين على اعتبار أنهم خارجون عن القانون أو مهربون يريدون سرقة السيارات أو ما شابه، وبدأت المطاردة من قبل العدو الصهيوني للمجاهد أنس جرادات الذي يقود السيارة ولمؤيد وسامي زيود اللذين يقودان الجيب المفخخ، وبعد مطاردة ساخنة في شوارع الخضيرة المحتلة وبالاستعانة بقوات كبيرة من الشرطة الصهيونية تمكن المجاهدان مؤيد وسامي من ترك الجيب المفخخ، والنجاح بالهروب والعودة إلى مدينة جنين، بينما كانت الملاحقة والمطاردة الأشد للمجاهد أنس لاسيما أن العدو الصهيوني عندما فحص الجيب المفخخ وجد كميات ضخمة من المتفجرات، وفهم الشاباك الصهيوني أن هذه المحاولة هي لتنفيذ عملية في قلب مدينة الخضيرة، وتم استخدام الطائرات في ملاحقة المجاهد أنس، ولكن بفضل الله -عز وجل- ثم بدعوات المجاهدين إياد صوالحة ونعمان طحاينة وخبرة المجاهد أنس تمكن من الهروب باتجاه مدينة

جنين بعد ملاحقة ساخنة جدًا استمرت من الساعة الثانية ليلًا حتى ساعات الصباح الأولى، فيما كانت وسائل الإعلام الصهيوني تتحدث عن هذه العملية الفريدة من نوعها وجرأتها، وبعد أن تمكن المجاهد أنس ومؤيد وسامي من العودة إلى مدينة جنين بأمن وسلام، قام المجاهد إياد صوالحة بالحديث مع قادة الحركة في الخارج، وأطلعهم على تفاصيل هذه العملية وطمأنهم على صحة وسلامة المجاهدين، وهنا كانت هذه المكالمة قد رصدت من قبل الوحدة الاستخباراتية (8200) فأوعزت للشاباك الصهيوني بأن الجهة التي تقف وراء هذه العملية الآن في مدينة جنين، مما جعل الشاباك يخفف تشديداته الأمنية على مداخل ومخارج مدينة جنين.

اجتمع المجاهد أنس بالقائد العام نعمان طحاينة والقائد إياد صوالحة وبدأ يخبرهما بتفاصيل الأحداث والعقبات التي واجهتهم، فما كان من المجاهدين إياد ونعمان إلا القول الحمد لله رب العالمين والخيرة فيما اختاره الله _عز وجل_ وقدر الله وما شاء فعل، وتحدث المجاهد نعمان رغم تعب المجاهدين وخاصة المجاهد أنس الذي كان تبدو عليه علامات الإرهاق والتعب الشديد عن ضرورة البدء من جديد للإعداد لعملية أخرى وعدم السماح للعدو الصهيوني أن يلتقط أنفاسه، وعلى هذا العدو الصهيوني أن يعلم اعتبارًا من اليوم بأن سرايا القدس ستوجه للشاباك الصهيوني الضربة تلو الأخرى.

ومن الجدير ذكره أن الزعيم الصهيوني شمعون بيرس قد علق على هذه العملية قائلًا: "لو نجحت العملية وتم تفجير الجيب في المكان المرصود لغيرت معالم كثيرة في الشرق الأوسط"، وهذه كناية عن رسالة أراد بيرس توجيهها إلى الدول العربية الداعمة للمقاومة الفلسطينية والتي تحتضن قادة الجهاد الإسلامي، وخاصة سوريا ولبنان وإيران، وتم تشديد الإجراءات الأمنية الصهيونية على مناطق الضفة الغربية من أجل إحباط أي عملية ممكن أن تحدث، وعمل جهاز الشاباك على تجنيد عدد كبير لاعتقال أو اغتيال قادة سرايا القدس، وعليه كان لزامًا على المجاهد أنس وأفراد المجموعة أخذ الحذر الشديد في تحركاتهم، وهنا جاء دور المجموعات والخلايا الأخرى لسرايا القدس لتقوم بعدة عمليات إطلاق نار وزرع عبوات ناسفة لعدم السماح لدوريات العدو الصهيوني بالدخول إلى مدينة جنين وشوارعها وحاراتها وأزقتها، مما مكن المجاهدين إياد صوالحة وأنس جرادات وسعيد طوباسي وبمباركة القائد نعمان طحاينة من الاستعداد لتجهيز عملية استشهادية جديدة، على الرغم من قوة الحملات التشويهية للعمليات الاستشهادية من قبل الإعلام الغربي وإلى حد ما الإعلام العربي الذي كان يصف الاستشهادي بالانتحاري وبالإرهابي، وكذلك محاولة الأجهزة الأمنية للسلطة الفلسطينية اجتثاث هذه الظاهرة وبطرق شتى، فما كان من مجاهدي سرايا القدس إلا

الشهيد القائد/ نعمان طحاينة
استشهد اغتيالاً بتاريخ
13/ 07/ 2004م

العمل على إعادة الوعي المسلوب للشعب الفلسطيني عبر تثقيفه بأهمية العمل الاستشهادي.

مقاومة حملات تشويه العمليات الاستشهادية

وبدأ المجاهدان أنس وإياد وسعيد وكافة وحدات سرايا القدس يردون على هجمات التشويه ضد العمليات الاستشهادية، موضحين للناس أهمية العمليات الاستشهادية وتحديدًا في أوساط التجمعات السكانية الصهيونية (حافلات، نوادٍ، أسواق،...إلخ)، حيث بات معروفًا أن العمليات التي تتطلب حياة منفذيها ليست فريدة من نوعها أو تخص الوضع الفلسطيني، فقد مارسها الكاميكازي في اليابان في الحرب العالمية الثانية، وخلال الاعتداء على قناة السويس أيضًا حيث نفذ جول جمال عملية استشهادية، وفي الساحة اللبنانية عرفت العمليات خلال وجود المارينز في لبنان، وقد مارستها أيضًا الثورة الفلسطينية خلال العمليات التي تمكن الفدائيون فيها من اجتياز الحدود واحتجاز رهائن أو اختطاف حافلات، على سبيل المثال عملية دلال المغربي في العام 1978م، وعملية معالوت ترشيحا في العام 1974م. إضافة إلى ذلك ما جاء من سيرة عملية لجهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجهاد الصحابة والتابعين والسلف الصالح ومن بعدهم صور رائعة، ونماذج فريدة، وأدلة ساطعة على العمل الاستشهادي ومشروعيته، ومن ذلك: ما جاء في قصّة تحصن بني حنيفة يوم اليمامة في بستان لمسيلمة كان يُعرف بحديقة الموت، فلمّا استعصى على المسلمين فتحه، قال البراء بن مالك (وهو ممّن إذا أقسم على الله أبَرّه، كما في سنن الترمذي بإسناد صحيح) لأصحابه: "ضعوني في الجحفة وألقوني إليهم"، فألقوه، فقاتلهم حتى فتح الباب للمسلمين. وورد أيضًا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَذِن لعوف بن عفراء ولعُمير بن الحمام وأنس بن النضر بالاقتحام على العدو في غزوة بدر ولم يسألهم عن طريقة اقتحامهم أو صفته، ولم يشترط عليهم شروطا لهذا الاقتحام.

الإعداد لعملية كركور الاستشهادية

شعر المجاهد أنس أن على كاهله حملًا ثقيلًا حيث أصبح يحمل هموم أهالي وأحبة الشهداء في العالم كله، وحكاية الشهداء وقصص صمودهم، وكل ذلك سيبقى في الذاكرة لينتقل من جيل إلى جيل، ونتيجة لذلك استطاع المجاهد محمد أبو عقل أحد أبطال سرايا القدس تجنيد الاستشهاديين أشرف الأسمر ومحمد حسنين، ورتب لهما موعدًا مع أحد قادة سرايا القدس في مدينة جنين هو المجاهد سعيد طوباسي، والذي بدوره اجتمع بهم بوجود القائد العام إياد صوالحة؛ لتبدأ المجموعة الجهادية بالتحضير لعملية استشهادية جديدة في قلب الكيان الصهيوني، واستطاع المجاهد إياد تصوير الاستشهاديين وتجهيزهما نفسيًا وروحيًا من أجل تنفيذ العملية، وتمكن المجاهدان أنس وسعيد من تحضير كمية كبيرة من المتفجرات المطلوبة حيث كان بعض هذه المواد أصابها العطب بنسبة معينة، مما استدعى أن يقوم المجاهد سعيد بإعادة تفعيل هذه المواد المتفجرة، وبعد تعب ومشقة كبيرة اشترى المجاهد سعيد خلاطين من أجل طحن المواد لتصبح

المواد المتفجرة كالطحين بملمسها، واشترى بالإضافة إلى ذلك عشر صوبات كهربائية لتجفيف هذه المواد من الرطوبة، وتم تجميع المتفجرات مع بعضها البعض والتي كان جزء كبير منها قد تم تصنيعه من قبل المجاهد أنس جرادات وأبناء مجموعته، حيث استطاع المجاهد أنس تجنيد اثنين من المجاهدين لمساعدته في إخراج العملية إلى حيز التنفيذ، كما تمكن المجاهد أنس من شراء جيب من نوع كيا من أجل استخدامه في العملية، وبدأ الاستعداد الكامل للعملية، وأصبحت المواد المتفجرة والتي تزن ما يقارب 120 كلغم بالإضافة إلى شنطة متفجرات تزن 15 كلغم موضوعة داخل الجيب، وأنهى المجاهد إياد صوالحة كافة اللمسات الأخيرة من توصيل الدائرة الكهربائية والصواعق المتفجرة حتى أصبح الجيب جاهزًا مائة بالمائة من أجل العملية النوعية، وهنا لم يتبق سوى اللحظات الأخيرة والأهم في كل عملية والتي بدونها لا يمكن لأي عملية أن تنجح، حيث استطاع المجاهد أنس بخبرته الكبيرة، وبمعرفته الطويلة في المواقع الهامة في قلب الكيان الصهيوني رصد تحرك الحافلات الصهيونية المكتظة بالجنود الصهاينة، ونتيجة لمراقبة تحركات العدو الصهيوني استطاع معرفة وتحديد كيف ومتى وأين تتحرك الحافلات الصهيونية، في أي ساعة وفي أي يوم، فوجد أن هناك حافلة جنود تمر في ساعات المساء في منطقة وادي عارة قادمة من أقصى الشمال ومتجهة إلى قلب الكيان الصهيوني في مدينة "تل أبيب" الصهيونية، وبناء على الإحداثيات والمعطيات استطاع المجاهد أنس رسم الخارطة للمجاهدين من أجل إخراج الجيب المليء بالمتفجرات والاستشهاديين من قلب مدينة جنين إلى قلب الكيان الصهيوني، فما أن بدأ برسم الخارطة حتى عاد بذاكرته إلى أيام الصبا أثناء لعبه مع الأولاد في بلدة سيلة الحارثية لعبة الخارطة، والتي اكتسب منها مهارة الاختباء ومقدرته على معرفة الأماكن، والوصول إليها بكل سهولة، والعثور على الأشخاص، ومتابعة الطرق للوصول إلى إنهاء اللعبة. فكأن التاريخ يعيد نفسه من جديد، وحكايا جديدة، فعلم المجاهد أنس أنه كان في الماضي الطريق أصعب، ولكنه أوضح، فكانت أيام لم تكن بلدة سيلة الحارثية قد تطورت ولم تكن القبضة العسكرية على أهلها قد رفعت، فلم يسلم المدرسون والطلبة من الملاحقة. وفيما هو يعيد ذاكرته إلى الوراء إذا به يشعر أن هذه العملية سيكتب الله عز وجل لها النجاح، ولا سيما أنه وضع كل ثقله وكفاءته وخبرته فيها، وبدأ المجاهد أنس جرادات وبمساعدة اثنين من المجاهدين في عملية إخراج الجيب المفخخ والاستشهاديين إلى قلب الكيان الصهيوني، وبدأ المجاهدون بتنفيذ تفاصيل خطة التوصيل، وانطلق المجاهدون من مدينة جنين، ومرت اللحظات والدقائق فإذا هم في وسط بلدة يعبد بمحافظة جنين، فارتفعت معنويات المجاهدين والاستشهاديين محمد حسنين وأشرف الأسمر لرؤيتهم الأحراش خلف بلدة يعبد، والتي كانت محط رحال ومهراق دم الشيخ عز الدين القسام القادم من جبلة إلى يعبد؛ ليقف المجاهدون في مكان استشهاد الشيخ القسام مخاطبين روحه قائلين له: "يا مولانا وسيدنا وشيخنا ومعلمنا، في زمن الردة نناديك باسمك، فانهض وامسح عن قلب الأمة درن الأيام المتسخة". فأجابت لهم روح القسام قائلةً: "إني أرى فيكم يا أبنائي خير هذه الأمة في الخلاص

والتحرر». وتقدم الأبطال المجاهدون والاستشهاديون ومعنوياتهم تناطح عنان السماء صوب قرية برطعة الغربية؛ ليكون الاستشهادي محمد حسنين في هذه الفترة بصحبة أحد المجاهدين المساعدين، ويفتح الطريق أمام المجاهد المساعد الآخر ومعه الاستشهادي أشرف الأسمر بداخل الجيب المفخخ الذي يحمل 120 كغم من المتفجرات بالإضافة إلى شنطة المتفجرات، وهنا حدث تعديل على الخطة المرسومة من قبل المجاهد أنس حيث كانت الخطة تنص على أنه في حال الوقوف على مفرق كركور يقوم المجاهد محمد حسنين ويحمل الشنطة لتفجير نفسه،

بينما يقوم المجاهد أشرف الأسمر والذي يسوق الجيب بملاحقة حافلة صهيونية على طريق الساحل، ولكن هنا حدث التغيير على الخطة حيث إن المجاهدين أشرف الأسمر ومحمد حسنين اللذين كانا في الجيب المفخخ لوحدهما لم يرغبا في تنفيذ الخطة كما كانت مرسومة؛ لعدم تمكن الاستشهادي محمد حسنين من النزول من الجيب لتواجد الشرطة الصهيونية بكثافة في المنطقة، والأهم من ذلك أن الاستشهاديين محمد حسنين وأشرف الأسمر أرادا تطبيق حديث رسول الله صلى الله عليهم وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [متفق عليه]. فكان للمجاهدين ما أرادا فكما تعانقت أرواحهم في الدنيا تعانقت أرواحهم في الآخرة، حيث ما أن وقف الجيب على مفرق كركور مقابل معسكر 80 حتى حدث الانفجار بمحاذاة حافلة صهيونية تحمل عشرات الجنود، وهز الانفجار المكان لتؤدي هذه العملية إلى مقتل 14 جنديًا صهيونيًا وإصابة العشرات بجراح خطيرة.

فنعم الرجال أنتما يا سيدي محمد حسنين وسيدي ومقلة عيني أشرف الأسمر، فأنتما والله بعملكما هذا نموذج الرجال الرجال الذين باعوا الحياة رخيصة واشتروا الآخرة، وقدموا من الصالحات في دنياهم ما أهلهم لأن يختارهم الله عنده شهداء ويصدق قول الشاعر فيهم:

أعطوا ضريبتهم للدين من دمهم
والناس تزعم نصر الدين مجانا

فهنيئًا لكم أيها السادة الشهداء، فوالله إنا نغبطكم على ما أنتم فيه ونسأله تعالى بصدق أن يجود علينا بما جاد عليكم به، كيف لا وهم الشهداء

الذين تخلوا عن الدنيا الفانية وعن هذا العالم الترابي، وعن كل وضيع على سطحها، فتعلقت قلوبهم بالله يطوفون بالجنة وهي تتراقص أمام أعينهم، وأرواحهم في حواصل طيور الجنة تسرح فيها كما تشاء؛ لتعانق أرواح الشهداء محمد وأشرف روح القائد والمعلم المؤسس الشهيد فتحي الشقاقي حيث صادف تاريخ عملية كركور 21/ 10/ 2002م ذكرى استشهاد الفارس والمعلم أبو إبراهيم،

القتلى الصهاينة في عملية كركور الاستشهادية
بتاريخ 21/ 10/ 2002م

وما أن سمع الشعب الفلسطيني نبأ هذه العملية حتى اهتزت قلوب الرجال والنساء والأطفال فرحًا، وأصداء نشيد المؤمنين يجلجل في سماء فلسطين وهم يرددون الهتاف الخالد الله أكبر الله أكبر، وتزلزل لها قلوب المجرمين الصهاينة، وبدأت الأسود الهصورة إياد صوالحة وأنس جرادات وسعيد طوباسي تزأر لتملأ الدنيا وتكتب في صفحات المجد حياة أمة وعزيمة شعب لا يلين، ونتيجة لذلك بدأت القوات الصهيونية بملاحقة مجاهدي سرايا القدس وتشديد الخناق على تحركاتهم، وانتشر العملاء في كل مكان علهم يستطيعون الحصول على أي معلومة تفيد الشاباك الصهيوني عن مكان قادة سرايا القدس إياد صوالحة وأنس جرادات وسعيد طوباسي، مستخدمين كل أنواع ووسائل المراقبة البشرية والإلكترونية حتى إن طائرات الاستطلاع لم تغادر سماء جنين بحثًا عن هؤلاء الأبطال، إلى أن تمكن جهاز الشاباك من اعتقال المجاهد سعيد طوباسي عبر عملية أمنية معقدة جدًا بتاريخ 01/ 11/ 2002م.

استشهاد القائد إياد صوالحة

وما هي إلا أيام حتى تم اجتياح البلدة القديمة في مدينة جنين وتسمى حي السيباط محاصرة منزل المجاهد القائد العام لسرايا القدس في جنين إياد صوالحة والذي اشتبك مع العدو الصهيوني اشتباك الأبطال ومن مسافة صفر حتى استطاع أن يلقي قنبلة يدوية على الجنود الصهاينة، مما أدى إلى إصابة العديد من الصهاينة بجراح خطيرة، وما أن سمع أبناء مدينة جنين نبأ حصار المجاهد إياد صوالحة حتى خرجت الجماهير الفلسطينية في مدينة جنين للدفاع عنه، وحدثت مواجهات عنيفة وامتلأت الساحات بالدماء، وامتزجت بدموع الحزن على قلة النصرة والانتصار لدين الله. فمن ينصر الشعب الفلسطيني من بعدك

يا إياد؟ ولم تركت المجاهدين أيها المعلم؟ فلم يعد في هذه الدنيا معتصم ولا صلاح الدين! ألا فلا نامت أعين الجبناء. فلم يبق إلا أولئك المعاهدون على النكوص والتراجع وبيع الوطن إلا أنه ورغم قلة الناصر وقلة النصير والهم والحزن والألم على فراق المجاهد الشهيد إياد صوالحة إلا أن ما يواسي المجاهدين في مصابهم وحزنهم هو قول الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي: "الشهداء يعيدون تشكيل الحياة بزخم أكبر وبإبداع أعظم لتبقى الشهادة هي المعادل الموضوعي للحياة، فلا حياة ولا تاريخ لنا بدون الشهداء، لا ماضي ولا مجد ولا عبرة، هم الذين يصنعون لنا المستقبل وليس المرجفين أو المعاهدين على الصمت والنكوص. الشهداء ينزرعون في الأرض، يورقون ويثمرون وتخضر بهم حياتنا ويبنون لأمتهم التاريخ والمجد والمستقبل".

أنس جرادات يتولى قيادة السرايا في جنين

أصبح حال المجاهد أنس جرادات صعبًا، وكأن الدنيا قد أطبقت عليه، ولذا اجتمع مع بقية المجاهدين من سرايا القدس مع القائد نعمان طحاينة، واتخذ المجاهد نعمان قراره الشجاع والهام بتعيين المجاهد أنس جرادات قائدًا عامًا لسرايا القدس في مدينة جنين، محملًا إياه الأمانة التي تركها الشهيد إياد صوالحة والأسير سعيد طوباسي، ولذا كان لزامًا على المجاهد أنس قبول تحمل المسئولية وحمل الأمانة، وكان بحق جنديًا ممتازًا وقائدًا فذًا راسخ العقيدة، وشديد الثقة بربه ثم بنفسه وبعمله، وبكفاءة مساعديه فخورًا بمعرفتهم، وكانت المسئولية ضالته أنى وجدها كان الأحق بحملها، وعليه عند تولى مسئولية ما منح نفسه أوسع السلطات لتنفيذها، وإذا ولاها أحدًا من معاونيه منحه أيضًا أوسع السلطات للتنفيذ، فكان عميق النظر في التعامل مع العدو الصهيوني، ذكيًا فطنًا لماحًا، وسريع الحركة، قوي الإرادة، مقدامًا صبورًا خطرًا على أعدائه عالي اللياقة البدنية مبتكرًا للعمل والخطط العسكرية، وسارع المجاهد أنس إلى إعادة ترتيب سرايا القدس وإعادة هيكلية سرايا القدس، وبدأ بتقسيم الخلايا والمجموعات كلٌ حسب تخصصه، منهم من يشرف على شراء السلاح، ومنهم من يشرف على تصنيع المتفجرات، وآخرون يشرفون على تأمين المبيت، ومنهم من تقع عليه مسئولية إحضار التمويل، ومنهم من يتابع الإعلام الصهيوني، ومنهم من يراقب تحركات العدو.

كما استطاع المجاهد أنس أن يطور العمل، ويوسع دائرة التعاون مع خلايا سرايا القدس في مدينة طولكرم، وزودهم بكمية متفجرات وعتاد وذخيرة، واتفق على تبادل الخبرات والمعلومات من أجل النهوض بسرايا القدس، وإعادتها إلى قوتها ونشاطها وحيويتها كما كانت في الماضي غير البعيد، ولتحقيق ذلك كان المجاهد أنس حريصًا كل الحرص على مشاورة المجاهدين نعمان طحاينة والمجاهد سامي جرادات خال المجاهد أنس في كل صغيرة وكبيرة؛ لإنجاح المهمة التي كُلف بها.

وبدأ المجاهد أنس بعد تلك الترتيبات بالاهتمام والتنسيق بين كافة الخلايا العسكرية في قرى محافظة جنين وخاصة قرية العرقة وقباطية حيث تعمقت علاقته مع المجاهدين حمزة أبو الرب ومحمد

نصري أبو الرب، والأهم كانت بلدة اليامون حيث تعرف المجاهد أنس على المجاهد صافي حوشية، وتم تجنيده للعمل العسكري في صفوف سرايا القدس، كما اجتمع بالمجاهدين إبراهيم عباهرة ورواد عباهرة من بلدة اليامون، وهم من أبناء الجهاد الإسلامي منذ العام 2001م إلا أنهما يعملان بسرية تامة؛ لعدم إعطاء ذريعة للصهاينة باعتقالهما قبل أن يوفقهما الله عز وجل في الإثخان بالعدو الصهيوني، بالإضافة إلى أن المحيط الذي يعيشان فيه معظمهم من أبناء حركة فتح، كما أنهم بسريتهما يحافظان على حرية حركتهما وتنقلهما، كما وجد المجاهد أنس جرادات أن المجاهد إبراهيم عباهرة الذي تعرف عليه أشبه بملاك يدب على الأرض لما به من صفات المجاهد الواعي والمثقف والشجاع والراشد والذكي والتقي، لدرجة أن المجاهد أنس حاول تقديمه على نفسه أمام الشهيد القائد نعمان طحاينة لتولي مسؤولية سرايا القدس؛ إلا أن نعمان رفض ذلك لعدم معرفته به، وما هي إلا أيام حتى بدأت تتشكل في بلدة اليامون خلية عسكرية تابعة لسرايا القدس مكونة من صافي حوشية ومراد حوشية وإبراهيم حوشية ومحمد عباهرة، وكانت هذه الخلية تتمتع بحس أمني عالٍ جدًا، كما تمتاز بسريتها الشديدة، وكان لهذه المجموعة صولات وجولات في عمليات إطلاق النار ونصب الكمائن وزرع العبوات وتجنيد المجاهدين لصفوف سرايا القدس، واتسع نشاط سرايا القدس ليمتد لمعظم مناطق جنين وطولكرم.

استمر المجاهد أنس في التحضير للعمليات الاستشهادية والتي كان قد بدأها سابقًا حيث استطاع المجاهد محمد جردات الملقب بـ(الزطام)

الأسير المجاهد/ محمد حسين جرادات
محكوم مدى الحياة، واعتقل بتاريخ 11/ 05/ 2003م

والذي يعتبر الذراع الأيمن للمجاهد أنس جرادات تجنيد الاستشهادي أمير جرادات لتنفيذ عملية في قلب الكيان الصهيوني، فاتفق المجاهدان أنس ومحمد أن يخبرا المجاهد أمير جرادات أنه سينفذ العملية بواسطة اطلاق نار، وبدأ المجاهد أمير التدريب على يد المجاهد محمد جرادات، بينما كان المجاهد أنس يعد سيارة مفخخة مليئة بالمتفجرات من أجل استخدامها في العملية، وقد تم إخفاء هذه المعلومة عن الاستشهادي أمير لضمان إنجاح العملية، واستطاع المجاهدان أنس ومحمد تحضير كمية كبيرة من المتفجرات المطلوبة للعملية رغم صعوبة تحرك المجاهد أنس؛ لشدة الملاحقة الأمنية الصهيونية له، بينما كان المجاهد محمد جرادات أكثر حرية والذي كان غير مطلوب للعدو الصهيوني لطبيعة عمله ونشاطه العسكري والسري وامتلاكه

الخبرة العسكرية والاستخباراتية كونه حاصلًا على دورة تدريب عسكري في أريحا.

مطاردة الاحتلال للمجاهد أنس جرادات

وفي هذه الأثناء كانت الأجهزة الأمنية الصهيونية قد كثفت ملاحقتها للمجاهدين ونصب الحواجز العسكرية، بالإضافة إلى الانتشار في كل قرى محافظة جنين حتى إن الشوارع لم يكن يستطيع أحد أن يسير بها لكثرة تعداد الدوريات العسكرية، والتي تبحث عن مجاهدي سرايا القدس، وبعد فشلهم في إلقاء القبض على المجاهد أنس قرر الشاباك الصهيوني هدم منزل عائلته، وهذا الأمر لم يفت من عضد المجاهد أنس، فما هان ولا لان حتى إنه في أحد الأيام التقى بوالده في الصباح الباكر عندما كان والده خارجًا إلى وظيفته في إحدى المدارس، وسلم عليه والده بحرارة، قائلًا له: "يا ولدي يا أنس، اعلم أنه لم يبق أحد من إخوانك في المنزل، ولم يبق سواك فكلهم معتقلون، وإياك ثم إياك أن تسلم نفسك للعدو الصهيوني، وإياك أن تركع لأحد، وسر على بركة الله، وأنا وأمك دومًا ندعو لك بالنصر والتمكين". فما كان من المجاهد أنس إلا أن ارتفعت معنوياته، وأن أقبل بكل قوة على مواجهة العدو الصهيوني، حيث ما أن تم تجهيز السيارة المفخخة حتى اجتمع المجاهدان محمد جرادات وأنس جرادات وحددا موعد العملية، وتم اطلاع الاستشهادي أمير على تفاصيل العملية، ثم تصويره مع قراءة وصيته لأهله ولشعبه الفلسطيني، واستطاع المجاهد محمد جرادات تحديد مكان العبور من منطقة الحدود باتجاه قلب الكيان الصهيوني، وخرجت العملية

إلى حيز التنفيذ حيث قاد المجاهد محمد جرادات السيارة المفخخة بصحبة الاستشهادي أمير جرادات

الأسير المجاهد/ أمير جرادات
محكوم 26 عامًا، واعتقل بتاريخ 11/ 03/ 2003م

باتجاه منطقة الحدود مع العدو الصهيوني، وكان بانتظارهم المجاهد عبد الفتاح الشلبي الذي كان يراقب الحدود منذ فترة من الزمن، وفي الوقت الذي وصل فيه المجاهد محمد جرادات وأمير جرادات إلى منطقة قريبة من الحدود لم يكن هناك دوريات صهيونية في المكان، وتم تكليف أحد المجاهدين أنه في حال رؤيته لدورية صهيونية في المكان عليه أن يتصل على المجاهدين محمد جرادات وأمير جرادات

إلا أن المجاهد خالف أوامر القائد المجاهد أنس جرادات واتصل على المجاهد عبد الفتاح الشلبي، فما كان من المجاهدين محمد جرادات وأمير جرادات إلا الاصطدام بدورية صهيونية، وتمت المطاردة للسيارة المفخخة إلى أن وصل المجاهدان إلى أول منازل مدينة أم الفحم، واضطرا إلى ترك السيارة المفخخة هناك والعودة بصعوبة بالغة إلى مدينة جنين، بينما انشغل العدو الصهيوني بعملية تفكيك المتفجرات من الساعة السادسة مساء وحتى الساعة الحادية عشرة ليلًا حتى إن الإعلام الصهيوني والشاباك الصهيوني أعلنوا أنهم يواجهون صعوبة كبيرة في عملية تفكيك المتفجرات الموجودة في السيارة، وأنها تذكرهم بعمليات المهندس محمود الزطمة لصعوبة تركيب العبوات المستخدمة في العملية.

عجز الشاباك عن التصدي لمجاهدي السرايا

وهنا لم يعد الشاباك الصهيوني قادرًا على إحباط العمليات الاستشهادية مما جعله يفرض تشديداته الأمنية والعسكرية بحق أبناء الشعب الفلسطيني، وبدأ بعملية اعتقالات واسعة جدًا طالت مئات المجاهدين والمطلوبين، ورغم كل هذه الإجراءات الصهيونية إلا أن الله ـعز وجلـ أمد المجاهد أنس جرادات بمجاهدين من خيرة المجاهدين، وهما خاله صالح جرادات والمجاهد أمجد عبيدي فكان لهما خبرة كبيرة وباع طويل في مقاومة العدو الصهيوني منذ الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وتمكن المجاهد صالح جرادات من إرسال الاستشهادية المجاهدة هبة دراغمة لتنفيذ عملية استشهادية في قلب العدو الصهيوني بتاريخ 19/ 05/ 2002م، وكتب الله عز وجل للمجاهدين سامي جرادات وأمجد عبيدي التمكن من إرسال الاستشهادية المجاهدة هنادي جرادات لتنفيذ عملية ضخمة في مطعم "مكسيم" في حيفا لتوقع عشرات القتلى والجرحى بتاريخ 04/ 10/ 2003م.

كان المجاهد أنس جرادات في هذه الفترة يبذل كل جهد ممكن للنهوض بسرايا القدس نحو الأفضل، بالإضافة إلى توزيع المهام على جميع خلايا سرايا القدس في جنين، وكان لابد من الاهتمام بكافة تفاصيل الحياة اليومية للمواطن الفلسطيني الذي بدا عليه حالة الضعف والتعب والإنهاك الشديد لشدة المضايقات الصهيونية على الشعب الفلسطيني حيث استطاع العدو الصهيوني قطع التواصل بين المدن الفلسطينية، وليس هذا فحسب بل قطع التواصل بين المدينة وقراها، فلم يستطيع الطلبة التوجه إلى أماكن دراستهم في الجامعات، ولم يعد التاجر يستطيع مواصلة عملية البيع والشراء بسبب الحواجز، ولم يتمكن الموظفون من الذهاب إلى وظائفهم، وأصاب المجتمع الفلسطيني الحاضنة الأصيلة للمقاومة الفلسطينية الضعف والعوز، فما كان من مجاهدي سرايا القدس إلا تقديم المساعدات المختلفة للعائلات الفقيرة والمحتاجة، فالمجاهد في سبيل الله ـعز وجلـ ليس فقط يقاتل بالسلاح وإنما هناك طرق متعددة يستطيع بها خدمة القضية الفلسطينية سواء على الصعيد الإعلامي أو الاقتصادي أو الاجتماعي وحتى الأمني حيث استطاع الشاباك الصهيوني في هذه الفترة أن يستغل ثغرة مفتوحة في حياة الشباب الفلسطيني وهي حالة

البطالة والفقر، وبذل الشاباك الصهيوني أقصى ما يستطيع لتجنيد بعض الشباب الفلسطيني ليكونوا عملاء له، وذلك بهدف الحصول على معلومات هامة حول المجاهدين والأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية، بالإضافة إلى امتلاكهم التفوق الاستخباراتي حيث أوجد العدو الصهيوني الوحدة (8200) وهي عبارة عن ذراع التجسس الإلكتروني في شعبة الاستخبارات، وهي تعتمد على مصدرين أساسيين في جمع المعلومات الاستخباراتية اللازمة في حربها ضد الأجنحة العسكرية الفلسطينية، وهما المصادر البشرية ويقصد بها تجنيد العملاء سواء كان لها ارتباط مع التنظيمات الفلسطينية أو غير مرتبطين بتنظيمات محددة، بالإضافة الاعتماد على المصادر الإلكترونية المبنية على أحدث التقنيات الإلكترونية والمحوسبة، وتعتمد الوحدة (8200) على أربعة مجالات: الرصد والتنصت والتضليل والتشويش، وقد دلت تجربة انتفاضة الأقصى على أن عنصر التصوير هو أحد أهم مركبات التجسس الإلكتروني للكيان الصهيوني، وتستخدمها الوحدة (8200) في تسجيل كميات مختلفة في عملية التصوير التي باتت أمرًا ضروريًا في رصد تحركات المقاومة الفلسطينية، إلى جانب مساهمة عمليات التصوير في تحسين أداء قوات الاحتلال في المواجهات، حيث يتم ربط هذه الكاميرات بهيئات القيادة الصهيونية في مقر وزارة الدفاع وهيئة أركان الجيش؛ ليتم إطلاع قادة الجيش الصهيوني على الأوضاع في الضفة الغربية وقطاع غزة. وكما تعتبر عملية التصوير في كثير من الأحيان حلقة في سلسلة العمليات اللازمة لتنفيذ عمليات الاغتيال، حيث تقوم بتركيز هذه الكاميرات على منازل ومكاتب المطلوبين فيحدث التعاون بين الوحدة (8200) ووحدة الطيران لتنفيذ عمليات الاغتيال.

سرايا القدس تواجه المستعربين والعملاء

كما تعرض الشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية لأساليب جديدة من قبل العدو الصهيوني عبر سلسلة استخدامه وحدات المستعربين الصهاينة؛ إذ تنشط هذه الوحدة في الأراضي الفلسطينية، وبدأت عملها مطلع الثمانينات من القرن الماضي في الضفة وغزة، وأصبح المستعربون تحت إدارة الجيش الصهيوني، وتوجد فرقتان للمستعربين الأولى وحدة (شمشون) وهي تعمل في قطاع غزة، ووحدة دفدوفان (كرز) وتعمل في الضفة الغربية، وقامت الوحدتان بتنفيذ العديد من عمليات الخطف والاغتيال لعشرات المجاهدين من أبناء حركة فتح وحماس والجهاد الإسلامي وخاصة خلال بداية انتفاضة الأقصى. لذلك لابد أن يقوم المجاهد أنس جرادات وبمساعدة جميع المجاهدين ومن كافة الأجنحة العسكرية بمواجهة التفوق الاستخباراتي الصهيوني، وردعهم ومنعهم من استمرار عملية تجنيد العملاء في صفوفهم، فما كان من المجاهدين أنس جرادات وإبراهيم عباهرة إلا العمل الجاد والنوعي والحثيث لمساعدة العملاء بالتوقف عن مساعدة الاحتلال الصهيوني، والتوبة والعودة إلى صفوف الشعب الفلسطيني، مستحضرين التجربة الجزائرية في تعاملها مع العملاء حيث ما أن يتم اعتقال أحد العملاء حتى يتم إقناعه وبشكل طوعي للتوقف عن العمل كعميل والتوبة والقتال إلى جانب

المقاومـة، أو إرسـاله لتنفيـذ عمليـة ضـد المحتـل ومـا أن يقـوم بذلـك حتـى تزفـه المقاومـة كأحـد الشـهداء الأبطـال، وبذلـك يتـم تحقيـق أهـداف متعـددة منهـا زيـادة عـدد المجاهديـن وتقليـل عـدد العمـلاء، وإفشـال مخططـات العـدو الاسـتخباراتية، بالإضافـة إلى الأهـم وهـو الحفـاظ عـلى عائلـة العميـل وإبقاؤهـا في إطـار الوطنيـة والمقاومـة وسـمعتها ممتـازة في المجتمـع نتيجـة استشـهاد ابـن العائلـة، ولـذا قـرر المجاهـدون أنـس جـرادات وإبراهيـم عباهـرة متابعـة أحـد العمـلاء في مدينـة جنين، والـذي كان قبـل عـدة أسـابيع قـد تعرض للضرب المبرح على أيـدي المجاهديـن في المدينة بتهمة ارتباطـه مـع العـدو الصهيـوني، فـأراد المجاهـدون أنـس وإبراهيـم تطبيـق مـا تعلـماه في التجربـة الجزائريـة مـع العمـلاء، بالإضافـة إلى إصرارهمـا عـلى توجيـه ضربـة أمنيـة للشـاباك الصهيـوني وبطريقـة لا يمكـن لـه أن يتوقعهـا، فذهبـا إلى منـزل الشـاب المرتبـط مـع العـدو الصهيـوني، فوجـدا وضـع العائلـة صعبًـا جـدًا فـالأب كان يبكـي ويتمنـى أن تنشـق الأرض وتبتلعـه، والأخـت لم تعـد تذهـب إلى الجامعـة، وإخوتـه الصغـار لا يذهبـون إلى المدرسـة، ووالـدة الشـاب أصابهـا المـرض والحـزن والهـم لمـا أصـاب ولدهـا، فقـد جلـب للعائلـة العـار الـذي لا يمكـن لبشر على وجه الأرض أن يغفره له ألا وهـو الخيانـة، فقـرر المجاهـدان أنـس وإبراهيـم مسـاعدة والـد الشـاب في الخـروج مـن هـذا البـلاء عـبر مسـاعدة ابنـه الشـاب المرتبـط بالخـروج مـن الأزمـة التي يعيشـها، وبـشرط أن يحدثهـم بكافـة تفاصيـل ارتباطـه، فذكـر لهـم أن لـه صديقًـا كان قـد عرفـه عـلى امـرأة ومـارس معهـا الجنـس، وفي اليـوم التـالي تفاجـأ الشـاب المرتبـط أن عملية ممارسة الجنس كانت مصورة من قبل صديقه، ومـا هـي إلا أيـام حتـى بـدأ صديـق الشـاب المرتبـط يضغـط عليـه ويسـاومه عـلى مـا بداخـل الشريـط، فإمـا أن يقبـل أن يكـون عميـلًا للعـدو الصهيـوني أو أنه سـيتم توزيـع الصـور لعائلتـه ولباقـي النـاس، فـما كان مـن الشـاب المرتبـط إلا الموافقـة عـلى موعـد للاجتـماع بأحـد الضبـاط في جهـاز الشـاباك الصهيـوني وهـو الكابتـن "نـير"، والـذي بـدأ يـشرح للشـاب المرتبـط أهميـة العمـل في الشـاباك مـن أجـل حمايـة المواطنـين الفلسـطينيين، ومنـع المجاهديـن مـن قتـل أنفسـهم، ومـن أجـل حمايـة ممتلـكات المواطنـين وغيرهـا مـن القصـص المفبركـة. وعليـه تـم عقـد لقـاء ثـان مـن أجـل البـدء في عمليـة تدريبـه عـلى إطـلاق نـار في أحـد المعسـكرات الصهيونية في مدينـة العفولـة حيـث تـدرب عـلى سـلاح مـن نـوع مسـدس وعـوزي و(M16)، وعـاد الكابتـن "نـير" مـرة أخـرى لمحاولـة غسـل دمـاغ الشـاب المرتبـط عـبر إقناعـه بـضرورة تنفيـذ مـا يطلـب منـه للحفـاظ عـلى الأمـن وحيـاة المواطنـين الفلسـطينيين، وتشـجيعه عـبر إقناعـه بـأن مـا يقـوم بـه هـو عمـل إنسـاني محـض، ولابـد مـن أن يتحلى بالشـجاعة للوصـول إلى ترسـيخ المفاهيـم التي يريدهـا الشـاباك الصهيـوني في عقليـة العميل بـأن كل ما يقـوم بـه يجـب أن يكـون عـن قناعـة بذلـك؛ للوصـول إلى هـدف الشـاباك في الحصـول عـلى المعلومـات التـي يطلبهـا بأقـل ثمـن ممكـن، وبنفـس الوقـت تكـون هـذه المعلومـات صحيحـة ودقيقـة جـدًا، بمعنـى العمـل عـلى عمليـة صهـر الوعـي للعميـل بحيـث لا يسـتطيع التمييـز بـين الجـلاد والضحيـة فيُنظـر إلى قتـلى اليهـود بأنهـم ضحايـا وأبريـاء، ومـن قتلهـم مـن الفلسـطينيين إرهابيـون ويجـب أن يعاقبـوا عـلى ذلـك؛ فهـذا الوعـي والإدراك الـذي يسـعى إليـه العـدو الصهيـوني، بينـما

الوعي والإدراك الذي يسعى إليه المجاهدان أنس جرادات وإبراهيم عباهرة ويتمنيانه لكل البشر هو أن يكون مفهوم الوعي والإدراك عبارة عن النور الذي يقذفه الله في قلب من يشاء، ولكن من هم هؤلاء؟ إنهم ليسوا الذين يعملون بدافع الأنانية؛ لكنهم الذين يكافحون في سبيل الآخرين فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69]، فهي معرفة الرشد والإدراك والطاعة والإخلاص، هذه المعرفة هي نوع من الحكمة التي لا تكتسب ولا تعلم في المدارس والجامعات، بل يتشربها القلب في ميدان الكفاح وعلى طريق الجهاد، وطلابها ينالونها بالقتال في سبيل الله وفي سبيل الحرية، فهم المجاهدون وعندما يحصل ذلك فالمجاهد لا يحتاج إلى ضوء النهار، فالمعرفة تضيء بذاتها فطبيعتها نورانية، وبها يستطيع المجاهد أن يبصر في الظلام أي ظلام كان.

الشيخ القائد/ خضر عدنان
في زيارة لعائلة الأسير المجاهد/ أنس جرادات

ولذا كان لابد من قيام المجاهدين أنس جرادات وإبراهيم عباهرة من إيقاظ الوعي الأمني والسياسي عند الشعب الفلسطيني، وتذكيره دائمًا بواقعه المُرّ، وفتح عيونه على جراحه وقيوده وشد خطواته من جديد على درب الكفاح، فبدأ المجاهدان أنس جرادات وإبراهيم عباهرة بالجلوس مع الشاب المرتبط، والسماع منه حول تفاصيل العمل الذي طلبه منه الكابتن "نير" فحدثهم حول العديد من الأمور، منها مراقبة المطلوبين والخروج مع الجيش الصهيوني في الدوريات العسكرية الليلية في مدينة جنين جنبًا إلى جنب مع صديقه العميل، فكان صراع حقيقي قد أصاب المجاهد أنس واستفسارات لابد من الإجابة عنها، ومن هذه الأسئلة المنطقية أنه وفي حال كان هناك عميل مرتبط مع العدو الصهيوني وتم إثبات الخيانة بحقه بدون أي ذرة شك في الأمر، فهل قتله والإعلان عن عمالته يخدم القضية الفلسطينية؟! أم أن يتم التعامل مع هذه الحالة كحالة اجتماعية بحاجة إلى حل يكون من خلاله تحقيق أهداف كثيرة، منها الحفاظ على سمعة عائلة العميل، ومنها الاستفسارات من العميل نفسه إما عبر استخدامه كعميل مزدوج أو إرساله لتنفيذ عملية في قلب الكيان الصهيوني، وبالتالي يخدم المشروع الوطني الفلسطيني وبأقل الخسائر لذلك، وبمثل هذه الحالة لا يجب التفكير بأقصر الطرق في الحلول الاجتماعية، بل يجب التفكير بأصحها. ولذلك على المجاهدين أنس وإبراهيم وغيرهما من المجاهدين أن يضحوا أكثر لإيصال الناس لحالة الوعي والإدراك، فكان لزامًا عليهم أن يفهموا عدوهم بشكل جيد وكيف يفكر، وكيف يشعر، وكيف يكون العدو سببًا في وعي ويقظة المجاهدين أنس وإبراهيم وغيرهما من المجاهدين، فما كان منهم إلا التوجه مرة أخرى إلى منزل العائلة، منزل الشاب المرتبط وهذه المرة بناءً على طلب والد

الشاب من قادة سرايا القدس ومتوسلًا لهم أن يفعلوا كل ما في وسعهم للحفاظ على شرف أسرته، وترك الأمر بين يدي سرايا القدس، ونتيجة للوعي والإدراك الذي تميز به المجاهدان وافقا على طلب والد الشاب أن يقوم بعملية استشهادية ليغسل العار الذي ألحقه بأسرته، فما كان من المجاهدين أنس وإبراهيم إلا الموافقة على ذلك، وبشرطين: أن يكون ذلك بعد شهرين حتى يتأكدا بأن عمله هذا ليس انتحارًا، بل إقدامًا وتضحية في سبيل الله وتوبة نصوحة لله تعالى، والشرط الآخر هو أن يخبرهم بالحقيقة حول عملية ارتباطه؛ لأنهم بذكائهما وخبرتهما الأمنية اكتشفا أن كل ما ذكره لهما حول الإسقاط الجنسي غير صحيح، فأجابهما الشاب بأنه موافق على كل ما ذكراه، وأنه سيخبرهما بالحقيقة في الوقت المناسب، وهنا تكمن عظمة مجاهدي سرايا القدس في عملية الرد على صهر الوعي بصهر الوعي بحيث إن الشاب المرتبط الذي كان في الماضي وكما أراده الشاباك الصهيوني يفتخر بأنه عميل أو أنه أطاع سيده الكابتن "نير" في أمر أو أنه وجه إليه الدعوة، وأن هذا الشخص الذي أباد حياته وأباد بلده وتاريخه يكون سببًا في افتخاره، وعليه لم يعد هذا الشخص عدوه بل سيده، وهنا أراد المجاهدان أنس وإبراهيم الرد على ذلك الإدعاء بالوصول إلى حالة خاصة يصرح بها الشاب ويقف بشموخ قائلًا: "إنه علي أن أتعرف على العدو وأفهمه وأشعر به حتى يكون معلمي وسببًا في وعيي ويقظتي، ولكن عندما لا أحس به وإنما أتوجه إليه وأنا مغمض العينين وحتى أفخر بالتقرب إليه، فعندها لم يعد هذا عدوي فهو في الوقت الذي يحتقرني فإن احتقاره لي يبعثني على الفخر والغرور، وهنا نجح المجاهدان أنس وإبراهيم في حربهما مع الشاباك الصهيوني عبر محاربة الفكرة بالفكرة والوعي بالوعي والإدراك بالإدراك والأمن بالأمن، وقرر المجاهدان تحديد موعد العملية عبر إرسال الشاب لتنفيذ عملية بواسطة السلاح من نوع كلاشينكوف وقنبلة يدوية بالإضافة إلى الذخيرة، وتم رصد مكان العملية وهي مستوطنة "شاكيد"، وطلب المجاهدان أنس وإبراهيم من الشاب أن يجهز نفسه بحيث سينفذ العملية المتفق عليها في الوقت الذي يريانه مناسبًا، وما عليه سوى أن يجلس مع نفسه ناصحين إياه في هذه العملية بالتوبة إلى الله عز وجل، وبدأ المجاهدان يعظان الشاب بكلام لا يخرج إلا من شباب الإيمان الواعي المدرك لخطورة ما يقومان به، حيث قالا له: "إنك في هذه الليلة سوف تكتشف ذاتك بدون أصباغ ولا أقنعة ولا أستار، عاريًا كما خُلقت أول مرة، فالليلة ستدخل في حديث ومناجاة مع الله، فاستغفر لنفسك واعترف بذنبك ولا تزيف عاطفتك، وأفصح بوضوح عما تريد، فقد حانت اللحظة التي ينطلق فيها ما احتد به جوفك كل هذه السنين، وتكسر كل الحواجز، وتتجاهل كل الحدود ولا يبقى معك سوى اثنين فقط لا غيرهما أنت والليل، فأنت ستكون غدًا الأسد في ميدان الجهاد فماذا أعددت؟ ارتدِ كفنك واحمل سلاحك بكلتا يديك، لا شيء مطلوب منك غير ذلك، وضع يديك تحت رأسك واقضِ ليلتك في نجوى مع الله وحدكما، معك سلاحك وإيمانك، ودع هذا العالم السفلي وتجاهل الحدود وحلق فوق السموات العليا، واعبر خلال أبواب النجوم، ولتعرج حيث عرج محمد ـصلى الله عليه وسلمـ إذا كنت من الذين يتبعون بإحسان، وليشتغل قلبك

بالعشق، واقتل كل ضعف وخوف وعقد ورغبات كانت لك في حياتك، ولتتهيأ ليوم غد بالاستعداد الليلة». فما أن جاء يوم غد حتى استطاع المجاهد أنس رسم خطة محكمة من أجل إحضار الشاب من منزله لتنفيذ العملية، بحيث إن كان هناك أي خلل لا سمح الله فإنهما عبر هذه الخطة سيكتشفان ذلك، وما هي إلا لحظات حتى تم إحضار الشاب الاستشهادي إلى إحدى السيارات، والاتجاه به إلى بلدة اليامون للاستعداد من أجل تنفيذ العملية، فما كان من الشاب إلا أن وفى بوعده للمجاهد أنس، فأخبره حقيقة ارتباطه. فقال له المجاهد أنس: «أيها الحر، أيها التائب والعائد إلى الله، إن العدو الصهيوني والشاباك ينتظرون في الميدان، فوطن نفسك الآن على يوم قتال ضارٍ جدًا في موطن الوعي والشعور، فاملأ يديك بالسلاح، واملأ قلبك بعشق الجنة. فقال الاستشهادي للمجاهد أنس: «هذه هي حريتي الوحيدة، ولا اعتراض على استشهادي، وسأنتقم من هؤلاء الصهاينة فهم خبراء القتل الجماعي، وهم الذين حولوا الأطفال إلى فحم، فهم يقتلون كي يعيشوا، وأنا سأستشهد لأعيش، ولن أسمح لأحد بعد الآن أن يقتلني سواي، فمن حولني إلى عميل ومتعاون حولني إلى قنبلة، وأعرف أني سأعود، وأعرف أني أخوض معركة خاسرة اليوم؛ لأنها معركة المستقبل، وأعرف أن فلسطين على الخارطة بعيدة عني، وأعرف أنكم أيها المجرمون نسيتم اسمها وتستخدمون ترجمتها الجديدة، وأعرف هذا كله، ولكني سأحملها إلى شوارعكم ومستوطناتكم وبيوتكم وغرف نومكم».

وبدأ الاشتباك بين الاستشهادي والعدو الصهيوني، واستمر الاشتباك حوالي أربعين دقيقة، وكان المجاهد أنس يستمع إلى صوت الرصاص لقربه من مكان العملية، حيث كان قد اجتمع مع أخواله سامي وصالح، وما أن نفذت الذخيرة حتى قام الاستشهادي بضرب القنبلة اليدوية على قوات العدو الصهيوني؛ ليعلن العدو الصهيوني أن هذه العملية قد فاجأت الشاباك الصهيوني، وأنه أصيب ثلاثة جنود أحدهم بحالة حرجة، وقام المجاهد أنس بالإعلان عن العملية وكانت الساعة الحادية عشرة ليلًا، وأعلن عن اسم منفذ هذه العملية من مدينة جنين، وأنه تابع لسرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، وما أن خرج الصباح حتى ذهب المجاهد أنس والمجاهد إبراهيم عباهرة ورواد عباهرة وقادة ومجاهدو سرايا القدس إلى منزل الاستشهادي، ووجدوا في استقبالهم أعمام وأخوال وعائلة الشهيد وفي مقدمتهم والده، هذا الأب الذي استطاع المجاهدان أنس وإبراهيم أن يعيدا له كرامته وشرفه وعرضه وسمعته، وأصبح باستطاعته أن يسير بين الناس رافعًا رأسه بكل فخر وبكل اعتزاز، وأصبح باستطاعة إخوة الاستشهادي الصغار الذهاب إلى المدرسة رافعين رؤوسهم حاملين صور أخيهم الاستشهادي، والأهم عادت البسمة والفرحة إلى وجه والدة الاستشهادي، والتي تفطّر قلبها حزنًا على ولدها في الماضي، فما كان منها اليوم إلا أن تدعو لولدها بالرحمة وأن تعلو بزغاريدها لتسمعها كل الدنيا بأن ولدها شهيد وهو حي يرزق عند الله.

فقال المجاهد إبراهيم عباهرة لأخيه المجاهد أنس: «والله يا أنس لو لم نفعل شيئًا في حياتنا سوى

هـذا العمـل لكفانـا»، وكانـت صـور الاستشـهادي منتشرة في كل مكان وكانت وصيته تحمل التهديد والوعيـد للشـاباك الصهيـوني الـذي سـعى جاهـدًا لملاحقـة المجاهـد أنـس جـرادات مـن أجـل اغتيالـه، وتـم تكثيـف عمـل الأجهـزة الأمنيـة الصهيونيـة مـن أجـل متابعـة تحـركات المجاهـد أنـس.

اعتقال المجاهد أنس جرادات والحكم عليه بالمؤبد

في تاريـخ 11/ 05/ 2003م تمكـن جهـاز الشـاباك الصهيـوني مـن رصـد المكـان الـذي يتواجـد بـه المجاهـد أنـس مـع المجاهديـن محمـد جـرادات (الزطـام) وإيـاد جـرادات فتـم اعتقالهـم واقتيادهـم إلى أقبيـة التحقيـق ليكـون ذلـك اليـوم يـوم نهايـة رجـل شـجاع، كان ولا يـزال وسـيبقى مرفـوع الـرأس، قـاوم ولا يـزال يقـاوم الظلـم والاضطهـاد ومحـاولات طمـس الكرامـة الفلسـطينية، وأصر عـلى بقـاء جـذوة المقاومـة للمحتـل الصهيـوني حتـى في داخـل السـجون

STATE OF PALESTINE
ALAQSA UNIVERSITY-GAZA
دولة فلسطين
وزارة التربية والتعليم العالي
جامعة الأقصى غزة
CERTIFICATE
شهادة

الشـهادات في قضايـا ثقافيـة ودينيـة مختلفـة، ولم يمنعـه ذلـك مـن ممارسـة العمـل التنظيمـي حيـث اسـتمر في العمـل التنظيمـي داخـل سـجون الاحتـلال؛ ليرتقـي شـيئًا فشـيئًا إلى أن وصـل أن يكـون أحـد أعضـاء الهيئـة القياديـة العليـا لحركـة الجهـاد الإسـلامي في سـجون العـدو الصهيـوني، وحـرص في سـجنه عـلى نسـج العلاقـات الاجتماعيـة والوطنيـة مـع أكـبر شريحـة ممكنـة مـن الحركـة الأسـيرة ومـن كافـة الفصائـل التـي شـاركها في داخـل سـجون الاحتـلال الإضراب الكبـير في العـام 2017م، الـذي قـاده المناضـل الكبـير مـروان البرغـوثي، فلـم يكـن ليتوانـى عـن خدمـة إخوانـه أو مشـاركتهم أفراحهـم وأتراحهـم، ولذلـك مـا أن تـم عـزل المجاهـد أنـس في زنازيـن السـجون الصهيونيـة وسُـمع خـبر مرضـه حتـى أعلـن الجهـاد الإسـلامي في كل السـجون حالـة النفـير العـام لأبنـاء الجهـاد الإسـلامي، وأوصلـوا الرسـالة القويـة والشـديدة لمصلحـة السـجون بـأن أي مسـاس بالمجاهـد أنـس وأي مكـروه سـيحصل لـه فـإن الجهـاد الإسـلامي في كل السـجون سـترد الصـاع صاعـين، فـما كان مـن مصلحـة السـجون الصهيونيـة إلا أن تخـرج المجاهـد أنـس جـرادات مـن العـزل، وتبـدأ في علاجـه كـما أراد.

ومـع كل هـذه التضحيـات والمعانـاة التـي مـر بهـا المجاهـد أنـس إلا أنهـا لا تسـاوي شـيئًا أمـام الألم والحـزن الـذي أصابـه عندمـا تـوفي والـده الـذي أحبـه كثـيرًا، فـكان لـه الفضـل في تنشـئته النشـأة الإيمانيـة والدينيـة والوطنيـة. ولا يـزال وفيًـا لأهلـه وعائلتـه وبلدتـه ومدينتـه ووطنـه وأمتـه وأنـه لم ولـن يسـاوم على حبـة رمـل مـن تـراب فلسـطين الممـزوج بدمـاء الآبـاء والأجـداد والشـهداء والجرحـى وعذابـات الأسرى.

فهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	7
شكر وتقدير	9
تقديم: فكرية ثورية تحركت في عقل مبدع. أ. محمد فارس جرادات	11
تقديم: أرشفة تاريخ الفلسطينيين الشهداء والأسرى الصامدين. د. عبد الستار قاسم	13
مقدمة: درب الصادقين، صفحات مشرقة من بطولات المجاهدين. أ. محمد أبو طبيخ	15
أسماء الأسرى المجاهدين (مرتبة هجائياً حسب تاريخ الأسر لدى العدو الصهيوني)	
الأسير المجاهد سمير عبد الفتاح رضا طوباسي أصر على الجهاد والاستشهاد، فكان الاعتقال المؤبد	21
الأسير المجاهد بهاء يوسف عبد القادر شبراوي (مصاروة) آمن بالجهاد عقيدة ووسيلة لتحرير الأرض	27
الأسير المجاهد جمعة عبد الله خليل التايه المجاهد الذي يؤمن بأن النصر آت لا محالة	41
الأسير المجاهد زيد إبراهيم أحمد بسيسي المجاهد الذي له من الأخلاق أرفعها، ومن البطولة أشجعها	47
الأسير المجاهد باسل عاطف محمد مخلوف (عجاج) مجاهد لم تنل من صلابته الشدائد	73
الأسير المجاهد شاهر عزيز محمود حلاحلة مجاهد صدق في حب الوطن، فضحى لتحريره	89
الأسير المجاهد علي سليمان سعيد السعدي (الصفوري) بطل تفخر به أمة	99
الأسير المجاهد محمد قاسم أحمد عارضة مجاهد يتابع هدفه الجهادي في صبر وإصرار	123

الأسير المجاهد محمد صبحي محمد أبو طبيخ مجاهد صلب حكيم	149
الأسير المجاهد محمد ساري محمد حسين المجاهد الذي لم تُخِفْه وعورة طريق تحرير الوطن	189
الأسير المجاهد سعيد حسام سعيد طوباسي شقيق المجاهدين وابن خنساء فلسطين	197
الأسير المجاهد عبد الله ناجي وحش برغيش أحد أبطال ملحمة جنين الكبرى	231
الأسير المجاهد محمد كامل خليل عمران أسد مدينة خليل الرحمن	253
الأسير المجاهد إيهاب زياد عبد الفتاح الشرفا ابن أسرة مجاهدة	273
الأسير المجاهد منيف محمد محمود أبو عطوان ابن الأرض الوفي	279
الأسير المجاهد محمود عطية حسن كليبي المجاهد الأسطوري	289
الأسير المجاهد أنور عمر حمدان عليان المجاهد الذي عرف قيمة الوعي والتنظيم	321
الأسير المجاهد أنس غالب حسن جرادات ابن الأرض التي جاهد من أجلها	343

سيرة وصورة

الأسير المجاهد

محمد صبحي أبو طبيخ

- من مواليد مخيم جنين للاجئين الفلسطينيين بمحافظة جنين بتاريخ 23/ 02/ 1980م.
- تعود أصوله إلى بلدة "صبارين" التابعة لقضاء حيفا والتي هُجِّر أهلها منها في نكبة العام 1948م.
- أعزب وتتكون أسرته من 7 أفراد.
- حاصل على دبلوم خدمة اجتماعية من الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية بغزة في العام 2014م، وبكالوريوس تاريخ من جامعة الأقصى في العام 2016م، وبكالوريوس علوم سياسية من جامعة القدس (أبو ديس) في العام 2018م، وهو حالياً طالب ماجستير في تخصص الشئون الصهيونية في جامعة القدس (أبو ديس).
- حصل على عشرات الدورات التعليمية في تخصصات مختلفة داخل سجون الاحتلال، وله خمسة أبحاث غير منشورة وهي:

1. يهودية الدولة ومسار المفاوضات الفلسطينية "الإسرائيلية".
2. الأكاديميا والبحث العلمي والتطوير في "إسرائيل" ومحيط التعاون الدولي.
3. أهداف وتداعيات حرب 2006م على "إسرائيل".
4. الولايات المتحدة الأمريكية وثورة 25 يناير.
5. "إسرائيل" وتمايز استيعاب وانصهار المهاجرين (دراسة مقارنة بين اليهود الشرقيين واليهود الروس 1948-2000).

- انتمى مبكراً إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي، وعمل في الإطار الطلابي لها (الجماعة الإسلامية) في جامعة بوليتكنيك الخليل، واعتقل على أثرها في العام 1999م في سجون الاحتلال لمدة 18 شهراً وتحرر في 05/ 04/ 2001م.
- اُعتقل في سجون السلطة الفلسطينية لمدة 4 شهور في الأعوام 2001/ 2002م بسبب نشاطه السياسي والعسكري في حركة الجهاد الإسلامي.
- من أبطال تجهيزات معركة مخيم جنين في العام 2002م، وتعرض منزل الأسرة للهدم من قبل قوات الاحتلال بعد اعتقاله مباشرة.
- تعرض لأكثر من محاولة اغتيال من قوات الاحتلال واعتقل بتاريخ 28/ 07/ 2002م في عملية عسكرية واسعة ببلدة برقين بمحافظة جنين.
- أصدرت قوات الاحتلال الصهيوني حكمًا جائرًا عليه مؤبدين و15 عامًا على خلفية نشاطه وقيادته في سرايا القدس (الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي) بمحافظة جنين ووقوفه خلف عمليات جهادية بطولية.

ISBN 978-9950-8523-1-0

9 789950 852310

دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع

Email: dar.nomaan@gmail.com